اللواء الركن
د. ياسين سويد
(متقاعد)

التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتابهم

(قراءة جديدة للعهد القديم)

الجزء الأول



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

هذا الكتاب

هو الأول من نوعه في المكتبة العربية، يدرس سلوك العبرانيين وممارساتهم في الحرب، استنادا إلى معتقداتهم الدينية كما وردت في العهد القديم، ويستنتج، من خلال ذلك، الجذور الدينية للعقيدة العسكرية كما مارستها الصهيونية ضد العرب، في القرن العشرين. إنها عقيدة العنف والإرهاب والإبادة والقتل الجماعي، باعتبار ان «الآخرين» هم «غرباء» أو «غوييم»، وإن الشعب اليهودي، وحده، هو «الشعب المختار» الذي يستحق الحياة.

كتاب لا بد من قراءته للتعرف الى الجذور الدينية للفكر العسكري الصهيوني.

المؤلف في سطور

ضابط سابق في الجيش اللبناني برتبة لواء ركن، من مواليد ١٩٣١، حائز على شهادة الأركان من كلية الاركان ببيروت. تابع دورات عسكرية عدة في فرنسا وبلجيكا. وتسلم مراكز قيادية في الجيش اللبناني.

عضو مؤسس في «المنتدى القومي العربي» و«الهيئة الوطنية لمقاومة التطبيع» ببيروت.

عضو في اللجنة الدولية للتاريخ العسكري وفي اللجنة الدولية للعلوم التاريخية.

حائز على اجازة الحقوق من الجامعة اللبنانية ببيروت (١٩٦٤).

حائز على دكتوراه دولة في التاريخ من جامعة «السوربون» بفرنسا بدرجة مشرف جدا (١٩٨٤).

استاذ سابق في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، الفرع الاول (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥)

حائز على العديد من الاوسمة، اهمها: الاستحقاق اللبناني درجة اولى والارز الوطني من رتبة كومندور، ووسام المؤرخ العربي.

الف كتبا عديدة في التاريخ العام والعسكري، الإسلامي والعربي، وفي الإستراتيجية. واسهم في وضع كتاب «التنشئة الوطنية» الصادر عن وزارة الدفاع الوطني اللبنانية (عام ١٩٦٣). وفي وضع كتاب «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالتعاون مع قيادة الجيش اللبناني (عام ١٩٧٣). كما اسهم في تأليف الموسوعات: العسكرية (معارك اسلامية وعربية وقادة مسلمون وعرب)، والسياسية (فصل عن لبنان)، والفلسطينية (بحث موسع عن الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية والجيش الاسرائيلي والارهاب الاسرائيلي).

نشر العديد من المقالات في الصحف اللبنانية والعربية، وألقى العديد من المحاضرات في الأندية الثقافية اللبنانية والعربية.



التاريخ العسكري
لبني اسرائيل

من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)

(الجزء الأول)



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد

ص. ب.: ٨٣٧٥ ـ بيروت لبنان

تلفون: ٧٥٠٨٧٢ ـ ٣٤٤٢٣٦ ـ ٣٥٠٧٢٢ ١ ٩٦١ +

تلفون + فاكس: ٣٤١٩٠٧ ـ ٣٤٢٠٠٥ ـ ٣٥٣٠٠٠ ١ ٩٦١ +

email: tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الثالثة ٢٠٠٧

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاخراج الفني: تركية التالي

اللواء الركن د. ياسين سويد
(متقاعد)

التاريخ العسكري لبني اسرائيل

من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)

(الجزء الأول)

مدخل لا بد منه

اول ما يتبادر الى الذهن، في الحديث عن بني اسرائيل، السؤال التالي: هل وجد بنو اسرائيل (أو من يسمون بالعبرانيين) في مصر، حقيقة؟ وماذا تقول الآثار (الفرعونية خصوصاً) ومصادر التاريخ والتراث عن ذلك؟ لا شيء، كما يبدو، (انظر ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠٧ ـ٤٠٨ وبورتر، هارفي، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٢٤)، سوى ما ورد في العهد القديم من قول على لسان «أحيور» رئيس بني عمون «لأليفانا» رئيس قواد جيش آشور الذي كان يحاصر مدينة «بيت فلوي» احدى مدن مملكة يهوذا، قال احيور: «ليسمع سيدي كلاما من فم عبدك فأخبرك بالحقيقة عن ذلك الشعب الساكن في تلك الناحية الجبلية والمقيم بالقرب منك، ولا يخرج كذب من فم عبدك، ان هذا الشعب هو من نسل الكلدانيين، أقاموا اولا فيما بين النهرين، لانهم أبوا اتباع آلهة آبائهم المقيمين بأرض الكلدانيين. وخرجوا عن طريق آبائهم وسجدوا لاله السماء، للاله الذي عرفوه. فطردوا من وجه آلهتهم وهربوا الى ما بين النهرين وأقاموا هناك أياما كثيرة. وأمرهم الههم ان يخرجوا من مقامهم ويذهبوا الى أرض كنعان، فسكنوا هناك وامتلأوا ذهبا وفضة وكثرت قطعانهم جدا، ونزلوا الى مصر لأن المجاعة عمت وجه ارض كنعان، وأقاموا هناك فظلوا على قيد الحياة، وصاروا جمهورا كبيرا وكان نسلهم لا يحصى. فقاومهم ملك مصر وخدعهم بتسخيرهم لعمل اللبن وأذلوهم واستعبدوهم. فصرخوا الى الههم فضرب كل أرض مصر ضربات لا علاج لها، وطردهم المصريون من وجههم، فجفف الله البحر الاحمر أمامهم وقادهم في طريق سيناء وقادش برزنيع، فطردوا جميع سكان البرية وأقاموا في أرض الأموريين وأبادوا جميع الحشبونيين بقوتهم. وبعد أن عبروا الاردن، استولوا على كل الناحية الجبلية وطردوا من وجههم الكنعانيين والفرزيين واليبوسيين وشكيم وجميع الجرجاشيين وأقاموا هناك أياما كثيرة. وما داموا لا يخطأون الى الههم، كانت الخيرات معهم، لانه كان معهم اله يبغض الاثم. ولما حادوا عن الطريق

الذي رسمه لهم، أبيدوا الى حد بعيد في حروب عديدة، وتم جلاؤهم الى أرض غير أرضهم، ولم يبق من هيكل الههم الا الاساس، وسقطت مدنهم في أيدي خصومهم. والآن، فقد تابوا الى الههم وصعدوا من الشتات الذي تشتتوا فيه واستعادوا أورشليم حيث مقدسهم، وأقاموا في الناحية الجبلية، فقد كانت غير مأهولة. والآن، فان كانت في هذا الشعب جهالة وأخطأوا الى الههم ورأينا ان عندهم سبب الضعف هذا، نصعد ونحاربهم. وان لم يكن إثم في أمتهم، فليعدل سيدي، لئلا يدافع عنهم ربهم والههم، فنكون عرضة لتغيير الارض كلها» (سفر يهوديت ٥ : ٥ـ٢١).

واحدة من أساطير العهد القديم ألّفها مؤلف مجهول في أواخر القرن الثاني ق.م. فصدقها التوراتيون وضموها الى كتابهم المقدس، وصدقها شعبهم، ثم سعوا لاقناع العالم الحديث بها كي يستطيعوا تحقيق أطماعهم في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

ويبدو أن «أحيور العموني» شخصية أسطورية اراد مؤلف سفر يهوديت، من خلالها، سرد ما ألّفه عن أصل بني اسرائيل ومسيرتهم التاريخية عبر قرون لكي يصل بهم، بالتالي، الى «ارض الميعاد، أرض بني اسرائيل» كما يدّعي واضعو التوراة والعهد القديم. أما «أليفانا» فهو اسم فارسي لاحد ضباط جيش ارتحششتا الثالث (٣٥٩ ـ٣٣٨ ق.م.) ولم تذكر المصادر التاريخية المعروفة غزوته هذه لارض فلسطين، مما يؤكد ان الرواية ملفقة بكاملها (انظر: العهد القديم، سفر يهوديت، مع المدخل والحواشي، ص ٨٩٩ـ٩٢٦).

ملاحظة: اعتمدنا، كمرجع اساسي لهذا الكتاب، الكتاب المقدس، العهد القديم، طبعة دار المشرق، بيروت، ١٩٩١.

نحن لم نقرأ «العهد القديم» من منطلق ايمان به، فذلك أبعد ما يكون عن قناعاتنا، وإنما قرأناه من منطلق انه كتاب موضوع لغايات سياسية بحتة عبّر عنها «موشي دايان» تعبيراً صادقاً عندما صرّح لصحيفة «جيروزاليم بوست» بتاريخ ١٠ آب ١٩٦٧ بقوله:

«إذا كان لدينا كتاب التوراة،

«وإذا اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة،

«فيجب ان نمتلك كل أرض التوراة».

ي.س.

«إن التوراة (أسفار موسى الخمسة) والأسفار التاريخية (في العهد القديم) ليست، كما برهنت تأويلاتها منذ أكثر من قرن، سوى تقميش (تجميع) مكتوبٍ لتقاليد شفهية نقلت عن رواة من القرن التاسع ق.م.، ونسّاخ لسليمان كان همهم الأساسي تبرير فتوحات داود ومملكته، بعد تضخيمها، ولا توجد أية إمكانية لإجراء تقاطع تاريخي ما (لتأكيد صحتها) سواء بواسطة بقايا أثرية او بواسطة مستندات أخرى غير الروايات التوراتية. والحدث الأول الذي اكدته التواريخ الخارجية يتعلق بسليمان، حيث وجدت آثار تتعلق به في المحفوظات الآشورية.

«وبعدها، لم يوجد أي مصدر خارجي لروايات التوراة يمكننا، بواسطته، ان نتأكد من تاريخيتها».

(Garaudy, Roger, Les Mythes fondateurs de la politique israélienne, P.52)

مقدمة

لا بد من قراءتها

عندما دعاني الصديق الدكتور أنيس صايغ، رئيس تحرير «الموسوعة الفلسطينية» إلى الإسهام في هذه الموسوعة، بكتابة بحث عن «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية»، رأيت أن أبدأ هذا البحث بفصل عن «الجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية». وقد تمّ ذلك فعلاً، إلا ان الدكتور الصديق آثر ان يكون هذا الفصل موضوعاً للكتاب بالمعنى نفسه.

وأعجبتني الفكرة، فرحت اسعى إلى تحقيقها، وذلك بقراءة دقيقة «للعهد القديم» وما يتصل بهذا الموضوع من مصادر ومراجع وأبحاث، وخصوصاً «التلمود» و«بروتوكولات حكماء صهيون». وتكونت لديّ فكرة شاملة وعميقة عن تأثير التعاليم الدينية اليهودية (التوراتية والتلمودية) في تكوين العقيدة العسكرية الصهيونية (يهودية العصر الحديث)، ولا سيما ان الكتاب المقدس لليهود يشتمل على نوع من الحروب لم تتضمنه أية كتب أخرى، في أي زمن، وقد تميزت تلك الحروب بأعمال عنف وإرهاب نادرة، بقسوتها ووحشيتها، في تاريخ البشرية جمعاء.

وعكفت على البحث في «التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتابهم»، مستعيناً، في ذلك، بالعديد من المصادر والمراجع، القديم منها والحديث، مناقشاً الأحداث ما أمكن، تارة، وسارداً إياها بلا مناقشة تارة أخرى، وذلك وفقاً لحاجة كل حدث إلى المناقشة او عدمها، ومحاولاً، في كل حال، أن أبيّن «لا عقلانية» معظم الأحداث الواردة في «كتاب اليهود» ولا منطقيتها ولا واقعيتها، ومبرهناً، بالعديد من الحجج الدامغة، ان هذا الكتاب لا يصلح، إطلاقاً، لان يعتبر مرجعاً، او مستنداً تاريخياً، يعتدّ به من قبل أي باحث رصين.

الا انني، استكمالاً للبحث، لم اكتف بما ورد في «العهد القديم» من حروب، بل جاوزته إلى العهود التي تلت العهد القديم، مثل الحروب في العهود المتأخرة للمكابيين (منذ النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد حتى مطلع القرن الميلادي الأول)، ثم حروب

اليهود ضد الرومان (منذ النصف الثاني من القرن الميلادي الأول حتى قرابة منتصف القرن الميلادي الثاني)، مستعيناً، كمصدر رئيسي، بكتاب المؤرخ اليهودي الشهير، «فلافيوس جوزيفوس» (وهو أقدم مؤرخ يهودي عاش في القرن الميلادي الأول)، ثم بالعديد من المصادر والمراجع الأخرى (كما هو وارد في فهرس المصادر والمراجع)، حتى انتهيت الى العام ١٣٥م وهو عام هزيمة اليهود على يد الرومان وخروجهم من فلسطين.

كل ذلك في سبيل تأكيد حقيقة أعتقدها راسخة وجلية وهي تأثير العقيدة اليهودية (كما فصّلها، بوضوح، الكتاب المقدس لليهود) في العقيدة العسكرية الصهيونية، فجاء ذلك في الباب الأخير من الكتاب، وقد حمل هذا الباب العنوان الذي كان السبب الأساسي للبحث كله، وهو «الجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية». وقد قسمت هذا الباب الى عشرة فصول هي: الطبيعة العدوانية لبني اسرائيل، والعنف والارهاب، والاحتلال والتوسع والسيطرة، والاتكالية أو سياسة الاعتماد على الغير، والحرب الجماعية أو الأمة المسلحة، وقواعد الحرب ومبادئها، والسلوك العام في الحرب، والتعبئة النفسية والمعنوية، والأسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم، والحقد اليهودي المتجذر، دينياً وتاريخياً، على الفلسطينيين. ثم ختمت الكتاب ببحث مستفيض اعتبرته استنتاجاً استقطب كل ما خرجت به، من خلال هذا البحث، من نتائج وقناعات تتعلق بصحة نسبة هذا الكتاب (التوراة، وهي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) إلى النبي موسى (عليه السلام)، ثم بصحة اعتبار هذا الكتاب برمته (العهد القديم) كتاباً مقدساً، مع مناقشة صريحة ودقيقة لتلك النتائج والقناعات.

إلا أن أهم ما بيّنته في هذا البحث، الذي استمر العمل به أكثر من ثلاث سنوات، هو ان العبرانيين دخلوا أرض كنعان (أو أرض الميعاد كما جاء في كتابهم)، في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، باعتبارهم غزاة ومعتدين أمرهم ربهم (يهوه) أن يغزوا أرضاً ليست لهم (أرضاً تدر لبناً وعسلاً) يقطنها سبعة شعوب (الحثيون والجرجاشيون والاموريون والكنعانيون والفرزّيون والحويريون واليبوسيون)، وقبلهم (العمالقة) على طريقهم من مصر إلى أرض كنعان، وان يفنوا تلك الشعوب وينتزعوا منها أرضها وديارها وحقولها، بلا شفقة ولا رحمة. وهكذا كان، إذ قاتل العبرانيون أهل تلك الأرض (فلسطين) واحتلوا أرضهم وانتزعوها منهم، إلا أنهم لم يستطيعوا إفناءهم، كما أمرهم ربهم.

ويبدو ان العبرانيين لم يستطيعوا الانصهار في شعب مصر عندما نزحوا إليها، في عهد أخيهم يوسف وأبيهم يعقوب، مما جعل فرعون مصر يُقطعهم أرضاً نائية عن قلب مصر، بين بحر القصب والبحر الكبير (البحر الأحمر والبحر المتوسط) هي «أرض جاسان»، هؤلاء العبرانيون، أنفسهم، لم يستطيعوا الانصهار كذلك، في شعوب أرض كنعان التي أتوها غزاة معتدين، كما انهم لم يستطيعوا التآلف مع الشعوب الأخرى التي غزت أرض كنعان بعد ذلك (من أشوريين وكلدانيين وبابليين ورومان)، وهذا ما يفسر عدم انصهارهم في أي شعب من شعوب البلدان التي سكنوها واعتبرتهم مواطنين فيها (بينما لم يعتبروا، هم، أنفسهم كذلك) وذلك منذ بدء وجودهم، حتى اليوم.

إلا انه، منذ ان دفعت بكتابي هذا إلى المطبعة (في أواخر عام ١٩٩٥) وحتى قبيل صدوره (في أواخر عام ١٩٩٧)، جرت أحداث عدة كان لا بد لي من ان أتوقف عندها، عارضاً ومحللاً ومناقشاً، رغم اني كنت قد تعرضت لبعض هذه الأحداث خلال البحث، ومن ذلك:

أولاً: زيارتي للمملكة الأردنية الهاشمية (خلال عام ١٩٩٦)، ومحاولة استكشاف (ميدانية) لحقيقة موت موسى على جبل «نبو» ودفنه هناك (الباب الأول: الفصل الثالث)، ثم اسطورة توقف مياه الأردن عند عبور يشوع النهر بالعبرانيين إلى أريحا، في «أرض الميعاد» (الباب الأول: الفصل الثالث: والباب السادس: الفصل التاسع).

ثانياً: صدور كتاب للفيلسوف الفرنسي «روجيه غارودي» عن «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية **Les Mythes fondateurs de la politique israélienne**» يعالج العديد من الاساطير في حياة الشعب اليهودي، ومنها «محارق الغاز» التي «أشيع» ان ألمانيا الهتليرية قد أحرقت فيها ملايين اليهود، والتي عرفت، عالمياً، بالهولوكوست **(Holocauste)** ، وما رافق ذلك من مناقشات راوحت بين النفي والتأكيد. وقد تعرضنا لهذا الموضوع في كتابنا هذا (الخاتمة).

ثالثاً: تسلم الصهيونية الأصولية المتطرفة (حزب الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو) الحكم في دولة اسرائيل (خلال عام ١٩٩٦)، وما تلاه من أحداث دامية في الضفة الغربية المحتلة، مما دفعنا إلى مراجعة شاملة لكتاب نتنياهو «مكان تحت الشمس» حدّدنا، من خلالها، شخصية هذا الصهيوني الأصولي المتطرف، وأهدافه، وتطلعاته التي لا يمكن ان

تؤدي إلى سلام واستقرار في منطقة الشرق الأوسط ان هو استمر في النهج السياسي الذي عبّر عنه في كتابه ذلك.

نحن ندرك ان التعرض لمثل هذه المواضيع، في مقدمة، أي كتاب، هو أمر مخالف للمنطق السائد في كتابة المقدمة لأي كتاب، الا اننا لن نكون منصفين إن نحن أغفلناها، خصوصاً وان موضوع البحث يتطلب التعرض لها، ولا سيما القسم المتعلق، منه، بالجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية، وفيما يلي عرض موجز للأحداث الثلاثة:

أولاً: (جبل نبو) وعبور العبرانيين لنهر الأردن: في أثناء زيارتي للمملكة الأردنية الهاشمية، بدعوة كريمة من قيادة الجيش العربي الأردني، في حزيران عام ١٩٩٦، وخلال جولة قمت بها على المواقع التاريخية لمعارك الفتوح الاسلامية (سهل مؤتة وسهل اليرموك وطبقة فحل)، صعدت إلى جبل «نبو» واستدرت، غرباً، نحو سهل فسيح يمتد أمام الناظر إلى مسافة لا يحدّها النظر، شمالاً وغرباً، بينما يحدّه، جنوباً، البحر الميت. يقع هذا الجبل جنوب غربي عمان، مقابل أريحا، شرق نهر الأردن (انظر: سياغة، على خارطة فلسطين أو الأردن)، ويرتفع عن سطح البحر نحو ٨٠٠ متر، حيث ينبسط أمامه وادي الأردن، حتى البحر الميت جنوباً، وتُرى، من أعلى قمة فيه، أرض فلسطين (أو أرض الميعاد؟) كمن يرى راحة كفه بناظريه.

يقول «العهد القديم» إن رب بني اسرائيل أمر موسى بان يصعد إلى أعلى قمة في هذا الجبل (وتدعى: رأس الفسجة) ثم يسرّح ناظريه نحو أرض فلسطين، أرض الميعاد، التي لن يسمح له بدخولها، ويموت هناك، على قمة جبل «نبو» حيث دفن في الوادي «في أرض مؤاب، تجاه بيت فغور (في الفسجة). ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا». إلا ان معلومات أثرية تذكر أن موسى دفن على قمة الجبل نفسه، وان ديراً شُيِّدَ في الموقع نفسه الذي دفن فيه، وهذا الدير هو نفسه الذي أعاد «الآباء الفرنسيسكانيون، حراس الأرض المقدسة» ترميمه عام ١٩٣٣، كما أن صليباً رفع في المكان نفسه (انظر الصورة رقم I) وأقيم نصب تذكاري تخليداً لذكرى مماته (انظر الصورة رقم II). ولكن أحداً من الباحثين، الأثريين خصوصاً، لم يستطع تأكيد هذه المعلومات، او نفيها، وظل قبر موسى مجهولاً «إلى يومنا هذا».

إنحدرنا من قمة جبل «نبو» جنوبا حتى البحر الميت، ثم انطلقنا بمحاذاة نهر الأردن،

شمالاً، حتى جسر «الأمير عبدالله» (سويمه) حيث عاينّا، ميدانياً، حوض النهر وقاعه، وكان يبدو شبه جاف (بسبب فصل الصيف، وهو وقت الحصاد الذي عبر فيه العبرانيون النهر، كما جاء في العهد القديم)، إلا انه لم يتسنّ لنا معاينة النهر كله، شمالاً، حتى «آدام» (أو جسر دامية، أو جسر الأمير محمد) حيث يذكر «العهد القديم» ان مياه النهر قد توقفت «كتلة واحدة»، وان جريان النهر قد «انقطع تماماً، وعبر الشعب قبالة أريحا».

وفي حوارٍ مع صديق سبق ان كان ضابطاً كبيراً في الجيش العربي الأردني، (اللواء الركن فخري ابو طالب، سفير المملكة الأردنية الهاشمية بلبنان)، وهو ذو خبرة مؤكدة في معرفة حوض نهر الأردن وقاعه، من «جسر دامية» إلى مصبه في «البحر الميت»، استطعنا استنتاج ما يلي:

يبلغ طول مجرى النهر من «جسر دامية» إلى مصبه، نحو ٣٥ كلم، وهو ينحدر انحداراً نسبياً، إلا انه يجري، لمسافة طويلة، في سهل منبسط (في غور الأردن)، وفي مجرى قليل العمق إلى درجة أن القعر يبدو، في بعض الأماكن، جافاً، وان ضفتي النهر تبدوان منبسطتين، وإلى مسافة طويلة، على جانبيه، دون ان تشكلا انحداراً يذكر نحو مجراه.

وبسبب انحداره في مجراه نحو مصبه (في البحر الميت)، يصبح النهر غير صالح للملاحة على الإطلاق، كما انه يلاحظ، في هذا المجرى، العديد من المخاضات التي تستخدم، عادة، لعبور المارة من ضفة إلى أخرى، دون أي جهد أو خطر، وخصوصاً في فصل الجفاف، أي فصل الصيف، إلا انه يصبح صعب العبور في فترة وجيزة من فصل الشتاء، عندما تذوب ثلوج الجبال المحيطة به، فيرتفع منسوب المياه فيه.

أمامنا، إذن، فرضيتان:

الأولى: أن النهر لم يكن قابلاً للملاحة بسبب انحدار مجراه من الشمال الى الجنوب، كما انه لم يكن قابلاً للعبور على طول مجراه، خلال الفترة التي تحدث عنها العهد القديم، ومعنى ذلك ان العالم الممتد على طول ضفتي هذا النهر لم يكن قادراً على التواصل، وذلك غير حقيقي، تاريخياً على الأقل.

والثانية: إذا كان النهر غير قابل للملاحة بسبب انحدار مجراه، فانه يظل قابلاً للعبور في أوقات محددة، وخصوصاً في وقت الجفاف وانقطاع الأمطار (الصيف)، وهو ما يؤكد وجهة نظرنا في انه لم يكن في مجرى هذا النهر، وعلى مر العصور، مياه متدفقة، بالوتيرة

نفسها، في كل وقت، مما يدع مجالاً للاعتقاد ان عبور النهر لم يكن بحاجة إلى «معجزة» لكي يتم.

ربما يقول قائل إن آلاف السنين التي مرّت على حصول هذه «المعجزة» قد تكون تسببت في حدوث تغيير (جيولوجي) ما في مجرى النهر وشكل حوضه، أو تغيير في قوة تدفق المياه فيه. إلا ان ذلك يظلّ افتراضاً يصعب، إن لم يستحل، نفيه أو تأكيده، مما لا يغيّر في تصورنا (المبني على واقع الحال)شيئاً.

ومما يعزز اعتقادنا هذا ان المسيح (عليه السلام) قد «اعتُمد عن يد يوحنا، في (نهر) الأردن» (العهد الجديد: مر ١:٩)، ويُذكر ان عمادة المسيح تمت، في مياه هذا النهر، في مكان منه يدعى، اليوم، بالمغطس، ويقع بين جسر اللنبي (جسر الملك حسين) وجسر سويمه (جسر الأمير عبدالله) قبالة «أريحا» تقريباً، (انظر خارطة فلسطين ١٩٤٨)، كما ان «المغطس» يقع على خط النظر المباشر الذي يصل جبل «نبو» بأريحا، أي أن الذي يتطلع الى أريحا، من جبل نبو، لا بد من أن يمر نظره في هذا الموقع من النهر، وهو مخاضة قليلة العمق يمكن لعابر النهر ان يجتازها بلا صعوبة.

ويذكر «بطرس عبد الملك» في كتابه «قاموس الكتاب المقدس»، ان مدينةً كانت قائمة على الضفة الشرقية للأردن «حيث يُظن انه موضع المخاضة التي عبر فيها العبرانيون النهر ايام يشوع»، وكانت هذه المدينة تسمى «بيت عَبرة» وتعني، بالعبرية «بيت المخاضة» (او بيت العبور)، ويتابع عبد الملك: «وفي بيت عَبْرَة هذا كان يعمِّد يوحنا المعمدان». وجاء في «العهد الجديد» (يوا: ٢٨)، انه في «بيت عَنْيا، عبر الأردن... كان يوحنا يعمِّد» وليس «بيت عَبْرة» كما ذكر عبد الملك، (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٢)، ولكن عبد الملك يستطرد قائلاً: إن اسم «بيت عَبْرة» هذا ورد «بيت عَنْيَا» في «بعض المخطوطات القديمة». ثم يعود فيؤكد «ان موضع المخاضة المشار اليها آنفاً هو مخاضة الحجلة» (ص.ن.). ويظهر على خارطة فلسطين (١٩٤٨) موقع يدعى «بيت حجلا» او «عين حجلا»، وهو يقع على الضفة الغربية للنهر جنوب شرقي اريحا وشمال غربي جسر الأمير عبدالله وجنوب غربي «المغطس» الذي سبق ان اشرنا اليه، «حيث كان يوحنا يُعمِّد»، وحيث عمَّد المسيح(ع) «عن يد يوحنا» (مرا: ٩). وتقع «بيت حجلا» على مسافة نحو ٣ كلم غرب نهر الاردن، حيث تقع على موازاتها شرقاً، وعلى النهر، «مخاضة حجلا» المشار اليها آنفاً.

وتتصل هذه المخاضة «بالمغطس» من الجنوب، بحيث تشكل امتداداً له، في مجرى النهر جنوباً.

وقد اقام العبرانيون، بعد عبورهم النهر، اول مخيم لهم عبر الاردن غرباً، في مكان يسمى «الجلجال»، وهو يقع شرق اريحا (Smith, Histroical Atlas P. 7) وغرب «المغطس» (انظر الخطيطة).

فهل يكون «المغطس» هو الموقع نفسه الذي عبر منه يشوع، بشعبه، نحو أريحا؟

الخطيطة



ثانياً: «غارودي» وكتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) «روجيه غارودي» فيلسوف ومفكر فرنسي، بدأ حياته ماركسياً، وانتهى اسلامياً، وكان، في كل حال، معادياً للصهيونية كاشفاً عيوبها ومخاطرها، إلى أن شنت الصهيونية عليه حرباً لا هوادة فيها. وقد شرح «غارودي»، في مقدمة كتابه هذا، كما في أحاديثه معنا عند لقاءاتنا المتعددة به، خلال زيارته للبنان بدعوة من «المنتدى القومي العربي» في تموز/يوليو ١٩٩٦ (بمناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يوليو الناصرية)، بعض ما تعرض له، على

أيدي الصهاينة الفرنسيين، من معاناة. يذكر «غارودي» انه، خلال الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وقف، مع الأب لولون (Lelong) والقس ماتيو (Matthiot) وجاك فوفي (J. Fauvet) ضد هذا الاجتياح، وذلك في موقف اعلنوه في جريدة «اللوموند» الفرنسية بتاريخ ١٧ حزيران/يونيو ١٩٨٢، معتبرين انه (أي الاجتياح) يدخل في «منطق الصهيونية السياسية»، مما آثار عليهم حنق «الليكرا LICRA» أي «الجمعية الدولية المعادية للعنصرية واللاسامية» (La Ligue internationnale contre le Racisme et l'Antisémitisme) التي اتهمتهم بالعنصرية ومعاداة السامية، وادّعت عليهم، بهذه التهمة، أمام القضاء الفرنسي الذي برّأهم منها، وأيد هذه البراءة حكم صدر عن محكمة التمييز الفرنسية بتاريخ ٢٤/آذار/مارس ١٩٨٣، إذ اعتبرت هذه المحكمة ان النقد الموجه من المفكرين الثلاثة هو «نقد مشروع لسياسة دولة، وللعقيدة التي توحي بهذه السياسة، ولا يمكن اعتباره تحريضاً عنصرياً»، وردّت كل طلبات الجهة المدعية[١].

إلا ان المعركة الحقيقية بين «غارودي» والصهاينة الفرنسيين كانت تلك التي جرت إثر سعي المفكر الفرنسي الى نشر كتابه (الذي نحن بصدده) في مطلع العام (١٩٩٦)، إذ امتنعت معظم دور النشر الفرنسية، التي سبق ان نشرت العديد من الكتب للمؤلف، عن نشر هذا الكتاب، خشية ان تتعرض لحملات الإعلام الفرنسي الموالي للصهيونية، وذلك بسبب «الارهاب الفكري» الذي يمارسه «اللوبي» الصهيوني على هذا الإعلام، بحسب رأي الرئيس الفرنسي الأسبق الجنرال شارل ديغول[٢]. مما اضطر المؤلف إلى نشره على نفقته الخاصة، فثار عليه الإعلام الفرنسي المتصهين ونعته بأسوأ النعوت[٣].

---

(١) -Garaudy, R. Les Mythes fondateurs de la politique israélienne P.11

(٢) Ibid, PP. 12 & 217_218 ويذكر «غارودي» في حديث لصحيفة «الحياة» بتاريخ ١٢ أيار/مايو ١٩٩٦ (الملحق) ان ديغول قال، ذات يوم، وبعد ان انتقدته الكنيسة الفرنسية، بعنف، بسبب فرضه عقوبات على اسرائيل (بعد حرب عام ١٩٦٧): «لم اكن أعرف ان فرنسا صارت يهودية».

(٣) - ومما قيل فيه:

- «مع روجيه غارودي، يمكننا ان نتوقع كل شيء» (Le Canard Enchainé).

- «انه غرقٌ انتحاري لرجل كان يمكن ان يكون الشاهد على عصره» (La Croix).

- «انتقل غارودي الى المعسكر المعادي للسامية» (La Libération).

- «احمر (شيوعي) قديم انتقل الى الجانب الآخر من المرآة: (الفاشيين)» (Le Monde)

- «ان «قانون غايسو» (وهو القانون الذي وضع في فرنسا لمعاقبة الذين يشككون بعدالة محاكمات نورمبرغ، والذين يوسمون بالعنصرية واللاسامية) هو، وحده، الكفيل باسكات «رجل طبعت نزعته الانسانية عصراً بكامله» (L'Humanité).

- «انه تواطؤ اسمر - احمر (فاشي - شيوعي)» (Le Figaro).

ومع هذا، فان «غارودي» لم يعدم مدافعين جريئين تولوا الدفاع عنه والوقوف إلى جانبه في معركته الشرسة هذه، ومن أهم هؤلاء:

- الأباتي بيار (L'Abbé Pierre) الذي اشتهر في فرنسا والعالم بنزعته الإنسانية، وقد تعرض لانتقادات عنيفة من الاعلام الفرنسي المتصهين، وغلاة انصار الصهيونية في فرنسا، مما اضطره إلى ان يغادر فرنسا إلى احد الأديرة في إيطاليا، قرفاً واشمئزازاً وإحباطاً.

كان «الأباتي بيار» رئيساً لجمعية «عماوس» الدولية للإغاثة والرعاية، كما كان عضو شرف في جمعية «الليكرا LICRA» التي سبق ذكرها، وصديقاً حميماً للفيلسوف «غارودي». وقد عرف بحماسته للقضية الفلسطينية ودعمه لها، وعطفه على الفلسطينيين الذين دفعوا، بحسب رأيه، ثمن أخطاء أوروبا ضد اليهود، وخصوصاً في الحرب العالمية الثانية، فهو يقول: «الجرائم التي تعرض لها اليهود وأدت إلى قيام إسرائيل، بعد طرد الفلسطينيين من أراضيهم، لم تكن من صنع أي عربي، بل من صنع أوروبي. وعندما أردنا المغفرة، بعد ذلك، اخترنا الحل الأكثر سهولة، أي طرد الفلسطينيين من أراضيهم... لقد مسحنا أيدينا في ظهر آخر، إنه أمر حرج قول ذلك، لأن الأمر يتعلق بدولة اسرائيل». وزار «الأباتي بيار» بعد ذلك قطاع غزة (في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٥) حيث «طلب، باسم الأوروبيين، المغفرة من الشعب الفلسطيني الذي تعرض لمأساة نتيجة قيام دولة اسرائيل»(٤).

وعندما أصدر «غارودي» كتابه الأخير (الذي نحن بصدده) أيّده الأباتي بيار بقوة، وأعلن ذلك صراحة، مما أثار ضده الإعلام الفرنسي المتصهين، بالاضافة إلى العديد من الجمعيات والمؤسسات والشخصيات الفرنسية الموالية لاسرائيل والصهيونية، ولكنه لم يتراجع عن آرائه، بل قال: «بعدما تنتهي العاصفة، أعتقد ان كثيراً من الفرنسيين سيقولون: لقد ساعدنا على ان نرى بصورة أكثر وضوحاً»، وعقدت «الليكرا» لقاءً معه، وحاول أعضاؤها ان يثنوه عن موقفه فلم يستطيعوا، مما جعل هذه الجمعية تقرر طرده من عضويتها. وحاول الوزير الفرنسي السابق «برنار كوشنر» (وكان قد ألف كتاباً، بالتعاون مع الأباتي بيار نفسه، عام ١٩٩٢ بعنوان: الله والبشر)، وكذلك الطبيب الفرنسي الشهير

---

(٤) جريدة الحياة، آفاق (ملحق اسبوعي)، تاريخ ١٢ أيار ١٩٩٦ (مقالة بعنوان: الأب بيار وقضية غارودي).

«شوانزربرغ» (وكلاهما من أنصار اسرائيل والصهيونية) ثنيه عن موقفه، فلم يستطيعا. كما ان «مجلس أساقفة الكنائس الكاثوليكية الفرنسية» أصدر بياناً أدان فيه «غارودي» بسبب كتابه، وانتقد«الأباتي بيار»، الذي وقف إلى جانب (غارودي) في أزمته هذه(٥).

إلا ان «الأباتي بيار»، الرجل المسن (الذي جاوز الثمانين)، لم يتمكن من الصمود طويلاً أمام الحملات المسعورة التي شنها عليه الإعلام الفرنسي المتصهين، وكذلك الشخصيات الفرنسية البارزة، اليهودية، وغير اليهودية، من الممالئين للصهيونية، فأصدر بياناً أدان فيه «كل الذين يريدون، بشكل أو بآخر إنكار أو تزوير أو جعل الكارثة اليهودية أمراً عادياً»، متخلياً بذلك، عن دعمه لصديقه القديم «غارودي»، إلا انه غادر فرنسا، بعد ذلك، متخلياً عن كل مهماته فيها.

– المحامي «غاستون پرنو» (Gaston Pernot) دكتور في الحقوق، وحامل وسام جوقة الشرف الفرنسية، وديغولي قديم (منذ عام ١٩٤٠)، ومقاتل في صفوف القوات الفرنسية الحرة (F.F.L)، وأحد المعتقلين في سجون مصانع «بوشنوولد Buchenwald» و«دورا Dora» الالمانية طوال ١٨ شهراً (١٩٤٣-١٩٤٥)، حيث خرج منها معاقاً، وقد مات، في هذه السجون، «آلاف الفرنسيين» الذين كانوا، في معتقلاتهم، مع اليهود، جنباً إلى جنب. يقول «پرنو»: «في أي مجتمع نعيش، حيث لا يكون لنا الحق في ان ننتقد، بأية وسيلة كانت، اليهود والاسرائيليين والصهاينة، بدون ان نوسم، تلقائياً، بالعنصرية وبمعاداة السامية؟. ليعلم الصحافيون ان الغالبية الكبرى من المعتقلين في المعسكرات النازية لم تكن من اليهود، بينما أبرزت كل وسائل الإعلام «الفرضية» بان اليهود، وحدهم، هم الذين كانوا معتقلين، وهم الذين أُفنوا. وليعلموا، أيضاً، ان عدد المعتقلين الفرنسيين كان نحو ٢٥٠ ألف معتقل، منهم نحو ٢٥ ألف يهودي فرنسي، وقد عاد من هؤلاء المعتقلين ما يراوح بين ٨٠ و١٠٠ ألف معتقل، منهم ١٥ ألف يهودي».

ويستطرد «پرنو» في المقالة نفسها (التي نشرت في جريدة «الفيغارو» الفرنسية):

«لماذا لا يتكلم أحد عن كل المعتقلين غير اليهود؟ يتحدثون عن معتقل «أوشڤيتز Auschwitz» .. ولكنهم ينسون ان يقولوا انه، في أنفاق مصانع «دورا» فقط... مات الآلاف

---

(٥) م.ن.

من المعتقلين الفرنسيين من جراء الإرهاق وسوء المعاملة. لقد كانت «دورا» كذلك معسكر إفناء بسبب العمل الإجباري وبسبب الجوع. صحيح أن في «أوشفيتز»، هلك نحو ٨٠٠ ألف يهودي، من كل أوروبا، ومنذ عام ١٩٤٣، ولكن يجب ان لا ننسى أن أوائل المعتقلين الذين هلكوا كانوا نحو ٤٠٠ ألف جندي سوفياتي، يضاف إليهم نحو ١٥٠ ألف غجري (تزيغاني Tziganes) ونحو ٥٠٠ إلى ٦٠٠ ألف بولوني، ومعتقلون من جنسيات أخرى.... ولا يتكلم أحد عن هؤلاء، في أي مكان. لماذا، إذن، لا نتكلم الا عن التضحية باليهود ونخفي استشهاد المعتقلين الباقين؟».

ويقول «پرنو» في معرض دفاعه عن «غارودي»:

«إن «غارودي»، كمعتقل قديم، لم يقل شيئاً منكراً عندما أكد انه قد تم إخفاء اعتقال «غير اليهود»، وانه يرفض اللعب بالأرقام، إذ أُعلن رسمياً، في البدء، عن هلاك ستة ملايين يهودي في «أوشفيتز»، ثم تقلص هذا العدد، الآن، إلى مليون واحد. فهل ان من لا يؤكد ذلك (الرقم الأول) يكون مراجعاً (Révisionniste)، وهو النعت الذي أطلق على المؤرخين الفرنسيين الذين يطالبون بإعادة النظر بما كتب عن محارق الغاز النازية ضد اليهود)، أو سلبياً، أو حتى معادياً للسامية؟».

وينهي «پرنو» مقالته هذه بقوله:

«في المعسكرات، لم يكن هناك احتكار لبعض الفئات. لقد كنا، جميعاً، على قدم المساواة أمام العذاب والموت. ونحن لا نرضى بالقول إن الاعتقال كان حكراً على بعض دون بعض آخر، كما اننا لا نرضى بان يعمد الصحافيون، الذين لم يعرفوا الاعتقال ولا الحرب، الى دعم احتكار كهذا».

فماذا قال «روجيه غارودي» في كتابه «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية» حتى استحق كل هذا العداء والاضطهاد، إلى درجة تحطيم واجهات المكتبات التي تجرأت على عرض كتابه هذا في فرنسا، كما حدثنا «غارودي» نفسه؟.

يصّر «غارودي» في كتابه هذا، على ان الاساطير التوراتية هي التي «أسست» السياسة الصهيونية الاسرائيلية، ولا تزال تسيّرها وتؤثر فيها. ويعتبر الكتاب رداً على «الهرطقة» الصهيونية التي تُحل «دولة اسرائيل» محل «إله اسرائيل» (p.7)، والتي تحاول ان تقنع العالم «باسطورة حديثة» هي ان دولة اسرائيل قد قامت «كرد من الله على محارق الغاز»

النازية «الهولوكوست»، مع الإشارة إلى ان مستوطني اسرائيل ليسوا، جميعهم، من الناجين من تلك المحارق، بل هم، في غالبيتهم، من يهود البلاد العربية المجاورة لفلسطين المحتلة، باعتراف «اسحق رابين» نفسه (p.9).

ويحاول «غارودي»، من منطلقات عقيدية، مسيحية ويهودية، ومن خلال حقائق تاريخية سياسية، ان ينقض، بجرأة وشجاعة نادرتين، كل «الأساطير المؤسسة» لا لسياسة اسرائيل فحسب، بل «لدولة اسرائيل» نفسها، مقدماً، لأجل ذلك، العديد من الحجج والبراهين الدامغة، وهذا ما جعل الصهيونية العالمية تحاربه إلى درجة «الخنق الإعلامي» و«الموت الأدبي» الذي يصفه «غارودي» نفسه، في كتابه، كما يلي:

«بدأ الخنق الاعلامي: لا يمكنني الوصول إلى التلفاز، ويُرفض نشر مقالاتي، وأقفلت في وجهي كل أبواب دور النشر الكبرى، إلى درجة أن أحد كبار الناشرين لكتبي قال لمدير إدارته: إذا نشرت كتاب غارودي، فلن تتمكن بعد ذلك، من الحصول على حقوق ترجمة الكتب الاميركية». ويستطرد «غارودي» قائلاً: «نشر كتابي يعني: تفجير منزل الناشر... تلك هي قصة حبس إنسان... إنه موتي الأدبي»(٦).

يبدأ «غارودي» كتابه بمناقشة اسطورة «الوعد الالهي» لبني اسرائيل في «أرض الميعاد» أو «الأرض المحتلة» كما يسميها (P.29)، وذلك من وجهة نظر مفكرين مسيحيين يرون ان البحث التاريخي الحديث «حوّل، الى حالة خيالية، الوصف الكلاسيكي للخروج من مصر واحتلال ارض كنعان والوحدة الوطنية اليهودية قبل الشتات، والحدود المرسومة بدقة»، وذلك لأن عمل المؤرخ التوراتي هو انه «لا ينبئنا عن الرواية، بل عن الرواة»، وهكذا، فإن معظم المؤوِّلين اعتبروا، ويعتبرون الوعد (للآباء الاولين)، بصورته الكلاسيكية، أداةً «لتبرير متأخر للاحتلال اليهودي لفلسطين، أو، بصورة أكثر واقعية، لمدّ السيطرة اليهودية حتى الحدود التي بلغتها مملكة داود» (p.32). بل ان بعض هؤلاء المفكرين يرى ان جميع شعوب الشرق الأوسط نالت، في العصور القديمة، «وعوداً مماثلة، من آلهتها التي وعدتها بالأرض ما بين النهرين حتى مصر»، لذا، فانه «سيكون أمراً

---

(٦) Garaudy, op. Cit. P. 218 وكان «غارودي» قد سبق ان نشر في كبريات دور النشر الفرنسية «اربعين كتاباً»، وترجمت كتبه الى «سبع وعشرين لغة» (Ibid).

استثنائياً حقاً، ان لم يتلق العبرانيون مثل هذا الوعد »، (P.33). حتى ان العديد من المفكرين اليهود (مثل الحاخام إلمر برجيه (Elmer Berger)، الرئيس السابق للرابطة اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية) يرون انه «من غير المقبول، لأي كان، ان يدّعي أن إقامة دولة اسرائيل الحالية هو تحقيق لنبوءة توراتية، وان كل الاعمال التي قام بها الاسرائيليون لإنشاء دولتهم هي أعمال موافق عليها، سلفاً، من الله» لذا، فان سياسة اسرائيل الحالية «دمّرت، او، على الاقل، أفسدت المعنى الروحي لاسرائيل». وينتهي «إلمر برجيه» الى القول بانه «ليس لدولة اسرائيل الحالية أي حق في ان تستند إلى الادعاء بانها تحقق مشروعاً إلهياً لعصر مسيحي. إن في ذلك ديماغوجية مطلقة للأرض وللدم، فلا الشعب ولا الأرض مقدسان، ولا يستحقان أي امتياز روحي من العالم. كما ان الشمولية (التوتاليتارية) الصهيونية التي تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودي، بالعنف او بالقوة، تجعل منه شعباً بين باقي الشعوب، ومثلها»(P. 36 - 37).

وينتقل «غارودي» بعدها، إلى مناقشة اسطورة «الشعب المختار» فيرى ان «ليس لها أي أساس تاريخي» (P.43). ويرى ان «وحدانية الاله» لم توجد مع «العهد القديم»، بل ان هذا «الكتاب المقدس» لليهود لم يقل «بالوحدانية»، انما اعترف بتعدد الآلهة، معتبراً ان «إله بني اسرائيل» متفوق على غيره من الآلهة وان كانت تنتابه الغيرة منهم (P.43). وان «الوحدانية» لم تتأكد، عند العبرانيين، الا بعد النفي (أي في منتصف القرن السادس ق.م)، حيث انتقل العهد القديم من صيغة «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي» (خر ٢٠: ٣). وصيغة «لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حواليكم، لان الرب الهك غيور في وسطكم» (تث٦: ١٤ و ١٥) إلى صيغة «توجهوا إليّ فتخلصوا، يا جميع أقاصي الأرض، فالي انا الله، وليس من إله آخر» (أش٤٥ : ٢٢).

أما اسطورة يشوع عن «التصفية العرقية» لغير اليهود، فيلاحظ المؤلف، كما يلاحظ أي قارىء للعهد القديم، أنها تتمتع بتغطية وافية من «رب الجند» إله بني اسرائيل الذي يأمر بقتل كل الاجناس، ذكوراً وإناثاً، من أجل بقاء شعبه. ويعلق «غارودي» على ذلك بقوله إن هذه «التصفية العرقية» قد أضحت منهجية منتظمة في «دولة اسرائيل» الحديثة، وهي ناجمة عن مبدأ «الصفاء العرقي» الذي يحرّم «اختلاط الدم اليهودي بالدم غير الصافي للآخرين جميعاً» (P.57). ثم يعمد المؤلف إلى إجراء مقارنة بين الصهيونية والنازية فيعتبر ان الصهيونية تستلهم النازية التي ترى انه «يجب منع كل اختلاط يمكن ان يتم، مستقبلاً، بين الدم الالماني والدم اليهودي» بحسب شهادة المتهم الالماني «يوليوس سترايشر

Julius Streicher» أثناء محاكمته في «نورمبرغ» إذ يقول إنه قد كتب «مقالات عدة» داعياً إلى اتخاذ «العنصر اليهودي، او الشعب اليهودي، كنموذج يقتدى به» في مجال تطبيق «القانون الموسوي» الذي يصرّ على «التمييز العنصري» بين اليهود وسواهم من الشعوب (P.59 - 60). وينتهي «غارودي» إلى استنتاج خطير هو ان «الاضطهاد والإبادة البطيئة للجنس» الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني «آخذ في التوسع، بشكل لم يسبق له مثيل» (PP. 61 - 62).

وينتقل المؤلف، بعدها، للحديث عن «اساطير القرن العشرين» التي تفننت الصهيونية في استخدامها واستغلالها، متحدية، في ذلك، العالم بأسره، وقد نجحت، في هذا التحدي، أيما نجاح. وهذه الأساطير هي:

١ ـ اسطورة الصهيونية المضادة للفاشية.

٢ ـ اسطورة عدالة «نورمبرغ».

٣ ـ اسطورة الستة ملايين (الهولوكوست).

٤ ـ اسطورة «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض».

يتحدث المؤلف عن **الاسطورة الأولى** «الصهيونية المضادة للفاشية» فيؤكد ما هو عكسها، أي التقاء النازية بالصهيونية واتفاقهما معاً على حساب الشعب اليهودي، وذلك عندما يستشهد بنص للكاتب الصهيوني «بارزوهار» في كتابه «بن غوريون، النبي المسلح» فيذكر انه، في عام ١٩٤١، ارتكب اسحق شامير «جريمة لا تغتفر من الناحية الاخلاقية، وذلك عندما عقد تحالفاً مع هتلر، ومع ألمانيا النازية، ضد بريطانيا العظمى». ثم يؤكد المؤلف، كذلك، ان «المجموعة الصهيونية الالمانية، وكانت قلة في ذلك الحين، ....انخرطت، من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤١، في سياسة تفاهم، بل وتحالف، مع هتلر» (P.65). ويصل اليقين بالمؤلف إلى القول ان «الهدف الأساسي للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود بقدر ما كان خلق دولة يهودية في فلسطين»، مدعماً يقينه هذا بتصريح لبن غوريون بتاريخ ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٨ يبدو فيه أقل حرصاً على أطفال اليهود الألمان منه على انشاء الدولة اليهودية، إذ يقول: «لو كنت أعلم انه من الممكن إنقاذ حياة كل الأطفال (اليهود) الألمان وذلك بنقلهم إلى انكلترا، أو انقاذ نصفهم وذلك بنقلهم إلى أرض اسرائيل، لاخترت الحل الثاني، وذلك لانه يجب ان نأخذ بالاعتبار، ليس فقط حياة هؤلاء الأطفال، بل

تاريخ شعب اسرائيل ايضاً». كما يصرح مفكر يهودي آخر هو «توم سيغيف» بقوله (في كتابه :المليون السابع): «إن انقاذ يهود أوروبا ليس على رأس لائحة اهتمامات الطبقة (الصهيونية) القائدة. إن تأسيس الدولة هو الذي يحظى بالأولوية في نظرهم» (P.67).

ويرى المؤلف ان مبادىء الصهيونية لم تكن تتعارض مع المبادىء النازية، إذ إنه، بينما كانت الأولى تهدف إلى تهجير اليهود من ألمانيا (والعالم كله) إلى فلسطين، كانت الثانية تهدف، في الوقت نفسه، إلى تهجير اليهود من ألمانيا، ولا بأس ان كان التهجير يقودهم إلى فلسطين، وذلك ما كتبه «بولو شوانت» إلى وزير الداخلية الالمانية عام ١٩٣٥ (PP.70-71). وقد شعر «ناحوم غولدمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي «بالتعاسة والخجل» عندما واجهه وزير الخارجية التشيكية «ادوارد بينيز» بامتناع منظمته اليهودية عن مقاطعة هتلر ورفضها تنظيم مقاومة ضده (P.74). ويصل الأمر بالقادة الصهاينة إلى حد التآمر على اليهود، وذلك عندما اتفق «رودولف كاستنر» نائب رئيس المنظمة الصهيونية، مع «أدولف ايخمان» على ان يقنع الأول ٤٦٠ ألف يهودي هنغاري بان نقلهم لن يكون إلى أوشفيتز (حيث محارق الغاز) وانما هي عملية ترحيل (ترانسفير) فقط، هذا إذا قبل الثاني (ايخمان) بذهاب ١٦٨٤ يهودياً (من الراسماليين والتقنيين والعسكريين) إلى فلسطين (P.75).

وفي ميناء حيفا، بتاريخ ٢٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٠، أقدم «بن غوريون» قائد «الهاغانا» في فلسطين، على نسف باخرة فرنسية (الباخرة باتريا) كانت تقل يهوداً قررت بريطانيا «انقاذهم من هتلر» ونقلهم الى «جزيرة موريس»، مروراً بحيفا، فقتل، في هذه العملية، ٢٥٢ يهودياً، وذلك بهدف زيادة سخط اليهود على الدولة المنتدبة التي لم تكن تسمح، في نظر اليهود، بهجرة كافية لهم الى فلسطين(P.81).

ويسهب المؤلف في الحديث عن **الاسطورة الثانية**، «اسطورة عدالة نورمبرغ» فيفضح أسرار هذه المحاكمة الصورية لزعماء ألمانيا النازية، ودور الصهيونية في تدبيرها وإدارتها وتدبيج أحكامها، ويناقش وثائقها وشهادات الشهود فيها، وخصوصاً ما يتعلق منها بدعوى محارق الغاز النازية في «أوشفيتز» فيظهر مدى تدخل الصهيونية في مسار هذه الدعوى وفي الأحكام التي صدرت عن المحكمة بصددها، ولا بد من ان يعمد القارىء إلى مراجعة هذا الفصل بنفسه لكي يطّلع على الفضيحة الصهيونية الكبرى التي

تبناها العالم الحر، بعيد الحرب العالمية الثانية، وسماها «محاكمات نورمبرغ» (PP. 91 -150).

ثم يفرد المؤلف فصلاً خاصاً للتحقيق في قضية محارق الغاز النازية المسماة «الهولوكوست»، وهي **الأسطورة الثالثة** التي يسميها «اسطورة الستة ملايين»، وينتهي الى القول بان العالم قد نسي المحارق الكبرى، سواء عمليات إفناء الجنس التي قام بها العبرانيون، في أرض كنعان ضد الشعوب التي كانت تقطن تلك الأرض قبلهم، او محرقة «درسد» الانكلواميركية (في ١٣ شباط/فبراير عام ١٩٤٥) حيث هلك، في بضع ساعات فقط، نحو ٢٠٠ ألف مدني، أو محرقتي هيروشيما وناغازاكي، في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) حيث هلك نحو ٢٠٠ ألف نسمة وقضى على نحو ١٥٠ ألف جريح بالموت البطيء في مدد متفاوتة (PP. 152 -154)، وينتقل إلى التاكيد بان «محارق الغاز» النازية ضد اليهود ان هي الا كذبة كبرى اجترحها اليهود للوصول، عن طريقها، إلى إقامة وطن لهم في فلسطين، على حساب الشعب الفلسطيني، وعلى أرضه، مبيناً ذلك بحقائق دامغة لا مجال لنكرانها (PP. 159 - 167). وهم لا يتورعون عن ان يربطوا، بكل وقاحة، بين اسرائيل والهولوكوست والرغبة الآلهية، فيعلنوا ان «إقامة دولة اسرائيل» ليست سوى «ردّ من الله على الهولوكوست» (P.156).

وتبقى **الاسطورة الرابعة** التي يسميها المؤلف «اسطورة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، وهي اسطورة مضحكة مبكية في آن، خصوصاً وان «العالم الحر» لم يرفض هذه الاسطورة، بل صدّقها، وأقام لليهود دولة على حساب شعب طرد من أرضه ووطنه، ولا يزال هذا العالم يعاني، إلى اليوم، من سلوكه المستهجن والغريب تجاه هذا الشعب وتلك الأرض.

المضحك، في هذه الاسطورة، أن نسمع «غولدامائير»، (وكانت رئيسة لحكومة سابقة في اسرائيل) تقول، في تصريح لها الى جريدة «سانداي تايمز» الانكليزية بتاريخ ١٥ حزيران/يونيو عام ١٩٦٩: «لا يوجد شعب فلسطيني... ليس الأمر كما لو أننا أتينا وطردناهم، وأخذنا بلادهم. إنهم غير موجودين». وتلقّى «العالم الحر» هذا التصريح، دون ان يرف له جفن او يتحرك ضمير.

والمبكي، في هذه الاسطورة، ان الشعب الذي قالت عنه «غولدامائير» انها لم تطرده

من أرضه ووطنه، وانه «غير موجود»، لا يزال الى اليوم، يقاتل العدو المحتل، بلا تعب ولا كلل، و«العالم الحر» كله يتفرج على الدماء الفلسطينية تهرق بلا حدود، والشهداء الفلسطينيون يسقطون بلا نهاية، دون ان يرف لهذا العالم جفن، او يتحرك ضمير.

ونكتفي، مما أورده المؤلف، في حديثه عن ردّ هذه الاسطورة، بشهادتين أوردهما في الفصل المتعلق بالحديث عنها، وهما:

ـ شهادة الكونت «فولك برنادوت» وسيط منظمة الأمم المتحدة في حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، وذلك في أول تقرير له عن مهمته بتاريخ ١٦ ايلول/سبتمبر ١٩٤٨، وقد جاء في هذا التقرير: «سيكون الأمر إهانة للمبادىء الأولية إذا منع هؤلاء الأبرياء، ضحايا النزاع، من العودة الى وطنهم، بينما نرى المهاجرين اليهود يتوافدون إلى فلسطين، وأكثر من ذلك، يهددون، بصورة دائمة، بان يحلوا محل اللاجئين العرب المتجذرين في هذه الأرض منذ قرون»، ثم يستطرد: «ان الغزو الصهيوني يتم على نطاق كبير، وتدمير القرى يجري بلا ضرورة عسكرية ظاهرة» (P.174). ولا عجب ان قتل «برنادوت» بعد ذلك، في فلسطين وفي اليوم التالي لوضع هذا التقرير، اي بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٤٨، على يد اليهود انفسهم، وفي أثناء قيامه بمهمته الانسانية.

ـ شهادة البروفسور «اسرائيل شاحاك»:

«انا يهودي يعيش في اسرائيل، واعتبر نفسي مواطناً محترماً للقوانين. أقوم بخدمتي العسكرية في الجيش كل عام، رغم اني أتجاوز الاربعين، ولكني لست«مخلصاً» لدولة اسرائيل او لأية دولة أخرى او منظمة، بل انا متمسك بمثلي العليا. واعتقد ان عليّ ان اقول الحقيقة، وان افعل كل ما يجب لانقاذ العدالة والمساواة للجميع. انا متعلق باللغة والشعر العبريين، وأحب الاعتقاد بانني احترم، بتواضع، بعض القيم لأنبيائنا القدامى». ويستطرد «شاحاك»:

«يعتقد اليهود، ويقولون ثلاث مرات في اليوم، ان اليهودي يجب ان يكرّس نفسه لله، ولله وحده،... ولكن يبدو لي ان أكثرية شعبه أضاعت إلهها، وأحلت محله وثناً، تماماً كما كانوا (العبرانيون) عندما عبدوا عجل الذهب، في الصحراء، وقدموا له كل ما لديهم من ذهب، ليقيموا له تمثالاً. ان اسم «وثنهم» الجديد هو «دولة اسرائيل»، (PP. 189 - 190).

ويختم «غارودي» كتابه القيّم بالحديث عن «الاستخدام السياسي للاسطورة» في

الدولة العبرية، فيتحدث عن دور «اللوبي» الصهيوني في كل من الولايات المتحدة الاميركية (212 - PP.193) وفرنسا (229 - PP.213)، ثم يتحدث عن اسطورة اخيرة هي «اسطورة المعجزة الاسرائيلية: التمويل الخارجي لاسرائيل» ويستهل حديثه عنها بكلمة لليهودي «يشاياهو ليبوتيز»: «تأتي قوة القبضة اليهودية من الكف الفولاذي الاميركي الذي يغطيها، والدولارات التي تحشوها» (P. 231).

ثم يتحدث عن قصة «التعويضات الالمانية لاسرائيل» كما يرويها «ناحوم غولدمان» (233 - PP.231)، ثم الدعم الاميركي المستمر للدولة العبرية (241 - PP. 235).

ورغم ان هذا الكتاب يتضمن، في غالبيته، شهادات لمفكرين وسياسيين عالميين، يهود (وخصوصاً المؤرخين الاسرائيليين الجدد منهم) وغير يهود، فانه يظل، بحد ذاته، شهادة قيمة، تشهد على العنصرية اليهودية والطغيان الصهيوني، وعلى الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني، من جراء تلك العنصرية وهذا الطغيان اللذين لم يسلم منهما «العالم الحر»، فكان هو المطية التي استخدمتها الصهيونية، خلال هذا القرن، لتحقيق أطماعها، والبقرة الحلوب التي عاشت اسرائيل، ولا تزال تعيش، من ضرعها السخي.

ثالثاً: الليكود في الحكم: نتنياهو وآراؤه الصهيونية الاصولية:

الصهيونية الاصولية تحكم الدولة العبرية. هذا ما وجب قوله عندما تسلّم «نتنياهو»، زعيم حزب الليكود، الحكم في اسرائيل.

ولد «بنيامين نتنياهو» في تل أبيب عام ١٩٤٩، ونال شهادة «ماجستير في إدارة الأعمال» من معهد «ماساشوستس للتكنولوجيا» في «فيلادلفيا» بالولايات المتحدة الأميركية، كما نال الهندسة المعمارية من جامعة (إم. آي. تي-MIT) في الولايات المتحدة الاميركية. ثم خدم في الجيش الاسرائيلي خمس سنوات سرّح بعدها برتبة نقيب، وشارك في العديد من الحروب العربية الاسرائيلية. وقد شغل عدة مناصب رئيسية في الدولة العبرية منها: قنصل اسرائيل في واشنطن (١٩٨٢ـ ١٩٨٤)، ثم سفير اسرائيل وممثلها الدائم في الأمم المتحدة (١٩٨٤ـ١٩٨٨)، ثم انتخب (عام ١٩٨٨) نائباً في الكنيست الثاني عشر، عن تكتل الليكود اليميني المتطرف، وعين، في العام نفسه، نائباً لوزير الخارجية الاسرائيلية (١٩٨٨ – ١٩٩١)، ثم نائباً لوزير الاعلام، في مكتب رئيس الحكومة (١٩٩١

– ١٩٩٢)، وفي هذا العام (١٩٩٢) انتخب رئيساً لتكتل الليكود. وهو يعتبر من أكثر المتشددين والمتطرفين في حركة «حيروت» التي تشكل دعامة أساسية في هذا التكتل[٧].

يذكر «نتنياهو» في كتابه «مكان تحت الشمس» ان جده لأمه، ويدعى «ابراهام ماركوس»، هاجر الى فلسطين عام ١٨٩٦ وأقام في مستوطنة «ريشون لتسيون» اليهودية، وانتسب الى حركة «هواة صهيون»، وان أمه ولدت عام ١٩١٢ في مستوطنة «بتاح تكفا» في فلسطين كذلك، وان جده لأبيه، الحاخام نتان ميلويسكي، التزم بالحركة الصهيونية، منذ مطلع شبابه «في عقد التسعينات من القرن الماضي» و«نشر مبادئها بين اليهود في شرق سيبيريا حتى مينوسوتا، في الولايات المتحدة الاميركية»، ثم هاجر من «ترايست» الى فلسطين عام ١٩٢٠، واستقرت الأسرة، في آخر المطاف، في مستوطنة «روش بينا» في الجليل الأعلى، قرب صفد[٨].

إلا اننا نستنتج، من السيرة المقتضبة التي يقدمها «نتنياهو» عن جده لأمه، ان هذا الجد كان قد انتسب باكراً الى حركة «هواة صهيون» أو «أحباء صهيون»، وهي حركة صهيونية متطرفة، وان جده لأبيه كان حاخاماً ملتزماً بالحركة الصهيونية كذلك، مما يشير إلى ان «بنيامين» نشأ وترعرع في بيئة دينية صهيونية متعصبة، وهذا ما يفسر لنا تعصبه وتشدده في السعي لتحقيق الأهداف الأساسية للحركة الصهيونية.

ولأجل هذا، نرى «نتنياهو» ينتسب الى أكثر الحركات الصهيونية تعصباً وتشدداً، وهي حركة «حيروت»، ثم الى التكتل اليميني الأكثر تطرفاً وهو تكتل الليكود.

تعتبر حركة حيروت (الحرية) أحد أهم الحركات والأحزاب المكوّنة لهذا التكتل، وكانت قد تأسست عام ١٩٤٨، وتنتمي الى التيار الإصلاحي الذي تزعمه «فلاديمير جابوتنسكي»، وكان «مناحيم بيغن» أول زعيم لها. وقد اشتركت هذه الحركة رسمياً، الى جانب عدة كتل وأحزاب أخرى، في تشكيل تكتل الليكود، بتاريخ ١٢ ايلول/سبتمبر ١٩٧٣، بينما كانت تشكل بدورها، مع حزب الأحرار، تحالفاً باسم «غاحل»[٩]. ونستنتج،

---

(٧) جريس، صبري، وخليفه، احمد، دليل اسرائيل العام، ص ٥٥٦. ومجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ ص ٧١.

(٨) نتنياهو، بنيامين، مكان تحت الشمس، تعريب محمد عودة الدويري، ص ٤٧ و٧٠ و٣٢٢.
اما عنوان الكتاب بالانكليزية فهو «مكان بين الامم A place among the Nations».

(٩) عبد الله، هاني، الأحزاب السياسية في اسرائيل، ص ٨ و١٨. وتُعتبر حركة «حيروت» اكثر الحركات الاسرائيلية تصلباً وتطرفاً، وهي العمود الفقري لتكتل الليكود. وتطالب هذه الحركة «بأرض اسرائيل» التي تشمل، في زعمها، ضفتي الأردن، الشرقية والغربية، لذا، فان شعارها هو: خارطة الضفتين وقد كتب تحت احداهما: هذه لنا، وتحت الثانية: وهذه أيضاً لنا. ثم رسمت بندقية كتب تحتها: وبهذا فقط. (عباس، محمود، طريق أوسلو، ص ٦١).

من البرنامج الانتخابي لتكتل الليكود عام (١٩٩٦) أهم أهدافه ومبادئه، مع الإشارة إلى ان هذا البرنامج لا يعبّر تعبيراً صحيحاً عن تلك الأهداف والمبادىء، نظراً لكونه يخاطب مواطنين عرباً اسرائيليين خطاباً سياسياً لا بد من ان يختلف عن الخطاب العقيدي لحركات هذا التكتل وأحزابه، وأهم هذه الأهداف والمبادىء:

- حق الشعب اليهودي في «أرض اسرائيل».

- تعزيز الهجرة ودعم الاستيطان.

- حكم ذاتي للفلسطينيين، على ان تبقى شؤون الأمن والخارجية خصوصاً من مسؤولية دولة اسرائيل.

- معارضة إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

- حق الجيش الاسرائيلي وقوى الأمن الاسرائيلية «بحرية عمل كاملة في كل مكان، في كفاحها ضد الإرهاب» (أي ضد مقاومة الفلسطينيين للاحتلال).

- ابقاء «المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن اسرائيل، والاستيطان اليهودي، تحت حكم اسرائيلي كامل».

- المحافظة «على مصادر المياه الحيوية... في يهودا والسامرة» (أي الضفة الغربية) بيد اسرائيل.

- «القدس الكاملة الموحدة هي عاصمة اسرائيل».

- اغلاق «مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة (القدس) بما في ذلك بيت الشرق».

- نهر الأردن هو «الحدود الشرقية لدولة اسرائيل، جنوب بحيرة طبرية، وسيكون هذا الخط حدوداً دائمة بين دولة اسرائيل والمملكة الأردنية».

- تطبيق «قانون الدولة (اسرائيل) وقضائها وأدارتها على هضبة الجولان»، وبذلك تتقرر «سيادة اسرائيل الكاملة على هذا الجزء من البلد»[١٠].

---

(١٠) مجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ ص ٨٠ـ ٨١.

هذه هي أهداف تكتل الليكود ومبادئه كما أعلنها في برنامجها الانتخابي لهذا العام (١٩٩٦)، وهي أهداف ومبادىء لا تنسجم، بالكامل، مع أهداف الصهيونية ومبادئها، بل هي معتدلة بالنسبة إلى ما التزم به «نتنياهو» في كتابه «مكان تحت الشمس».

فكيف ينظر رئيس الحكومة الاسرائيلية «الليكودية»، بنيامين نتنياهو، إلى المشكلة الفلسطينية ومصير الفلسطينيين؟ وإلى أين يصل به خياله الجموح لتحقيق الأطماع الصهيونية في الأرض العربية؟ هذا ما سوف نستخلصه من مراجعتنا لكتابه هذا، محاولين أن نبرز، بكل أمانة ودقة وصدق، آراءه التي أعلنها قبل تسلمه الحكم، تاركين للقارىء أمر المقارنة والقياس والاستنتاج بين ما أعلنه نتنياهو، في كتابه، وبين ما باشر بتطبيقه، عملياً، في المدة التي قضاها في الحكم حتى اليوم، وأغلب الظن انه لن يجد كبير فرق بين أرائه النظرية وهو خارج الحكم، وممارسته العملية واليومية للحكم.

تسلم «نتنياهو» الحكم بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو١٩٩٦، وبعد اقتراع على رئاسة الوزارة في الدولة العبرية، نال إثره، ما نسبته ٥٥,٥٪ من أصوات الناخبين اليهود، وما نسبته ٥,٢٪ من أصوات الناخبين العرب، في هذه الدولة، بينما نال منافسه «شيمون بيريز»، رئيس حزب العمل، وموقّع «اتفاق أوسلو» مع الفلسطينيين، ما نسبته ٤٤,٤٪ من أصوات اليهود، وما نسبته ٩٤,٧ من أصوات العرب[١١]، مما يعني ان أكثرية «ضئيلة جداً» من يهود اسرائيل، وأقلية «ضئيلة جداً» من عربها يؤيدون خطة حزب الليكود ورئيسه «نتنياهو» في إدارة مفاوضات السلام مع العرب، بينما يؤيد نحو نصف يهودها، وأكثرية عربها، خطة حزب العمل ورئيسه «شيمون بيريز».

ورغم ذلك، أصر «نتنياهو» على مواقفه المتصلبة والمتشددة، رافضاً الاعتراف بما اتفقت عليه حكومة العمل (السابقة) مع منظمة التحرير الفلسطينية، ورافضاً التفاوض مع سوريا (ولبنان) على الأسس التي انبثقت عن مؤتمر مدريد للسلام (الذي عقد عام ١٩٩١) برعاية الراعيين الاميركي والروسي، وضارباً عرض الحائط بالادارة الدولية الجماعية لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط. وبلغ «تهوّره السياسي» الى حدّ تحدي العرب والمسلمين في قلب القدس الشريف وبجوار المسجد الأقصى، وذلك بإعادة فتح

---

(١١) مجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ ص ٧٥.

«النفق، او قناة الماء» التي كان «اليبوسيون»، البناة الأولون ليبوس (أورشليم) قد حفروها، لإيصال الماء، عبرها، من عين تقع خارج أسوار مدينتهم، إلى داخلها[١٢].

وقامت، في فلسطين، اثر هذا التحدي، انتفاضة (٢٥ – ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٦) أدت إلى استشهاد نحو ٦٥ فلسطينياً ومقتل نحو ١٥ جندياً اسرائيلياً. وقد كان لهذه الانتفاضة الدموية صدى كبير في مختلف أنحاء العالم، خصوصاً وان التصرف السيء والمشين واللاانساني لرئيس الحكومة الاسرائيلية قد أثار غضب العديد من الدول والشعوب، وحنقها واشمئزازها.

وفي مقدمة الطبعة العربية لكتابه، لا يتورع «نتنياهو» عن ان يستفز القارىء العربي، بل العرب والعالم أجمع، عندما يرفض التنازل عن مكاسب اسرائيل «في حرب الأيام الستة»، ويرفض، بالتالي، مبدأ «الأرض مقابل السلام» الذي قام مؤتمر مدريد على أساسه، وعلى أساسه جرت المفاوضات بين العرب وحكومة حزب «العمل»، كما يرفض، صراحة، التفاوض على اساس اتفاق «أوسلو» مع الفلسطينيين، وبالتالي، التنازل عن الضفة الغربية (المعروفة، في القاموس اليهودي، بيهودا والسامرة) وقطاع غزة وهو رافض، قطعاً، وبصورة جازمة، إقامة «دولة فلسطين» في هاتين المنطقتين من الأرض الفلسطينية المحتلة (ص ٣٠ – ٣١). ويبرر «نتنياهو» رفضه هذا، بالنظرية التالية:

- «إذا لم يكن هنالك حق لليهود في الاستيطان في الخليل وفي بيت إيل، فليس لهم الحق أيضاً في البقاء في حيفا ويافا».

- «إن من شأن التنازل عن الضفة الغربية تعزيز المطالبة بالجليل والنقب ومناطق أخرى، في دولة اسرائيل فقط».

- «سيؤدي الاستمرار في تطبيق اتفاق أوسلو إلى تطويق اسرائيل بحزام من قواعد الارهاب الاسلامي، هدفها الوحيد القضاء على دولة اسرائيل»(ص ٣٥).

- «ستؤدي عودتنا إلى خطوط عام ١٩٦٧ لابتعاد العرب، تدريجياً، عن السلام، ولزيادة الاعمال الارهابية، لتأخذ أبعاداً أوسع من تلك التي عرفناها حتى اليوم». (ص ٣٦ – ٣٧).

---

(١٢) قال داود لرجاله وهم يحاصرون يبوس (التي هي أوروسالم او اورشليم): «كل من يضرب اليبوسي، فليبلغ من القناة الى أولئك العرج والعميان (وهم اليبوسيون المدافعون عن يبوس) الذين يبغضون نفس داود» (العهد القديم، ٢ صم٥: ٨،٧)، وهذا ما يؤكد حفر «اليبوسيين» لتلك القناة.

ويعتقد «نتنياهو» ان «أرض اسرائيل» التي قرر «مؤتمر فرساي» منحها لليهود، كوطن قومي لهم، تشمل «ضفتي نهر الأردن» وهي المنطقة التي تسمى «أرض اسرائيل الانتدابية» أي «المنطقة التي كُلفت بريطانيا عام ١٩٢٠ ان تقيم فيها وطناً لليهود» و «شملت أراضي دولتي الأردن واسرائيل اليوم» (ص ٤٣). ويستطرد «نتنياهو»: «والأسوأ من هذا، انهم يقولون لنا، إن الرغبة في ان يكون عرض دولتنا ٦٥ كلم بدلاً من ١٥ كلم، تعتبر دليلاً على ان الشعب اليهودي شعب عدواني وتوسعي»(ص ٤٤).

إن القارىء الحيادي الذي يقرأ نتنياهو، في كتابه هذا، وهو يدافع، بإيمان والتزام كبيرين، عن عقيدته الصهيونية الاصولية، يكاد يقتنع بوجهة نظره التي يطرحها (بتأثر بالغ) خصوصاً إذا لم يكن ملماً بتاريخ شعب فلسطين وبالمشكلة الفلسطينية (التي جعلت منها الصهيونية، ببراعة تامة، مشكلة شرق أوسطية فحسب). وانني، **إذ أطرح أفكار «نتنياهو» الواردة في هذا الكتاب دون تعليق ودون مناقشة في العمق، نظراً لما يتطلبه هذا العمل من جهد ليس مجاله هنا، أدعو المفكرين العرب إلى قراءة هذا الكتاب ومناقشته والرد عليه، وذلك منعاً للخطر الذي يحمله، بين دفتيه، على قضيتنا الكبرى، قضية فلسطين.**

الكتاب مليء بالأضاليل زاخر بالمغالطات، في كل وجوهها، السياسية والتاريخية والدينية، وهي أضاليل ومغالطات تعمّد «نتنياهو» الاعتماد عليها، بإيمان عميق منه، ربما، كي يقنع القارىء بالقضية (الصهيونية) التي يدافع عنها، وبصحة الحجج والبراهين التي يسردها، والتي يمكن ان تؤثر في القارىء الجاهل وغير المطّلع، وهنا تكمن خطورتها.

ففي (الفصل الأول) من الكتاب (ظهور الحركة الصهيونية) يحاول «نتنياهو» ان يقدّم للقارىء مطالعة مضلّلة عن الظلم الذي لحق باليهود (من أوروبا وليس من العرب، في كل حال)، وان «للشعب اليهودي الحق في العودة لاحتلال مكانة محترمة ومتساوية مع باقي الشعوب»(ص ٤٩) و«انهم (أي اليهود) يعيشون في أوساط كل الأمم، لكنهم لا ينصهرون فيها» بحسب رأي «جان جاك روسو» (ص ٥٠)، مما يجعل «فكرة المساواة (بين اليهود وغيرهم من المواطنين في أية دولة) في الحقوق المدنية ضرورةً، ولكنها غير كافية لحل المشكلة اليهودية»(ص ٥١). وانطلاقاً من هذه الفرضيات والقناعات، يرى «نتنياهو» ان «الحركة الصهيونية» هي التعبير الوحيد والسليم لانقاذ الشعب اليهودي من غربته وعزلته واضطهاد الآخرين له، خصوصاً إذا أعيد إلى أرضه «التاريخية» التي يسميها دائماً «أرض

اسرائيل» وليس «فلسطين»، هذه الأرض التي يراها «مهملة وفقيرة» (ص ٥٨)، زاعماً ان «اليهود لم يسلبوا العرب أرضهم، انما العرب هم الذين سلبوا أرض اليهود» (ص٦٢). وإذا كان «توينبي»، المؤرخ البريطاني الشهير، قد أنصف العرب في كتاباته غير المنحازة لليهود، فذلك لأنه «لا يحب اليهود»، هكذا بكل بساطة (ص ٦٤). أما القدس، فهي مدينة اليهود التاريخية، كما يرى نتنياهو (وسواه من اليهود)، ناكراً ما ورد في «العهد القديم» من ان القدس كانت، أصلاً «لليبوسيين» القادمين من الجزيرة العربية، وهم بناتها الأول، وقد احتلها داود بالقوة عام ١٠٠٠ ق.م.

لكل هذه الأسباب والذرائع، يرى «نتنياهو» أن الدعوة الصهيونية للعودة إلى «أرض اسرائيل» و«أورشليم» دعوة محقة، وان هدف هذه الحركة هو، في الأساس، «إقامة وطن قومي لليهود على ضفتي الأردن» (ص ٨٢) وليس غرب النهر فحسب.

ويكرر «نتنياهو» في (**الفصل الثاني**) من الكتاب (التخلي عن الصهيونية)، المغالطات والأضاليل التي سبق ان قدمها في الفصل الأول، سواء من جهة الإدعاء بان «أرض اسرائيل» تشمل «ضفتي الأردن» أي فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية، زاعماً ان بريطانيا قد تخلت عن جزء من «أرض اسرائيل الى الملك عبد الله»، ملك الأردن، متخلية بذلك عن المبدأ الأساسي للصهيونية، ومتراجعة عن «التعهدات التي أخذتها على عاتقها بموجب وعد بلفور» ويستطرد «نتنياهو» قائلاً، وبأسف كبير: «وبجرة قلم واحدة، انتزع من الأراضي المخصصة للشعب اليهودي ما يقارب ٨٠٪ من هذه الأراضي، وتم إغلاق شرق الأردن بكاملها في وجه الاستيطان اليهودي إلى يومنا هذا» (ص ٨٥)، وهكذا، وبكل بساطة، يحاول «نتنياهو» تزوير التاريخ وخداع العالم بأباطيله وأضاليله ومغالطاته.

وينتقل «نتنياهو»، من جديد، إلى الحديث عن الظلم الذي أحاق باليهود، في أوروبا، زاعماً ان البريطانيين عملوا «من أجل تدمير الوطن القومي اليهودي.... بل أصبحوا شركاء في جريمة إبادة اليهود في أوروبا» (ص ١٠٤)، ثم يتحدث عن «حرب الاستقلال» عام ١٩٤٨، وكيف انتصر اليهود فيها على العرب، مجتمعين، وهم «دون طائرات، ولا دبابات، ولا مدافع» (ص١١٢)، بالإضافة إلى ما قدمته بريطانيا للعرب، وكانت قد استعانت بهم «في النصف الأول من القرن العشرين» فكانت بريطانيا، في نظره، «الرائدة في مقاومة الحركة الصهيونية» (ص ١١٣).

وتتجلى سادية هذا الرجل في عدائه للعرب وفي قدرته الفائقة على قلب الحقائق والتفنن في تقديم الأكاذيب، وفي ادعائه بانه «كان من الضروري إيجاد حقوق تاريخية عربية لمواجهة الحقوق التاريخية اليهودية، وان يمحوا من الذاكرة قرارات مؤتمر فرساي، وعصبة الأمم، ووعد بلفور، وإعادة كتابة تاريخ النزاع، تاريخ الحروب العربية ضد اليهود بعد قيام الدولة. وفي سبيل إنجاح إدخال هذه الأكاذيب إلى عقول مواطني العالم الغربي وحكوماته، كان يتوجب على العرب شن هجوم مباشر على الصهيونية بهدف زعزعة مكانتها كحركة اخلاقية(؟) تسعى لتحقيق العدالة. وكانت الإدعاءات العربية الكاذبة، كلها، تتركز على إظهار حقيقة ان خلق «دولة اسرائيل» كان تصرفاً لا اخلاقياً. ولذا، كان يتوجب عليهم القضاء تماماً على الشخصية الإيجابية للحركة الصهيونية التي سادت، بشكل خاص، في أعقاب الحركة النازية»(ص ١١٧).

وكأنما يتوجب على العرب عموماً، والفلسطينيين خصوصاً، ان يدفعوا، هم دون سواهم، ثمن المظالم التي لحقت باليهود (بحسب زعمهم) من جراء «الحركة النازية» فيصرخ «نتنياهو» متألماً: «لقد عانى الشعب اليهودي من الاحتقار والاذلال والقمع والعنف، أكثر من أي شعب آخر، ولم تنشأ الحركة الصهيونية الا لتحقيق الحرية والعدالة لشعبها، وهكذا، بعد ألفي سنة من العبودية، أصبح الشعب اليهودي حراً مستقلاً. هذا هو المعنى الحقيقي للصهيونية» (ص ١١٨).

وتنقلب (حقيقة القضية الفلسطينية) رأساً على عقب، عند نتنياهو، في **(الفصل الثالث)**، من كتابه، وذلك عندما يعتبر أن «مصر، بزعامة جمال عبد الناصر، حاولت ....إغتيال زعماء الأردن ولبنان والعراق، وفي عام ١٩٥٨، حاولت فرض حكمها على سوريا، وفي عام ١٩٦٢، شنت حرباً بشعة لاحتلال اليمن....» (ص ١٢٧). ثم يحاول ان يلعب على التناقضات العربية مشيراً إلى الخلافات والنزاعات والحروب التي جرت، وتجري، فيما بينها، (بين الجزائر والمغرب، وبين اليمنين، وبين السعودية واليمن، وبين العراق والكويت،الخ...) ثم يعتبر ان لسوريا «مكانة محترمة بين الدول العدائية» سواء بالنسبة إلى الأردن أم العراق أم لبنان، وخصوصاً باعتبارها ان لبنان «جزء لا يتجزأ من سوريا» وان «أرض اسرائيل (أي فلسطين والأردن) جزء لا يتجزأ من سوريا الكبرى»، وانها «تطالب بالسيطرة على لواء اسكندرون التركي»، وكذلك ليبيا، الدولة العدوانية التي «احتلت جزءاً كبيراً من أراضي تشاد» (ص ١٢٧ - ١٢٩)، كل ذلك لكي يخلص إلى نتيجة

واحدة هي ان العنف السائد بين الأنظمة العربية هو الذي يؤدي إلى التوتر السائد في منطقة الشرق الأوسط وليس ما يسمى «بالقضية الفلسطينية». ثم يعدد، في صفحات عدة متتالية، أعمال العنف التي يزعم ان بعض الدول العربية قد أجرتها ضد بعضها الآخر، وذلك طيلة الفترة الممتدة منذ الثلاثينات حتى اليوم، وهو ما يسميه «بالإرهاب العربي» (ص ١٣٠-١٣٨).

ويتساءل «نتنياهو» عن «جذور الظواهر، السياسية والاجتماعية والنفسية، القوية التي يبدو انها حكمت، بحرب دائمة، على أمة يبلغ تعدادها ١٥٠ مليون نسمة، كانت لها حضارة أثرت، في الماضي، على البشرية كلها؟»

ويعزو «نتنياهو» جذور هذه الظواهر إلى «ثلاثة عناصر»:

١-أزمة الشرعية ٢-الرغبة في الوحدة ٣-العداء للغرب

ويزعم ان هذه العناصر الثلاثة «مرتبطة بتصاعد الاسلام المتطرف».

ثم يتحدث عن كل من هذه العناصر الثلاثة، فيرى انه «منذ انهيار الأمبراطورية العثمانية...، لم يُتفق على مسألة: من هي الحكومة العربية الشرعية، ونتيجة لذلك، ظل أي هيكل سياسي أقيم، في العالم العربي، يرتكز على أرجل هشة» (ص ١٣٩). ويعزو ذلك كله إلى لعبة المصالح التي لعبتها الدولتان الاستعماريتان «بريطانيا وفرنسا» وذلك بتقسيم العالم العربي الى دويلات «بحيث كانت كل واحدة من هذه الدول أصغر من ان تصبح دولة قويّة بقدراتها الذاتية» (ص ١٤٠). مما جعل «الزعماء العرب مشغولين باستمرار، ليس بحماية أنفسهم من الانقلابات والاغتيالات، إنما بكل أنواع محاولات الاندماج مع دول أخرى» ثم يعدد بعض محاولات الاندماج هذه، (الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد الهاشمي وغيرهما)، ولا ينسى ان يعتبر الوجود السوري بلبنان ضماً فعلياً بالقوة، منذ عام ١٩٩١ (ص ١٤١). ويظل «الشعور بالاحباط لدى العرب، بسبب عدم قدرتهم على الاتحاد وتثبيت وضعهم السياسي» وكذلك «الحدود الجائرة التي رسمها الأوروبيون على خارطة العالم العربي، في نظر غالبية العرب» من أهم الأسباب التي أدت الى ان يسود الشارع العربي شعور بان صدام حسين هو «بسمارك العرب» (ص ١٤٢). وهكذا تظل مشاعر القومية العربية والرغبة في الوحدة هي «حجر الأساس لنظرية الوحدة العربية الشاملة» التي تتجسد «بالرغبة في إلغاء كل الحدود» (ص ١٤٣).

وإذ يعتبر «نتنياهو» ان «جذوة الحنين لتحقيق حلم الوحدة العربية لا تزال متوهجة»، فهو يرى انه كلما فشلت «القومية العربية في تحقيق هذا الهدف... كلما تعززت قوة الأصولية الاسلامية» (ص ١٤٤). ثم ينسب الى «الاسلام الاصولي» أهدافاً أهمها «سيطرة الاسلام على العالم كله، وإلحاق الهزيمة بالكافرين غير المسلمين في حرب مقدسة» هي «الجهاد» (ص ١٤٥)، معتبراً ان الاسلام الاصولي خطر، ليس على «الدول غير الاسلامية القوية التي يصعب مهاجمتها بصورة مباشرة» بل «على الدول الاسلامية بالذات» وهي «الحكومات الكافرة في ٤٠ دولة اسلامية»، التي يرغب الاسلام الاصولي في شطبها «نهائياً، ودمجها في دولة اسلامية واحدة» (ص ١٤٥).

من كل ما تقدم، توصل «نتنياهو» الى التصورات التالية (التي يرى فيها حقائق):

- ان «الصراع بين الحركة الاسلامية المتطرفة، والقومية العربية، حول السيطرة على الفرد العربي» هو السبب في «رفض أي طلب يتعلق باستقلال سياسي، او بالحريات الدينية، لمن هم ليسوا عرباً او مسلمين».

- يعتبر العرب انفسهم «أوصياء على الاسلام» ويدّعون ان «المنطقة الممتدة من المحيط الاطلنطي حتى الخليج العربي» هي أرضهم لوحدهم، لذا، فهم يطمحون لأن يفرضوا، على الشعوب والديانات الأخرى التي تشاركهم هذه الأرض، ولا تعترف بتفوقهم عليها، «السيادة العربية الاسلامية».

- «على هذه الخلفية فقط، يمكن ان نفهم رفض العالم العربي لوجود اسرائيل»(ص ١٤٧).

- «إن توأم التطرف العربي، القومية العربية والاسلام الاصولي، هما الجذور الحقيقية للنزاع في الشرق الأوسط».

- «ان رفض النظام الديموقراطي وقيمه (في العالم العربي) هو جزء من العداء العام للغرب» (ص ١٤٨).

- كانت المجابهة الأولى بين العرب والغرب في العصر الاسلامي الأول، ويومها، صدّ «شارل مارتيل» العرب المسلمين عن بوابة الغرب في «بواتييه» (عام ٧٣٢م)، وبعدها، انتظر الغرب المسيحي ٢٥٠ عاماً لكي يستعيد صقلية، و ٨٠٠ عام لكي يستعيد أسبانيا.

- وفي العام ١٠٩٩م غزا الغرب العالم العربي وهزم الصليبيون العرب والمسلمين «وتلقى العرب إهانة أخرى... عندما سقطت القدس بأيدي الصليبيين».

- وكانت المجابهة الثانية يوم غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨، فقد أصيب «العالم العربي بصدمة شديدة» إذ ان الغرب «عدوهم التاريخي، الذي كانوا ينظرون اليه بإزدراء شديد، يتفوق عليهم».

- وفي «الثلاثينات من القرن التاسع عشر» عاد الغرب الى العالم العربي (فرنسا في الجزائر، وبريطانيا في شبه الجزيرة العربية، ثم في مصر)، وحتى «منتصف القرن العشرين، كان العالم العربي كله، تقريباً، بأيدٍ غربية، وكان ذلك الوضع، في نظر العرب، يشكل ذروة الإذلال» (ص ١٤٩ ـ ١٥٠).

- «على خلفية هذه الكراهية العميقة تجاه الغرب فقط، يمكننا ان نفهم، بصورة صحيحة، الرفض الشديد الذي يبديه معظم العرب لوجود اسرائيل» (ص ١٥٣).

- ويستطرد «نتنياهو» محللاً، على هواه، أسباب عداء العرب للكيان الصهيوني الذي زرع في قلب فلسطين: «للحقيقة، أقول: إن كراهية العرب للغرب نشأت قبل انضمام اسرائيل لقائمة اعداء العرب بالف سنة، إذن، فالعرب لا يكرهون الغرب بسبب اسرائيل، بل يكرهون اسرائيل بسبب الغرب» (ص ١٥٥). هراء بهراء، وجملة من الأضاليل الخادعة المبنيّة على جملة من الأكاذيب التي تزور التاريخ فتكتبه على هواها، وتسخّره لمصالحها، كما عودتنا الصهيونية باستمرار.

ويختتم «نتنياهو» تحليله هذا، معللاً أسباب عدم «تسوية النزاع العربي الاسرائيلي»:

- «رفض القومية (العربية) لوجود أية سيادة غير عربية في الشرق الأوسط».

- «سعي الاسلام الاصولي لتطهير المنطقة من أي نفوذ غير اسلامي».

- «عداء العالم العربي الشديد والتاريخي للغرب».

ويستنتج: «عندما نتفحص كل هذه العناصر مجتمعة، نرى بوضوح ان مصدر رفض وجود اسرائيل، ليس خاصاً بالدولة اليهودية: عداء العرب لاسرائيل هو جزء واحد ضئيل فقط من عداء أوسع بكثير، كان سيظل موجوداً، حتى لو لم تقم دولة اسرائيل» (ص ١٥٦).

وفي (**الفصل الرابع**)، يقلب «نتنياهو» (حقيقة السبب والمسبب) في الصراع القائم بين العرب واسرائيل، إذ يعتبر ان سبب الصراع هم العرب (المعتدون) وليس اليهود

(المعتدى عليهم) في نظر «نتنياهو». ذلك ان اسرائيل لم تهاجم العرب، بل ان العرب (وخصوصاً الفلسطينيين) هم الذين هاجموها.

ويقلب «نتنياهو» حقائق المشكلة الفلسطينية بصورة مدهشة، إذ انه يتعمد ان «يطمس»، نهائياً، أساس المشكلة وهو الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وطرد أهلها منها، ويتحدث عن احتلال اسرائيل لاراضٍ عربية بعد حرب عام ١٩٦٧ (ص ١٦٣). وهو، إذ يعود إلى سرد الأحداث في المنطقة منذ عام ١٩٤٨، فانه يسردها بالشكل الذي يروق له، معتبراً ان ما يسرده هو «الحقائق» وليس غيره، فما هي هذه «الحقائق» في نظره:

- يعتبر «نتنياهو» ان العرب فشلوا عام ١٩٤٨ في محاولتهم «إبادة الدولة اليهودية»، فبدأوا «بالأعمال الإرهابية» ضدها «من خارج الحدود».

- وفي العام ١٩٥٦ قامت اسرائيل بحملة على سيناء (عملية قادش) فاحتلتها، ودمّرت «قواعد الإرهاب في قطاع غزة»، ولكنها انسحبت من سيناء بسبب «ضغوط من جانب الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي» (ولا ذكر لأي اتفاق تم سراً بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل يومذاك للقيام بعملية السويس).

- في الستينات، استؤنفت «الأعمال الارهابية» ضد اسرائيل من «هضبة الجولان» ومن «الضفة الغربية»، واستعدت كل من سوريا ومصر والأردن للهجوم على اسرائيل، «وكان النصر العربي بادياً في متناول اليد لانه ما كان على العرب سوى بتر اسرائيل الى جزأين، في أضيق نقطة، في منطقة نتانيا» حيث المسافة بين الحدود الأردنية والبحر المتوسط «١٦كلم فقط» (ص ١٦٤-١٦٥). العرب، إذن، مستعدون للهجوم، وفي أواخر ايار (١٩٦٧) أصبحت «نوايا الحرب» عندهم «أكثر وضوحاً» (ص ١٦٧)، وعندها «وقفت اسرائيل أمام خيارين: إما القضاء على الخطر الذي يهدد حياتها، واما قذفها الى البحر، إختارت الحياة» (ص ١٦٩).

بهذه المبررات، يتذرع «نتنياهو» لتبرير بدء اسرائيل بحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، ويقرر: «لم تخرج اسرائيل أبداً لاحتلال أرض، إنما أرغمت على خوض حروب دفاعية، الواحدة تلو الاخرى، ضد أنظمة حكم ذات ايديولوجية تدعو الى إبادة اسرائيل» (ص ١٧١-١٧٢).

وبلا خجل، يستطرد «نتنياهو»: «من الغريب ان الأكاذيب التي يروجها العرب حول غريزة التوسع الاسرائيلية لا زالت مقبولة رغم ما وافقت عليه اسرائيل عام ١٩٧٩، في

إطار اتفاق السلام مع مصر، بشأن إعادة ٩١٪ من الأراضي التي احتلتها في حرب دفاعية» (ص ١٧٣).

ويستغرب «نتنياهو» كيف يطالب العرب بحق «تقرير المصير» للشعب الفلسطيني، و«بالحقوق الشرعية» لهذا الشعب، وبحقه في «وطن خاص به»، ويعتبر ان هذه المطالبة «أصبحت عملة متداولة، بعد هزيمة العرب في عام ١٩٦٧»، وان العالم العربي بدأ، بعد حرب الأيام الستة، «يتحدث عن الشعب الفلسطيني الذي احتلت أراضيه، وكأن أمة فلسطينية قد خلقت فجأة من العدم»! (ص ١٧٦ـ١٧٧).

وإذ ينكر «نتنياهو» إنكاراً تاماً، وجود الشعب الفلسطيني، يعود الى «النغمة» ذاتها التي بدأ بها كتابه، وهي ان «أرض اسرائيل» الانتدابية تشمل «مناطق اسرائيل والأردن معاً» وان الأردن هي فلسطين، وانه لا يوجد «شعب فلسطيني غربي» في الضفة الغربية لنهر الأردن، و «شعب فلسطين شرقي» في الضفة الشرقية لهذا النهر، ثم يتساءل: «كم عدد الدول العربية التي يجب ان نقيمها على «أرض اسرائيل» لتلبية مطلب تقرير المصير «لهذه الشعوب الفلسطينية»؟»، وينتهي الى القول: «ان مطالبة العرب الفلسطينيين بتقرير المصير مطالبة كاذبة، فسكان الأردن، جميعهم، عرب فلسطينيون،...وحقيقة ان قسماً من عرب فلسطين هاجروا عام ١٩٤٨، الى جزء آخر من فلسطين، لا تسمح لأي كان بالقول ان العرب الفلسطينيين ليست لهم دولة خاصة بهم، وسُلبوا حق تقرير المصير» (ص ١٨٠).

تحليل خادع ومضلل، والمشكلة ان «نتنياهو» يخترع فرضية معينة فيصدقها، ثم يبني عليها كل ما يخطر بباله من فرضيات اخرى تصبح، عنده، قناعات يبني عليها الحلول التي يشتهي والتي تلائم مصلحة الكيان الصهيوني الذي أقيم، اغتصاباً، على أرض فلسطين العربية.

ومن هذا المنطلق، نراه يرفض رفضاً مطلقاً إقامة «كيان فلسطيني ما» في الضفة الغربية وغزة، زاعماً ان حل «ما يدعى بالقضية الفلسطينية» يمكن ان يتم «في إطار الدولتين المستقلتين: اسرائيل والأردن، دون ان تقام بينهما دولة ثالثة مصطنعة وغير مستقرة» (ص ١٨٠).

ويزعم «نتنياهو» ان تلبية مطالب الفلسطينيين بحق تقرير المصير سوف «يلحق الضرر بحقوق الأقليات في العالم كله»، إذ من يمنع اية أقلية، في أي بلد، من ان تطالب بمثل

هذا الحق؟ ويعطي مثلاً على ذلك، الولايات المتحدة الاميركية، معتبراً ان تطبيق «المبدأ الفلسطيني» هذا، ان هو إلا «قنبلة سياسية موقتة قد تفجر النظام الداخلي للولايات المتحدة الاميركية، وتقوّض السلام بين دول متجاورة تعيش أقلية من احداها في أراضي الدولة المجاورة» (ص ١٨٣).

وهكذا يستنتج «نتنياهو»، وببساطة متناهية، انه «في أية تسوية يتم التوصل إليها، بغض النظر عن كيفية رسم الحدود الدائمة على الخارطة، يجب ان يعيش العرب الى جانب اليهود تحت سيادة اسرائيلية، إذ توجد داخل حدود عام ١٩٦٧ أقلية عربية لا بأس بها داخل اسرائيل» (ص ١٨٤)، مقدماً، لاجل ذلك، نموذجاً واقعياً، في نظره، هو «عرب الجليل والنقب» ومتسائلاً، في الوقت نفسه: «إذا كانت كل أقلية تستحق دولة خاصة بها، فهل يحق ايضاً، لعرب الجليل والنقب، ان تكون لهم دولٌ خاصة بهم؟» (ص ١٨٥).

وعلى هذا، يعتبر «نتنياهو» ان العرب «أوجدوا هوية فلسطينية جديدة، وخلقوا، بالاكاذيب، شعباً جديداً مختلفاً هو: الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة» (ص ١٨٦).

واستناداً الى ما يراه «نتنياهو» من حق اسرائيل في «كل ارض اسرائيل» يرى ان من حق اليهود «السكن في الجليل ونابلس وشرق القدس... تماماً كحقهم بالسكن في حيفا ويافا وتل ابيب وغرب القدس» وذلك «بمقتضى وعد بلفور، وقرارات مؤتمر ڤرساي وقرار الانتداب» (ص ٢٠٠).

وينهي «نتنياهو» مطالعته هذه بشأن الفلسطينيين وفلسطين، واليهود و«أرض اسرائيل» بقوله: «ان نضال العرب، اليوم، لإبعاد اليهود من «يهودا او السامرة» (وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على الضفة الغربية)، مثل نضالهم، في الثلاثينات، لإبعاد اليهود من «أرض اسرائيل» كلها، لا يرتكز الى الحق حتى ولو حظي بتأييد دولي» (ص ٢١٠).

ويتحدث نتنياهو في (**الفصل الخامس**) عما يسميه «حصان طرواده» وهو يعني بذلك «منظمة التحرير الفلسطينية».

يعتبر «نتنياهو» منظمة التحرير الفلسطينية منظمة ارهابية تأسست لكي تدمّر الكيان الصهيوني القائم في فلسطين، وهو اذ يكتب ذلك في العام ١٩٩٥، أي بعد اعتراف هذه المنظمة باسرائيل واعتراف حكومة العمل الاسرائيلية بالمنظمة، وبعد تعديل ميثاق

المنظمة الذي الغى البنود التي كانت تشير الى هدف تدمير اسرائيل، وبعد اتفاق اوسلو، فان ذلك يعني بان زعيم تكتل الليكود غير مؤمن بمصداقية ما جرى بين الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي، والأخطر من ذلك، غير موافق عليه.

ويعتبر «نتنياهو» كذلك أن لدى منظمة التحرير مشروعاً تسعى الى تنفيذه على مراحل، وهذا المشروع هو:

١ ـ اقامة «دولة فلسطينية في أية منطقة تنسحب اسرائيل منها» (بند ٢ من الميثاق الوطني الفلسطيني).

٢ ـ «تُستخدم الدولة، التي ستقام، كقاعدة لهجوم عسكري شامل على اسرائيل المقزمة» (بند ٨ من الميثاق نفسه)، (ص ٢٥٠).

وهو، اذ يشير الى هذا المشروع في كتابه، فذلك يعني انه لايزال مصراً على الاعتقاد، رغم الاتفاقات المعقودة بين اسرائيل ومنظمة التحرير، ان هذه المنظمة تسعى لازالة اسرائيل من الخارطة. ونحن لا ننفي حقه في ذلك، طالما اننا نعتقد بان الكيان العبري لن تكتب له الحياة طويلاً في قلب هذا الوطن العربي المتنامي والمتزايد والمتطور الى الافضل مع الزمن. ويؤكد ظنه، وظننا، ذلك الحوار الذي دار بين «نتنياهو» نفسه وبين احد الفلسطينيين المقيمين في مخيم «جباليا» بغزة، وسجله «نتنياهو» في كتابه.

سأل «نتنياهو «ذلك الفلسطيني (الطاعن في السن):

«س: من اين انت؟

«ج: من المجدل (مجدل، هو الاسم العربي لمستوطنة أشكلون).

«س: ومن اين اولادك؟

«ج: من المجدل (توقعت ان يكون اولاده من ابناء جيلي، لذلك من المحتمل ان يكونوا من مواليد المجدل حقاً، لكن شيئاً ما دفعني للسؤال ثانية).

«س: ومن اين احفادك؟

«ج: من المجدل

«س: هل ستعود الى المجدل؟

«ج: إن شاء الله (يحل السلام ونعود الى المجدل)».

وتابع نتنياهو:

«وقلت انا أيضاً: إن شاء الله أنت تزور المجدل، ونحن نزور جباليا. ولكن ابتسامته تلاشت دفعة واحدة وقال: نحن نعود الى المجدل، وانتم تعودون الى بولندا» (ص ٢٥٦).

في نظري، ليس هناك كلام أبلغ من هذا الكلام تعبيراً عن رأي العربي، أي عربي، أمس واليوم وغداً، وفي كل زمان ومكان.

ومن هذا المنطلق يرى «نتنياهو» ان أخطر سلاح يمكن ان يملكه الفلسطينيون هو سلاح «الدولة الفلسطينية»، وان الثلاثي الذي يعتبره «غير مقدس» و «المتمثل بالاهداف العليا للمنظمة» هو:

ـ دولة فلسطينية مستقلة ـ وتقرير المصير. ـ والعودة

والى جانب هذا الثلاثي «ادوات التنفيذ الثلاثية».

ـ الميثاق الوطني الفلسطيني ـ ومشروع المراحل ـ والكفاح المسلح. (ص ٢٥٩)

ولاجل ذلك، فهو (أي نتنياهو) يهيب بالاسرائيليين:

«إن دولة منظمة التحرير الفلسطينية، التي ستزرع على بعد ١٥ كلم من شواطئ تل ابيب. ستشكل خطراً مميتاً على الدولة اليهودية... لكن الفشل الاكثر فداحة هو فشل اسرائيل ذاتها، ليس لأنها لم تمنع نمو مكانة (حصان طروادة) هذا، فحسب، انما لأن اوساطاً واسعة، داخل اسرائيل، مستعدة لقبول الاكاذيب والاستسلام للخدعة التي تهدد بالخطر وجود الشعب اليهودي ودولته كلها.

«والآن، لم يبق امام الاسرائيليين الراغبين في الحياة خيار سوى البدء، ولو في هذا الموعد المتأخر، في شرح وتوضيح معنى السلام «الطروادي» الذي تعرضه منظمة التحرير الفلسطينية على اسرائيل» (ص ٢٧٢).

ولاجل ذلك، أيضاً، يستعرض «نتنياهو» في (**الفصل السادس**) نوعين من السلام:

النوع الاول: سلام بين دول ديموقراطية.

والنوع الثاني: سلام مع دول ديكتاتورية.

واذ يستبعد النوع الأول من السلام المفترض ان يقوم بين الدول العربية والدولة العبرية، باعتبار ان الدول العربية، كلها، هي دول ديكتاتورية، وان إسرائيل «هي الديموقرطية الوحيدة في الشرق الأوسط»، بينما «لم تجر، في أية دولة عربية، انتخابات حرة، ولا توجد صحافة حرة، ولا حقوق مواطنة حقيقية... ولا توجد دولة عربية واحدة تبدي، ولو مؤشراً واحداً ضعيفاً، في العالم الديموقراطي» (ص ٢٨١)، لذا، فان السلام الوحيد الممكن، بين العرب واسرائيل «هو سلام ردع» وان تحقيق هذا السلام مرتبط «بصورة مباشرة، بقدرة اسرائيل على الردع». إذ انه «كلما بدت اسرائيل أقوى، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام سلام معها، وكلما أبدت ضعفاً وتردداً، كلما زادت احتمالات الحرب ضدها» (ص ٢٨٨). ومع ذلك، «فإن قوة الردع الاسرائيلية لا تحول دون خروج العرب لمحاربة اسرائيل، فحسب، إنما أيضاً دون خرقهم لوضع السلام معها»، وعلى هذا فإن «الأمن، في الشرق الأوسط، وهو قوة الردع المعتمدة على قوة الحسم» يظل «العنصر الحيوي للسلام، ولا بديل له» (ص ٢٨٩)، كما ان «السلام الممكن تحقيقه، في الشرق الأوسط، مع الدول الديكتاتورية، منوط، قبل كل شيء بالأمن، وليس العكس» (٢٩٠)، وهو ما يسمى «سلام الردع... وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه، حالياً، بين اسرائيل والعرب»، إنه «سلام مسلح وحذر، يوفر لاسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن استئناف الحرب» (ص ٢٩١). سلام قائم على الردع إذن، وأمن يسبق السلام وليس العكس. انه «سلام يرتكز على قوة ردع اسرائيلية دائمة، تعتمد على تعاظم مستمر لقوتها العسكرية» (ص ٢٩١). ذلك ما يؤمن به «نتنياهو» كطريق وحيد للسلام مع العرب، كما يؤمن بان العرب «لن يظلوا يضربون الجدار برؤوسهم الى الأبد»، ولكنهم «إذا شعروا ان جدار الأمن الاسرائيلي ينهار» فان تقدمهم «التدريجي» نحو السلم «قد ينقلب، بطرفة عين» الى خطر حقيقي (ص ٢٩١ - ٢٩٢).

ويتحدث «نتنياهو» في **(الفصل السابع)** عن «الجدار الواقي» للدولة العبرية، وهو بحسب تعريفه له «السور العالي المتمثل بجبال الضفة الغربية وهضبة الجولان»(٢٩٣). وهو يعتبر هذه الجبال، والهضبة، جداراً واقياً لاسرائيل من أي غزو عربي محتمل، للأسباب التالية:

- حاجة اسرائيل للإبقاء على «محطات الانذار المبكر» التي اقامتها على «قمم جبال نابلس وهضبة الجولان» بعد احتلالها عام ١٩٦٧ (ص ٣٠٠).

ـ حاجة الجيش الاسرائيلي للانتشار، بفعالية، في مناطق الضفة الغربية، بحيث لا يكون مضطراً «لضغط نفسه داخل الحدود الحالية لاسرائيل».

ـ الحماية التي يقدمها «سور الضفة الغربية» كحاجز طبيعي، ليس للسهل الساحلي وسكانه، فحسب، بل للجيش الاسرائيلي ايضاً، بحيث يمنحه حرية التحرك «لنقل قوات الاحتياط الى الجبهة».

ـ توفير «العمق الاستراتيجي» للدولة العبرية، بحيث يطيل «المسافة التي سيضطر العدو لقطعها، قبل ان يتغلغل داخل المناطق الاسرائيلية الآهلة بالسكان» كما انه يتيح للقيادة «الوقت اللازم لتجنيد قوات الاحتياط» (ص ٣٠١).

ـ بالاضافة الى «العمق الاستراتيجي» التي تمنحها جبال الضفة الغربية للدولة العبرية، فانها تمنحها، كذلك، إرتفاعاً استراتيجياً ملائماً للحماية وإعاقة تقدم العدو نحو قلب اسرائيل، باعتبارها «تشكل عائقاً يصعب جداً اجتيازه بالنسبة للمهاجم من الشرق».

ـ ان انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية يشكل أكبر خطر عليها، إذ إنها تعود إلى مشكلة «البطن الطريّ» بحيث يصبح عرضها، في إحدى النقاط، بين حدودها الشرقية والغربية (البحر المتوسط) نحو ١٥ كلم وهي مسافة تجتازها القوات المهاجمة «في غضون بضع ساعات» (ص ٣٠٢).

ـ يمنح هذا الجدار الواقي الجيش الاسرائيلي، في عصر الصواريخ، وقتاً أثمن من الذهب، ذلك انه، «في عصر الصواريخ، تزداد أهمية الأرض، ولا تنقص» مما «يزيد من أهمية السيطرة على منطقة تمنح الجيش الاسرائيلي قدرة الامتصاص لهجوم أرضي يُشن خلال قصف صواريخ بعيدة المدى، وتُبعد الصواريخ القصيرة المدى عن أهدافها» (ص ٣١٠ ـ ٣١١).

ـ تشكل هضبة الجولان «حاجزاً طبيعياً يحمي اسرائيل»، ذلك ان ارتفاعها يبلغ ١٢٠٠م وعرضها ٢٥كلم، كما انها تعتبر منطقة حيوية لها، إذ ان هذه الهضبة «تسيطر على مياه الأردن وبحيرة طبريا، أي على ٤٠٪ من احتياطي المياه في اسرائيل، والتنازل عن هذه السيطرة يعني ان نضع بأيدي السوريين القوة «لتجفيف اسرائيل» (ص ٣٢٢). وقد سبق لرابين ان قال: «ان من ينزل عن هضبة الجولان، يكون قد تخلى عن أمن اسرائيل» (ص ٣٢٤).

ـ ان «استمرار سيطرة اسرائيل على الجولان يعتبر عنصراً حيوياً للمحافظة على السلام، او، على الأقل، لضمان حالة اللاحرب مع سوريا» (ص ٣٢٥).

ـ ان «معظم الجمهور الاسرائيلي يؤمن بان اسرائيل لا تستطيع العودة الى حدود حزيران ١٩٦٧، دون ان تعرض وجودها للخطر، وانه لا يحق لها التفريط بالسيطرة الاستراتيجية على الجولان ومناطق الضفة الغربية».

ـ لا تعتبر سيطرة اسرائيل على جبال الضفة الغربية وهضبة الجولان «عائقاً أمام السلام» بل هي «عائق أمام الحرب». لذا، فان ما يمكن استنتاجه من ذلك هو ان شعار «أراضٍ مقابل السلام، غير صحيح من أساسه» (ص ٣٢٨).

الا ان «المشكلة السكانية» في الضفة وهضبة الجولان لا تزال تقضّ مضجع «نتنياهو» الذي أفرد، لمعالجة هذه المشكلة، فصلاً خاصاً هو (**الفصل الثامن**):

يذكر «نتنياهو» ان عدد السكان العرب في الضفة الغربية يبلغ مليون نسمة، وان اسرائيل، اذا استمرت في السيطرة على هذه الضفة، فانها «لن تستطيع المحافظة على الطابع الديموغرافي للدولة اليهودية» (ص ٣٢٩).

ويعرض، لمعالجة هذه المشكلة، اقتراحين مختلفين:

ـ **الأول**: يساري، ويدعو الى انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية «من جانب واحد».

والثاني: يميني، ويدعو الى «ترحيل السكان العرب من الضفة الى الأردن». (ص ٣٢٩).

إلا ان «نتنياهو» لا ينحاز لأي من الاقتراحين، بل يدعو الى تكثيف الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة (عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧)، وذلك من شأنه ان يضع «نهاية للحلم العربي برؤية دولة اليهود تنهار كدولة الصليبيين التي ظلت تصغر وتتقزم حتى تلاشت نهائياً».

لاجل ذلك، يرى «نتنياهو» ضرورة:

ـ «إحياء الدافع الصهيوني في أوساط يهود العالم».

ـ«إنشاء علاقات سلام مبنية على الأمن مع «جيراننا» العرب».

ـ «إحداث تحول أساسي في النظامين، السياسي والاقتصادي، في اسرائيل» (ص ٣٤٨).

وذلك عن طريق:

- تنمية دوافع الهجرة «بصورة منهجية». و«في أوساط كافة الجاليات اليهودية في العالم»، و«تعميق الثقافة اليهودية، وتدريس اللغة العبرية»، في المهاجر، وذلك «لمنع عملية انصهار اليهود في بلاد المهجر، الآخذة بالتسارع».

- إقناع اليهود الذين يرغبون في الهجرة الى اسرائيل «بان بقاء الدولة مضمون».

- اعتبار التحول في النظامين «السياسي والاقتصادي» ضرورياً لكي يؤدي «تعزيز الدافع الصهيوني» الى تحقيق نتائج مؤثرة، ولتزويد الدولة باقتصاد «فعّال وقوي» يمكنّها من «توطين ملايين اليهود» (ص ٣٤٩ - ٣٥٠).

لم أقرأ، في حياتي، رجلاً يجيد فن تشويه الحقائق وقلبها رأساً على عقب، مثل «بنيامين نتنياهو»، فهو، اذ تقرأه، تكاد تصدقه وتقتنع بما يقوله ان لم تكن على معرفة دقيقة واطلاع عميق بتفاصيل القضية التي يعرضها عليك او المشكلة التي يحدثك عنها. فهو يقول، في (**الفصل التاسع**) من الكتاب، وتحت عنوان «سلام دائم» ان السلام مع العرب ممكن ان هو ارتكز على «أسس متينة»، وهذه الأسس، في نظره، هي: «الأمن، والعدل، والحقيقة بشكل خاص»، ذلك لان «الحقيقة كانت الضحية الأولى في المعركة العربية ضد اسرائيل، والسلام الذي يرتكز على أنصاف الحقائق، وعلى التشويه، لا بد من ان يتحطم، في النهاية، على صخرة الواقع في الشرق الأوسط» (ص ٣٦١).

كم هي عميقة الفجوة بين «الحقيقة» التي يشوهها «نتنياهو» ويقلبها رأساً على عقب، وبين «الواقع» الظالم والدامي الذي يريد ان يقيم عليه «سلمه» مع العرب، خصوصاً وانه يرى ان «معارضة العرب لوجود اسرائيل كانت، وما زالت، العقبة الرئيسية التي تحول دون تحقيق السلام» (ص ٣٦١) وليس أي شيء آخر على الاطلاق.

وعلى هذا، فان «نتنياهو» يعرض على العرب ان يتكيفوا «مع الواقع» الذي «ظلوا» يرفضونه الى اليوم، ويكفي، من وجهة نظره، ان يعترفوا «بحق اسرائيل في البقاء» بينهم «رسمياً ودون أي تحفظ»، أي ان يقتنعوا بقبول «مبدأ العيش المتبادل» الذي «تقوم على أساسه» علاقاتهم مع اسرائيل. وان يقتلعوا من رؤوسهم، وبصورة نهائية، فكرة العداء لليهود «ليس من أجل اسرائيل فقط، بل من أجل العرب أنفسهم، ومن أجل سلام العالم أجمع» (ص ٣٦٢).

ويحاول «نتنياهو» ان يعقد «مقارنة» يعتبرها «كاذبة» بين مطالب العرب واعترافهم

بحق اسرائيل في الوجود، معتبراً ان «من يُجري مثل هذه المقارنة» انما «يتجاهل بذلك الحقيقة التاريخية، ويخلط بين السبب والمسبب»، ولا يتورع عن ان يتماهى في تضليله للقارىء بأن يتصور «وضعاً عكسياً»: «اسرائيل ترفض الاعتراف بحق سوريا بالوجود، وتهدد بالقضاء عليها، إذا لم تخرج من قطعة أرض تطالب بها اسرائيل لنفسها» (ص ٣٦٣)، وهكذا يقزّم «نتنياهو» قضية اغتيال شعب بكامله (الشعب الفلسطيني) وتشريده وتشتيته وانتزاع أرضه ووطنه منه، وتهديد أمة بأسرها (الأمة العربية) بأمنها وقوميتها ومستقبلها، لكي يتحول كل ذلك الى نزاع سخيف بين دولتين (سوريا واسرائيل) على قطعة ارض مختلف عليها.

وهو يحاول ان يوهم القارىء ان العرب «يدّعون» ان الظلم الذي لحق بالفلسطينيين لا يسمح لهم «بالتسليم بوجود اسرائيل قبل رفع هذا الظلم»؛ وينطلق من هذا (الوهم المخالف للحقيقة) الى القول ان هذا الادعاء هو «إخفاء للحقيقة». إنه يطلق الخدعة فيعتبرها حقيقة، ثم يبني عليها الحلول التي يريد، والتي تلائم الأهداف الصهيونية التي يسعى لتحقيقها، مدّعياً انه ينطلق من «دراسة للحقائق التاريخية» ليس أكثر. فالعرب، في نظره لم يطالبوا «ولو تلميحاً، بإقامة دولة فلسطينية»، لذا، فان «العلاقة التاريخية بين رفض العرب الاعتراف باسرائيل، وبين مطالبتهم بدولة فلسطينية، ليس لها دليل على أرض الواقع»، وعلى هذا، فانه «لو تم حلّ القضية الفلسطينية، ستبقى هناك عناصر قوية، في العالم العربي والاسلامي، تسعى للقضاء على اسرائيل» (ص ٣٦٣). صحيح ما يقوله «نتنياهو» هذه المرة، فان حل «القضية الفلسطينية» لا يمكن ان يتم مع بقاء اسرائيل كدولة يهودية قائمة في قلب الوطن العربي، وانما يتم بقيام دولة فلسطينية علمانية يجتمع فيها العربي واليهودي، تماماً كما ورد في النص الأصلي لميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، قبل تعديله.

ويطرح «نتنياهو» مشكلة الفلسطينيين ويطالب، بانسانية لم نعهدها به، ان تحظى قضيتهم «بحل منطقي يأخذ بالحسبان وضعهم وضائقتهم»!! وذلك إلى «جانب حقوق اليهود وأمن اسرائيل»، ولكنه يرفض ان يكون الفلسطينيون «بمثابة المسدس المحشو والملصق بصدغ اسرائيل» أي انه يرفض، صراحة، إقامة دولة لهم في الأرض المحتلة من فلسطين عام ١٩٦٧، أي في الضفة الغربية وقطاع غزة، فهي دولة «تقسم القدس، وتحاذي تل أبيب، وتشكل خطراً على وجود اسرائيل» (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

ويزعم «نتنياهو» ان العرب يتساءلون: «إذا لم تتنازل اسرائيل عن المناطق المحتلة، ماذا نستفيد من السلام؟»، ويبدأ بتصوير «المكاسب» التي يحققها العرب من هذا السلام الذي تقدمه اسرائيل لهم، إلا أنه لا ينسى ان يوجه الى «كل زعيم عربي يصرّ على الخروج الى الحرب» تهديداً واضحاً وصريحاً بما قد احرزته اسرائيل من «التقدم التكنولوجي العسكري»، والقنابل الذكية، والصواريخ، وغيرها من أسلحة الدمار الشامل. وبينما هو يسهب في شرح ما يمكن ان تكلف الحروب العرب من خسائر «دمار مزدوج: دمار عسكري ودمار اقتصادي» (ص ٣٦٧)، يتحول الى اسلوب ماكر يعمد الى إغراء العرب بما يمكن ان يستفيدوه، من اسرائيل بالذات، نظراً لتقدمها العلمي والتكنولوجي، في مختلف المجالات (ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠).

ويعود «نتنياهو» ليحدثنا عن ديكتاتورية الأنظمة العربية ليخلص من ذلك الى ان على اسرائيل ان تميز بين «السلام المرغوب» و «السلام الموجود»، مكرراً نظريته السابقة وهي ان السلام الممكن مع تلك الأنظمة هو «السلام الموجود» (اي سلام الردع) وليس السلام الذي يرغب كل اسرائيلي في ان يقوم بين العرب واسرائيل وهو «السلام المتبع بين الدول الديموقراطية، والذي لا يحتاج الى حراب للمحافظة على بقائه» (ص ٣٧٢)، ولكن «نتنياهو» يقرر ان العرب «لا زالوا غير مستعدين للديموقراطية، وان الديموقراطية لا تنسجم مع الاسلام» (ص ٣٧٤). **إنه افتراء على العرب والإسلام لا مثيل له.**

ويدلّنا «المصلح الاجتماعي الفريد المتميز، نتنياهو» الى الطريق التي يجب ان نسلكها، نحن العرب، لتحقيق الديموقراطية، لكي نصبح جديرين بالحياة، بسلام (حقيقي وليس تكتيكياً) الى جانب البلد الديموقراطي الوحيد في هذا الشرق، اسرائيل(ص ٣٧٤)، إلا انه يعود فيقرر ان العرب ليسوا قادرين اليوم على صنع الديموقراطية في أنظمتهم، فهم إذن ليسوا قادرين على صنع «سلام الديموقراطيات» التي تطمح اسرائيل إليه، وان السلام الوحيد الممكن مع العرب، في هذه الحالة، هو «سلام الردع» (ص ٣٧٥).

ثم يعود للحديث، من جديد، عن السلام المرتكز على الأمن «قبل كل شيء»، ويستطرد منه الى الحديث عن «الحدود الآمنة» بالنسبة الى اسرائيل، فيقرر ان «حدود ما قبل حرب الأيام الستة كانت حدود حرب وليست حدود سلام»، ثم يسأل: «الى أي مدى يجب توسيع هذه الحدود لتحقيق الأمن المطلوب لضمان بقاء السلام؟» ويجيب بنفسه عن هذا السؤال بان «الجدار الواقي» الذي سبق ان تحدث عنه (وهو سلسلة جبال الضفة

الغربية وهضبة الجولان) هو الذي يحمي اسرائيل، لذا فان انسحاب اسرائيل منه غير ممكن «دون تعريض نفسها لخطر حقيقي» ولهذا، فهي «ليست قادرة على التخلي عن السيطرة العسكرية على هذا الجدار» (ص ٣٧٧).

ويعود «نتنياهو» فيكرر مخاوفه من قيام دولة فلسطينية الى جوار الكيان العبري في الضفة والقطاع، معتبراً ان هذه الدولة «لا تشكل تهديداً تكتيكياً فحسب، انما هي تهديد استراتيجي من الدرجة الأولى على وجود دولة اسرائيل. وسيزداد الوضع خطورة اذا ما استخدمت الدولة الفلسطينية نقطة انطلاق لتوسع الاسلام الاصولي» (ص ٣٧٩). ثم يتوسع في تصوّر الأخطار التي تهدد اسرائيل في حال قيام هذه الدولة: «جبهة شرقية قومية متحدة مع العراق، او جبهة اسلامية متطرفة بزعامة إيران»، وعلى هذا، فهو يعتبر ان «المطالبة بقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية تتعارض، كلياً، مع السعي لتحقيق سلام حقيقي» كما انها «تتجاهل حقيقة وجود دولة فلسطينية قائمة حالياً» هي «الاردن». وينتهي «نتنياهو» الى تقرير ان الحل الصالح للنزاع بين الشعبين هو «إقامة دولتين: دولة يهودية للشعب اليهودي المقيم غرب نهر الاردن، ودولة عربية للشعب العربي الذي يقيم معظمه شرق الأردن» (ص ٣٨٠)، أما المطالبة بقيام فلسطين أخرى غير الاردن، كما يرغب الفلسطينيون، فما هو سوى «تثبيت حقوق فلسطينية على حساب اليهود» (ص ٣٨١).

وتستمر المغالطات التي يقدمها «نتنياهو» لتشمل مدينة القدس، حيث يعتبر ان «القدس الشرقية» ليست وقفاً على العرب وحدهم، كما ان «مدينة داود»، كانت «عاصمة الشعب اليهودي لأكثر من الف سنة» (متناسياً ان «مدينة داود» هذه ليست سوى مدينة «يبوس» التي بناها اليبوسيون الآتون من شبه الجزيرة العربية واحتلها داود قهراً وعنوة عام ١٠٠٠ ق.م.، كما سبق ان قدمنا). واستناداً الى مغالطاته، يقرر «نتنياهو» انه «يجب ان لا يطلب من اسرائيل التفاوض بشأن أي جزء من القدس... تماماً، مثلما لا يجوز ان نطلب من الاميركيين التفاوض على واشنطن، ومن الانكليز على لندن، ومن الفرنسيين على باريس»، خصوصاً وان هذه المدينة لم تكن، طيلة عمرها «ومنذ نشأتها... مفتوحة أمام أبناء كافة الديانات الا وهي تحت الحكم الاسرائيلي، وتحظى الأماكن المقدسة هذه بحماية متساوية» (ص ٣٨٢ - ٣٨٣)، أكاذيب، مجرد أكاذيب، تتناسى، بكل وقاحة عهود التسامح العربية والاسلامية في المدينة المقدسة، وعهد الظلم والطغيان الذي يقاسيه عرب القدس المحتلة من جراء الاحتلال الصهيوني البغيض، وآخر فصوله: شهداء الانتفاضة الأخيرة.

والذي يثير غيظ القارىء العربي حقاً، هو ادّعاء المؤلف بما قدمته الصهيونية من «تنازلات» لحساب العرب طيلة هذا القرن، ففي عام ١٩١٩ تنازلت الصهيونية عن مطالبتها بمياه الليطاني، وفي عام ١٩٢٢، تنازلت الصهيونية عن نحو ٨٠٪ من «أراضي الوطن القومي اليهودي في شرق الأردن» لقيام المملكة الأردنية الهاشمية، وفي عام ١٩٧٩ (في إطار اتفاقية السلام مع مصر) تنازلت الصهيونية عن سيناء «وأخلت آلاف اليهود، وهدمت البيوت والمدارس والمزارع التي بنتها في الصحراء طيلة ١٥ عاماً، وتنازلت حتى عن كل مطالبها القومية والاستراتيجية والاقتصادية المتمثلة في هذا الجزء من الأرض التي تلقى فيها الشعب اليهودي التوراة ليصبح أمة»، وفي عام ١٩٨٩ تنازلت اسرائيل عن طابا للمصريين .(ص ٣٨٥).

لا تعليق على كل هذا الخداع.

ولكن، ليس هذا هو كل شيء، إذ إن «الأسوأ والأخطر من هذا كله»، تنازل حكومة اليسار العمالية، عام ١٩٩٤ عن «قطاع غزة ورأس الجسر في أريحا» تمهيداً «لتوسّع سلطة المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية) الى بقية الضفة الغربية» (ص ٣٨٥).

ويستطرد «نتنياهو» (بألم عميق): «منذ ٧٥ سنة واليهود يقدمون التنازلات المتكررة عن مطالب جوهرية واستراتيجية وتقليدية وتاريخية، في سبيل إرضاء جيرانهم العرب، ومن خلال الأمل في شراء سلام» (ص ٣٨٥).

ومن خلال هذا الاستطراد، يخلص «نتنياهو» الى مطالبة العرب الذين يملكون «مساحات كبيرة من الأرض تبلغ ٥٠٠ ضعف مساحة اسرائيل» بتنازل «ضئيل مقابل التنازلات الكبيرة التي قدمها اليهود» وهو «التنازل عن أربعة أجزاء من عشرة آلاف جزء (٠,٠٠٠٤) من المناطق الواسعة التي يسيطرون عليها» أي عن «الضفة الغربية، قلب الوطن القومي اليهودي، والسوار الواقي لدولة اسرائيل، والتي تشكل استمراراً للجدار الواقي في هضبة الجولان» (ص ٣٨٦).

ويتساءل «نتنياهو» بعد كل ذلك: «ماذا سيكون مصير العرب المقيمين في هذه المنطقة؟» (الضفة الغربية وهضبة الجولان). ثم يبدأ بالتحليل:

- في الجولان: ١٦ ألف درزي فقط.

- في الضفة الغربية: «السكان قليلون نسبياً» إلا ان تجمعاتهم تقع «على مرتفعات

جبلية حيوية، من الناحية الاستراتيجية، للدفاع عن اسرائيل» (نابلس، جنين، رام الله، الخليل).

- في غزة، كثافة سكانية، الا ان غزة ليست ذات أهمية استراتيجية بالنسبة الى اسرائيل.

المطلوب: «إبعاد خطر الإرهاب القادم من غزة، ومن أماكن أخرى في البلاد» وذلك «بإعادة منح حرية العمل للجيش الاسرائيلي وقوات الأمن» في هذه المناطق (ص ٣٨٧).

وينتقد «نتنياهو» إتفاق «الحكم الذاتي» بين حكومة حزب «العمل» ومنظمة التحرير الفلسطينية، فيذكر ان هذا الاتفاق جاوز، بكثير، الحدود التي نصت عليها اتفاقيات «كامب دايفيد» بشأن الفلسطينيين وهي: «تسوية تمنح الإدارة الذاتية لعرب الضفة الغربية وغزة، من خلال الإبقاء على موضوعي السيادة والأمن بأيدي اسرائيل»، فيقول ان «رابين» استخدم المصطلح نفسه «الحكم الذاتي» الذي ورد في الاتفاقية المصرية - الاسرائيلية. «لاقامة بنية أساسية للدولة الفلسطينية في كل مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة» (ص ٣٨٩). ويحتج «نتنياهو» على هذا الاتفاق (اتفاق أوسلو)، معتبراً ان «الحكم الذاتي لا يعني دولة» بل انه «نوع من نظام حكم داخلي يسمح لأقلية قومية او دينية بإدارة شؤونها تحت سيادة شعب آخر» (ص ٣٩٠)، منسجماً، بذلك، مع وجهة النظر التي سبق ان أوردها في كتابه هذا، بشأن الضفة الغربية، والتي ترى في الضفة الغربية جزءاً لا يتجزأ من «أرض اسرائيل» يستحيل التخلي عنه.

ويعرض «نتنياهو»، بدلاً من ذلك، وجهة نظره في إمكان «تحقيق توازن عملي بين مطلبي الأمن لليهود، والحكم الذاتي للعرب»، فيرى انه «يمكن تطبيق الحكم الذاتي على السكان العرب في مناطق التجمع السكاني العربي، وعدم تطبيقه على المناطق القليلة السكان، بحيث تظل هذه المناطق ضمن مناطق الأمن الاسرائيلية التي اتفق بشأنها في كامب ديفيد، والتي اعترفت بها اتفاقات أوسلو أيضاً» (ص ٣٩١). وقد تمسك «نتنياهو» بنظريته هذه بعد تسلمه سدة الحكم في الدولة العبرية، مصراً على رفض اتفاق أوسلو، ومعارضاً، معارضة صارمة، أي توجه ولو كان ضمنياً، من الفلسطينيين نحو إقامة دولة لهم.

وفي كل حال، يضع «نتنياهو» شروطاً مشددة لأي حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة والقطاع ومن هذه الشروط:

١ـ عدم موافقة اسرائيل على وضع يمنع القوات الاسرائيلية من التدخل خارج «معسكراتها المغلقة» في منطقة الحكم الذاتي، لذا، «يجب تمكين قوات الجيش الاسرائيلي من الوصول الى أية زاوية في المنطقة» وذلك بهدف المحافظة على المصالح القومية الحيوية لاسرائيل وأهمها «المحافظة على الأمن الاستراتيجي» للدولة العبرية، أي «المحافظة على قدرة الدولة في الدفاع عن نفسها». وهذا يعني: «السيطرة الكاملة على غور الأردن، وعلى المحاور المؤدية اليه من وسط البلاد، والسيطرة على ظهر الجبل، والاحتفاظ بمنشآت عسكرية حيوية في أماكن ذات أهمية استراتيجية في الضفة الغربية».

٢ـ ضمان سيطرة اسرائيل على «مصادر المياه في الضفة الغربية» أي «المناطق الواقعة فوق أحواض المياه الجوفية الحيوية للاقتصاد المائي الإسرائيلي».

٣ـ ضمان احتفاظ اسرائيل «بحق المراقبة الديموغرافية». وكي لا تعمد منظمة التحرير الفلسطينية الى إغراق الضفة الغربية «بأكثر من مليون لاجىء إضافي» كما أعلنت، يجب ان تحتفظ اسرائيل «بسيطرتها على المعابر الحدودية لمنع دخول اعداد كبيرة من السكان المعادين لاسرائيل» والسعي الى «توطين اللاجئين الفلسطينيين في الأماكن التي يتواجدون فيها حالياً».

٤ـ «اتخاذ إجراءات كفيلة بضمان وحدة القدس تحت السيادة الاسرائيلية» (ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

ويشدد «نتنياهو» على ان يكون الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية «حكماً ذاتياً فقط، وليس دولة عربية جديدة» (ص ٣٩٤).

ويصل «نتنياهو» في نهاية المطاف الى وضع «مشروع سلام مقترح» كما يلي:

١ـ «اتفاقيات ثنائية بين اسرائيل والدول العربية، بما فيها تحديد رسمي للحدود بينها، وتسويات سلمية».

٢ـ «تقديم مساعدات دولية من قبل بقية دول العالم»

٣ـ «اتفاقيات ثنائية بين اسرائيل والفلسطينيين، يتحدد فيها كيف يمكن ان يعيش العرب واليهود معاً، ويتم الاتفاق على مسائل الحكم الذاتي والأمن» (ص ٣٩٨).

وذلك يشمل:

- الاتفاق على مسألة «الأراضي المختلف عليها».

- «معاهدات سلام رسمية بين الدول العربية واسرائيل».

- «ترتيبات أمنية مع الدول العربية تحمي اسرائيل من أي هجوم».

- «تطبيع العلاقات بين الدول العربية واسرائيل، وإلغاء المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل».

- «وقف الدعاية اللاسامية واللاصهيونية الرسمية في المدارس ووسائل الإعلام في الدول العربية».

- وجود «هيئة دولية تمنع بيع أسلحة ووسائل قتال غير تقليدية لأنظمة الحكم المتطرفة في الشرق الأوسط».

- «مشروع دولي لتوطين اللاجئين».

- «تعاون إقليمي لتطوير مصادر المياه وحماية الطبيعة والبيئة». ويختم «نتنياهو» مشروعه هذا بقوله:

«هذه هي الطريقة لتحقيق سلام بيننا وبين العرب في الشرق الأوسط» (ص ٣٩٩).

هذا هو المشروع الذي يحمله «نتنياهو» الى العرب كرئيس لحكومة الدولة العبرية، خلفاً لحزب «العمل» ولاتفاقية «أوسلو» واتفاقات مدريد وواشنطن.

وبالتالي، فان «القوة اليهودية» هي الضمانة الوحيدة لأمن اسرائيل في المشرق العربي. هذا ما يقرره «نتنياهو» في الفصل الأخير من كتابه **(الفصل العاشر)** وتحت عنوان «مسألة القوة اليهودية».

يقول «نتنياهو»: «نستطيع القول، بالتأكيد، ان النزاعات السياسية والدينية، في الشرق الأوسط، لن تنتهي في المستقبل المنظور، الا إذا قبلنا بفكرة أن «نهاية التاريخ» تقف على الأبواب، وان عهد المسيح يقترب» (ص ٤١٣).

ويستطرد: «لقد ركز العرب سعيهم، في الدرجة الأولى، على تجريد اليهود من كل جانب أو رمز يحتوي على ما يشير الى عدالة نضالهم، وشوّهوا تاريخ اسرائيل بصورة مدهشة، وزرعوا، بدلاً منها، تاريخاً فلسطينياً كله من نسج الخيال، والأكاذيب: حل العرب

مكان اليهود في كونهم أبناء هذه الأرض منذ بدء الخليقة (!!)، في حين ان اليهود احتلوا مكان العرب في الدور التاريخي «للغزاة» الأجانب، واستبدل الشتات اليهودي «بشتات فلسطيني فظيع».

«كل هذه الأمور استهدفت إقناع شعوب العالم بان اسرائيل ألحقت ظلماً شديداً بالعرب، وأنهم، أي العرب، يحاولون رفع هذا الظلم فقط، وان أهل المنطق، في كل العالم، يجب ان يساعدوهم على رفع هذا الظلم» (ص ٤٢٠).

«كل ما تقدم (يقول نتنياهو أخيراً) يقودنا الى استنتاج واضح هو: القوة، هي حجر الزاوية لكل جهدٍ يستهدف كسب حلفاء جدد، والمحافظة على تحالفات قديمة» (ص ٤٣٤).

فهل يسمع العرب ويدركون ما يقوله «نتنياهو»؟

وهل يشك عربي واحد، ولو للحظة واحدة، في ان السلام مع هذا الرجل مستحيل؟

***

عودة الى كتابنا الذي نقدمه في هذه العجالة:

لقد وضعنا الكتاب في جزءين:

الأول: ويتضمن تفصيلاً وافياً لحروب العبرانيين بحسب ما رواها العهد القديم، دون ان نسجل على أنفسنا اننا مقتنعون بصحة ما ورد في هذا الكتاب من حوادث وأخبار، وإنما لكي نؤكد ان العلاقة بين العقيدة العسكرية الصهيونية (يهودية العصر الحديث) وبين جذورها الدينية في العهد القديم هي علاقة ثابتة، كما يتبين للقارىء من دراستنا الواردة في الباب الأخير من الكتاب.

وقد تضمن **الجزء الأول** أربعة أبواب الأول منها (سير الاقتراب من الهدف، وهي التسمية التي اطلقناها على مسيرة العبرانيين من مصر الى أرض كنعان) وقد تحدثنا فيه عن خروج العبرانيين من مصر وتيههم في سيناء وعبورهم الى أرض كنعان، مع دراسة وافية لمسرح العمليات (في أرض كنعان، حيث ما يسميه العهد القديم: أرض الميعاد)، ودراسة لوسائل القتال التي استخدمها العبرانيون في حروبهم ذلك الحين.

وتحدثنا في الباب الثاني (الاجتياح، وهي التسمية التي أطلقناها على الغزو العبراني الأول لفلسطين) عن حروب يشوع وحروب القضاة وحروب الملوك مع أهل البلاد الاصليين.

وتحدثنا في الباب الثالث (حروب الملوك) عن الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل، والحروب بين المملكتين وأهل البلاد.

وتحدثنا في الباب الرابع (حروب الغزاة العبرانيين مع الغزاة الآخرين على أرض كنعان) عن حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين والآشوريين والكلدانيين، ثم عن ثورة المكابيين (العبرانيين) ضد السلوقيين.

وخصصنا **الجزء الثاني** من الكتاب للبابين: الخامس والسادس، وقد تضمن الباب الخامس (ما لم يرد في كتاب اليهود (العهد القديم) عن حروبهم)، وتحدثنا فيه عن ما تبقى من حروب اليهود في عهد الأسرة المكابية (وهي تتمة للحروب المكابية التي وردت في العهد القديم)، وعن حروب الرومان ضد اليهود، واستعنا، في هذا الباب، بصورة رئيسية، بكتاب المؤرخ اليهودي المعاصر لحروب القرن الأول الميلادي «فلافيوس جوزيفوس» كما سبق ان قدمنا في مطلع المقدمة.

أما الباب السادس فهو الباب الذي من أجله كان الكتاب (الجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية)، وقد توسعنا في بحث هذه الجذور بشكل مفصل بحيث لم نهمل أية علاقة، مهما كانت صغيرة وثانوية، بين العقيدة العسكرية الصهيونية، في العصر الحديث، وما سبق ان رأيناه من حروب اليهود في العهد القديم.

ولم نهمل نقاطاً مهمة من البحث أوردناها في (**الخاتمة والاستنتاج**) ننصح القارىء بالعودة إليها، كما أننا لم نهمل تفسير أسماء الاعلام (وخصوصاً الأماكن والمواقع والبلدان التي مرت معنا في أثناء دراستنا للعمليات العسكرية) بحسب ما ورد في بعض المراجع والمصادر المهمة والموثوقة. ولم نهمل، كذلك، ان نوضح، للقارىء، ما ورد من معارك، في خارطات توضيحية مفصلة، ورسوم تدليلية.

راجين ان نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، أمانة للتاريخ، وخدمة للقضية الكبرى، قضية أمتنا العربية الخالدة.

بيروت في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧

اللواء الركن د. ياسين سويد

ملاحظة: يشكر المؤلف جميع الذين أسهموا في إنجاز هذا العمل بدءاً من طبع الأصول ومراجعتها وصولاً إلى الطبع النهائي للكتاب، بالإضافة إلى رسم الخارطات والتدقيق فيها



جبل نبو ـ أعلى قمة تشرف على نهر الاردن وأريحا في فلسطين



جبل نبو ـ النصب التذكاري تخليداً للنبي موسى

الباب الأول
سير الاقتراب من الهدف

- الفصل الاول: الخروج من مصر.
- الفصل الثاني: التيه في سيناء.
- الفصل الثالث: العبور الى أرض كنعان.
- الفصل الرابع: دراسة مسرح العمليات.
- الفصل الخامس: وسائل القتال المستخدمة في حروب العبرانيين، في الالف الاول قبل الميلاد.

الفصل الأول

الخروج من مصر

لم يكن موسى(ع) قد تلقى، بعد، الرسالة الالهية، يوم أقدم، في مصر، على قتل أحد رعايا فرعون دفاعا عن أحد العبرانيين، أبناء قومه، ثم فر من مصر الى أرض مدين[1] عبر اليابسة التي تفصل بين البحرين: بحر القلزم او الأحمر، والبحر الكبير او المتوسط، وذلك هربا من بطش فرعون وعقابه، بعد ان افتضح أمره[2] وكان عمر موسى آنذاك أربعين عاما[3].

مكث موسى في أرض مدين أربعين عاماً كذلك، حيث تزوج من صفورة ابنة يترو، كاهن مدين، وأنجب منها ولدين. وذات يوم، تجلّى له الرب على شكل نار في علّيقة «تشتعل بالنار وهي لا تحترق»، ونادى الرب موسى «من وسط العلّيقة» قائلا انه قد نظر الى «مذلة» شعبه الذي في مصر، أي العبرانيين، وانه نزل لكي ينقذهم ويخرجهم الى «ارض طيبة واسعة، الى ارض تدرّ لبنا وحليباً وعسلاً» الى ارض «الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[4] وهذه الشعوب هي التي كانت، في ذلك الحين، تقطن أرض فلسطين وأرض كنعان، ولم يكن للعبرانيين وجود يذكر، ولاحق مشروع في تلك الأرض.

---

(١) للدلالة على أسماء الاعلام (الأماكن وسواها) راجع أخر الكتاب: معجم أسماء الأعلام.

(٢) راجع تفاصيل هذه الحادثة في الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج ٢: ١١ـ ٢١.

(٣) الدبس، يوسف، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٢: ٩٢، ويذكر الطبري ان موسى «خرج الى مدين خائفا وله احدى وأربعون سنة» (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ٣٨٦).

(٤) العهد القديم، خر ٣: ٢ـ٨، و١٧. ويصف ماير "Ed - Meyer" رب بني اسرائيل بانه «شرير، مقلق، متعطش للدم، يتسكع في الليل، ويهرب من النور في النهار (Freud, S. L'homme Moïse et la religion monothéiste P.102).

وأمر الرب موسى ان «اذهب، أرسلك الى فرعون، أخرج شعبي بني اسرائيل من مصر»[٥] كما أمره ان يستعين بأخيه هارون في تنفيذ هذه المهمة[٦]. وكان عمر موسى، يوم خرج بالعبرانيين من مصر، ثمانين عاما، وكان عمر هارون ثلاثة وثمانين[٧].

لقد حدد الرب، اذن، مهمة موسى، تحديداً دقيقا، وهكذا وبكلمات أشعل رب العبرانيين، في فلسطين وأرض كنعان، حروبا استمرت قرونا، ولما تنته.

والتقى موسى بأخيه هارون في البرية، عند جبل الله، حوريب[٨]، فمضيا معا الى مصر للقاء فرعون، ودارت بين فرعون وموسى مساجلات سحرية ثم عجائبية أفرد لها العهد القديم فصولاً من أسفاره[٩]، وخصّها القرآن الكريم بالآية الكريمة «ولقد آتَيْنا موسى تِسعَ آياتٍ بَيِّناتٍ» (الاسراء١٧/ ١٠١)، وهذه الآيات، كما وردت في العهد القديم هي: العصا والدم والضفادع والبعوض والذباب وموت المواشي والقروح والبثور والبَرَدَ والجراد والظلام[١٠]، ومع ذلك، لم يفلح موسى في اقناع فرعون بالسماح للعبرانيين بمغادرة البلاد، اذ كان الرب يقسّي قلب فرعون ويحرضه على الرفض، بعد كل آية او نازلة[١١]، عندها، قرر الرب قتل أبكار مصر كآخر آية من آياته لتأديب فرعون وعقابه «فلما كان نصف الليل، ضرب الرب كل بكر في ارض مصر، من بكر فرعون الذي سيجلس على عرشه، الى بكر الأسير الذي في الجب، وجميع أبكار البهائم»[١٢]، فاستسلم فرعون وأذن لموسى باخراج بني اسرائيل من مصر، مع غنمهم وبقرهم[١٣].

---

(٥) م.ن. خر٣: ١٠.

(٦) م.ن. خر ٤: ١٤ـ١٦، وقد وردت في القرآن الكريم آيات تؤكد ما ورد في التوراة من قصة موسى مع فرعون في مصر وقصته كذلك يوم خاطبه ربه في أرض مدين، راجع القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨/ الآيات ١٥ـ٣٥. ولا نجد في هذه السورة من القرآن الكريم، وهي تروي قصة موسى مع فرعون، ما يشير الى الأرض الموعودة، فلسطين (راجع السورة).

(٧) العهد القديم، خر ٧:٧.

(٨) العهد القديم، خر ٤: ٢٧.

(٩) العهد القديم، خر ٧ ـ خر ١٠.

(١٠) وذكرها تفسير الجلالين كما يلي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات (انظر تفسير الآية ١٠١ من سورة الإسراء/١٧).

(١١) راجع ذلك في النص التوراتي نفسه خر ٧ـ خر ـ ١٠.

(١٢) العهد القديم، خر ١٢: ٢٩.

(١٣) م.ن. خر ١٢: ٣١ ـ ٣٢.

كان العبرانيون يقيمون بأرض جاسان[١٤] عندما قرر موسى اخراجهم من مصر، فأمرهم ان يطلبوا من المصريين أمتعة من الفضة والذهب، وثياباً، «فأعاروهم اياها، وهكذا سلبوا المصريين»[١٥]، ثم ارتحل موسى بهم ليلا «من رعمسيس الى سُكّوت» وكان عديدهم نحو ستماية الف رجل ماشٍ «ما عدا العيال» وخرج معهم «خليط كثير وغنم وبقر ومواش وافرة جدا»[١٦]، ثم انتقلوا من سُكّوت الى ايتام «في طرف البرية»[١٧] وكانت مدة اقامة العبرانيين في مصر أربعماية وثلاثين سنة[١٨].

تابع بنو اسرائيل طريقهم في الصحراء فنزلوا امام «فم الحيروت، بين مجدول والبحر، امام بعل صفون... تجاهه على البحر» الاّ ان الرب عاد «فقسّى قلب فرعون» الذي هب لمطاردة بني اسرائيل بجنده وخيله ومركباته «ست مئة مركبة ممتازة، وجميع مراكب مصر، وعلى كل منها ضباط»[١٩]، فأسقط في يد بني اسرائيل وأيقنوا بانهم هالكون لا محالة، لولا ان أمر ربهم موسى ان يضرب البحر بعصاه، فاذا بريح شرقية شديدة تعصف على البحر طوال الليل فتفلقه، فيدخل بنو اسرائيل، مع ظعنهم ومواشيهم، في البحر ويسيرون في الطريق التي انشقت فيه حتى وصلوا الى الشاطئ المقابل. وما ان همّ فرعون وجيشه بسلوك الطريق نفسها حتى عاد البحر الى حالته الأولى باشارة من يد موسى، والمصريون في وسطه، فغرقوا جميعهم في البحر، بحر القلزم[٢٠]. ويذكر التلمود انه عندما وصل بنو اسرائيل الى شاطئ البحر انقسموا الى أربع فئات:

---

(١٤) العهد القديم، تك ٤٦ : ٢٨، تك ٤٧ : ٢٧.

(١٥ العهد القديم، خر ١٢: ٣٥ـ ٣٦.

(١٦) م. ن. خر ١٢: ٣٧ ـ ٣٨. وسار موسى في الساقة وهارون في المقدمة (الطبري المصدر السابق، جـ١: ٤١٤).
وجاء في مكان آخر من العهد القديم ان بني اسرائيل خرجوا «من ارض مصر، مسلحين» (العهد القديم، خر ١٣: ١٨)، وذلك يعني ان «الستماية الف رجل ماش» هم الفئة القادرة على حمل السلاح والقتال (ما بين سني العشرين والستين عاما) وهم يشكلون، عادة ثلث مجموع الشعب، أي شعب، وينتج عن ذلك ان عدد شعب بني اسرائيل الذي خرج من مصر يقارب المليوني نسمة (٦٠٠×٣= ١٨٠٠ الف نسمة) هذا بالاضافة الى «خليط كثير وغنم وبقر ومواشٍ وافرة جدا».

(١٧) م. ن. خر ١٣: ٢٠، «وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود من غمام ليهديهم الطريق. وليلا في عمود من نار ليضيء لهم وذلك لكي يسيروا نهارا وليلا» (م. ن. خر ١٣: ٢١).

(١٨) العهد القديم، خر ١٢: ٤٠ـ ٤١.

(١٩) العهد القديم، خر ١٤: ٢ ـ ٩ ووردت في التوراة، النسخة الفرنسية «ومع كل منها طاقمها كاملا (La Bible, Exode 14: 7) "Chacun avec son équipage Complet".

(٢٠) العهد القديم، خر ١٤: ٢١ ـ ٢٨ وقد جاء في القرآن الكريم آيات تؤكد ذلك، قال تعالى: «فَأَوْحَيْنَا الى موسى أنِ اضْرِب بِعصَاكَ البحرَ فانْفَلَقَ فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِين. وأَنْجَيْنا موسَى ومَنْ مَعَهُ أجْمَعِينَ، ثُمَّ أغْرَقْنَا الآخَرِينَ. إن في ذلك لآيَةً وَمَا كَانَ اكثَرُهُم مُؤْمِنِين». (الشعراء٢٦/ ٦٣ـ ٦٧).

- فئة تقول بان يرموا بأنفسهم في اليم، بلا خوف.

- واخرى تقول بالعودة الى مصر.

- وثالثة تقول بالقتال.

- ورابعة تكتفي باستلهام العون الالهي.

وقد أجاب موسى كلا من هذه الفئات الجواب الملائم،

- فقال للأولى «لا تخافوا، اصمدوا تعاينوا الخلاص الذي يجريه الرب اليوم لكم».

- وقال للثانية «فانكم كما ترون المصريين اليوم، لن تعودوا ترونهم للابد».

- وقال للثالثة «الرب يحارب عنكم».

- وقال للرابعة «وانتم هادئون» (هكذا وردت في العهد القديم، سفر الخروج، وأما في التلمود، فقد وردت: أما أنتم، فكونوا ساكتين)[٢١].

أما العبرانيون فتابعوا مسيرهم، بعد خروجهم من البحر، الى «برية شور» فساروا فيها ثلاثة أيام وصلوا بعدها الى «ايليم» حيث وجدوا الماء والنخيل «فخيموا هناك عند المياه»[٢٢] وبعد استراحة قصيرة في «ايليم» انتقل بنو اسرائيل الى «برية سين»، بين ايليم وسيناء، وكان ذلك بعد مرور شهر ونصف الشهر على خروجهم من مصر[٢٣]. وكان ان جاع بنو اسرائيل فأنزل الرب لهم المن والسلوى، غذاءهم الوحيد الذي استمروا عليه طيلة أربعين عاما، وهي مدة تيههم في سيناء[٢٤]. والمن شيء دقيق مثل سقيط الندى، يغطي

---

(٢١) Schwab, Maise (traducteur), le Talmud de Jérusalem, vol. IV P. 158.
والعهد القديم، خر ١٤: ١٣.

(٢٢) العهد القديم، خر ١٥: ٢٢-٢٧، وايليم هو المكان الثاني الذي حل فيه بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر، ويرجح انه واحة «وادي غرندل» حاليا، على مسافة ٦٣ ميلا جنوب شرقي السويس (عبد الملك، المصدر السابق، ص ١٤٤).

(٢٣) العهد القديم، خر ١٦: ١، وبرية سين هي أول برية سيناء، وصل اليها العبرانيون بعد ان عبروا البحر الاحمر من ايليم الى رفيديم (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٩٧).

(٢٤) م. ن. خر ١٦: ٣٥، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، قال تعالى: «يا بَنِي اسْرائيلَ قد انْجَيْناكُم مِنْ عَدُوِّكُم ووَاعَدْناكُم جانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ونَزَّلْنا عَلَيْكُم المَنَّ والسَّلْوى، كُلُوا مِن طَيِّبات ما رَزَقْناكُم ولا تَطْغَوْا فيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُم غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فقد هَوَى» (طه ٢٠/ ٨٠-٨١). وقال «وظَلَّلْنا عَلَيْكُم الغَمامَ وانْزَلْنا عَلَيكُم المَنَّ والسَّلْوى، كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم، وما ظَلَمونا ولَكِن كانوا انْفُسَهُمْ يَظْلِمُون» (البقرة٢/ ٥٧). ويلاحظ في هذه الآيات، وفي غيرها (الاعراف ٧/ ١٦٠)، ان الله عز وجل حذر اليهود الذين عاصروا النبي(ص)، ان لا يطغوا فيحل عليهم غضبه، وقد ناهضوا النبي وحاربوه وعارضوه وحاولوا قتله، فنزلت بهم الآية الكريمة: «لَتَجِدَنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذينَ آمَنوا اليَهودَ والذينَ أشْرَكوا الخ...» (المائدة ٥ / ٨٢) أي ان الله عز وجل وضع اليهود بمنزلة المشركين.

وجه الارض غداة كل يوم، فيتكتل كالجليد على الارض، ويلتقطه بنو اسرائيل قبل بزوغ الشمس كل يوم، يلتقط كل واحد منهم حاجته لليوم كله، ولا يمكن اختزانه لليوم التالي، ما عدا يوم السبت حيث لا منّ ولا سلوى، فيلتقط المرء منهم يوم الجمعة، حاجته ليومين. ويذوب المن عند طلوع الشمس، وينتن ان بقي لليوم التالي، ما عدا السبت. أما السلوى فهي نوع من الطير كان يغطي وجه السماء عشية كل يوم فيلتقطه بنو اسرائيل ويتغذون بلحمه عشاء كل يوم(٢٥).

ومن ايليم، انتقل بنو اسرائيل الى رفيديم(٢٦) فنزلوا فيها، ولم يكن هناك ماء فأوحى الله الى موسى فضرب بعصاه صخرة حيث تفجرت الماء منها(٢٧).

الحرب في رفيديم بين بني اسرائيل والعمالقة:

وكان يقطن هذه الارض شعب من العمالقة ما ان رأوا العبرانيين ينزلون في ديارهم حتى استنفروا للقتال وهاجموهم في رفيديم، فاستنفر موسى(ع) شعبه وعيّن على جيشه قائدا هو «يشوع بن نون» (الذي سيكون خليفته على بني اسرائيل بعد موته)، ودار قتال بين الفريقين انتهى بهزيمة العمالقة(٢٨).

ومما يجدر ذكره ان موسى(ع) وقف على شُرف عال يراقب المعركة، وبيده عصاه، «فكان اذا رفع موسى يده يغلب بنو اسرائيل، واذا حطّها تغلّب العمالقة»،(٢٩) والسؤال الذي يتبادر الى الذهن في هذا المجال: هل كان موسى(ع) يخفض يده لكي ينهزم شعبه؟ وما هي مصلحته في ذلك؟ ثم، أوليس المقصود من هذه العبارة هو ان موسى كان يرفع يده ابتهاجاً عندما يغلب بنو اسرائيل ثم يخفضها عندما ينهزمون؟

---

(٢٥) م. ن. خر ١٦: ١٢ـ٢٧، وجاء في مكان آخر من العهد القديم ان المن «كبزر الكزبرة ومنظره كمنظر المُقل، وكان الشعب يتفرق فيلتقطوه ويطحنوه بالرحى، او يدقوه في الهاون ويطبخوه في القدر ويصنعوه فطائر، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت. وكان عند نزول الندى على المخيم ليلا ينزل المن عليه» (العهد القديم، عد ١١: ٧ـ٩).

(٢٦) م. ن. خر١٧: ١.

(٢٧) م. ن. خر ١٧: ٦ـ٧.

(٢٨) م. ن. خر ١٧: ٨ـ ١١.

(٢٩) م. ن. خر١٧: ١١ـ ١٢. ويبدو ان موسى اقتبس هذه الحركة من تقليد فرعوني، فقد كان الفرعون يحمل، في حروبه، عصا آمون المقدسة يرفعها كلما أراد لجيوشه النصر (مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ١٢٠).

غادر العبرانيون رفيديم بعد انتصارهم على العمالقة، وفي نهاية الشهر الثالث لخروجهم من مصر كانوا قد وصلوا الى جبل الله (جبل سيناء او حوريب)[٣٠] فنزلوا بإزائه، حيث التقى موسى حماه (الكاهن يترو) وزوجته (صفورة) وولديه (جرشوم واليعازار)، وقصّ موسى على حميه ما تعرض له بنو اسرائيل من مشقة وعناء عند خروجهم من مصر وبعده، فأشار عليه حَمُوه ان يولّي على شعبه «رؤساء فئات بين ألف ومئة وخمسين وعشرة»[٣١] لحل مشاكل الناس والقضاء فيما بينهم، على ان يكون هؤلاء الرؤساء مهرةً أتقياء لله جديرين بالثقة «يكرهون الكسب»[٣٢] فعمل موسى بنصيحة حميه واختار «أناسا مهرة من كل اسرائيل، فأقامهم رؤساء على الشعب، رؤساء الف ومئة وخمسين وعشرة»[٣٣]، وربما كانت حرب موسى مع العمالقة قد أوحت اليه بتنظيم شعبه تنظيما عسكريا هرميا بالشكل الذي فعل.

انتهت المرحلة الأولى من مسيرة العبرانيين نحو هدفهم المحدد وهو أرض الميعاد، أي أرض الكنعانيين وباقي الشعوب التي تقطن فلسطين منذ أقدم العصور. وفي برية سيناء، عند جبل الله (جبل سيناء او حوريب) كان مقدرا ان يجتمع موسى بربه ليتلقى منه الأوامر للمرحلة الجديدة «ونزل الرب على جبل سيناء، الى رأس الجبل، ونادى الرب موسى الى رأس الجبل فصعد»[٣٤]. وعلى قمة جبل سيناء، تم اللقاء التاريخي بين الرب ونبيّه موسى، وأمام الرواية التوراتية للحدث الكبير، تزدحم التساؤلات والاستفسارات في فكر كل باحث في هذا المضمار: يقول العهد القديم ان الرب هبط على جبل سيناء «أمام الشعب كله»، وكان هبوطه بشكل نار سبقتها «رعود وبروق» وتركت خلفها، على الجبل دخانا كثيفا. وبينما كان صوت البوق يشتد، كان موسى يتكلم «والله يجيبه في الرعد». وما ان نزل الرب على الجبل حتى نادى موسى اليه فصعد موسى الى الجبل للقاء ربه[٣٥].

---

(٣٠) العهد القديم، خر ١٩: ١ـ٢، ويطلق على جبل سيناء اسم حوريب ايضا، وقد وصله العبرانيون بعد ثلاثة أشهر من خروجهم من مصر، حيث اقاموا عنده سنة. وقد أعطى الرب الوصايا العشر لموسى على هذا الجبل (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٩٨).

(٣١) العهد القديم، خر ١٨: ٢١.

(٣٢) م. ن. خر ١٨: ٢١.

(٣٣) م. ن. خر ١٨: ٢٥.

(٣٤) م. ن. خر ١٩: ٢٠.

(٣٥) م. ن. خر ١٩: ١١و١٨و١٩و٢٠.

وكان شعب بني اسرائيل يشاهد ما يجري، من موقعه عند سفح الجبل فتأخذ بني اسرائيل الرعدة ويظلون واقفين بعيدا، ويقولون لموسى «كلمنا انت فنسمع، ولا يكلمنا الله لئلا نموت» فيتقدم موسى «الى الغمام المظلم الذي فيه الله»، ويوجه الرب خطابه الى موسى قائلا: «كذا تقول لبني اسرائيل، قد رأيتم اني من السماء خاطبتكم»[٣٦].

ويلتقي موسى ربه على قمة جبل سيناء، ويعطي الرب موسى أوامر ووصايا وتوجيهات دينية، جوهرية وشكلية، تملأ عددا من فصول سفر الخروج[٣٧]، ثم ينتقل الرب الى وضع استراتيجية الاحتلال فيرسمها لموسى رسما دقيقا، يقول الرب لموسى:

ـ «ان ملاكي يسير أمامك ويدخلك أرض الاموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين، وأبيدهم... وأرسل رعبي أمامك وألقي رعبي في كل الشعوب التي تدخل اليها، وأجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين أمامك». ولا يكتفي الرب بذلك بل هو يسلّط «الزنابير» تسير امام جيش العبرانيين لكي تطرد اهل البلاد الاصليين أي «الحويين والكنعانيين والحثيين». وتتجلى البراعة الاستراتيجية في تخطيط الرب لاحتلال «أرض الميعاد» عندما ينبئ موسى انه لن يطرد جميع أهل تلك الأرض دفعة واحدة «كيلا تصير الأرض قفراً فتكثر عليك وحوش الحقول». وانما سيطردهم من وجهه «قليلا قليلا» الى ان يشتد ساعد الشعب، شعب بني اسرائيل، وينمو ويقوى، فيرث الأرض وحده. ولا يفوت الرب ان يحدد لموسى الارض التي وعد بها بني اسرائيل، فاذا هي ممتدة من «بحر القلزم الى بحر فلسطين، ومن البرية الى النهر»، أما سكان تلك الأرض من غير العبرانيين، فيقول الرب لبني اسرائيل، ولموسى نبيّه، بشأنهم: «اني أسلّم الى أيديكم سكان الأرض فتطردوهم من أمام وجهك»، ويرفض الرب ان يقطع موسى لهؤلاء السكان عهدا، بل انه يمنع عليهم البقاء في تلك الأرض كي لا يفسدوا على موسى وبني اسرائيل ديانتهم[٣٨].

ولكن كيف تم اللقاء بين موسى وربه، وما هي الصيغة التي تم فيها ذلك اللقاء؟ يقول

---

(٣٦) م.ن. خر ٢٠: ١٨ و١٩ و٢١ و٢٢.

(٣٧) م.ن. خر: ٢١: ٣١.

(٣٨) م.ن. خر ٢٢: ٢٣ و٢٧ و٣٣. وبحر القصب: بحر القلزم او البحر الاحمر، وبحر فلسطين: البحر المتوسط والبرية: برية سيناء، والنهر: نهر الفرات، وهي الحدود النظرية لمملكتي داود وسليمان (انظر: م.ن. ص ١٩٤ حاشية ١٢، و: انا Bible, exode 23: 31).

العهد القديم: أمر الرب موسى ان يصعد اليه، الى الجبل لكي يعطيه «لوحي الحجارة والشريعة والوصية» وكان الرب قد كتبها لكي يعلّمها موسى لبني اسرائيل، فصعد موسى ومعه هارون وناداب وأبيهو «وسبعون من شيوخ اسرائيل» فرأوا الههم «وتحت رجليه شبه صنع بلاط سفير، وشيء أشبه بالسماء نفسها نقاء»[39]، اما موسى فقال للشيوخ «انتظرونا ههنا حتى نرجع اليكم» ثم صعد، لوحده، الى قمة الجبل «فغطى الغمام الجبل... وكان منظر مجد الرب كنارٍ آكلة في رأس الجبل أمام عيون بني اسرائيل» و«دخل موسى في وسط الغمام»، وأقام في الجبل «أربعين يوما وأربعين ليلة»[40].

لقد حاول موسى ان يرى وجه الرب ففشل، مع ان الرب كان يكلمه «وجها الى وجه كما يكلم المرء صديقه»[41]، وقال موسى للرب ذات يوم: «أرني مجدك»، فقال له الرب: «أما وجهي فلا تستطيع ان تراه، لانه لا يراني انسان ويحيا» ثم أردف الرب قائلا لموسى: «هوذا مكان بجانبي. قف على الصخرة، فيكون، اذا مر مجدي، أني أجعلك في حفرة الصخرة، وأظللك بيدي حتى أمرّ، ثم أرفع يدي فترى ظهري، وأما وجهي فلا يُرى»[42].

أمام هذه النصوص التوراتية عن اللقاء بين موسى وربه نقف عاجزين عن ان نجيب عن الكثير من التساؤلات والاستفسارات التي يتمخض بها الفكر تجاهها، تاركين لذوي الاختصاص في اللاهوت الموسوي ان يتولوا هذه المهمة التي لا تدخل، أصلا، في نطاق بحثنا هذا.

كانت مدة الاربعين يوما وليلة التي مكثها موسى على الجبل، بجوار ربه، كافية لأن يفرغ صبر شعبه فينقلب عليه وعلى ربه ويتخذ لنفسه ربا آخر، عجلا من ذهب[43]. ولم يتمكن أخوه هارون من ضبط الأمور خلال غيابه فانقاد لجمهور الشعب وشاركه في

---

(٣٩) م.ن. خر ٢٤: ٩ و١٠.

(٤٠) م.ن. خر ٢٤: ١٢ـ١٨.

(٤١) م.ن. خر ٣٣ ـ ١١.

(٤٢) م.ن. خر ٣٣: ١٨ ـ ٢٣. وجاء في القرآن الكريم ما يشير الى ذلك، قال تعالى: «وَلمَّا جاءَ موسَى لِميقاتِنا وَكلَّمَهُ ربُّهُ قال ربِّ أرِني أنظُر إليكَ قال لَنْ تَراني وَلكِنِ انْظُرْ الى الجَبَلِ فإن استَقَرَّ مَكانَهُ فسوف تَراني فلمَّا تَجلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دكّاً وخَرَّ موسَى صَعِقاً، فلمَّا أفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ وأنا أوَّلُ المؤْمِنينَ» (الأعراف ٧/ ١٤٣).

(٤٣) م.ن. خر ٣٢: ٧ و٨.

صنع ربه الذهبي الجديد. ورغم ان موسى عاقب المرتدين بقتلهم، اذ قتل «الواحد أخاه والآخر صاحبه وقريبه» فسقط من الشعب، خلال يوم واحد «نحو ثلاثة آلاف رجل» و«ضرب الرب الشعب لانه صنع العجل، ذلك الذي صنعه هارون»(٤٤).

وكان الرب قاسيا جدا على شعبه بعد حادثة المروق، او الارتداد، هذه، اذ فرض ان يتيه هذا الشعب في سيناء، طيلة اربعين عاما، وذلك حتى يفنى كل الجيل الذي مرق وارتد، بمن فيهم هارون وموسى، فيموت هارون وبعده موسى، ويدخل الأرض الموعودة، بعد موتهما، جيل جديد بقيادة يشوع.

اختلاف الباحثين:

اختلف الباحثون في العديد من النقاط المتعلقة بخروج العبرانيين من مصر، وخصوصاً تاريخ خروجهم، والمسلك الذي سلكوه، وعديدهم عندما خرجوا. وسنحاول ان نبحث في نقاط الاختلاف هذه:

١ـ تاريخ خروج العبرانيين من مصر:

يبدو ان ما زخرت به عملية خروج العبرانيين من مصر، من غموض وعجائبية، أثار الكثير من الشكوك حول صحة العملية نفسها، حتى ان بعض الباحثين تساءل عما اذا كانت هذه العملية قد حدثت فعلا، فالمصدر الوحيد لها هو «العهد القديم، سفر الخروج» بما يتضمنه من غموض وأعمال خارقة انفردت الكتب السماوية (العهد القديم والقرآن الكريم) بذكرها، بينما لم نجد لها في التاريخ القديم اي ذكر، ولم يوجد في الحفريات المصرية اية اشارة تدل على حدوثها، باستثناء ما ورد من نقوش على مسلة مرنبتاح Merneptah (او منفتاح) (١٢٣٦ـ١٢١٤ق. م). من الأسرة التاسعة عشرة، في القرن الثالث عشر ق. م. (١٣٢٠ـ١٢٠٠ ق. م)، حيث ورد اسم «اسرائيل» في قصيدة تمجد انتصار مصر على أعدائها، وقد جاء في هذه القصيدة: «واسرائيل خربت، وزالت بذرتها، وأصبحت فلسطين

(٤٤) م.ن. خر ٣٢: ٢٧ـ٢٨ و٣٥.

أرملة لمصر»، وهذه هي «الاشارة الوحيدة الى اسرائيل في أي نص مصري»[٤٥]. وثابت من هذا النص ان اسرائيل المشار اليها كانت في فلسطين ولم تكن في مصر في «أرض جاسان»، وهذا ما يجعلنا نعتقد ان خروج بني اسرائيل من مصر يرجع الى زمن أقدم من زمن مرنبتاح.

ويتذرع الذين ينكرون حصول حدث انتقال العبرانيين من مصر الى فلسطين بالقول انه من المستحيل ان يقدم شعب بكامله (نحو مليوني نسمة) على الانتقال من موقع الى آخر خارج البلد الذي يعيش فيه دون ان يترك خلفه اي أثر على وجوده في هذا البلد، خصوصاً وان بني اسرائيل مكثوا في مصر زهاء ٤٣٠ عاما وهي فترة ليست بقصيرة على الاطلاق، كما انهم قاموا بأعمال لا تزال آثارها تدل على عظمة فراعنة مصر بينما ينظر اليها العبرانيون كنموذج ساطع من نماذج اضطهادهم واذلالهم. اذ انهم قد سخروا، خلال الفترة التي قضوها هناك، للقيام بأعمال البناء، فشاركوا في تشييد الأهرام، كما انهم بنوا مدنا عديدة اهمها مدينتا فيتوم ورعمسيس[٤٦].

أما الباحثون الذين يقرون بخروج العبرانيين من مصر فقد انقسموا الى فئتين:

ـ واحدة تقول بانهم خرجوا منها، على يد موسى، في القرن الخامس عشر ق.م، وبالتحديد عام ١٤٩٢ ق.م، وانهم وصلوا الى فلسطين عام ١٤٥٢ ق.م، أي بعد أربعين عاما من مكوثهم في التيه بسيناء، معتمدين على ما جاء في سفر الملوك الاول من ان هيكل سليمان قد بني بعد ٤٨٠ عاما من خروج العبرانيين من مصر (سفر الملوك الاول: ٦)، وبما ان بناء الهيكل قد تم عام ١٠١٢ ق.م. فيكون خروج العبرانيين من مصر قد جرى عام ١٤٩٢ ق.م. ومن هذه الفئة:

ـ الأب فيغورو الذي وضع جدولاً بيّن فيه، بالتفصيل، وبالسنوات، أهم المحطات في تاريخ العبرانيين منذ خروجهم من مصر وحتى بناء هيكل سليمان[٤٧].

---

(٤٥) ولسون، جون، الحضارة المصرية، تعريب: أحمد فخري، ص ٤٠٦، وانظر Barnavi, Elie, Histoire universelle des Juifs, P. 4.

(٤٦) الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٨٧ـ٨٨.

(٤٧) م. ن. ج ٢: ٣٥٧ ـ ٣٥٨. والاب فيغورو Fulcan Vigouraux كاهن فرنسي مختص بتأويل الكتاب المقدس، من مؤلفاته: الوجيز في التوراة Manuel Biblique، وقاموس الكتاب المقدس. ولد في نانت عام ١٨٢٧ وتوفي عام ١٩١٥.

ـ الأب مور الذي وضع جدولا مماثلا لجدول فيغورو بيّن فيه، بالسنوات كذلك، أهم المحطات في تاريخ العبرانيين منذ ولادة اسحق بن ابراهيم (٢٢٢٠ ق.م) حتى خراب السامرة على يد سرجون الأشوري (٧٢١ ق.م.) . الآن مور يرى أن خروج العبرانيين من مصر قد تم عام ١٥٠٠ ق.م. وليس عام ١٤٩٢ ق.م. كما يرى فيغورو[٤٨].

ـ واخرى تقول بان خروج العبرانيين من مصر كان في أوائل القرن الثالث عشر ق.م في عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ـ ١٢٠٠ ق.م)، وانهم خرجوا في عهد سيتي الثاني (١٢١٦ـ ١٢١٠ ق.م)[٤٩]. وحجتهم في ذلك ان اضطهادهم وتسخيرهم قد تم في عهد رعمسيس الثاني (١٣٠٤ـ ١٢٣٧ ق.م) (وقد بنوا في عهده مدينة رعمسيس)، فلا بد من ان يكونوا قد خرجوا من مصر بعد ذلك التاريخ وليس قبله. ومن هذه الفئة:

ـ ماسبرو، صاحب كتاب «تاريخ شعوب المشرق»، ويرجح انهم خرجوا في عهد سيتي الثاني ابن رعمسيس الثاني[٥٠].

ونتوقف، من بين الباحثين المعاصرين، عند اثنين هما:

ـ جيمس بريتشارد واضع «أطلس العالم التوراتي "Atlas du monde Biblique" والذي يرجح ان خروج العبرانيين قد تم في السنوات الأولى من القرن ١٣ ق.م ويحاول ان يستدل على ذلك من خلال نقوش وجدت على مسلة الفرعون مرنبتاح (منفتاح) في السنة الخامسة من حكمه (بدأ حكمه عام ١٢٣٦ ق.م) حيث ذكرت هذه النقوش ان الفرعون المذكور بعث ابنه سيتي (الذي سيصبح الفرعون سيتي الثاني) بغزوة تأديبية لشعب اسرائيل المقيم في أرض كنعان (مدن عسقلان وجزر وينوام) وحقق على هذا الشعب انتصارا عظيما، ويرى بريتشارد ان هذا هو الدليل الوحيد لوجود الشعب الاسرائيلي في أرض كنعان في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٥١].

---

(٤٨) م.ن. ج ٢: ٣٥٨ ـ ٣٥٩. والاب دي مور De Moor كاهن بلجيكي. أما الجدول الذي وضعه لتحديد تاريخ خروج العبرانيين من مصر فقد نشر في مجلة كاثوليكية تدعى «مجلة المباحث الدينية»، وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ ايلول ١٨٩٣.

(٤٩) م.ن. ج٢: ٨٨، وانظر .Pritchard, Atlas du Monde Biblique, PP. 18- 19

(٥٠) م.ن. ج٢: ٨٨، و Pritchard, Ibid.

(٥١) Pritchard, Ibid P. 18 - 19 et 51, 56 وانظر، ولسون، جون. الحضارة المصرية، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٩.

ـ ايلي بارنافي، واضع «التاريخ العالمي لليهود "Histoire universelle des Juifs" والذي يرى ان العبرانيين خرجوا من مصر على موجتين متباعدتين، وانه لم يكن هناك «خروج مكثف، واحد ومنظم، ولكن كان هناك مدّ طويل من هجرة القبائل السامية المختلفة التي دخلت أرض كنعان، وهناك فقط انتهت بالانصهار بشعب»[٥٢].

٢ـ المسلك الذي سلكه العبرانيون عند خروجهم من مصر:

كرر العهد القديم، في عدة مواضع منه، المسلك الذي سلكه العبرانيون لدى خروجهم من مصر. وقد حدد هذا المسلك كما يلي:

ـ رعمسيس ـ سُكّوت ـ ايتام ـ فيهحيروت (فم الحيروت تجاه بعل صفون وقرب مجدول او مجدل) ـ العبور في وسط البحر ـ برية ايتام ـ مارّة ـ ايليم ـ بحر القصب (القلزم) ـ برية سين ـ دفقة ـ ألوش ـ رفيديم ـ برية سيناء ـ قبروت هتأوه (قبور الشهوة) ـ حصيروت ـ رِتمة ـ رمّون فارص ـ لِبنة ـ رِسه ـ قَهيلاتا ـ جبل شافَر ـ حَرادة ـ مَقهيلوت ـ تاحت ـ تارح ـ مِتقة ـ خشمونة ـ موسيروت ـ بني يَعقان ـ حور هجد جاد (كهف هجد جاد) ـ يَطبانة ـ عبرونة ـ عصيون جابر ـ برية صين (قادش) ـ جبل هور (في طرف أرض أدوم) ـ صَلْحونه ـ فونون ـ أوبوت ـ عيي هعباريم (تلال العباريم، عند حدود مؤاب) ـ ديبون جاد ـ عَلمون دِبلاتائيم ـ جبال العباريم (تجاه نبو) عربة مؤاب (صحراء مؤاب، على اردن اريحا، من بيت يَشموت الى آبل شِطّيم في عربة مؤاب). هذا هو المسلك الذي سلكه بنو اسرائيل في رحلتهم من مصر الى أرض كنعان، وفقا لما جاء في العهد القديم[٥٣]. كما وردت، في مواضع اخرى من الكتاب نفسه، اشارات الى هذا المسار[٥٤] لا نرى حاجة لاستعادتها. ويبرر رب بني اسرائيل رجوع العبرانيين من ايتام الى فيهحيروت بانه «لم يسيّرهم في طريق أرض الفلسطينيين، مع انه قريب» (وهو الطريق العادي المحاذي للشاطئ، ويمر بالقنطرة حاليا) لانه خشي ان يندم الشعب «اذا رأى حربا فيرجع الى

(٥١) Pritchard, Ibid P. 18 - 19 et 51, 56 وانظر، ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٩.

(٥٢) Barnavi, Op. Cit. P. 4.

(٥٣) العهد القديم، عدد ٣٣ : ١ـ٤٩.

(٥٤) انظر، م.ن. خر ١٢: ٣٧ وخر١٣: ٢٠ وخر ١٤: ٢٠ وخر ١٥: ٢٢.

مصر» لذا «حوّل الله الشعب الى طريق برية بحر القصب، وصعد بنو اسرائيل من أرض مصر مسلحين»[٥٥]. ويبدو ان موسى فوجئ بالبحر أمامه وبفرعون خلفه، فلم يكن عنده منصرف فاختار البحر بدلا من ان يختار منازلة فرعون. ويشير قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فأوحَيْنا الى موسَى أن اَضربْ بعَصاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ فكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ [الشعراء ٢٦/٦٣] أي ان البحر اَنفلقَ اَثني عشر فرقا بعدد أسباطِ بَنيَّ اسرائيَل الاَثني عشر. وقد ورد في تفسير الجلالين لهذه الآية «فانشق (البحر) اثني عشر فرقا». الا اننا لم نجد مثل ذلك في العهد القديم حيث جاء فيه: «ومدّ موسى يده على البحر، فدفع الرب البحر بريح شرقية شديدة طول الليل، حتى جعل البحر جافا، وقد انشقت المياه. ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر، على اليبس، والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم. وجدّ المصريون في أثرهم، ودخل وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه الى وسط البحر(..........) فقال الرب لموسى: مد يدك على البحر فترتد المياه على المصريين، على مراكبهم وفرسانهم. فمد موسى يده على البحر فارتد البحر عند انبثاق الصبح الى ما كان عليه، والمصريون هاربون نحوه، فدحر الرب المصريين في وسط البحر. ورجعت المياه فغطت مراكب جيش فرعون كله وفرسانه الداخلين وراءهم في البحر، ولم يبق منهم أحد. وسار بنو اسرائيل على اليبس في وسط البحر والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم». وكان خروج بني اسرائيل من مصر في عيد الفصح من فصل الربيع[٥٦].

يبدو ان هذا المسلك قد أثار خلافا بين الباحثين، بصرف النظر عما احتواه من عمل عجائبي (معجزة شق البحر على يد موسى) يقف أمامه المؤرخ العلمي حائرا بين انكاره وتصديقه (وقد ورد ذكره في القرآن الكريم كما في العهد القديم) مما دفع بعضهم الى تعليل هذا الحدث العجائبي تعليلا علميا، كما سنرى.

رأى بعض مهندسي قناة السويس[٥٧]، الذين قاموا بدراسات لكشف غوامض هذا المسلك، ان البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الأحمر في ذلك الحين، حتى ان بعضهم زعم انه اجتاز تلك البحيرات، وفيما يلي موجز لتصوّر فرديناند دي لسبس، مهندس القناة:

---

(٥٥) م.ن. خر ١٣: ١٧ـ١٨.

(٥٦) م.ن. خر ١٤: ٢١ـ٢٣ و٢٦ـ٢٩، وعد ٣٣: ٣.

(٥٧) ومنهم: فردیناند دي لسبس (الدبس، المصدر السابق، ج ٢: ١١٥ـ١١٦).

كان البحر الأحمر متصلا بالبحيرات المرة الواقعة شماله، في الشمال الشرقي من مصر، وقد سار موسى من رعمسيس المدينة (حيث يُرى الآن صخر يمثل أحد الفراعنة ويسمى رعمسيس) الى سُكّوت، وتعني المظلة او الخيمة، ويسمي العرب هذه المحلة (أم الخيم)، ومنها الى ايتام (وهي مكان عشيرة تسمى باسمها: ايتا ميس). ولما وصل موسى الى ايتام أحس بأن فرعون يتعقبه بجيشه، فعاد الى الوراء، ونزل ببحيروت (فيهحيروت او فم الحيروت) وهي (محل القصب) ويسمي العرب هذا المحل (وادي بيت البوز او وادي القصب) حيث تكثر المستنقعات من مياه البحر الأحمر. وكانت فيهحيروت (بحيروت او فم الحيروت) تقع بين البحر الأحمر جنوبا ومجدول (مجدل) شمالا وبعل صفون شرقا وبيتوم غربا. وتُرى اطلال مجدول (او مكدول او مكدلون) على جانب الطريق المؤدي الى سوريا، أما بعل صفون فكانت هيكلا شيد على مرتفع. عندما وصل بنو اسرائيل الى فيهحيروت (او فم الحيروت) ظهرت عليهم طلائع جيش فرعون ولم يكن أمامهم من طريق للهرب الا البحر شمالا، فهبت ريح شديدة جعلت المصريين يمسكون عن مطاردة بني اسرائيل، وكانت هذه الريح من القوة بحيث أدت الى كشف اليابسة في موضع من المواضع بالبحر، حيث المياه لم تكن عميقة (ويذكر دي لسبس انه كان بنفسه شاهداً ذات يوم على هذه الريح وشدتها) فاغتنم موسى هذا «العون الالهي» واجتاز مع شعبه البحر من اليابسة التي انفرجت الماء عنها عند هبوب الريح. ولما سكنت الريح عادت المياه الى ما كانت عليه، وكان ارتفاعها يبلغ ما بين متر و٣٠ سم ومتر و٨٠ سم، فغرق فرعون وجيشه في البحر اذ فاجأتهم المياه[٥٨]. وقد ندد الأب فيغورو بأقوال مهندس قناة السويس هذه، ورد على ذلك بقوله ان الآثار المصرية لم تأتنا بأية اشارة تدل على ان البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الأحمر «بل أنبأتنا بما يخالف ذلك وهو احتفار قناة تصل بينهما»[٥٩]. ويستطرد فيغورو: «لم يكن البحر الأحمر، في أيام موسى، متصلا بالبحيرات المرة، ولا في وقت الانواء الشديدة، ولا حاجة الى العدول عن ظاهر آيات الكتاب الصريحة بان العبرانيين عبروا البحر الأحمر او بحر سوف او بحر القلزم، والمعنى واحد»[٦٠].

ويحاول فيغورو ان يعلل ما جاء في العهد القديم تعليلا علميا، فيقول: ارتحل بنو اسرائيل من جاسان، في وادي طميلات، الى سكوت، ثم الى ايتام، وكان لزاما عليهم ان

---

(٦٠) م. ن. ص. ن. وذلك في كتابه «الكتاب والاكتشافات الحديثة».

يسيروا الى جانب الماء لكي يستقوا ويسقوا ماشيتهم، ومن ايتام كان بوسعهم ان يتجهوا شمالا بشرق، على طريق الساحل، مرورا بغزة، الى فلسطين، الا انهم خافوا ان يهربوا من بطش فرعون فيقعوا في أيدي الفلسطينيين، عندها أمر الرب موسى ان يعود بهم نحو الجنوب، اي نحو البحر الأحمر وجبل سيناء، فانتقلوا من ايتام الى أمام البحر «وكان مسيرهم على شاطئ البحيرات المرة الغربي، قضى عليهم بذلك احتياجهم الى الماء والكلأ لماشيتهم»[٦١].

وهكذا نرى ان بعض الباحثين يحاول جاهدا ان يعثر على تعليل علمي للأحداث التي جرت خلال انتقال موسى ببني اسرائيل من مصر الى فلسطين، ويبدو ان كلا من دي لسبس وفيغورو لم يوفقا بتعليلهما لهذه الأحداث، فعملية «الريح الشديدة» التي هبت وأزالت الماء لكي تفتح للعبرانيين طريقا في البحر ثم سكنت لينغلق البحر على جند فرعون فيغرقهم، هي عملية غير منطقية وغير علمية ولا يقبلها عقل. واذا كان فيغورو لم يخرج عما ورد في العهد القديم من تعليل، فانه لم يأت بجديد على ما هو وارد في الكتاب المقدس.

ويذكر الباحث الأثري «سليم حسن» ان المهندس المصري «علي بك شافعي» كتب مقالة بهذا الصدد جمع فيها «الآراء التي أولي بها في هذا الموضوع، وأضاف اليها ملاحظاته وبحوثه الخاصة، وخرج منها بنتيجة تعد، حتى الآن، أحسن ما وصل اليه العلم الحديث في هذه المسألة الشائكة المعقدة». كما يذكر انه ناقش المهندس «شافعي» بنفسه واقتنع «الى حد بعيد» بمقولته، خصوصا وان المهندس شافعي كان قد أرفق مقالته بمخطط يبين المسلك الذي سلكه موسى في خروجه من مصر (انظر المخطط). ويبدو من قراءة المخطط المذكور انه لا يختلف في شيء، تقريبا، عن الطريق التي رسمها مهندسو قناة السويس، حيث يذكر «علي بك شافعي» ان موسى سلك بجماعته الطريق من رعمسيس (حيث بات ليلته الأولى) إلى ايتام (حيث بات ليلته الثانية) ففم الحيروت (حيث بات ليلته الثالثة)، ومنها سلك طريق البحر بعد ان جفّت ماؤه بسبب «الريح الشرقية العاتية» التي هبت عليه، ثم سار في صحراء «ايتام» باتجاه «مدين حيث كان حموه وزوجته»[٦١ مكرر].

---

(٦١) م.ن.ص. ١١٧ـ١١٨.

(٦١ مكرر) حسن، سليم، مصر القديمة، جـ٧: ١١٨ـ ١٢٠.

ويحاول بريتشارد ان يناقش الاطروحة نفسها، ولكنه يعود فيفترض عدة مسالك ممكنة ومحتملة من خلال ما ورد في العهد القديم نفسه، ودون الخروج على النص التوراتي[٦٢]. والسؤال المهم الذي يطرحه (ايلي بارنافي Barnavi) حول هذه الاطروحة، هو: كيف يمكن لشعب يشكل بمجموعه مليوني نسمة (باعتبار ان عدد الرجال القادرين على حمل السلاح هو ٦٠٠ ألف نسمة، أي ثلث الشعب، والباقي أطفال ونساء وشيوخ) ان ينتقل، مع ما يملك من أمتعة وماشية، دون ان يترك خلفه أثرا ما، ولهذا، يفترض، كما سبق ان قدمنا، انه لم تكن هناك هجرة جماعية واحدة ومنظمة للشعب العبري من مصر، وانه: إما ان يكون العبرانيون قد خرجوا من مصر على موجتين متتابعتين، واما ان يكون قد حدث مد طويل من هجرة القبائل السامية المختلفة التي، ما ان دخلت بلاد كنعان، حتى انصهرت بشعب واحد[٦٣]، ومع ذلك، يحاول بارنافي ان يفترض مسالك مختلفة لخروج العبرانيين، مبنية على افتراضات وجدها هو ممكنة، ووفقا لما ورد في العهد القديم[٦٤].

يبقى ان ما يمكننا قوله في هذا المجال هو ان ما ورد في العهد القديم من أعداد امر مبالغ فيه الى حد كبير، فاذا كان العبرانيون يشكلون نحو مليوني نسمة مع ما يمتلكون من متاع وأدوات واذا كان جيش فرعون يضم مليوناً وسبعماية الف حصان، كما يقول الطبري[٦٥] او «سبعين ألفا من دهم الخيل، سوى ما جنده من شيات الخيل» كما يقول في رواية أخرى[٦٦]، واذا كان عبور البحر قد تم خلال ليلة واحدة، أي في ساعات لا تجاوز العشر، اذا كان ذلك ما ترويه الأسفار، فان في الامر استحالة مادية ولا شك.

ونحن اذ نميل الى ما يراه بارنافي من ان هجرة الساميين (ومنهم العبرانيون) من مصر لم تكن واحدة مكثفة ومنظمة، بل كان هناك مد من الهجرات لفترات طويلة، فان ما يمكننا قوله ان المبالغة في الأرقام الى حد الاستحالة تجعل الأمر غير قابل للتصديق، وان الخروج الذي تم على يد موسى هو احدى هذه الهجرات.

ويشارك بريتشارد بارنافي في هذا الافتراض، فهو يتساءل عما اذا كان هناك رحلة

---

(٦٢) Pritchard, Op. Cit, P. 56 - 57 Carte.

(٦٣) Barnavi, Op. Cit. P. 4.

(٦٤) Ibid, P. 5 (carte).

(٦٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ١: ٤١٤.

(٦٦) م.ن. ج ١: ٤٢٠ وشيّه: من الوان البهائم، وهي بياض في سواد او سواد في بياض، وجمعها شيّات او هي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره

واحدة فقط في الصحراء؟ ويبقى السؤال في نظره بلا جواب. الا انه يرى «ان هناك احتمالا بان يكون الذين غادروا مصر الى بلاد كنعان قد غادروها بمجموعات صغيرة سالكين مسالك مختلفة»(٦٧).

وتحاول مجموعة المؤلفين التي وضعت موسوعة «التاريخ العام للديانات Histoire gle des Religions» ان تجد تعليلا لهذه الحادثة الخارقة، فتذكر ان الطبيعة الطوبوغرافية لخليج السويس تسمح بالاعتقاد أن حصولها امر ممكن، وباعتبارها واقعةً تاريخية صحيحة، «فالاختيار الدقيق جدا لساعة العبور ومكانه بفضل جَزْر استثنائي منخفض تلته ريح شمالية شديدة زادت من تماسك المعبر، استطاع تسهيل عبور الفارين»(٦٨).

ولكننا، اذ نستبعد احتمال صحة هذا التعليل، خصوصا وان عدد العبرانيين يزيد على المليوني نسمة باستثناء ما خرج معهم من ماشية وبهائم ومركبات ومعدات، نرى ان أي جزر للبحر، مهما كان استثنائيا، لا يمكن ان يتيح هذا العبور الضخم، ثم ان أي مد لا يمكن ان يغرق جيشا ضخما كجيش فرعون.

ويقدم لنا «مقار»(٦٩) تحليلا مبنيا على دراسة جغرافية لطبيعة الأرض في ذلك الزمن، ربما كان هو الأقرب الى المنطق والواقع، يقول «مقار» وفقا للعهد القديم: ارتحل العبرانيون من رعمسيس الى سكوت ومنها الى ايتام (في طرف البرية). ومن ايتام عادوا الى فم الحيروت التي قبالة بعل صفون (بلزيوم) ونزلوا امام مجدل. ثم ارتحلوا من امام الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية (عد ٣٣: ٥ـ٨). ذلك يعني ان موسى خرج من مصر الى سيناء، ما بين خليج السويس والبحيرات المرة، فتاه في الصحراء (كما هو مبين في الخارطة) الى ان جاءته التعليمات للعودة الى (بعل صفون) بين مجدل والبحر (والبحر هنا هو البحر المتوسط وليس البحر الاحمر كما ورد في العهد القديم) أي بين خطي الطول ٣٢ و٣٣ وشمال خط العرض ٣١، وهذا أمر مستحيل «الا اذا كان يهوه قد نقل البحر الأحمر شمالا، من موضعه الجغرافي... وأوصله في الطريق بالبحيرات المرة (ولم يكن البحر الأحمر متصلا بهذه البحيرات) وجعله يلتحم بالبحر ـ الأبيض شمالا»(٧٠).

---

(٦٧) Pritchard, Op. Cit. P. 56 - 67. --

(٦٨) Auboyer, Jannine et autres, Histoire générale des Religions, P. 339 --.

(٦٩) مقار، شفيق، قراءة سياسية للتوراة، ص ٣٢٧ ـ ٣٣١، وخارطات ص ٣٧٢ ـ ٣٧٦.

(٧٠) م.ن. ص ٣٣٠.

ويعزو «مقار» هذا الخلط في العهد القديم الى ان مؤلفي التوراة الذين كتبوه في عهد متأخر جدا عن عهد موسى (نحو ٧ قرون)، وكانوا في بابل، تأثروا بالاسطورة التي تقول ان الاسكندر المقدوني قد شق الماء امامه لكي يعبر الى الامبراطورية الفارسية ويدمرها، وان هذا ممكن ان يحدث لسواه، وهو موسى، وفقا لما رواه المؤرخ اليهودي يوسيفوس(٧١). ولكن سها عن بال كتبة التوراة في بابل ان مجدل وبعل صفون وفم الحيروت هي مواقع قريبة من البحر المتوسط وبعيدة عن البحر الأحمر، وربما كان الأمر كما يراه «سيغموند فرويد» وهو انه يمكن الافتراض بأن الخروج قد جرى «بطريقة سلمية تماما وبلا مطاردة ولا اجتياح للفرَس وراكبه» وهو مناقض تماما «للحكاية الدرامية التي تحكيها التوراة»(٧٢). (انظر الخارطة رقم ١).

٣ـ عدد العبرانيين الذين خرجوا من مصر:

تكرر، في العهد القديم، ذكر عدد الرجال الذين خرجوا مع موسى من مصر، فقد مر معنا انه، «رحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت بنحو ست مئة ألف ماش من الرجال ما عدا العيال. وصعد معهم ايضا خليط كثير وغنم وبقر ومواشٍ وافرة جدا»(٧٣) ويقول الطبري في هذا: «كان موسى على ساقة بني اسرائيل، وكان هارون امام مقدمتهم.... وخرج موسى في ستماية وعشرين ألف مقاتل، لا يعدّون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وانما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية. وتبعهم فرعون، وعلى مقدمته ماهان، في ألف ألف وسبعماية ألف حصان»(٧٤).

وقد أشرنا، فيما سبق، الى رأينا الخاص ورأي بعض الباحثين، في الأعداد المقدمة، ورأينا ان المبالغة فيها (نحو المليوني عبراني يجتازون البحر خلال ساعات مع أمتعتهم ومواشيهم، ونحو مليون وسبعماية ألف حصان مع ستماية مركبة ممتازة وجميع مراكب مصر(٧٥) يتبعونهم ويغرقون في اليمّ)، تؤدي ولا شك الى الاستحالة المادية في تنفيذها،

---

(٧١) م.ن. ص ٣٢٨.

(٧٢) م.ن. ص ٣٣١.

(٧٣) العهد القديم، خر١٢: ٣٧ ـ ٣٨.

(٧٤) الطبري، المصدر السابق، ج١: ٤١٤.

(٧٥) العهد القديم، خر ١٤: ٧.

هذا لو اقتنعنا انها صحيحة. ولا يمكننا القول بانه ربما لم يغرق من جند فرعون سوى نفر قليل ما دام العهد القديم يؤكد ان المياه رجعت «فغطت مراكب جيش فرعون كله وفرسانه الداخلين وراءهم في البحر ولم يبق منهم احد»(٧٦).

واستنادا الى عملية حسابية بسيطة قائمة على افتراض، ربما كان خاطئاً، حاول الدبس أن يؤكد ما ورد في العهد القديم، فقال: دخل بنو اسرائيل الى مصر في عهد يعقوب وكانوا ٦٧ ذكرا، ومكثوا هناك ٤٣٠ عاما. فاذا اعتبرنا ان ذرية الذكر الواحد في هذه المدة تبلغ ٢٤٥٧٦ نسمة، فتكون ذرية ٦٧ نكرا هي: ١٦٤٦٥٩٢ نسمة، فاذا أسقطنا من هذا العدد نصفه (عدد النساء)، كان الباقي ٨٢٣٢٩٦ نسمة، واذا اسقطنا ربع الناتج (وهو عدد الأطفال والشيوخ)، كان الباقي، وهم الرجال القادرون على حمل السلاح ٦١٧٤٧٢ رجلا، وهذا ما ورد في العهد القديم عن عدد الرجال القادرين على حمل السلاح والذين خرجوا مع موسى(٧٧). الا انه لا يمكننا الاعتماد على حسابات نظرية كهذه الحسابات، لكي نؤكد صحة ما جاء في العهد القديم.

لا بد، اذن، من ان نتشبث بالسؤال الذي سبق أن طرحه بريتشارد: هل كان هناك اكثر من موجة من الهجرات العبرانية من مصر الى بلاد كنعان؟ وكذلك بالاحتمال الذي افترضه كل من بريتشارد وبارنافي: موجات من الهجرة متعددة، احداها تلك التي تمت بقيادة موسى. ولا نرى حلا آخر لمشكلة العدد الضخم الذي يستحيل، عمليا، تنفيذه بالشكل الذي ورد في العهد القديم، وهكذا تصبح العملية الحسابية المذكورة آنفا، والتي أوردها الدبس (نقلا عن العالم فلأس) فرضية محتملة.

وهناك تساؤل آخر لا بد من طرحه: اذا كان من المستحيل ان يعبر مليونان من بني اسرائيل مع أبقارهم ومواشيهم ومركباتهم، البحر خلال ما يقارب العشر ساعات، مهما كانت المساحة التي انفرجت من البحر لكي يعبروا، فكيف يمكن ان يغرق، في لجة هذا البحر، ما مقداره، بحسب رواية العهد القديم، مليون وسبعماية ألف حصان وستماية مركبة، على كل حصان فارس، وعلى كل مركبة طاقم كامل (ثلاثة رجال على الأقل)، فيكون مقدار ما جمع فرعون من رجال في جيشه: ١٧٠٠٠٠٠ رجل، ما عدا الستماية

---

(٧٦) م. ن. خر ١٤: ٢٨.

(٧٧) الدبس المصدر السابق، ج ٢: ١١٠ ـ ١١١، وقد استند الدبس في حساباته هذه الى عالم يدعى (فلأس) كان قد نشر مقالة بهذا الصدد بعنوان (في الشعوب القدماء) طبعت في امستردام بهولندا عام ١٧٦٩.

مركبة ورجالها، وكم يلزم فرعون من الوقت لكي يجمع هذا الجيش؟ ولماذا لم تترك هذه المجزرة الرهيبة أي أثر يستدل منه الباحثون على صدق هذه الرواية؟ وتاريخ مصر زاخر بآثار الفراعنة من كل جيل؟

يبقى، في ختام البحث، ان نشير الى رأي لايان ولسون، حيث يقول: «حكاية التوراة عن خروج بني اسرائيل من مصر... تظل حكاية مراوغة للغاية، ومفتقرة الى أي سند وثائقي يبرر النظر اليها كسرد حقيقي لوقائع حدثت فعلا»[٧٨]. وكيف لا تكون هذه الأحداث مفتقرة الى سند وثائقي حقيقي ما دام تاريخ مصر برمته، وقد سُجل بأدق تفاصيله منذ أربعة آلاف سنة، لم يأت على ذكر هذه الأحداث من قريب او بعيد، كأن لم يكن في تاريخ مصر موسى وعبرانيون، رغم ان سجلات تاريخ مصر، منذ أقدم العصور «اكتظت بأدق التفاصيل حتى عن أصغر الأشياء المتعلقة بطريقة حياة المصريين وما حدث لهم منذ ٤٠٠٠ عام»، كما يقول ولسون؟[٧٩] كما لم تسجل هذه الأحداث في أي تاريخ آخر من تواريخ الأمم والشعوب في ذلك الحين، وخصوصاً تلك الامم التي «أثارت مصر فضول شعوبها، واهتمام حكامها ومؤرخيها» ومنها اليونان التي «انشغلت بمصر وثقافتها وديانتها وأحداث تاريخها»؟[٨٠].

---

(٧٨) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٢٠٤ نقلا عن «ايان ولسون، الخروج» (Wilson, Yan, Exodus).

(٧٩) م. ن. ص. ن. نقلا عن ايان ولسون كذلك.

(٨٠) م. ن. ص ١٩٧.

خارطة رقم ١ : الخروج من مصر



مسار الخروج من مصر عبر طريق البرية وفقاً لنصوص العهد القديم	بنو إسرائيل في التيه
مسار الخروج من مصر عبر طريق الساحل وفقاً لآراء بعض الباحثين	مسارات محتملة لبني إسرائيل بعد التيه :
مسار بعثة التجسس الى أرض كنعان	عبر مسالك شمال ادوم وفقاً لنصوص العهد القديم
المنطقة المفترضة لتجمع بني إسرائيل قبل التيه	عبر مسالك جبال السراة وفقاً لآراء بعض الباحثين
	٠ ٣٠ ٦٠ كم

الفصل الثاني

التيه في سيناء

المسير من بحر القصب (القلزم) الى برية سين:

بعد ان خرج بنو اسرائيل من بحر القصب (القلزم) اجتمعوا في الصحراء في مكان يدعى «عيون موسى»[1] ومنه انطلقوا في «برية شور» حيث ساروا ثلاثة أيام حتى انتهوا الى «مارة» وهي عين ماؤها مرّ جاء في العهد القديم ان الرب أطلع موسى على شجرة ما ان وضع من أغصانها في العين حتى حلَت ماؤها فشرب بنو اسرائيل منها[2]. ويذكر الرحالة «فيغورو» ان بني اسرائيل ساروا في هذه الطريق، من «عيون موسى» الى «مارة» على ساحل البحر الأحمر ولمسافة ثمانين كلم، لمدة ثلاثة أيام، ومنها ساروا الى «أيليم» حيث يوجد «اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فخيموا هناك عند المياه»[3]. ومن «أيليم» انتقل بنو اسرائيل الى «برية سين» التي بين «أيليم وسيناء» فوصلوها في «اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني» لخروجهم «من أرض مصر»[4].

ولكن المؤرخ «الدبس» يرى ان بني اسرائيل انتقلوا من «أيليم» أي (وادي غرندل) الى «وادي طيبة» على مسافة ٣٥ كلم من أيليم. ومن «وادي طيبة» الى «برية سين» كان بامكانهم ان يختاروا احدى طريقين:

---

(١) يذكر «الدبس» ان العبرانيين حلوا في هذا الموضع بعد عبورهم البحر الاحمر، وان الرحالة «فيغورو» اكتشف هذا المكان في رحلته بالصحراء في ٨ آذار عام ١٨٨٨، حيث وجد ١٢ نبعاً مالح المياه (الدبس، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٢، ١٢٤ـ١٢٥).

(٢) العهد القديم: خر ١٥: ٢٣ـ٢٥.

(٣) العهد القديم، خر ١٥: ٢٧.

(٤) م.ن. خر ١٦: ١

ـ الأولى: طريق البحر، وهي التي تحاذي ساحل البحر الأحمر لعدة كيلومترات، ثم تصعد «بوادي فيران» نحو الجبل.

ـ والثانية: طريق الشمال، وهي التي تذهب من «وادي طيبة» جنوبا بشرق الى الطرف الغربي للموضع المعروف «بدبة الرملة» الى ان يتصل بالطريق الأولى.

ويجمع علماء البعثة الانكليزية التي زارت هذه المنطقة عام ١٨٦٩، برئاسة هنري بالمر، ان بني اسرائيل سلكوا الطريق الأولى «لسهولة مسلكه ووجود الماء فيه» رغم ان الثانية أقرب الى «برية سين»[٥]. (انظر الخارطة رقم ١).

التعبئة العسكرية:

في «اليوم الأول من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر»[٦] أمر الرب بتعبئة المقاتلين من بني اسرائيل «بعشائرهم وبيوت آبائهم، بعدّ أسماء الذكور رأسا رأسا، من ابن عشرين فصاعدا، كل من يخرج الى الحرب»[٧]، فعمد موسى يعاونه هارون، الى تقسيم بني اسرائيل، «بحسب جيوشهم»[٨] وفقا لما أمره الرب، فوزع مقاتليهم على أسباطهم، من كل سبط جيش، وجعل لكل سبط رئيسا هو «رب بيت آبائه»[٩] فكانت تعبئة المقاتلين كما يلي:

(جدول رقم ١)

السبط	الرئيس (رؤساء الوف اسرائيل)	عدد المقاتلين
١ـ راوبين	اليصور بن شَدَيْؤور	٤٦٥٠٠
٢ـ شمعون	شَلوموئيل بن صور يشَدّاي	٥٩٣٠٠
٣ـ يهوذا	نحشون بن عمّينا داب	٧٤٦٠٠
٤ـ يسّاكر	نثنائيل بن صُوعَر	٥٤٤٠٠
٥ـ زبولون	اليآب بن حيلون	٥٧٤٠٠
٦ـ افرائيم	اليشا ماع بن عميّهود	٤٠٥٠٠
٧ـ منسّى	جمليئيل بن فدهصور (من بني يوسف)	٣٢٢٠٠
٨ـ بنيامين	أبيدان بن جدعوني	٣٥٤٠٠
٩ـ دان	أحيعازر بن عميشَدّاي	٦٢٧٠٠
١٠ـ أشير	فجعيئيل بن عُكران	٤١٥٠٠
١١ـ جاد	الياساف بن دَعوئيل	٤٥٦٥٠
١٢ـ نفتالي	أحيرَع بن عَينان	٥٣٤٠٠
		٦٠٣٥٥٠ مقاتلاً[١٠]

(٥) الدبس، م.ن. جـ٢: ١٢٧.
(٦) العهد القديم، عد١: ١.
(٧) م.ن. عد ١: ٢و٣.
(٨) م.ن. عد١: ٣.
(٩) م.ن. عد ١: ٤ وكان الأسباط متفرعين الى عشائر، والعشائر الى بيوت. (العهد العتيق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، الحواشي، ص٥).
(١٠) م.ن. عد١: ٥ـ١٥.

أي: ستماية ألف وثلاثة آلاف وخمسماية وخمسون مقاتلا[١١]، باستثناء «اللاويين» الذين أوكل اليهم أمر خدمة «مسكن الشهادة، وجميع أمتعته، وكل ما له»[١٢].

ثم وزع موسى الجيوش حول خيمة الموعد (أو خباء المحضر او خيمة الاجتماع)[١٣] وعيّن لكل جيش موقعا او «مخيما»، وراية خاصة به، فكان توزيع تلك الجيوش حول خيمة الموعد او بيت الرب كالآتي:

١ـ من الجهة الشرقية:

ـ مخ يم يهوذا، والى جانبه: يسّاكر، ثم زبولون، والمجموع: ١٨٦٤٠٠ مقاتلاً يرحلون في الطليعة[١٤] بحسب راياتهم.

٢ـ من الجهة الجنوبية:

ـ مخيم رأوبين، والى جانبه: شمعون، ثم جاد، والمجموع: ١٥١٤٥٠ مقاتلاً، ويرحلون بعد يهوذا[١٥] بحسب راياتهم.

٣ـ من الجهة الغربية:

ـ مخيم أفرائيم، والى جانبه: منسى، ثم بنيامين، والمجموع: ١٠٨١٠٠ مقاتل، ويرحلون بعد رأوبين[١٦] بحسب راياتهم.

٤ـ من الجهة الشمالية:

ـ مخيم دان، والى جانبه: أشير، ثم نفتالي، والمجموع، ٥٢٤٠٠ مقاتل ويرحلون في الأخير بحسب راياتهم[١٧].

---

(١١) م. ن. عد ١: ٢٠ـ٤٦.

(١٢) م. ن. عد ١: ٥٠. ومسكن الشهادة هو «تابوت الشهادة» الذي كانت فيه لوحة الشريعة الالهية المسمّاة «شهادة» (العهد العتيق، الحواشي، ص ٤). ويسمى ايضا «تابوت العهد» (انظر: عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(١٣) م. ن. عـ٢: ٢ وخيمة الموعد (او خباء المحضر او خيمة الاجتماع) هي الخيمة التي أقامها موسى في البرية لكي يسكن الله فيها بين شعبه (خر ٢٥: ٨ و٩) ولذا سميت «المسكن» او «مسكن الشهادة» اذ كانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة، كما أطلق عليها اسم «بيت الرب» (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٥٢).

(١٤) العهد القديم، عد٢: ٣ـ٩.

(١٥) م. ن. عد٢: ١٠ـ١٦.

(١٦) م. ن. عد٢: ١٨ـ٢٤.

(١٧) م. ن. عد ٢: ٢٥ ـ ٣١.

ويكون مخيم «اللاويين» في الوسط، حول «خيمة الموعد» حيث يرحلون معها «في وسط سائر المخيمات» أي بين رأوبين وأفرائيم[١٨].

وكان موسى وهارون قد أحصيا اللاويين فبلغوا ٢٢٢٧٣ ذكرا من ابن شهر فصاعدا[١٩]، وقد وزعوهم بحسب عشائرهم، حول «خيمة الموعد» على الشكل التالي:

١ـ من الجهة الغربية (وراء المسكن):

ـ عشيرتا جرشون، وعددهما ٧٥٠٠ ذكر، وتحرسان «مسكن الخيمة وغطاءها وستار باب خيمة الموعد وستائر الفناء، وستارة باب الفناء الذي حول المسكن وحول المذبح»[٢٠].

٢ـ من الجهة الجنوبية (الجانب الجنوبي للمسكن):

ـ عشائر القهاتيين، وعددها ٨٦٠٠ ذكر، وتحرس «التابوت والمائدة والمنارة والمذابح وأمتعة المقدس التي يخدمون بها والحجاب وجميع لوازمه»[٢١].

٣ـ من الجهة الشمالية (الجانب الشمالي للمسكن):

ـ عشيرتا مراري، وعددهما ٦٢٠٠ ذكر، وتحرسان «ألواح المسكن وعوارضه وأعمدته وقواعده وجميع أمتعته ولوازمه، وأعمدة الفناء التي حواليه وقواعدها وأوتادها وحبالها»[٢٢].

٤ـ من الجهة الشرقية (أمام المسكن، تجاه خيمة الموعد):

ـ موسى وهارون، وبنو هارون، ويحرسون المَقدِس «وأيٌّ غيرهم تقدّم فليُقتل»[٢٣].

---

(١٨) م.ن. عد٢: ١٧.

(١٩) م.ن. عد٣: ٤٣.

(٢٠) م.ن. عد٣: ٢٥ـ٢٦.

(٢١) م.ن. عد٣: ٢٨ـ ٣١.

(٢٢) م.ن. عد٣: ٣٣ـ ٣٧.

(٢٣) م.ن. عد٣: ٣٨.

ولم يكتف موسى باحصاء ذكور اللاويين جميعهم، بل أحصى القادرين منهم على الخدمة العسكرية «من ابن ثلاثين سنة فصاعدا الى ابن خمسين سنة.. كل من يدخل الجيش ليعمل في خيمة الموعد»[٢٤] فبلغوا ٨٥٨٠ رجلا، موزعين كما يلي:

- عشائر القهاتيين: ٢٧٥٠ رجلا.
- عشائر بني جرشون: ٢٦٣٠ رجلا.
- عشائر بني مراري: ٣٢٠٠ رجل[٢٥].

ويبدو ان تعديلا طرأ، فيما بعد، على خدمة اللاويين في خيمة الموعد، اذ أبلغ الرب موسى، بصددهم، حكما جديدا جاء فيه: «هذا شأن اللاويين: من سن خمس وعشرين سنة فصاعدا يدخل اللاوي الجيش لخدمة خيمة الموعد. ومن خمسين سنة يخرج من جيش الخدمة فلا يخدم بعد ذلك. ويساعد اخوته في خيمة الموعد على حفظ الاحكام، ولكنه لا يتولى خدمة. هكذا ترسُم في أمر واجبات اللاويين»[٢٦]. وكانت اشارة الاقامة والارتحال لبني اسرائيل هي تلك الغمامة التي كانت تظلل «مسكن الشهادة» او «خيمة الموعد»، يقيمون حيث حلت ويرتحلون خلفها الى حيث تنتقل[٢٧]. وكانت تشكل، في منظرها، فوق المسكن، غمامة في النهار ونارا في الليل[٢٨]، واذا ارتحل الشعب، كان الرب يسير أمامه «نهارا في عمود من غمام ... وليلا في عمود من نار»[٢٩].

رموز النداءات:

وكان لا بد من رموز يضعها موسى لكي يستطيع ان يجمع اليه شعبه او يدعو اليه رؤساء هذا الشعب او قادة الجيوش، او لينقل اليهم اشارة المسير، فصنع «بوقين من فضة» وحدد الرموز التالية:

---

(٢٤) م.ن. عد ٤: ٣و٢٣! و٣٠ و٣٩ و٤٣.

(٢٥) م.ن. عد ٤: ٣٦ و٤٠ و٤٤.

(٢٦) م.ن. عد٨: ٢٤ـ٢٦.

(٢٧) م.ن. عد ٩: ١٧ـ٢٢.

(٢٨) م.ن. عد٩: ١٥ـ١٦.

(٢٩) م.ن. خر ١٣: ٢١

١ـ النفخ في البوقين: اجتماع الجماعة.

٢ـ النفخ في احدهما: اجتماع الرؤساء (رؤساء الالوف).

٣ـ نفخة هتاف أولى: رحيل الأسباط النازلة في الجهة الشرقية.

٤ـ نفخة هتاف ثانية: رحيل الأسباط النازلة في الجهة الجنوبية.

٥ـ هتاف الأبواق: نداء الحرب.

٦ـ النفخ في الأبواق: للأفراح والأعياد.

وقد عين الكهنة للنفخ في الأبواق، كما حدد اجتماع الجماعة (وكذلك الرؤساء) عند باب خيمة الموعد[٣٠].

المسير من برية سين الى برية فاران:

في العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر، رحل بنو اسرائيل من «برية سيناء» الى «برية فاران» وساروا بالترتيب التالي:

١ـ راية مخيم يهوذا، في الطليعة، وخلفها:

ـ جيش بني يهوذا، وعليه نحشون بن عميّناداب.

ـ جيش بني يسّاكر، وعليه نثنائيل بن صَوعر.

ـ جيش بني زبولون، وعليه أليآب بن حيلون.

٢ـ ثم راية مخيم رأوبين، وخلفها:

ـ جيش بني رأوبين، وعليه أليصور بن شَدَيْؤور.

ـ جيش بني شمعون، وعليه شَلوموئيل بن صوريشَدّاي.

ـ جيش بني جاد، وعليه ألياساف بن دعوئيل.

٣ـ ثم القهاتيون من اللاويين، وهم خدمة المسكن، في الوسط.

---

(٣٠) م.ن. عد ١٠: ٢ـ ١٠.

٤ـ ثم راية مخيم بني أفرائيم، وخلفها:

- جيش بني أفرائيم، وعليه أليشاماع بن عميهود.
- جيش بني منسى، وعليه جمليئيل بن فدهصور.
- جيش بني بنيامين، وعليه ابيدان بن جدعوني.

٥ـ ثم راية مخيم بني دان، في الساقة، وخلفها:

- جيش بني دان، وعليه أحيعازر بن عميشداي.
- جيش بني أشير، وعليه فجعيئيل بن عُكران.
- جيش بن نفتالي، وعليه أحيرع بن عينان(٣١).

سار بنو اسرائيل، بالترتيب المذكور أعلاه، من «برية سين» فنزلوا «بدفقة» ومنها الى «ألوش» ثم «رفيديم»(٣٢).. ويذكر «الدبس» ان رفيديم القديمة تقع في «وادي فيران»(٣٣) وهذا ما لم يذكره أي مصدر آخر، الا اننا نميل الى الأخذ به، خصوصاً وان علماء البعثة الانكليزية (المار ذكرها آنفا) يرون الرأي نفسه(٣٤).

ومن رفيديم انتقل بنو اسرائيل الى برية سيناء ومنها الى «قبروت هتأوه» (او قبور الشهوة)(٣٥) فحصيروت حيث أقاموا هناك(٣٦) فترة من الزمن انتقلوا بعدها الى «برية فاران» في «قادش»(٣٧) حيث أرسل موسى جواسيس لاستكشاف ارض كنعان(٣٨).

بعثة التجسس الى ارض كنعان: (أنظر الخارطة رقم ١).

ما ان وصل موسى الى برية فاران حتى أعد بعثة وأرسلها الى أرض كنعان للتجسس

---

(٣١) العهد القديم، عد ١٠: ١٤ـ ٢٧.

(٣٢) حيث جرت المعركة بين العبرانيين والعمالقة.

(٣٣) المصدر السابق، جـ٢: ١٣٢، ووادي فيران تعني (محل الراحة)، (م. ن. جـ٢: ١٣٢).

(٣٤) م. ن. جـ٢: ١٣٢.

(٣٥) سميت «قبور الشهوة» لان فيها مدافن العبرانيين الذين جاعوا واشتهوا اللحم فانزل الرب عليهم المن والسلوى ولكنه غضب عليهم فضربهم «ضربة عظيمة جدا» (العهد القديم، عد ١١: ٣٣ و٣٤).

(٣٦) العهد القديم، عد ١١: ٣٥.

(٣٧) م. ن. عد ١٣: ١ و٢٧.

(٣٨) م. ن. عد ١٣: ٣ و٤.

والاستطلاع، وكانت هذه البعثة مؤلفة من رجل واحد من كل سبط من أسباط اسرائيل، وهم:

- شمّوع بن زكور من سبط رأوبين.

- شافاط بن حوري من سبط شمعون.

- كالب بن يفُنّا من سبط يهوذا.

- يجال بن يوسف من سبط يسّاكر.

- هوشع بن نون من سبط أفرائيم.

- فَلْطي بن رافو من سبط بنيامين.

- جدّ ينيل بن سودي من سبط زبولون.

- خدّي بن سوسي من سبط منسّى.

- عمّيئيل بن جملّي من سبط دان.

- ستور بن ميكائيل من سبط أشير.

- نَحبي بن وَفْسي من سبط نفتالي.

- جأوئيل بن ماكير من سبط جاد.

وسمى عليهم هوشع بن نون (او يشوع)، رئيسا، ثم أوصاهم قائلا: «اصعدوا من النقب، تصعدون من الجبل، فتروا الارض، كيف هي؟

«- والشعب المقيم بها، أقوي هو أم ضعيف؟ أقليل هو أم كثير؟

«- وكيف الارض التي هو ساكنها، أجيدة هي ام رديئة؟

«- وما المدن التي هو ساكنها، أمخيمات هي أم حصون؟

«- وكيف الأرض، أمخصبة ام عقيمة؟ افيها شجر أم لا؟

- وتشددوا، وخذوا من ثمرها»[٣٩]؟

---

(٣٩) م.ن. عد ١٣: ٢ و١٧ و٢٠.

وكان الوقت صيفا، وكانت الأيام «ايام بواكير العنب»[٤٠]، فسارت البعثة «من برية صين الى رحوب عند مدخل حماة»[٤١]، وصعدت من النقب الى «حبرون» حيث كانت هناك عشيرة تدعى «بني عناق»[٤٢]، ثم هبطت البعثة الى «أشكول»، حيث قطعت عنقودا من عنب المحلة «مع شيء من الرمان والتين» وحملته في طريق عودتها الى حيث أتت، الى «برية فاران في قادش»[٤٣] ودامت رحلتها اربعين يوما[٤٤].

بنو اسرائيل في التيه:

لما وصلت البعثة حيث هو موسى وأخوه هارون وشعب بني اسرائيل في «برية فاران» التقتهم وافادتهم بما رأت في أرض كنعان، فقالت انها رأت أرضا تدرّ حقيقة «لبنا، حليبا وعسلاً» وأرتهم ثمرها من عنب ورمان وتين[٤٥]، وقالت ان شعب هذه الأرض قوي ويسكن مدنا «محصنة عظيمةً جدا»[٤٦]، وان فيها:

- العمالقة، ويقطنون في جنوب البلاد.

- والحثيين واليبوسيين والأموريين، ويقطنون الجبال.

- والكنعانيين، ويقطنون ساحل البحر «وعلى ضفة الأردن»[٤٧].

وقد انقسمت البعثة، في الرأي، الى قسمين: واحد يرى ان من السهل احتلال البلاد والتغلب على أهلها وامتلاكها، وكان كالب بن يفنا، مبعوث سبط يهوذا، ويشوع بن نون،

---

(٤٠) م.ن. عد ١٣: ٢٠.

(٤١) م.ن. عد ١٣: ٢١.

(٤٢) العهد القديم، عد ١٣: ٢٢. وبنو عناق، قوم كانوا يسكنون جنوب فلسطين، بين القدس والخليل، قبل غزو العبرانيين لأرض كنعان. (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٦٤٢).

(٤٣) العهد القديم، عد ١٣: ٢٦.

(٤٤) م.ن. عد ١٣: ٢٥.

(٤٥) م.ن. عد ١٣: ٢٧.

(٤٦) م.ن. عد ١٣: ٢٨.

(٤٧) م.ن. عد ١٣: ٢٩.

مبعوث سبط أفرائيم، من هذا الرأي، أما الباقون فكانوا يرون صعوبة ذلك معتبرين ان من الصعب التغلب على أهل تلك البلاد لانهم «أقوى منا»[٤٨] وان هذه الأرض «تأكل أهلها» وان أصحابها «جبابرة» وان بني اسرائيل في عيونهم «كالجراد»[٤٩]. ولكن شعب بني اسرائيل رفض المغامرة، وأبى ان يخوض حربا مع أهل تلك الأرض، خصوصا بعد ان سمع من رجال البعثة مبلغ قوتهم وجبروتهم، وارتفعت أصوات الجماعة تقول لموسى وهارون: «يا ليتنا متنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية، لماذا اتى الرب بنا الى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر»، بل انهم تنادوا لاقامة رئيس عليهم والعودة الى مصر[٥٠]. وحاول موسى وهارون، وكالب ويشوع، اقناع الجماعة بخطأ رأيها، وبان الرب سيقاتل مع بني اسرائيل وينصرهم، ولكن عبثا حاولوا، فكان القرار الخطير الذي اتخذه الرب بافناء كل الجيل الذي خرج من مصر، من «ابن عشرين سنة فصاعدا»، باستثناء كالب ويشوع،[٥١] وقضى عليهم ان يتيهوا في البرية أربعين سنة... «بعدد الايام التي استطلعتم الأرض فيها، وهي أربعون يوما، كل يوم بسنة تحملون آثامكم اربعين سنة فتعرفون عدائي»[٥٢]. وأما رجال البعثة الذين ثبطوا عزائم الجماعة وحرضوها على عدم القتال ورفض مشيئة الرب وعصيان موسى وهارون فقد ماتوا «بضربة امام الرب»[٥٣]، أما كالب بن يفنا ويشوع بن نون فقد بقيا[٥٤]. وهكذا قضي على بني اسرائيل ان يتيهوا في البرية أربعين عاما حتى يفنى الجيل الذي خرج من مصر مع موسى وهارون، ولا يدخل أرض كنعان الا أطفال ذلك الجيل «الذين قلتم انهم يصيرون غنيمة، ايام أدخل الأرض التي رذلتموها، وهم سيعرفونها»[٥٥] فظلوا طوال هذه الفترة كلها تائهين في برية سيناء وفاران «يترددون حوالى جبال السراة وأرض ساعير وأرض بلاد الكرك والشوبك»[٥٦] وقد ضعدوا جبال العمالقة والكنعانيين

---

(٤٨) م.ن. عد ١٣: ٣١.
(٤٩) م.ن. عد ١٣: ٣٢ـ ٣٣.
(٥٠) م.ن. عد ١٤: ٢ـ ٤.
(٥١) م.ن. عد ١٤: ٢٩ـ ٣٠.
(٥٢) م.ن. عد ١٤: ٣٣ـ ٣٤.
(٥٣) م.ن. عد ١٤: ٣٧.
(٥٤) م.ن. عد ١٤: ٣٨.
(٥٥) م.ن. عد ١٤: ٣١.

فقاتلهم العمالقة والكنعانيون وهزموهم، و«حطموهم» وطاردوهم حتى «حرمة»[٥٧] وقد مات في التيه من جاوز العشرين عاما، فلم يدخل أحد منهم أرض كنعان (انظر الخارطة رقم ١).

كان موسى قد سلك، للوصول الى برية فاران، طريق: قبور الشهوة (او قبروت هتاوه) - حصيروت (او حضيروت) - عصيون جابر، حتى اذا ما وصل الى برية فاران، أرسل بعثة للتجسس الى ارض كنعان. وما ان عادت هذه البعثة من مهمتها، وبعد أربعين عاماً من التيه، تابع موسى ارتحاله ببني اسرائيل، فاجتاز «برية فاران» الى «برية صين»، ووصل الى قادش التي تقع على تخوم البريّتين، او ضمن حدود إحداهما[٥٨].

وفي قادش ضرب موسى الصخرة بعصاه فتفجرت ماء سقى منها الشعب والبهائم، فغضب الرب عليه لأنه كان قد أمره ان يكلم الصخرة لكي تتفجر الماء منها، لا ان يضربها بالعصا (كما فعل في رفيديم)، وقرر الرب، لذلك، ان لا يُدخل موسى وهارون «هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتها أياها»[٥٩].

تقع قادش على تخوم أدوم، مملكة الأدوميين التي تقع بين برية صين وأرض كنعان، لذا، أرسل موسى، من قادش، رسلا الى ملك أدوم يطلب منه اجازة للمرور في أرضه مع بني اسرائيل، ويعده بان «لن نمر بحقل ولا كرم، ولن نشرب ماء بئر، لكننا نسير في طريق الملك، ولن نميل يمنة ولا يسرة الى ان نعبر حدودك»[٦٠]. ولكن ملك الأدوميين رفض طلب

---

(٥٦) ابن خلدون، تاريخه جـ٢: ١٦٢. وقد ورد في القرآن الكريم آيات تؤكد تيه بني اسرائيل في البرية طيلة اربعين عاما، كقوله تعالى: «قالُوا يا مُوسَى إنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وإنَّا لَن نَدْخُلَها حتَّى يَخْرُجُوا مِنْها. فإن يَخْرُجُوا مِنْها فإنَّا داخِلُونَ»، وقوله: «قالوا يا موسى إنَّا لن نَدْخُلَها أبداً مَا دَامُوا فِيهَا فاذهَبْ أنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هَهُنا قاعِدُونَ ۞ قالَ رَبِّ إنّي لا أمْلِكُ إلَّا نَفْسِي وَأخِي فافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ القَوْمِ الفاسِقِينَ ۞ قال فإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أربَعِينَ سَنَةً يَتِيهونَ فِي الأرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ» (المائدة ٥ / ٢٢ و٢٤ و٢٥ و٢٦).

(٥٧) العهد القديم، عد ١٤: ٤٥.

(٥٨) ذكر العهد القديم ان «قادش» كانت تقع في البريتين: برية فاران (عد ١٣: ٢٧). وبرية صين (عد ٢٠: ١) معا، وذكر عبد الملك انها كانت «ضمن حدود» برية صين، «جزءا من برية فاران» او «حدا» بين البريتين (عبد الملك، المصدر السابق ص ٥٦٧). لذا، يصعب على الباحث ان يحدد الموقع الذي أرسل منه موسى بعثة التجسس: هل أرسلها من «برية فاران» بعد وصوله الى عصيون جابر، ام انه ارسلها من قادش؟

وهل تقع قادش في برية صين أم بين البريتين؟

(٥٩) العهد القديم، عد ٢٠: ١٢.

موسى وهدده بالقتل ان هو فعل، مما اضطر موسى الى ان يتحول عن ذلك ويميل الى «جبل هور» عند تخوم أرض أدوم ايضا. وأمر الرب موسى ان يأخذ أخاه هارون الى قمة الجبل لكي «ينضم الى قومه ويموت هناك» ومات هارون عن ماية وثلاثة وعشرين عاما، ودفن على قمة جبل هور «وبكى عليه جميع اهل اسرائيل ثلاثين يوما»[٦١].

موقعة عرّاد:

وكان ملك عرّاد، وهو كنعاني، قد علم بقدوم بني اسرائيل على طريق أتاريم واقترابهم من مملكته، فهب لمقاتلتهم، حيث قاتلهم، فهزموه وسبوا مدينته «عرّاد» وحرّموا (قتلوا) أهلها، وسموها «حُرَمة»[٦٢].

وارتحل موسى، بعد ذلك، من جبل هور «على طريق بحر القصب» ليدور بشعبه «حول أرض أدوم»[٦٣]، فسار الى «أوبوت» ومنها الى «عابي عباريم» تجاه مواب، ثم الى «وادي زارد» حيث خيّم خلف أرنون، في البرية، خارج حدود الأموريين «لأن أرنون هي حدود مواب، بين مواب والأموري»[٦٤]. ومنها انتقل ببني اسرائيل الى «البئر» ثم الى «المتّانة» فنحليئيل فباموت فرأس الفِسجَة «الذي يشرف على البرية»[٦٥] على تخوم الأموريين.

وعندما وصل موسى الى «رأس الفِسجَة» أرسل رسلا الى سيحون ملك الأموريين يطلب منه اجازة للمرور في أرضه مع بني اسرائيل، ويعده بان «لا نميل الى حقل ولا كرم، ولا نشرب ماء بئر، وانما نسير في طريق الملك الى ان نعبر حدودك»[٦٦] ولكن سيحون رفض طلب موسى، بل انه خرج اليه وحاربه فانهزم امام بني اسرائيل الذين ورثوا أرضه

---

(٦٠) العهد القديم، عد ٢٠: ١٧.

(٦١) العهد القديم، عد ٢٠: ٢٦ و٢٩.

(٦٢) العهد القديم، عد ٢١: ٣.

(٦٣) م. ن. عد ٢١ـ ٤.

(٦٤) م. ن. عد ٢١: ١٠ـ ١٣.

(٦٥) العهد القديم، عد ٢١: ١٦ـ ٢٠.

(٦٦) العهد القديم، عد ٢١: ٢١ـ ٢٢.

«من أرنون الى يبّوق الى بني عمّون»[٦٧] وكانت حدود بني عمّون منيعة فلم يقترب منها موسى، بل اكتفى بان أخذ مدن الأموريين، وأهمها عاصمتهم «حشبون» وجميع توابعها. وكان سيحون قد حارب الموابيين واستولى على ارضهم حتى أرنون، فآلت جميع هذه الأرض، بما فيها أرض مواب، الى اسرائيل[٦٨]. ثم احتل بنو اسرائيل يعزيز التي كانت لا تزال للأموريين[٦٩] ثم سلكوا طريق باشان فتصدى لهم عوج، ملك باشان، مع قومه في أدرعي، فهزموه وملكوا أرضه[٧٠].

ثم تقدموا بعدها الى صحراء مواب «التي عبر اردن اريحا» فنزلوا فيها[٧١]، وأقاموا لهم مخيما في «شطّيم» في سهول مواب، حيث «أخذ الشعب يزني مع بنات مواب»[٧٢]. (انظر الخارطة رقم ١).

وفي شطّيم، أمر الرب موسى بان يجري إحصاء جديدا لبني اسرائيل «من ابن عشرين فصاعدا، على حسب بيوت آبائهم، كل من يخرج الى القتال من اسرائيل»[٧٣]، فأجرى موسى الاحصاء الثاني لبني اسرائيل، وساعده في ذلك الكاهن العازار، ابن اخيه هارون، فكان عدد رجال بني اسرائيل كما يلي:

أما اللاويون، خَدَمة المسكن، فقد احصوا الذكور منهم «كل ذكر من ابن شهر فصاعدا» فكان عددهم ٢٣ الف ذكر[٧٤]. «أولئك محصو موسى والعازار الكاهن اللذين أحصيا بني اسرائيل في عربة مواب على أردن أريحا، ولم يكن فيهم أحد ممن أحصاهم موسى وهارون الكاهن حين أحصيا بني اسرائيل في برية سيناء، لان الرب قال انهم يموتون في البرية، فلم يبق منهم أحد إلا كالب بن يَفُنّا ويشوع بن نون»[٧٥].

---

(٦٧) م.ن. عد ٢١: ٢٣ـ٢٤.

(٦٨) العهد القديم، عد ٢١: ٢٤: ٢٦.

(٦٩) العهد القديم، عد ٢١: ٣٢.

(٧٠) العهد القديم، عد ٢١: ٣٣ـ٣٥.

(٧١) العهد القديم، عد ٢٢: ١.

(٧٢) العهد القديم، عد ٢٥: ١.

(٧٣) العهد القديم، عد ٢٦: ٢.

(٧٤) م.ن. عد ٢٦: ٦٢.

(٧٥) م.ن. عد ٢٦: ٦٣ـ٦٥.

(جدول رقم ٢)

السبط	العدد (من ابن عشرين سنة فصاعدا)
١ـ رأوبين	٤٢٧٣٠
٢ـ شمعون	٢٢٢٠٠
٣ـ جاد	٤٠٥٠٠
٤ـ يهوذا	٧٦٥٠٠
٥ـ يسّاكر	٦٤٣٠٠
٦ـ زبولون	٦٠٥٠٠
٧ـ منسى	٥٢٧٠٠
٨ـ أفرائيم	٣٢٥٠٠
٩ـ بنيامين	٤٥٦٠٠
١٠ـ دان	٦٤٤٠٠
١١ـ أشير	٥٣٤٠٠
١٢ـ نفتالي	٤٥٤٠٠
	٦٠١٧٣٠ رجلا[٧٦]

غزو مدين:

أعد موسى جيشا من ١٢ ألف مقاتل، ألفاً من كل سبط، لقتال مدين. وأمّر عليه فنحاس ابن الكاهن ألعازار، وسار هذا الجيش الى مدين فقاتل المِدْيَنيّن وهزمهم وفتك بهم فتكا ذريعا، اذ انه:

- قتل كل ذكر فيهم.
- وقتل ملوكهم الخمسة (أوي وراقم وصور وحور ورابع).
- وسبى نساءهم وأطفالهم.
- وغنم بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم.
- وأحرق مساكنهم وقصورهم[٧٧].

(٧٦) م.ن. عد ٢٦: ٥ـ ٥١.

(٧٧) م.ن. عد ٣١: ٣ـ ١٠

ولما عاد الجيش منتصرا، الى قواعده في صحراء مواب (على أردن أريحا)، غضب موسى على قادته «رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من قتال الحرب»[٧٨] لانهم استبقوا الاناث كلهن، وأمرهم ان «اقتلوا كل ذكر من الاطفال، واقتلوا كل امرأة عرفت مضاجعة رجل. وأما اناث الاطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم»[٧٩].

احصاء غنائم الحرب: وأحصيت غنائم حرب موسى مع المدينيين فكانت كما يلي:

ـ من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال	٣٢٠٠٠ انثى
ـ من الغنم	٦٧٥٠٠٠ رأس
ـ من البقر	٧٢٠٠٠ رأس
ـ من الحمير	٦١٠٠٠ رأس[٨٠].

توزيع غنائم الحرب:

القاعدة: تقسم الغنائم بين «أهل الحرب الذين خرجوا للقتال، وسائر الجماعة» ثم يؤخذ من «أهل الحرب الذين خرجوا للقتال، رأس واحد من كل خمسمئة من البشر والبقر والحمير والغنم» وذلك يؤخذ وضيعة للرب ويسلّم للكاهن ألعازار. ثم يؤخذ من سائر الجماعة «من قسمة بني اسرائيل، واحد من خمسين من البشر والبقر والغنم والحمير وسائر البهائم» وتعطى للاويين «المسؤولين عن مسكن الرب»[٨١]. فكان توزيع هذه الغنائم على الشكل التالي:

---

(٧٨) م. ن. عد ٣١: ١٢ـ١٤.

(٧٩) م. ن. عد ٣١: ١٥ و١٧ و١٨.

(٨٠) م. ن. عد ٣١: ٣٢ـ٣٥.

(٨١) م. ن. عد ٣١: ٢٧ ـ ٣٠. وقارن مع الآية الكريمة: «وَٱعْلَموا ان ما غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ وَلِذي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» (الانفال ٨/ ٤١)، واما الأخماس الاربعة الباقية فتوزع على الغانمين، أي المقاتلين، بنسبة سهم للراجل وسهمين للفارس (عند ابي حنيفة) او ثلاثة (عند الشافعي). راجع كتابنا (الفن العسكري الاسلامي، أصوله ومصادره، ص ٥٤).

أ ـ حصة المحاربين	العدد	ضريبة الرب
ـ من البشر (أي النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال)	١٦٠٠٠ نفس	٣٢ نفسا
ـ من الغنم	٣٣٧٥٠٠ رأس	٦٧٥ رأسا
ـ من البقر	٣٦٠٠٠ رأس	٧٢ رأسا
ـ من الحمير	٣٠٥٠٠ رأس	٦١ رأسا[٨٢].

ب ـ حصة سائر الجماعة (بني اسرائيل):	العدد	حصة اللاويين (١/٥٠)
ـ من البشر	١٦٠٠٠ نفس	٣٢٠ نفسا
من الغنم	٣٣٧٥٠٠ رأس	٦٧٥٠ رأسا
ـ من البقر	٣٦٠٠٠ رأس	٧٢٠ رأسا
ـ من الحمير	٣٠٥٠٠ رأس[٨٣]	٦١٠ رؤوس

ج ـ قدّم قادة الجيش «رؤساء الألوف ورؤساء المئات» ما غنموا من ذهب «من حِجْل وسوار وخاتم وقرط وقلادة» قربانا للرب، فكان جملة ما قدموه: ١٦٧٥٠ مثقالا، اما ما غنمه اهل الحرب (من الجند) فقد بقي لهم[٨٤].

خسائر بني اسرائيل: لا شيء «لم يفقد منا رجل»[٨٥].

قضى بنو اسرائيل، في التيه أربعين عاما، بين «برية فاران» و«صحراء مواب». ولم يبق، بعد هذه الفترة، من أولئك الذين عبروا البحر من مصر الى سيناء سوى اثنين هما

---

(٨٢) العهد القديم، عد ٣١: ٣٦ ـ ٤٠.

(٨٣) م.ن. عد ٣١: ٤٢ ـ ٤٧.

(٨٤) م.ن. عد ٣١: ٥٠ ـ ٥٣. والحِجْل، الخلخال، والمثقال، في اصطلاح الصاغة، درهم ونصف.

(٨٥) م.ن. عد ٣١: ٤٩.

كالب بن يَفُنّا ويشوع بن نون، حتى ان هارون قضى على جبل هور «في السنة الاربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر، في الشهر الخامس، في اليوم الأول منه. وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة[٨٦] وتبعه بعد ذلك بقليل، موسى نفسه، حيث قضى على جبل «العباريم» او «نبو» قبل العبور الى ارض كنعان[٨٧] لأن الرب قضى ان يقود بني اسرائيل الى تلك الأرض خليفة موسى «يشوع بن نون»، متهما هارون وموسى بالتقصير في تنفيذ أوامره، وبانهما لم يؤمنا به ولم يقدساه «على عيون بني اسرائيل» لذلك حرمهما من دخول الارض التي أعطاها لشعبهم[٨٨].

(٨٦) م.ن. عد ٣٣: ٣٨ و٣٩.

(٨٧) هل مات موسى قتلا على يد شعبه؟ هذا ما اكتشفه «إ. سيلين E. Sellin» الذي يرى ان اليهود «ثاروا عليه ذات يوم، فقتلوه وتخلوا عن ديانة آتون التي كان قد فرضها عليهم». (Freud, Sigmund, L'Homme Moïse et la religion monothéiste) P. 142.

(٨٨) م.ن. عد ٢٠: ١٢.

الفصل الثالث

العبور الى أرض كنعان

أوامر العبور:

كان بنو اسرائيل في «عربة مواب على أردن أريحا» عندما تلقى موسى، من ربه، أوامر العبور (دون ان يكون له الحق بان يعبر بنفسه الى أرض كنعان، بل هو سوف يموت قبل دخولها)، وكانت تلك الأوامر كما يلي:

- «كلّم بني اسرائيل وقل لهم: اذا أنتم عبرتم الأردن الى ارض كنعان،

- «فطردتم سكان تلك الارض من وجهكم، تزيلون جميع منقوشاتهم وأصنامهم المسبوكة، وتدكون مشارفهم.

- «وتملكون الأرض وتقيمون بها، فاني قد أعطيتكم اياها.

- «ترثون الأرض بالقرعة على حسب عشائركم، الكثير تكثّرون له ميراثه، والقليل تقللون له ميراثه، وحيث تقع القرعة على أحدكم، فليكن له، على حساب أسباط آبائكم تتقاسمون ميراثكم.

- «وإن لم تطردوا سكان تلك الأرض من وجهكم، كان من تُبقون منهم كإبرة في عيونكم وكمهامز في جوانبكم، وهم يضايقونكم في الأرض التي انتم قيّمون فيها، فيكون اني كما نويت ان أصنع بهم أصنع بكم»[1]. وخلاصة هذه الأوامر، ما يلي:

---

(١) العهد القديم، عد ٣٣: ٥٠ ـ ٥٦.

١ـ اغتصاب الأرض، واحتلالها بالقوة.

٢ـ وطرد جميع أهلها وابادتهم وتهديم أملاكهم ومعبوداتهم.

٣ـ وامتلاكها مع توارثها جيلا بعد جيل.

٤ـ وتقسيمها بين أسباط بني اسرائيل بالقرعة، للكثير كثير، وللقليل قليل.

٥ـ وعدم الابقاء على أحد من أهل الأرض فيها، تحت طائلة انزال العقاب نفسه بالباقين منهم، وببني اسرائيل معا.

حدود أرض الميعاد:

يحّد هذه الأرض:

ـ جنوبا، من برية صين، جانب أدوم، من بحر الملح (البحر الميت) شرقا، ثم يستدير حتى جنوْب عقبة العقارب فصين فقادش برنيع فحصر أدار فعصمون، ثم من عصمون الى وادي مصر (او وادي العريش) فالبحر الكبير (المتوسط).

ـ غربا، البحر الكبير (البحر المتوسط).

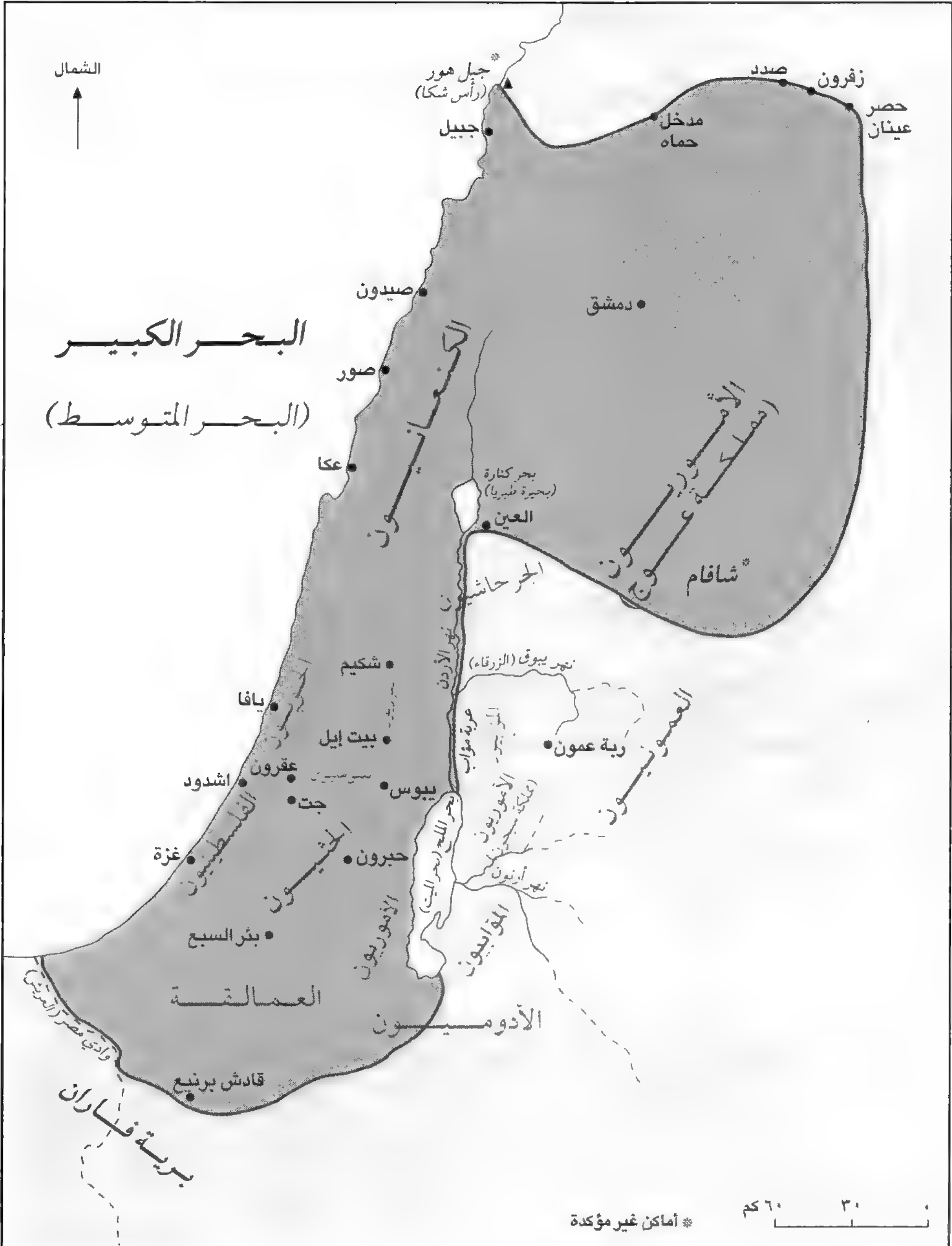
ـ شمالا، من البحر الكبير حتى جبل هور، فمدخل حماة، فصدد، فزفرون، فحصر عينان.

ـ شرقا، من حصر عينان حتى شاقام فَهرَبلة (شرق العين) فبحر كنّارة (بحيرة طبريا)، فنهر الأردن، فبحر الملح (البحر الميت)[٢]. (انظر الخارطة رقم ٢).

---

(٢) م.ن. عد ٣٤: ٣ـ ١٢. وجبل هور: جبل يقع شمال جبيل في لبنان حاليا، (العهد القديم، ص ٢٤٤ حاشية ٣ وعبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٠٥ و Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 47 Map 51. وهو غير جبل هور الواقع شمال شرقي قادش برنيع والمسمى «جبل مديره» حيث مات هارون. وانظر لحدود ارض الميعاد، كذلك: سفر حزقيال ٤٧: ١٣.

خارطة رقم ٣: حدود أرض الميعاد والشعوب التي تقطنها



توزيع ارض الميعاد على أسباط بني اسرائيل:

(١) ـ سبطا جاد ورأوبين ونصف سبط منسى بن يوسف:

أ ـ سبطا جاد ورأوبين: يأخذان مملكة سيحون (ملك الاموريين) ومملكة عوج (ملك باشان)[٣]، وهذه وتلك تقع عبر الأردن شرقا.

ب ـ ماكير بن منسى ويائير بن منسى: يأخذان جلعاد ومزارعها من أرض الأموريين[٤] وتقع كذلك عبر الأردن شرقا. وقد اشترط موسى، لذلك، ان يبقى النساء والأطفال والمواشي في الارض «في مدن جلعاد»، بينما «يعبر منهم (الاردن) كل مجهز للقتال أمام الرب»[٥].

(٢) ـ باقي الاسباط، وهم تسعة أسباط ونصف السبط:

لهم أرض كنعان التي سبق أن جرى تحديدها، ويأخذون فيها ميراثاً «بالقرعة»[٦].

(٣) ـ اللاويون، ويأخذون من ميراث بني اسرائيل «مدنا يسكنونها»، ومراعي للمدن من حولها بحيث «تكون المدن مساكن لهم ومراعيها لبهائمهم وخيراتهم وجميع حيواناتهم»[٧]. أما عدد المدن التي تعطى للاويين فهو ٤٨ مدينة، منها ٦ مدن تكون «مدن ملجأ تعطونها ليهرب اليها القاتل»[٨] الذي «قتل نفسا سهوا.. حتى يقف أمام الجماعة للمحاكمة»[٩]. ويحدد موسى، بعد ذلك، لبني اسرائيل، احكام مقاضاة القاتل اللاجئ الى هذه المدن والعقوبات المحددة لكل حالة[١٠].

---

(٣) العهد القديم، عد ٣٢: ٣٣ ووادي مصر هو وادي العريش، على الحدود بين مصر وفلسطين (م. ن. ص ٢٤٤ حاشية ٢).

(٤) م. ن. عد ٣٢: ٣٩ـ ٤١.

(٥) م. ن. عد ٣٢: ٢٦ـ٢٧.

(٦) م. ن. عد ٣٤: ١٣.

(٧) م. ن. عد ٣٥: ٢و٣.

(٨) م. ن. عد ٣٥: ٦.

(٩) م. ن. عد ٣٥: ١١ـ١٢.

(١٠) م. ن. عد ٣٥: ١٥ـ ٣٤.

وصايا الرب لبني اسرائيل قبل دخولهم ارض كنعان:

تلقى موسى، قبل موته، وصايا الرب التي أمره ان ينقلها لبني اسرائيل، فنقلها اليه كاملة قبل موته. وقد أوصى الرب «اسرائيل»، قبل دخوله أرض كنعان، بما يلي: انك سوف تدخل «مدنا عظيمة حسنة لم تبنها، وبيوتا مملوءة كل خير لم تملأها، وآبارا محفورة لم تحفرها، وكروما وزيتونا لم تغرسها»[11] فاذا دخلت تلك الأرض، وهي أرض «الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أعظم وأكثر منك»[12]، واذا ما تمكنت منهم وهزمتهم، بارادة الرب إلهك، فحرّمهم تحريما، لا تقطع معهم عهدا ولا ترأف بهم، ولا تصاهرهم[13] وسوف «تفترس جميع الشعوب التي يسلمها اليك الرب إلهك، فلا تعطف عينك عليها»[14].

وتزداد حماسة الرب تجاه «اسرائيل» فينبئه انه سيجتاز الاردن لكي يطرد «أمما أعظم وأقوى» منه، ويمتلك مدنها وهي «عظيمة ومحصنة الى السماء»[15]. وان الرب إلهه سوف يعبر أمامه «كنارٍ آكلة، هو يبيدهم وهو يذلهم» أمامه، وان «اسرائيل» سوف يطرد تلك الأمم ويبيدها[16].

ويكون الرب كريما جدا مع بني اسرائيل حين ينبئهم انه سوف يطرد من أمامهم جميع الأمم التي ذكرها لهم، وانه «كل مكان تطأه أخامص أقدامكم انطلاقا من البرية يكون لكم، ولبنان: من النهر، نهر الفرات، الى البحر الغربي، تكون حدودكم. لا يقف انسان في وجوهكم....»[17]، وهكذا نرى رب بني اسرائيل يصر على ان يهبهم أرضا ليست لهم،

---

(١١) م.ن. تث ٦: ١٠ ـ ١١.

(١٢) م.ن. تث٧: ١.

(١٣) م.ن. تث ٧: ٢.

(١٤) م.ن. تث٧: ١٦.

(١٥) م.ن. تث ٩: ١.

(١٦) م.ن. تث ٩: ٣.

(١٧) م.ن. تث ١١: ٢٢ ـ ٢٥ وقد ورد النص بالفرنسية كما يلي: "Tous les endroits où vous poserez le pied seront à vous; Votre pays s'étendra du désert' au sud'jusqu'aux montagnes du Liban, au nord, et de l'Euphrate, le grand fleuve, à l'est, jusqu'à la mer méditerrannée à l'ouest. Personne ne pourra vous résister". (Deutéronome 11: 24 -25) وتعريبه: «كل الاماكن التي تضعون فيها أقدامكم تصبح لكم: تمتد بلادكم من الصحراء، جنوبا، حتى جبال لبنان شمالا، ومن الفرات، النهر الكبير، شرقا، حتى البحر المتوسط غربا. لا يستطيع امرؤ ان يقاومكم».

ارضا تقطنها عدة أمم قبلهم، ويعاهدهم على ان يطرد تلك الأمم من وجوههم وان ينصرهم عليها.

مبادئ عامة في الحرب:

ويحدد رب بني اسرائيل لشعب اسرائيل مبادئ عامة عليه ان يتقيد بها في الحرب، ومن هذه المبادئ:

ـ عدم الخوف من كثرة جيوش الأعداء ومراكبهم وخيلهم، وان كانوا أكثر منه عددا وعدّة، فالرب هو الذي ينصره على تلك الجيوش رغم كثرتها[١٨].

ـ عند الاستعداد للحرب، يقوم الكاهن بوظيفة الواعظ الذي يشجع الشعب على القتال وعدم الخوف، لان الرب سوف يسير للحرب معه بل سيقاتل عنه وينقذه[١٩].

ـ ثم يقوم الكتبة بتحديد الفئات التي تعفى من الاشتراك بالحرب وهي:

أ ـ من بنى بيتا جديداً ولم يدشنه «كيلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر».

ب ـ من غرس كرما ولم يأكل باكورته كيلا يموت في الحرب فيأكل رجل آخر باكورته.

ج ـ من خطب امرأة ولم يأخذها لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر.

د ـ من كان خائفا ضعيف القلب «لئلا يذيب قلوب اخوته كقلبه»[٢٠].

ـ عند الانتهاء من ذلك، يعين الكتبة قادة الجيش، ويوصونهم بما يلي:

ـ اذا تقدمتم لقتال مدينة بعيدة وليست من مدن الأمم الموجودة في أرض كنعان فادعوها الى السلم اولا، فان استسلمت، فسخروا كل اهلها لخدمتكم، وان لم تستجب لدعوتكم وحاربتكم، فحاصروها حتى تستسلم، ثم اضربوا «كل ذكر» فيها «بحد السيف». و«أما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة» فهو غنيمة لكم[٢١]. أما اذا كانت من

---

(١٨) م.ن. تث ٢٠: ١.

(١٩) م.ن. تث ٢٠: ٢ـ٤.

(٢٠) م.ن. تث ٢٠: ٥ـ٨ وباكورة الكرم: أول فاكهة له.

(٢١) م.ن. تث ٢٠: ٩ـ١٥.

مدن الأرض التي أورثكم إلهكم اياها، فلا تستبقوا منها نسمة، بل حرّموهم تحريما: «الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين» كما أمركم الرب إلهكم[٢٢].

- اذا حاصرتم مدينة لكي تفتحوها فلا تقطعوا شجرها اذا كان مثمرا، اما اذا لم يكن كذلك فاقطعوه وابنوا من أخشابه «آلات الحصار على المدينة» التي تحاربكم «حتى تسقط»[٢٣].

- اذا خرجتم لقتال أعدائكم فهزمتموهم وسبيتم منهم سبيا، وكان في السبي امرأة جميلة فاتخذها أحدكم زوجة له، فعليها، حين تدخل بيته، ان «تحلق رأسها وتقلم أظافرها، وتنزع ثياب أسرها عنها» ثم تقيم في بيت زوجها حيث «تبكي أباها وأمها شهرا» ثم يدخل عليها بعد ذلك، أما اذا لم يردها فليطلقها «حرة»، لا يبيعها ولا يظلمها[٢٤].

- اذا خرجتم لقتال اعدائكم فاحتفظوا «من كل أمر سيء»: من كان منكم غير طاهر فليغتسل «عند اقتراب المساء»[٢٥].

- اذا اتخذ أحدكم زوجة له ولم يمر على زواجه منها سنة واحدة «لا يخرج في الجيش، ولا يحمّل عبئا ما، بل ليتفرغ لبيته سنة واحدة يسرّ أمرأته التي اتخذها»[٢٦].

- ولا يفتأ رب بني اسرائيل يشجعهم على القتال والحرب ومواجهة الأعداء، فهو يوصيهم ان «تشددوا وتشجعوا ولا تخافوا ولا ترتعدوا أمامهم»، فان الرب إلهكم سائر معكم، لا يهملكم ولا يترككم[٢٧].

موت موسى وخلافة يشوع:

بعد ان بلّغ موسى وصايا ربه الى بني اسرائيل في صحراء مواب صعد الى جبل

---

(٢٢) م.ن. تث ٢٠: ١٦و١٧.

(٢٣) م.ن. تث ٢٠: ١٩و٢٠.

(٢٤) م.ن. تث ٢١: ١٠ـ١٤.

(٢٥) م.ن. تث ٢٣: ١٠ـ١٢.

(٢٦) م.ن. تث ٢٤: ٥.

(٢٧) م.ن. تث ٣١: ٦.

«نبو»، الى قمة «الفسجَة» تجاه أريحا، حيث أراه الرب «الارض كلها، من جلعاد الى دان. ونفتالي كلها، أرض أفرائيم ومنسى، وأرض يهوذا كلها، الى البحر الغربي» كما أراه «النقب وناحية وادي أريحا، مدينة النخل، الى صوعر»[٢٨]، ثم أمره الرب ان ينضم الى أهله، أخيه هارون، فمات موسى عن ماية وعشرين عاما، «لم يكلّ بصره ولم تذهب نضرته»[٢٩]، ودفن في الوادي «في ارض مواب تجاه بيت فغور، ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا»[٣٠] وبكاه بنو اسرائيل «ثلاثين يوما»، وخلفه «يشوع بن نون» على بني اسرائيل[٣١]. وقد أكد الرب تأييده ليشوع، كخلف لموسى في قيادة بني اسرائيل بقوله له «لا يقف أحد أمامك طول أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك»[٣٢].

الاستعداد للعبور:

ما ان تسلم يشوع قيادة بني اسرائيل خلفا لموسى، حتى بدأ يعدّهم لعبور الاردن باتجاه ارض كنعان، فدعا اليه «كتبة الشعب» وأمرهم بان ينادوا الناس ويدعوهم للاستعداد والتجهّز، فيعدّ كل واحد منهم زادا لكي يعبر، وسيكون العبور «بعد ثلاثة أيام»[٣٣]. ثم أمر «الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى» ان يتركوا نساءهم وأطفالهم ومواشيهم في الارض التي أعطاهم موسى أياها «في عبر الاردن»، وان يعبر «كل محارب باسل» منهم، وهو مسلح، مع أخوته من بني اسرائيل، الى ارض كنعان لكي يساعدهم، ثم «ترجعون الى أرض ميراثكم»[٣٤].

---

(٢٨) م.ن. تث ٣٤: ١ـ٣.

(٢٩) العهد القديم، تث ٣٤: ٥ـ٧. وقد ورد في مكان آخر من العهد القديم ان الرب أمر موسى ان يصعد الى «جبل العباريم» حيث ينضم هناك الى اجداده، كما فعل هارون أخوه «وفعل موسى كما أمره الرب» (م.ن. عد ٢٧: ١٢ و١٣ و٢٢).

(٣٠) العهد القديم، تث ٣٤: ٦ وانظر رأيا لسيلين "E. Sillin". بان اليهود قتلوا موسى بعد ان تخلوا عن ديانة آتون التي كان قد فرضها عليهم (Freud, S. L'homme Moïse et la religion monothéiste, p. 142).

(٣١) العهد القديم، تث ٣٤: ٨ـ٩.

(٣٢) م.ن. يش ١: ٥.

(٣٣) م.ن. يش ١: ١٠ ـ ١١.

(٣٤) م.ن. يش ١: ١٢ـ١٥.

البعثة الثانية للتجسس على أرض كنعان:

ثم أعد يشوع بعثة للتجسس على أرض كنعان، هي الثانية بعد تلك التي بعثها موسى من قادش في برية فاران. وكانت هذه البعثة مؤلفة من رجلين انطلقا من «شِطِّيم» الى أريحا، لكي يتجسسا أمر المدينة قبل ان يقدم يشوع على مهاجمتها[٣٥].

انطلق الرجلان من «شطّيم» ليلا، فعبرا النهر ووصلا الى أريحا حيث استضافتهما امرأة بغيّ تدعى «راحاب» فباتا عندها طيلة الليل، وعلم الرجلان من المرأة ان أهل الأرض قد علموا بان الرب اعطى بني اسرائيل تلك الأرض وان رعبا قد حل بهم من جراء ذلك، وان «جميع سكان الأرض، قد انحلّوا» امام بني اسرائيل. كما أنبأتهم بأن أهل تلك الأرض قد علموا بما جرى لفرعون وجيشه عند بحر القصب على يد موسى، وكيف ان البحر قد انشق لكي يمر العبرانيون ثم أطبق على فرعون وجيشه فاغرقهم، وبما جرى لملكي الأموريين (سيحون وعوج) وجيشيهما وشعبيهما على يد بني اسرائيل، وقالت لهما: «سمعنا فذابت قلوبنا ولم يبق في أحد روح امامكم»[٣٦] معبرة بذلك عن الهلع والخوف الذي أصاب سكان تلك الأرض من جراء تلك الأنباء. ويبدو ان ملك أريحا ورجاله علموا بأمر الجاسوسين، فقصدوا منزل راحاب وطلبوا منها تسليمهما فقامت بتهريبهما ليلا، فعادا الى شطّيم، عبر الأردن، ليقصا على يشوع ما سمعاه من البغي راحاب[٣٧]، مما جعله يطمئن الى سهولة فتح أريحا وبلاد كنعان. ثم أمر الشعب بالتجهّز والاستعداد للرحيل، ورحل من شطّيم حتى نزل على الضفة الشرقية للأردن استعدادا للعبور[٣٨].

العبور:

أمر يشوع «كتبة الشعب» قبيل العبور بان يجولوا في المحلة وينبئوا الناس ان وقت العبور قد حان، وان ما عليهم الا ان ينتظروا ارتفاع «تابوت عهد الرب» على أكتاف كهنته «اللاويين» لكي يرحلوا خلفه ويتبعوه، على ان يسيروا على مسافة ألفي ذراع منه،

---

(٣٥) م.ن. يش ١: ١ـ٢.

(٣٦) العهد القديم، يش ٢: ١ ـ ١١.

(٣٧) م.ن. يش٢: ٢ـ١٦.

(٣٨) م.ن. يش ٣: ١.

«لتعرفوا الطريق التي تسيرون فيها، لأنكم لم تسلكوها بالامس فما قبل»[٣٩]. كما أمر الأسباط الأثني عشر ان يختار كل سبط منهم رجلا واحدا يرفع على كتفه حجرا واحدا ويعبر «قدام تابوت الرب..... الى وسط الاردن» ليقيموا من هذه الحجارة نصبا عند أقدام الكهنة، حاملي التابوت، في وسط الأردن[٤٠]. وفي الوقت المحدد، أمر يشوع الكهنة اللاويين بان ينطلقوا نحو الأردن حاملين التابوت، ثم قال لهم: «اذا وصلتم الى ضفة مياه الأردن فقفوا في الأردن»[٤١]، مدللا بذلك على قدرته على خوض نهر الأردن بشعبه رغم ان «الأردن طافح، من جميع شطوطه، كل أيام الحصاد»[٤٢]. وسار الناس وراء الكهنة، حاملي التابوت، لكي يعبروا الأردن خلفه، وعبر بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى مسلحين، وهم أربعون ألف مقاتل، «قدام بني اسرائيل» وعبر الشعب خلفهم[٤٣].

وما ان وصل الكهنة، حاملو التابوت، الى وسط مياه الأردن حتى «وقف الماء المنحدر من عالية النهر، وقام كتلة واحدة، على مسافة كبيرة عند مدينة ادام، بالقرب من صَرتان، والماء المنحدر الى بحر عربة، بحر الملح، انقطع تماما، وعبر الشعب قبالة أريحا»[٤٤].

وبينما كان حملة التابوت واقفين «على اليبس في وسط الأردن، راسخين» كان بنو اسرائيل يعبرون الأردن «على اليبس» كذلك، الى الضفة المقابلة، وبقي الأمر على هذه الحال «حتى انتهت الأمة كلها من عبور الأردن»[٤٥].

وأمر يشوع الاثني عشر رجلا الذين سبق ان اختارهم الأسباط، قبل العبور، ان يقيموا في «وسط الأردن» عند «موقف أرجل الكهنة» حاملي تابوت العهد، نصبا من «اثني عشر حجرا» بعدد أسباط بني اسرائيل «ليكون ذلك علامة في وسطكم»[٤٦]، ولتكون هذه الحجارة «ذكراً لبني اسرائيل للأبد»[٤٧].

---

(٤٠) م.ن. يش ٣: ١٢ ويش ٤: ٤ و٥.

(٤١) م.ن. يش٣: ٨.

(٤٢) م.ن. يش٣: ١٥.

(٤٣) م.ن. يش٤: ١٢ و١٣.

(٤٤) م.ن. يش ٣: ١٦.

(٤٥) م.ن. يش ٣: ٧ وردت في النص الفرنسي «حتى بلغ الناس كلهم الضفة الأخرى Jusqu'à ce que tout le monde ait atteint l'autre rive (La Bible, Josué 4: 17).

(٤٦) م.ن. يش ٤: ١ـ٦.

(٤٧) م.ن. يش ٤: ٧.

ثم أمر يشوع الأسباط الاثني عشر ان يختار كل سبط منهم رجلا واحدا يرفع حجرا واحدا من «وسط الأردن من موقف أرجل الكهنة»[٤٨] وينقله الى الضفة المقابلة، الى «الجلجال» في صحراء أريحا.

وما ان انتهى الشعب من العبور، وخرج الكهنة، حاملو التابوت، من وسط الأردن وانتقلوا الى الضفة المقابلة للنهر حتى عادت مياه الأردن كما كانت «وجرت كما كانت تجري من أمس فما قبل على جميع شطوطه»[٤٩]. وقد تم عبور بني اسرائيل للأردن «في اليوم العاشر من الشهر الأول، فخيموا في الجلجال، في الحدود الشرقية من أريحا»[٥٠]. أما يشوع فقد أقام من الاثني عشر حجرا التي أخذها من وسط النهر نصبا تذكاريا للعبور، أقامه في مكان يدعى «الجلجال»[٥١]. (انظر الخارطة رقم ٣).

ماذا عن الأسطورة؟

يبدو لنا، من مراجعة العهد القديم، ان النزعة الاسطورية تطغى، على معظم أحداثه، وخصوصا العسكرية منها، مما يبعث على الشك في صحة تلك الأحداث، وعدم تصديق مجرياتها لتنافيها مع المنطق والمعقول. ومن أهم الأحداث الاسطورية في العهد القديم الحدث الذي نحن بصدده، وهو ان تقف الماء في مجرى الأردن لكي يمر شعب بني اسرائيل على اليابسة، ثم تعود فتلتئم وتجري مجراها الطبيعي.

ان دراسة بسيطة لجغرافية الأرض التي يجري فيها الأردن، وفي الموقع الذي يحتمل ان يكون العبرانيون قد اجتازوا النهر منه، أي ما بين شرق أريحا وبحر الملح (أي البحر الميت) وفي وقت الحصاد، وقت الصيف، وهو الزمن الذي جرى العبور فيه، حيث تكون ماء النهر ضحلة ان لم تكن جافة. ان مثل هذه الدراسة تجعلنا نشك في صحة حصول المعجزة ان لم ننفها على الأطلاق.

---

(٤٨) م.ن. يش ٤: ٣.

(٤٩) م.ن. يش٤: ١٨.

(٥٠) م.ن. يش ٤: ١٩. ولم يحدد الكتاب أي شهر يعني بالشهر الأول، ويبدو انه الشهر الاول من العبور.

(٥١) م.ن. يش ٤: ٢٠.

(٥٢) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٢٨٥.

خارطة رقم ٣: العبور إلى أرض كنعان



ويعزو «مقار» هذه الحادثة الى زلزال وقع في ذلك الوقت وأدى الى انهيارات أرضية أدت، بدورها، الى وقف «تدفق مياه الأردن لمدة ٢١ ساعة ونصف الساعة عند جسر الدامية: شمال أريحا بقليل»، ويذكر ان حادثة مماثلة لهذه الحادثة جرت أبان الغزو الصليبي لفلسطين وأوقفت مياه النهر عن الجريان[٥٢].

ورغم اننا نستبعد حصول ذلك بحيث يتطابق تطابقا دقيقا مع وقت عبور يشوع وشعبه للنهر، مما يكاد يشكل، بحد ذاته، معجزة، فاننا لا نزال نميل الى التعليل الأول الذي سبق أن قدمناه[*].

يبقى التساؤل عن الوقت الذي يمكن ان يعبر النهر فيه أربعون الف مقاتل وخلفهم شعب من نحو مليوني نسمة (كما دلت الاحصاءات السابقة)[٥٣] مع ما يرافقهم من مواشٍ وبهائم ومركبات ومعدات؟

(*) راجع، في المقدمة، دراسة ميدانية وشرحاً مستفيضاً لرأينا في هذا الموضوع.

(٥٢) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٢٨٥.

(٥٣) راجع الفصلين الاول والثاني.

الفصل الرابع

دراسة مسرح العمليات

حدد العهد القديم أرض الميعاد كما يلي:

- جنوبا: من برية صين، جانب ادوم، عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، حتى قادش برنيع، فحصر أدار فعصمون، الى وادي العريش في مصر حتى البحر المتوسط.

- غرباً: البحر المتوسط.

- شمالاً: من البحر المتوسط، حتى جبل هور، ومنه الى مدخل حماة، فصدد، فزفرون، حتى حَصَر عَينان.

- شرقا: من حصر عينان، حتى شافام، فربلة (شرق العين)، فبحر كنارة (الجليل او طبرية)، فنهر الأردن، حتى الطرف الشمالي للبحر الميت[1].

وحددها في مكان آخر، كما يلي:

«من البرية ولبنان هذا، الى النهر الكبير نهر الفرات، كل أرض الحثيين، والى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس تكون أراضيكم»[2].

(١) العهد القديم، عد ٣٤: ٣-١٢. ويلاحظ ان هذا التحديد لارض الميعاد، الوارد في (يشوع ١: ٤)، يصل بها الى نهر الفرات، وهو يختلف عن التحديد الذي ورد في سفر العدد (عد ٣٤: ١-١٢) والذي مر معنا في الفصل السابق، بحيث تبدو ارض الميعاد، التي حددت في سفر يشوع، اكبر بكثير من تلك التي حددت في سفر العدد.

(٢) م.ن. يش ١: ٤.

نستطيع، مما تقدم، ان نحدد أرض الميعاد بالأرض الممتدة من البحر الميت في فلسطين، ثم جنوبا فجنوبا بغرب حتى وادي العريش في مصر، ثم غربا حتى البحر المتوسط، فشمالا على امتداد الساحل الشامي وصولا الى السفوح الشمالية لسلسلة جبال لبنان الغربية، ثم شرقا حتى مدخل حماة (اللبوة حالياً)، فنهر الفرات، ثم جنوبا حتى بحيرة طبرية، فالبحر الميت. (انظر الخارطة رقم ٤).

ويؤكد العهد القديم ان قلب هذه الأرض، فلسطين، هي التي كانت مسرحا لحروب العبرانيين، وان أطماع بني اسرائيل لا تقف عند حدود فلسطين بل تتعداها الى البلدان المجاورة فتُدخل في تلك الأرض: لبنان كله، وجزءا من سوريا ومصر وشرق الأردن والعراق.

تحتل فلسطين موقعا استراتيجيا مهماً يربط ثلاث قارات بعضها ببعض، برا وبحرا، كما يعتبر صلة الوصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه، وهذا ما دفع ممثلي الدول الاستعمارية المجتمعين في لندن عام ١٩٠٥ برئاسة رئيس الحكومة البريطانية، آنذاك، كامبل بنرمان، لكي يتخذوا قرارهم الشهير بانشاء «حاجز بشري قوي وغريب» فيها بحيث يشكل قوة «صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة» تفصل بين جناحي الوطن العربي، فكانت اسرائيل ذلك الحاجز وتلك القوة[٣]. ثم ان فلسطين هي النافذة المطلة على اوروبا من خلال البحر المتوسط، وعلى افريقيا من خلال مصر، ثم على آسيا من خلال سوريا وخليج العقبة على البحر الأحمر، كما انها «الممر الاجباري والموقع المتميز للمبادلات بين مركزي الحضارة القديمة: مصر وبلاد ما بين النهرين»[٤].

ويحد فلسطين:

- من الجنوب: صحراء سيناء.

- ومن الشرق: الصحراء العربية (باعتبار ان شرق الأردن او ما كان يسمى، قديما، عبر الأردن، كان يشكل الجزء الشرقي من فلسطين حتى مطلع هذا القرن حيث تم فصله عن فلسطين كدولة).

---

(٣) انظر: سويد، ياسين، مؤامرة الغرب على العرب، ص ٢١ ـ ٢٦.

(٤) Pritchard, Atlas du monde biblique. P. 58.

ـ ومن الشمال: جبال الجليل ولبنان.

ـ ومن الغرب: البحر المتوسط.

تتميز تضاريس فلسطين بجبال تخترقها وديان، وترسم هذه الجبال والوديان طرق المواصلات في الاقليم، بينما يمتد سهل ضيق على الساحل، ثم سلسلتان من الجبال يفصل بينهما منخفض طولي يشكل مجرى نهر الأردن الذي يشطر فلسطين الى شطرين طولا، من الشمال الى الجنوب، وتتكون هذه التضاريس من:

١ـ سهل ساحلي يتصل بالساحل اللبناني شمالا، بحيث يشكل معه، ومع الساحل السوري ما يسمى «بالساحل الشامي»، كما يتصل بالساحل المصري جنوبا بغرب، ومن هذا السهل: سهل عكا (شمالا) وسهل شارون (في الوسط).

٢ـ مرتفعات تتوزع في الشمال (جبال الجليل) والوسط (جبال السامرة عند نابلس، وجبال القدس والخليل) ويبلغ أعلى ارتفاع فيها ١٢٠٨ امتار في جبال الجليل (جبل الجرمق)، ومنخفضات في الجنوب (غور الأردن) ويبلغ أقصى انخفاض فيها ٣٨٧ مترا في غور الصافي عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، و٣٩٢ مترا في وسط البحر مقابل الجديدة والمرتفع ٣٦٤.

٣ـ سهل داخلي يفصل بين جبال الجليل شمالا وجبال السامرة جنوبا، وهو «مرج بني عامر» الذي يمتد من حوض الأردن شرقا حتى جبل الكرمل عند ساحل حيفا غربا[٥].

أما اقدم الطرق الدولية في فلسطين فهي:

١ـ طريق البحر او (ڤيا ماريس Via Maris)، وهي طريق القوافل والسعاة والحملات العسكرية، وتبدأ هذه الطريق بمصر السفلى ثم تعبر السهل الساحلي في فلسطين مرورا بأهم المدن (رفح، غزة، عسقلان، أشدود، بينة، مجدو)، ومن مجدو تتفرع الى فرعين: واحد يتابع شمالا نحو عكا فأوغاريت بسوريا، وآخر يتابع شمالا كذلك، وبخط مواز للأول، نحو جازور شرق عكا، حيث يتفرع، بدوره الى فرعين: الأول يتابع شمالا نحو

---

(٥) وزارة الدفاع الوطني ـ الجيش اللبناني، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٥. وانظر: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، خارطة فلسطين ١٩٤٨، مقياس ١/ ٢٥٠,٠٠٠، و Pritchard, Op. Cit. P. 58.

قطنا بسوريا والثاني ينحرف شمالا بشرق فيمر بدمشق ثم تدمر حتى بلاد ما بين النهرين.

٢ـ طريق الملك، التي تحاذي جبال عبر الأردن قبل ان تصل الى دمشق، وكانت الطريق الرئيسية التي تصل القسم الشمالي الغربي من الجزيرة العربية ببلاد الشام، وتربط أهم مدن عبر الأردن بعضها ببعض، (بصرى، كيرمواب، أرور، حشبون، ربة بني عمون (عمان) رامون جلعاد، عشتروت)(٦).

(أنظر الخارطة العامة)

كانت فلسطين، قبل قدوم العبرانيين اليها، ملكا لأقوام مختلفة حددها العهد القديم بسبعة وهم: الحثيون، والجرجاشيون، والاموريون، والكنعانيون والفرزيّون، والحوّيون، واليبوسيون، سبع أمم أكثر وأقوى من العبرانيين(٧) اضافة الى المدن ـ الدول التي كان يقيمها الفلسطينيون وهي: غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجت، والى الأدوميين والموابيين والعمونيين والعمالقة. (انظر الخارطة رقم ٢)

وكان هؤلاء موزعين، في فلسطين كما يلي:

١ـ **الحثيون**: سكنوا فلسطين قبل دخول العبرانيين اليها، وكانوا شعبا قويا ومعروفا، أسسوا امبراطورية شرقية عظيمة ما بين ١٩٠٠ و١٢٠٠ ق. م. وقد احتلوا آسيا الصغرى وأقاموا لهم ولايات في شمال سوريا والعراق وفي الاناضول، وأقاموا في جنوب فلسطين غرب البحر الميت وجنوب القدس، في المنطقة الممتدة بينها وبين حبرون فبئر سبع، وقد صادقهم العبرانيون وصاهروهم(٨).

٢ـ **الجرجاشيون**: احدى قبائل كنعان، وكانت تقطن على الضفاف الشرقية لنهر الأردن جنوب بحر كنارة (بحيرة طبرية)(٩).

---

(٦) Pritchard, Ibid, P. 58, 59 et:

-- Smith, A. Historical Atlas of the Holy Land, P.7,8 and Aharoni, Macmillan Bible Atlas, PP. 16, 17, Map. 9,10.

(٧) العهد القديم، تث ٧:١.

(٨) عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٨٩ـ٢٩١، وانظر Smith, Historical Atlas of the Holy land, P. 7.

(٩) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٧٨٩.

٣ـ الأموريون: شعب سامي اللغة، حكم أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل فترة من الزمن، وكانت سوريا وفلسطين تدعيان باسمهم قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. وكانت عاصمتهم، قبل عام ١٢٠٠ ق.م.، «ماري» الواقعة على نهر الفرات، وتدعى اليوم «تل الحريري». وقد اقاموا ممالك لهم:

ـ في جنوب فلسطين، على الضفاف الشرقية العليا للبحر الميت، من نهر يبوق في وسط جبل جلعاد شمالا حتى نهر أرنون في وسط البحر الميت جنوبا (وكانت هذه مملكة الملك الأموري سيحون) وعلى جبل الأموريين الواقع غرب هذا البحر.

ـ وفي وسطها في شرق الأردن، حيث قامت مملكة «باشان» بين جبلي حرمون وجلعاد وكانت تشمل حوران والجولان واللجاه، ويحدها شمالا أراضي دمشق، وشرقا بادية الشام، وجنوبا أرض جلعاد وغربا غور الأردن. وكانت هذه مملكة (الملك الأموري «عوج») وكان نهر يبوق حدا فاصلا بين المملكتين. وقد امتدت الحرب بين الأموريين والعبرانيين من عهد يشوع الذي هزمهم حتى عهد صموئيل الذي عقد معهم صلحا، فعهد سليمان الذي استبعدهم[١٠].

٤ ـ الكنعانيون: وكانوا سكان فلسطين وأصحابها قبل قدوم العبرانيين اليها، وقد قضى رب بني اسرائيل ان ينتزع هؤلاء الأرض من الكنعانيين ويضربوهم ويطردوهم منها كما فعلوا بباقي الشعوب التي تسكن أرض كنعان، وان يبيدوهم بلا رحمة[١١]. ويبدو ان بني اسرائيل لم يستطيعوا تنفيذ الأمر الالهي بابادة الكنعانيين ابادة تامة، فاكتفوا بان استبعدوهم وفرضوا عليهم الجزية وأعمال السخرة. وكانت مواطن الكنعانيين على الساحل الشامي، من صيدا شمالا حتى يافا جنوبا، أي بين موطن الصيداويين شمالا والحويين والفلسطينيين جنوبا، وفي الداخل، من السفوح الجنوبية لجبل لبنان شمالا حتى حبرون وبئر السبع جنوبا، أي بين موطن الفينيقيين شمالا واليبوسيين والحثيين جنوبا[١٢].

---

(١٣) عبد الملك، م.ن. ص ٢٥٨ و٦٤٨ و٦٧٥ و٧٨٩.

(١٤) م.ن. ص ٢٤٦ و٣٢٩ و٧٨٩.

(١٥) م.ن. ص ١٠٥٢ـ١٠٥٣ وص ٧٨٩ (خارطة)، وانظر: Smith, Op. Cit. P. 7.

٥ ـ **الفرزيّون**: من أقدم الشعوب التي سكنت فلسطين، اذ سكنتها منذ عهد ابراهيم ولوط، وكانوا قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، يقطنون المناطق الجبلية، في جبلي عيبال (السلامية، شمال نابلس اليوم) وجرزيم، بين شكيم (نابلس) وبيت ايل. ولم يبدهم العبرانيون، خلافا لشريعتهم، بل انهم صاهروهم وانتقلت للعبرانيين، على يدهم، عبادة الأوثان، ثم ان سليمان استعبدهم وسخّرهم[١٣].

٦ـ **الحويون**: من أصل كنعاني، تشتتوا في فلسطين جماعات، فأقامت جماعة منهم في شكيم (في عهد يعقوب) وأخرى في جبعون (شمال غرب أورشليم) وجوارها، وكانت اقامتهم، قبل ذلك، على الساحل بين يافا وغزة، وقد سالمهم يشوع، في البدء، الا انه عاد فسخّرهم، وكذلك سليمان[١٤].

٧ـ **اليبوسيون**: قبيلة كنعانية كانت تقطن أورشليم (وكانت تسمى يبوس)، ولما دخل العبرانيون الى فلسطين اتحد اليبوسيون مع عدد من الملوك وحاربوهم، الا ان العبرانيين هزموهم واحتلوا اجزاء كبيرة من بلادهم وارضهم، ثم اعطى يشوع أرضهم لسبط بنيامين، لكن اليبوسيين لم يستسلموا، ولم يتمكن العبرانيون من طردهم من مدينتهم (يبوس) وأرضهم فسكنوا معهم. وظل اليبوسيون يقاومون حكم العبرانيين وتسلطهم وخصوصاً في أورشليم حيث ظلوا محتفظين بحصن يبوس حتى عهد داود الذي استولى على الحصن وأدخله في مملكته. ولكن بعضهم بقي في المدينة منحصراً «بالجبل الجنوبي الشرقي الذي دعي، بعدئذ، صهيون او مدينة داود»، ولكنهم خضعوا بعد ذلك، لحكم سليمان الذي استعبدهم وسخّرهم وفرض الجزية عليهم. وقد بقي بعضهم في «اليهودية» حتى عودة العبرانيين من بابل بعد السبي[١٥].

٨ ـ **الفلسطينيون**: من شعوب حوض البحر المتوسط، غزوا جزيرة كريت واستقروا فيها زمنا ثم خرجوا منها في الربع الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وغزوا فلسطين، في عهد ابراهيم، عن طريق غزة واستقروا فيها حول جِرار وبئر السبع.

---

(١٠) عبد الملك، م. ن. ص ١١٩ ـ ١٢٠ و١٥٩ وص ٧٨٩.

(١١) «واذا ما ادخلك الرب الهك الى الارض التي انت داخل اليها لترثها، وطرد من امامك أمما كثيرة، الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أكثر واقوى منك، واسلمهم الرب الهك بين يديك وضربتهم، فحرّمهم تحريما، لا تقطع معهم عهدا ولاترأف بهم» (تث ٧: ١ و٢).

(١٢) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٧٩٠ و٧٨٩.

كان الفلسطينيون، قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، شعبا قويا وذا بأس، وكانت لديهم مدن حصينة أهمها غزة واشقلون (عسقلان) وأشدود (على الساحل) وعقرون وجت (في الداخل). وقد هاجمهم العبرانيون في عهد يهوذا واحتلوا غزة واشقلون وعقرون، لكن الفلسطينيين عادوا واستردوا هذه المدن من ايدي العبرانيين واستعبدوهم طيلة أربعين عاما حتى انقذهم شمشون جبارهم، إلا أن الفلسطينيين تمكنوا من قتل شمشون ثم انتصروا على العبرانيين في عهد صموئيل وأخذوا منهم تابوت العهد، ولكن صموئيل عاد فهزمهم واسترد تابوت العهد منهم، واحتل بلاد الفلسطينيين من عقرون الى جت، «وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل ايام صموئيل»[١٦]. ولكن الفلسطينيين استعادوا قوتهم في عهد شاول، وكانوا قد احتكروا صناعة الأسلحة والآلات الحديدية، حتى أضحوا قوة هائلة عجز شاول عن قهرها واخضاعها، الى ان تمكن منهم، هو وابنه يوناثان، فهزمهم في جبع ومكماش[١٧]، ثم استمر القتال بين الفلسطينيين وبين شاول وابنه يوناثان، ثم داود، بين كرّ وفرّ، فترة طويلة من الزمن، حتى تمكن الفلسطينيون من التغلغل في قلب كنعان وقتل شاول وأولاده على جبل جلبوع، ولكن داود استطاع ان يرد غزواتهم ويغزوهم في عقر دارهم. الا ان ذكر الفلسطينيين قد اضمحل بعد موت داود وتسلم سليمان الحكم، ولما انقسمت مملكة سليمان كان الفلسطينيون يحاربون كلا من المملكتين، واستمر القتال سجالا بينهم وبين مملكتي يهوذا واسرائيل، يوم لهم ويوم عليهم، الى ان استطاع المكابيون (يهوذا المكابي) ان يهزمهم ويحتل بعض مدنهم (أشدود ومدنا أخرى غيرها) ويحرق بعض هياكلهم، ثم أحرق مدينتهم أشقلون كما أحرق ضواحي غزة التي استسلمت بلا قتال، فاستكان الفلسطينيون ولم يعد لهم، بعد ذلك، أي ذكر[١٨].

اما المناطق التي كان الفلسطينيون قد استوطنوها، قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، فهي: من يبنة الى غزة على الساحل، وجت (غات) وعقرون وجبعة ومخماس وصقلغ وجوارها في الداخل.

٩ ـ **العمونيون**: من نسل لوط، سكنوا جبال جلعاد، بين نهري أرنون ويبوق، الى

---

(١٦) العهد القديم، اصم ٧: ١٣.

(١٧) م.ن. اصم ١٣ ـ ١٤.

(١٨) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٦٩٣ ـ ٦٩٤.

الجنوب والشرق من مملكتي الأموريين، ومن مدنهم: حشبون الواقعة شرق البحر الميت، وربة عمون، او عمان الحالية، وكانوا على صراع مستمر مع الأموريين الذين يجاورونهم من الشمال والغرب، وخصوصاً مع سيحون، ملك الأموريين، الذي اقتطع قسما كبيرا من أراضيهم.

كانت علاقات العمونيين مع بني اسرائيل سيئة رغم ان جدهم، لوطاً، من كبار العبرانيين، وقد تحالفوا مع الموابيين ضد بني اسرائيل. وكانت الحروب سجالا بين العمونيين والعبرانيين، من عهد يفتاح، ملك العبرانيين، الى عهد شاول فداود فيهوشافاط، ملك يهوذا، الى عهد المكابيين، حيث اضمحلوا تدريجاً واندمجوا مع سكان البلاد[١٩].

١٠ ـ **الموابيون**: من نسل لوط، سكنوا الارض الواقعة على الضفاف الشرقية السفلى للبحر الميت، تحدهم شمالا مملكة سيحون الأمورية، وجنوبا أرض الادوميين.

كانت ارض الموابيين تنتهي شمالا عند نهر أرنون، الا ان هؤلاء توسعوا في أرض الأموريين شمالا، فبلغ طول أرضهم ٥٠ ميلا وعرضها ٢٠ ميلا، وكانت تقسم الى قسمين:

ـ أرض مواب الواقعة شرق البحر الميت، وتسمى «بلاد مواب».

ـ وعربات مواب وهي الأرض الواقعة شرق نهر الأردن مقابل أريحا، بين مصب نهر يبوق والبحر الميت.

ومن أهم مدنها: كرك، وديبان، ومادبا، وربة مواب.

وقد وقعت حروب عديدة بين الموابيين وجيرانهم الأموريين، الى ان دخل العبرانيون تلك البلاد فتحالف الموابيون مع العمونيين وقاتلوهم، ثم تقلبت علاقة الموابيين والعبرانيين بين حرب تارة وسلام تارة أخرى، وكانت عدائية على الأكثر، وخصوصا في عهد شاول وداود وسليمان وفي عهد يهوشافاط، ملك يهوذا، الذي هزمها وخرّب مدنها. وظلت مواب بعد ذلك تخضع تارة للعبرانيين وتستقل عنهم طورا، وحالفت الكلدانيين ضد يهوذا الى ان ذُل بنو اسرائيل وسُبوا فتحررت مواب منهم[٢٠].

---

(١٩) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٦٠ و٧٨٩ (خارطة) و: Smith, Adam, Op. Cit, P.7 & Ptritchard, Op. Cit. P. 56.

(٢٠) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٩٢٨ و٩٢٩ و Smith, Op, Cit. P. 7; Pritchard, Op. cit. P. 56.

١١ ـ الأدوميون: من نسل عيسو وأدوم، سكنوا الأرض الواقعة في جنوب فلسطين جنوب البحر الميت، وهي اقليمٌ جبليٌ وعرٌ يدعى «ارض سعير» او «جبل سعير»، ويمتد على مسافة ماية ميل بين البحر الميت وخليج العقبة وعلى جانبي غور العربة. والجزء الشرقي من أدوم يقع حاليا في المملكة الأردنية الهاشمية وبرية أدوم هي «العربة» الواقعة جنوب البحر الميت.

كان الأدومي يعتبر أخا للعبراني، حتى ان الجيل الثالث من نسل الأدوميين كان يعتبر عبرانيا، هكذا قال الرب لاسرائيل: «لا تكره الأدومي لانه اخوك، ولا تكره المصري لانك كنت نزيلا في ارضه، والجيل الثالث من البنين الذين يولدون لهم يدخلون في جماعة الرب»[٢١]. ولكن ذلك لم يمنع حروبا كثيرة جرت بين الشعبين، فقد حارب شاول الأدوميين، وكذلك داود، وغزا الأدوميون، متحالفين مع الموابيين والعمونيين، يهوذا في عهد يهوشافاط، الا ان الأدوميين عادوا فتحالفوا مع العبرانيين في حربهم ضد الموابيين.

ولكن التحالف بين الأدوميين والعبرانيين لم يستمر طويلا، اذ تفجر الصراع بينهما من جديد وظل يحتدم تارة ويخمد تارة اخرى الى ان غزا الاشوريون ارض كنعان فخضع الجميع، عبرانيين وأدوميين وسواهم، لحكم اشور. وقد استولى الادوميون على أرض العبرانيين حتى حبرون، وذلك بعد سبي هؤلاء الى بابل، ولكن الانباط غزوا أرض الأدوميين في القرن الخامس قبل الميلاد وطردوهم من جبل سعير، ثم استرد يهوذا المكابي، في القرن الثاني ق. م. حبرون وغيرها من الأرض التي أخذها الأدوميون من العبرانيين، زمن السبي[٢٢].

١٢ ـ العمالقة: يعتبر العمالقة من أقدم الشعوب التي سكنت سوريا الجنوبية، وهم من نسل عيسو، كانوا يقيمون في البدء، قرب قادش، في جنوب فلسطين، وقد كانوا هناك عند خروج العبرانيين من مصر، حيث خاض العبرانيون، ضدهم، أول معاركهم خارج مصر، وكانت تلك المعركة في «رفيديم» غرب سيناء حيث هزم العمالقة أمامهم. ولكن العمالقة عادوا فحاربوا العبرانيين عندما اراد هؤلاء التوسع شمالا، لكن العبرانيين انتصروا عليهم في عهد موسى ويشوع، فتحالف العمالقة مع جيرانهم الموابيين ضد العبرانيين في

---

(٢١) العهد القديم، تث ٢٣: ٨.

(٢٢) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٣٩ ـ ٤٠ و Smith, Op. cit. P. 7; & Pritchard, Op. Cit. P. 56.

أريحا، ثم مع جيرانهم المدينيين ضد العبرانيين كذلك. وكان العمالقة (او العماليق) يستوطنون جبلا يدعى باسمهم هو «جبل العمالقة»، الا انهم كانوا يتجولون من حدود مصر الى شمال شبه الجزيرة العربية فبادية فلسطين، وقد حاربهم شاول وصموئيل وداود، الذي استرد منهم «صقلغ»، وبدأ ذكرهم يضمحل بعد ذلك[٢٣].

الا ان ما يثير التساؤل هو: لماذا تعمد موسى سوق شعبه الى أرض كنعان في طريق غير معروفة وطويلة ومرهقة، بينما كان يمكنه ان يستخدم احدى الطريقين المسلوكتين منذ القدم والمعروفتين، طريق البحر وطريق الملك؟

فلندرس، اذن، كلا من هاتين الطريقين، لكي نحدد مزايا كل طريق منهما ومحاذيرها:

أ ـ تعتبر طريق البحر، وهي المنطلق من «مصر السفلى» باتجاه فلسطين (او ارض كنعان) أقصر الطرق الى هذه الأرض، من مصر. وقد اعتمدها الكثيرون منذ القدم، فاتحين وغزاة وتجارا وسائحين. اذ ان باستطاعة من يسلكها ان يعبر صحراء سيناء فيصل مباشرة الى فلسطين عن طريق غزة ثم يتجه شمالا، وبمحاذاة الساحل مرورا بالمدن الساحلية حتى جبال الجليل ولبنان، كما أن باستطاعته ان يتجه شرقا فيسلك طرقا داخلية تقوده الى جميع انحاء البلاد.

ولكن الحملة العسكرية التي تستخدم هذه الطريق، آتية من مصر، سوف تصطدم بعد اجتيازها لصحراء سيناء وتجاوزها للصعوبات الطقسية والمعيشية، بالشعوب التي في تلك المناطق، بدءا بالعمالقة (في سيناء) فالفلسطينيين (بين غزة وأشدود) فالحويين (بين أشدود ويافا) فالكنعانيين (حتى جبال الجليل ولبنان)، بينما يكون جناحها الأيمن معرضا لهجمات جانبية من الاعداء الكثر في البلاد والمنتشرين على طول خطوط تقدمها، مثل الحثيين والاموريين واليبوسيين والفرزيين ومن يجاورهم شرقا مثل الادوميين والموابيين والعمونيين. ورغم ان جناحها الأيسر محمي بالبحر المحاذي لها على طول محور تقدمها، فانها تظل مغلولة اليد من تلك الجهة غير قادرة على المناورة، بحيث تفقد جزءا كبيرا من حرية العمل في أثناء التقدم هذا بالاضافة الى ابتعادها عن الساحل عند حيفا بسبب قرب جبل الكرمل منه، ومرورها عند «مجدو» وهي نقطة تقع في الطرف الجنوبي

---

(٢٣) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ وص ٧٨٩ (خارطة) Barnavi, Histoire Universelle des Juifs, P. 10.

من مرج بني عامر، ثم تعود شمالا بغرب فتصل الى عكا بعد ان تلتف حول السفح الجنوبي الشرقي لجبل الكرمل.

ب ـ ربما تكون طريق الملك أكثر اماناً وتسمح بحرية المناورة أكثر من طريق البحر، ولكن سلوك هذه الطريق من «أدن» على النيل ثم الاتجاه شرقا حتى بلوغ ايلات على الطرف الشمالي للإصبع الشرقي لبحر القلزم (الأحمر)، يضطر الحملة لان تنفذ تحركا عرضيا في قلب سيناء بحيث تعود، بعدها، الى سلوك الطريق الموازية تماما لطريق البحر حتى دمشق، ولكنها، في محاذاتها للجبال المحاذية لوادي الأردن، تقع، عند جناحها الأيسر، في المحظور نفسه الذي تقع فيه اذا ما سلكت طريق البحر شمالا، بحيث يظل هذا الجناح عاجزا عن المناورة ويُفقد الحملة، بالتالي، الكثير من حرية العمل.

(انظر الخارطة العامة)

الا انه، لا بد من القول، في الحالتين، ان محاذاة الحملة للبحر ان هي سلكت طريق البحر، ومحاذاتها له كذلك ان هي سلكت طريق الملك، تظل تؤدي من الأمان ما يوازي المحاذير الناتجة عن فقدانها لحرية المناورة.

ونظرة الى خارطة الطرق التي كانت سالكة في ذلك العهد ترينا كم ان الاختيار كان حرا ومتعددا، اذ انه:

١ـ تتفرع، من طريق البحر، عدة طرق عرضية وطولية تتيح التحرك داخل فلسطين بحرية كبيرة، مثل:

ـ طريق أون ـ ايلات التي تصل طريق البحر بطريق الملك.

ـ طريق الساحل المصري ـ قادش برنيع ـ طريق الملك.

ـ الطريق الى شور، والطريق الى العربة، والطريق الى البحر الاحمر، والطريق الى منطقة الأموريين، والطريق الى اتاريم، والطريق الى أدوم، والطريق الى مواب، وغيرها العديد من الطرق الفرعية الداخلية.

٢ـ وتتفرع من طريق الملك، عدة طرق عرضية وطولية كذلك، تتيح التحرك داخل عبر الأردن بحرية كبيرة، مثل:

- طريق برية أدوم، وطريق برية مواب، وطريق باشان، وغيرها[٢٤].

لماذا، اذن، سلك موسى بشعبه الطريق الأصعب والأطول؟

لقد كان موسى وشعبه في أرض جاسان بمصر، اي في موقع من مصر السفلى أقرب الى الساحل منه الى الصحراء، فلماذا اختار التوجه شرقا نحو الصحراء، ولم يختر التوجه غربا نحو ساحل البحر المتوسط وهو الطريق الأسهل والأقصر؟

لا شك في ان هناك تبريرات عديدة لذلك، اهمها «الأمر الالهي» الذي تلقّاه موسى عندما اجتاز الصحراء وبلغ البحر فشقّه بعصاه واجتازه بشعبه، ثم اغرق فيه، بعد ذلك، جيش فرعون. ولكن ما يصح في العقيدة والاسطورة لا يصح في النظرة العلمية المجردة للأحداث التاريخية، ومن هذا المنطلق نحاول ان نجد، لسلوك موسى هذا، تبريرات أخرى مثل:

١ - يقع جبل سيناء (او جبل حوريب او جبل موسى)، في الطرف الجنوبي الشرقي من سيناء، أي في الاتجاه المعاكس تماما للطريق الساحلية على البحر المتوسط باتجاه فلسطين، كذلك فان قبيلة مدين وهي القبيلة التي تنتمي اليها صفورة، زوجة موسى، تقيم في الطرف الشمالي الشرقي من سيناء، على الساحل الشرقي، وربما الغربي كذلك، لخليج العقبة، أي على مقربة من الجبل المذكور؟ فهل ان موسى، بالاضافة الى ما كان ينتظره (او ما هيأ له نفسه) من ملاقاة ربه على الجبل، كان يشعر بالأمان والقوة اذا ما اتصل بمدين، خصوصاً وانه صهر كاهنها والرجل القوي المتزعم فيها؟

٢- رغم ان الطريق التي سلكها موسى، هي الأصعب والأطول، فهل اعتبر ان ما سيلاقيه من مقاومة «من الأدوميين والموابيين والعمونيين» كي يصل الى النقطة التي يعبر منها الأردن نحو ارض كنعان، يظل أقل بكثير من تلك التي كان سيلاقيها لو انه سلك طريق البحر؟

٣ - هل أمل موسى بتحالف مّا كان يمكن ان يقيمه مع الشعوب التي سيمر بها (وهي

(٢٤) تعددت الطرق الفرعية الداخلية التي كانت سالكة في فلسطين وهي اما متفرعة عن كل من الطريقين الرئيسيتين: طريق البحر وطريق الملك، في مختلف الاتجاهات، او انها متفرعة منها او تربط بينهما، انظر لذلك، Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, PP. 16- 17 Map. 9 - 10.

العمالقة وأدوم ومواب وعمون) بسبب عامل القرابة بين شعبه (العبراني) وهذه الشعوب، وباعتبار ان العمونيين والموابيين هم من نسل لوط الذي كان من كبار العبرانيين، وان العمالقة هم من نسل عيسو، وان الأدوميين هم من نسل عيسو وأدوم المتصل بالعبرانيين؟

٤ـ هل توقع موسى عند اختياره لهذه الطريق، ان تحدث له وليشوع، المعجزات التي حدثت في بحر القصب (القلزم) ونهر الأردن وعلى جبل حوريب؟

او انه، وهو الكاهن العليم بديانة التوحيد التي اكتسبها من الفرعون أخناتون[٢٥]، قد أعد العدة لما جرى على الجبل، بينما لعبت الأسطورة دوراً رئيسيا في باقي المعجزات؟

٥ـ نحن نعتقد ان الاسطورة قد لعبت دورا مهماً في كثير من المواضع في العهد القديم، خصوصا تلك التي تتضمن أحداثاً خارقة (كشق البحر والنهر وتوقف الشمس في كبد السماء) كتب عنها رواة فصلت بينهم وبينها، في الزمن، قرون وقرون (اذ كُتب بعض الاسفار في زمن السبي البابلي وكُتب بعضها الآخر بعد هذا السبي)، ومهما حاول الباحثون والمؤرخون ايجاد تعليل لهذه الأحداث فسيقعون في الشطط او المبالغة التي لا يمكن تصديقها، هذا اذا ما وضعنا جانبا الايمان والمعتقد اللذين لا يقدمان من تعليل لهذه الاحداث سوى القدرة الآلهية.

---

(٢٥) «مما لا شك فيه ان موسى... كان بوسعه، بفضل ما تمتع به من قدرات عقلية عظيمة، ان يتوصل، بجهده الخاص، الى مفهوم الاله الواحد والعلة الأولى. الا اننا متى حكمنا بالطريقة التي تبدأ بها كل الانسقة الفكرية الكبرى، سنجد ان ذلك كان شبه مستحيل، لان موسى ـ حتى مع التسليم بعبقريته العظيمة ـ لم يكن ليستطيع تكوين تلك الأفكار وسط خواء فكري، بمعنى انه كان مما لا مهرب منه ان تكون هناك صلة بين فكره الاصيل وبين ما كان كائنا ومتداولا من مفاهيم توحيدية متقدمة نسبيا، منذ قرون عديدة، في وطنه مصر. وعلى سبيل المثال، كان اخناتون ـ قبل ان يمر موسى بخبرة تجلي الإله له في العليقة المشتعلة بجبل حوريب بمائة وخمسين عاما ـ قد ناجى آتون، قرص الشمس، باعتباره رمز الإله الواحد لكل البشر» (مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠، عن: "Ausubel, Nathan, the book of Jewish Knowledge" P. 304)

وقد علق مقار على ما ورد عند الباحث اليهودي ناثان بقوله: «تتجلى الشطارة اليهودية في الزج بهذا التفصيل الخاطئ تاريخيا في الحكي عن اخناتون وموسى وجعل الفاصل الزمني بينهما قرنا ونصف القرن، في حين تشير كل الأدلة التاريخية المتوافرة على ان موسى كان معاصرا لاخناتون وانه لم يهرب الى مدين (حيث تعلم عبادة يهوه) الا بعد موته وتنكيل كهنة آمون بكهنة آتون» (مقار، م. ن. ص ٤٧٠، الحاشية).

ويرى سيغموند فرويد «ان موسى كان واحدا من نبلاء مصر الذين اعتنقوا مذهب الإله «آتون» التوحيدي بعد ان فرضه الفرعون «اخناتون» مذهبا رسميا لدولته.

(Freud, Sigmund, L'homme Moïse et la religion Monothéiste. P. P.94- 95).

الفصل الخامس

وسائل القتال المستخدمة في حروب العبرانيين

(من عام ١٢٥٠ ق.م. الى عام ٧٣ م)

سوف نحاول، في هذا الفصل، ان نلقي نظرة موجزة على وسائل القتال (الهجومية والدفاعية) التي استخدمت في حروب العبرانيين، بدءا بخروجهم من مصر (عام ١٢٥٠ ق.م) وانتهاء بسقوط اورشليم بيد الرومانيين (عام ٧٣م). مستعينين، لذلك، بما ورد في العهد القديم، من جهة، وبما اظهرته الحفريات الأثرية، في هذا المجال، من جهة أخرى.

أولا: الأسلحة والأعتدة الفردية:

يمكن تحديد الاسلحة والاعتدة الفردية، الهجومية والدفاعية التي استخدمت في هذه الحروب، كالتالي:

١ـ القوس والسهم (او النبل).

٢ـ الرمح والمزراق.

٣ـ السيف والخنجر

٤ـ فأس القتال.

٥ـ المقلاع.

٦ـ الدرع والترس (او المجن).

٧ـ الخوذة.

١ـ القوس والسهم (او النبل): القوس هو أحد أهم الأسلحة التي استخدمها الأقدمون منذ العصر البرونزي الأول (٣١٥٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م)، وقد عرف باشكال عديدة أهمها: القوس المحدب (في مصر)، والقوس المقعّر او المنحني (في بلاد ما بين النهرين)، والقوس المركب (في بلاد الاكاديين)(١). وتُرمى بالقوس ذخائر تسمى (السهام)(٢)، كانت تحمل في البدء، رؤوسا من حجر الصوان، ثم اصبحت تحمل رؤوسا حديدية، وتوضع في (جعب) من الجلد تتخذ اشكالا مختلفة أهمها الشكل الاسطواني الذي عرف في العصر المشار اليه (البرونزي الاول)، ويحملها النبّال او توضع في المركبات المقاتلة(٣).

وقد تطورت الأقواس والسهام في العصور اللاحقة، وخصوصا في العصر البرونزي الوسيط او (الثاني)، (٢٢٠٠ ـ ١٥٥٠ ق.م) الذي عرف فيه (القوس المركب) تطورا ملحوظا(٤)، وكذلك في العصور اللاحقة: العصر البرونزي المتأخر (او الثالث)، (١٥٥٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) والعصر الحديدي (١٢٠٠ ـ ٥٨٦ ق.م) الذي عرفته مختلف الممالك العبرية التي مرت معنا(٥).

وقد ظل القوس سلاحا رئيسيا في المعركة حتى عصور متأخرة، أي حتى ظهور الاسلحة النارية. وكان يتم تدريب المقاتلين على هذا السلاح كما كانت تقام المشاغل والمصانع لصنع الأقواس والسهام(٦).

ولا ريب في ان (القوس المركب) قد لعب دوراً مهماً في مختلف هذه الحقب، فاستخدمته كل الجيوش بأشكال مختلفة، الا ان تغير اشكال السهام والجعب ظل «هامشيا»(٧).

---

(١) Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 p. 266 --

(٢) العهد القديم، ١ صم ٢٠: ٢٠ـ٢٢.

(٣) Encycl. Jud, Op. Cit. P. 266 --

(٤) في بلاد الاكاديين، في النصف الثاني من الالف الثالث، Ibid, p. 267 --

(٥) Ibid, p. 267 --272.

(٦) وقد وجدت نقوش لهذه المشاغل والمصانع على جدران الحفريات التي اكتشفت في «بني حسان». Ibid, P. 267

(٧) Ibid. P. 270 --

الرسم (رقم ١):

صورة لنقوش جدارية من آثار بني حسان عام ١٩٠٠ ق. م. وهي تمثل محاربا مسلحا بأسلحة كنعانية نموذجية من عصر الآباء المؤسسين (العصر البرونزي الوسيط) وهو يحمل فأسا مع قوس محدّب مزدوج، وجعبة اسطوانية معلقة في الكتف.



(Keter publishing, Encyclopaedia Judaica, Vol. 16. p. 270)

٢ـ الرمح والمزراق: يعتبر الرمح (مع السيف) السلاح الرئيسي للمشاة[٨]، وقد عرفته الجيوش منذ أقدم العصور، فهو قد عرف في العصر البرونزي الأول، بشكليه: الرمح العادي الذي يستخدم في القتال وجها لوجه، والمزراق، اي الرمح القصير الذي هو سلاح صغير وخفيف، يستخدم للرمي من مسافات قصيرة[٩].

وكلا السلاحين، الرمح والمزراق، يستخدم للطعن[١٠] وهما كناية عن قناة (خشبية جوفاء عادة) تنتهي بسنان معدني يطعن به[١١] او يغرز في الارض عند عدم استعماله[١٢].

ولم يعرف هذان السلاحان، في مختلف العصور، تغيرات مهمة في الشكل وطرق الاستعمال، إذ استخدم النحاس، ثم الحديد لصنع قناة الرمح، او المزراق، وسنانه، ولم يعد السنان ثقيل الوزن كما كان في عهد داود وجليات (حيث كان وزن سنان رمح جليات ستمئة مثقال حديد)[١٣].

٣ـ السيف والخنجر: ظل السيف، الى أمد طويل، أهم سلاح في المعركة، للخيالة والمشاة معا، ويعتبر، هو والخنجر، سلاح القتال وجها لوجه[١٤]. وقد ظل السيف، فترة من الزمن، حكرا على الفلسطينيين الذين احتكروا صنع الحديد، فكان على العبراني، اذا اراد صنع سيف او ما شابه، ان يقصد بلدة فلسطينية كي يتمكن من الحصول على سيف، ذلك انه «لم يكن يوجد في كل ارض اسرائيل حداد، لان الفلسطينيين قالوا: يجب ان لا يعمل العبرانيون سيفا او رمحا. فكان كل اسرائيل ينزل الى الفلسطينيين، كل امرئ منهم، ليسنّ سكته ومعوله وفأسه ومنجله... فلما حان وقت الحرب، لم يوجد سيف ولا رمح في يد كل الشعب الذي مع شاول ويوناثان، ما عدا شاول ويوناثان ابنه»[١٥]. الا ان الأمر لم يستمر كذلك طويلا، اذ سرعان ما ان علّم الله داود صنع الحديد وما نتج عنه من معدات واسلحة للقتال، قال تعالى: « **وَعَلَّمْنَاهُ** (اي داود) **صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِتُحْصِنَكُم مِنْ بَأْسِكُم فَهَل**

---

(٨) وقد شكت «دبورة» في نشيدها المشهور، افتقار رجالها «الاربعين الفاء للرماح والتروس». (العهد القديم، قض ٥ : ٨).

(٩) Encycl. jud, Op. Cit. P. 266 والعهد القديم، ١ صم، ١٧ : ٦ و٤٥. و١ صم ١٨ : ١١.

(١٠) م. ن.، عد ٢٥ : ٧ـ٨.

(١١) م. ن.، ٢ صم، ٢ : ٢٣.

(١٢) م. ن.، صم ٢٦ : ٧.

(١٣) م. ن.، ١صم ١٧ : ٥ـ٧.

(١٤) م. ن.، قض ٣ : ١٦.

(١٥) م. ن.، ١ صم ١٣ : ١٩ـ ٢٠ و٢٢.

انتُم شاكِرُونَ» (الانبياء ٢١/ ٨٠). ويذكر «القرطبي»، في تفسيره، ان «اللَّبوس» هي، عند العرب «السلاح كله، درعا كان ام جوشنا او سيفا او غمدا»، وان البأس هنا بمعنى الحرب او آلة الحرب (بعد حذف المضاف: آلة بأسكم)[١٦]. أي ان الله عز وجل علّم داود صنع الحديد كي يحصنه ويحميه من آلات الحرب التي يستخدمها الاعداء ضده.

ويسأل الله عز وجل بعد ذلك، اليهود: فهل انتم شاكرون؟ ويأتي السؤال هنا في موضع اللوم، ذلك ان اليهود لم يشكروا الله على «تيسير نعمة الدروع» وما يصنع من الحديد لهم، كما انهم لم يطيعوا رسوله[١٧]، لذلك، ندد الله عز وجل باليهود ووضعهم في مصاف المشركين بسبب عداوتهم للمؤمنين وتجديفهم على الله، اذ قال فيهم: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِيَن أَشْرَكُوا..» (المائدة ٥ / ٨٢) وقال: «وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا...»(المائدة ٥ / ٦٤).

وقد اتخذ السيف اشكالا عديدة أقدمها السيف الذي كان إما بشكل «منجل» او بشكل مستقيم وقصير، وذلك في العصر البرونزي الاول، ثم تطور، بعد ذلك، ليصبح ذا نصل طويل ومستقيم ومروّس وذي حدين[١٨]. وبينما كان «السيف المنجل» يستخدم «للضرب» أضحى السيف المتطور يستخدم «للقطع والطعن»[١٩].

واستمر السيف، في العصور اللاحقة، «حديديا طويلا صلبا مستقيما يستخدم للقطع والطعن»[٢٠] وكان هذا النوع الجديد من السيوف قد حل محل «السيف المنجل»- (Sickle Sword) كسلاح اساسي للجيوش[٢١]، وظل، في «العصر الحديدي» الذي عرفته المملكة العبرية الموحدة، «حديديا طويلا مستقيما وذا حدين»[٢٢]. وقد ورد، في سفر القضاة، وصف لهذا السيف جاء فيه: «فعمل أهود لنفسه سيفا ذا حدين، طوله ذراع، وتقلّده تحت ثوبه، على فخذه اليمنى»[٢٣].

(١٦) سويد، الفن العسكري الاسلامي، ص ٣٩، وانظر: القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، جـ ١١: ٣٢٠.
(١٧) القرطبي، م.ن.، ص ٣٢١.
(١٨) Encycl. jud. Op. Cit. PP. 266 --
(١٩) Ibid, --
(٢٠) Ibid, P. 271 --
(٢١) Ibid, p. 271. --
(٢٢) Ibid, P. 272 --
(٢٣) العهد القديم، قض ٣: ١٦.

ويعتبر الخنجر الشكل البدائي للسيف، فهو قصير ومرّوس وذو حدين، وقد عرفته العصور القديمة الى جانب «السيف المنجل»، الا انه لم يستبدل بالسيف، كما جرى لهذا الاخير، بل انه ظل معروفا ومستخدما في الجيوش ولدى العامة، ولا يزال. وهو يستخدم، عادة للطعن وفي القتال وجها لوجه.

وقد عرف «السيف الخنجر dagger - Sword» في العصر البرونزي الوسيط، وكان مستقيما وضيقا، وبينما كان «السيف المنجل» يستخدم للضرب، كان الخنجر يستخدم للطعن، وهو اقصر من «السيف المنجل» وأعرض[٢٤].

٤ـ **فأس القتال:** كان يعتبر، الى جانب السيف، من الاسلحة المهمة في العصر البرونزي الأول، وما ان توقف السيف، في العصر البرونزي الوسيط، عن التطور، كسلاح اساسي للمشاة، بسبب الصعوبات التقنية، حتى تقدم عليه فأس القتال، بل حل محله في القتال وجها لوجه، حيث بدا نصله (شفرته)، الاكثر ضيقا وطولا من السابق، والهلالي الشكل، اكثر عرضا من نصل السيف، بل من اي نصل آخر. وبينما كان الفأس يستخدم للقطع استخدمه المصريون كسلاح للطعن ايضا[٢٥]، الا ان هذا النوع من السلاح بدأ يختفي، مع بدء ظهور العصر الحديدي[٢٦]، أمام تقدم السيف وتطوره نحو الافضل.

٥ ـ **المقلاع:** منجنيق يدوي صغير يرمى به المرمى البعيد على مسافة تختلف باختلاف قوة الرامي وطول ذراع المقلاع، او هو كناية عن اداة تحمل حجرا وتدور حول نفسها وحول محورها، ثم يطلق الحجر منها نحو الهدف المقصود. ويتألف المقلاع من:

ـ كفة الرمي (او القعر) حيث يوضع الحجر الذي يُرمى، وهي من القماش المتين او الجلد.

ـ ذراع من القماش المتين او الجلد، كذلك، يتصل بالكفة من احد طرفيها، وبيد الرامي من الطرف الآخر، ذهابا وايابا.

ـ يد الرامي وذراعه الذي يشكل المحور الذي يدور المقلاع حوله. وتتم عملية القذف بان يدير الرامي المقلاع حول نفسه (اي المقلاع) وحول محوره (اي الذراع الرامي) ثم يُفلت أحد طرفي الذراع فيذهب الحجر بعيداً باتجاه الهدف.

---

(٢٤) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 267 --

(٢٥) Ibid. --

(٢٦) Ibid, p. 269 --

ـ الجعبة، وهي كيس صغير توضع فيه ذخيرة المقلاع (اي الحجارة) ويعلّق في وسط الرامي او في كتفه، وتسمى كذلك: الكنف، او الجراب، او الكيس[٢٧].

وكان أبرز ذكر للمقلاع، في العهد القديم، عندما روى تفاصيل المبارزة التي جرت بين داود العبري وجليات الفلسطيني، وذلك في سفر صموئيل الاول، اذ جاء فيه:

«وكان، لما نهض الفلسطيني وذهب، وتقدم لملاقاة داود، ان داود اسرع وركض نحو صف القتال لملاقاة الفلسطيني. ومد داود يده الى الكيس، واخذ منه حجرا وقذف بالمقلاع، فضرب الفلسطيني في جبهته، وانغرز الحجر في جبهته، فسقط على وجهه على الارض. وانتصر داود على الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن في يد داود سيف، فركض داود ووقف على الفلسطيني، واخذ سيفه من غمده وقتله، وقطع به رأسه»[٢٨]. وما زالت المبارزة بين «داود» العبري و«جليات» الفلسطيني قائمة.

وقد ورد ذكر المقلاع، كذلك، في العهد القديم، في مناسبات اخرى منها:

ـ في الحرب التي جرت في «جبع» بين بني بنيامين وبني اسرائيل، وكان بنو بنيامين مسلحين بالسيوف والمقاليع، وكان رماة المقلاع منهم «يسر الأيدي» يرمي كل منهم «الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئ» وكانوا «سبع مئة رجل» مختارين[٢٩].

ـ في «خطب الرب» من «سفر أيوب» حيث خاطب الرب ايوب عن «لوياثان» قائلا:

«لا يهزمه صاحب القوس، وحجارة المقلاع تنقلب قشا»[٣٠].

٦ ـ الدرع والترس (او المجن): والدرع لباس يرتديه المقاتل لكي يتقي به ضربات الاعداء ونبالهم، ويصنع من جلد او نحاس او حديد، وقد قال تعالى في كتابه الكريم، مخاطبا داود عليه السلام: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا داودَ مِنَّا فَضْلاً، يا جِبَالُ أَوِّبِي معه والطَّيْرَ، وَأَلَنَّا له الحَدِيدَ * أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ، واَعْمَلُوا صَالِحاً، إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» (سبأ ٣٤ / ١٠ و ١١). وفي هاتين الآيتين توجيه من الله عز وجل الى داود ان يصنع الدروع من الحديد بعد ان ألانه الله فجعله في يده «كالشمع يصرفه كيف يشاء» (تفسير

---

(٢٧) العهد القديم، ١ صم ١٧: ٤٠ و٤٩.

(٢٨) م.ن.، ١ صم ١٧: ٤٨ ـ ٥١.

(٢٩) م.ن.، قض ٢٠: ١٤ ـ ١٦.

(٣٠) م.ن. أي ٤١: ٢٠ ولوياثان: وحش من «الخواء القديم» يفترض انه «لا يزال عائشا في البحر». ويطبق هنا على التمساح. وهو يرمز هنا الى ذلك «الوحش الذي هزمه الرب في مبادئ العالم» والذي هو «مثال القوى المعادية لله» (م.ن.، ص ١١٠٢ ـ ١١٠٣ حاشية ٥).

البيضاوي) او «كالطين المبلول والعجين والشمع» (السدّي في القرطبي)، وان يقدّر سرد هذه الدروع، أي «نسج حلقها» تقديرا صحيحا بحيث تجمع بين الخفة والحصانة (القرطبي). والسرّاد: هو الزرّاد الذي يصنع حلقات الدروع وينسجها. ويفسر «البيضاوي» عبارة «وقدّر في السرد» بمعنى: قدّر مسامير الدروع (اي حلقاته)، «فلا تجعلها دقاقا فتقلق، ولا غلاظا فتخرق» (البيضاوي، تفسير سورة سبأ)[٣١]. ويأتي قوله تعالى: «**واعملوا صالحا، اني بما تعملون بصير**» إشارة لمحاسبته اليهود على أعمالهم بعد ان «آلان» لداود، نبيّهم، الحديد، وعلّمه صنع السلاح والدروع تقوية له وتعزيزاً[٣٢].

ولكن الدرع، وكذلك الترس، عرفا قبل داود بفترة طويلة، فقد عرف المشاة السومريون، في العصر البرونزي الأول، سترات من الجلد معها مسامير معدنية[٣٣]، وبسبب تطور الوسائل الهجومية في القتال، كان لا بد من تطور وسائل الدفاع، الفردية اولا، فكان ان وجدت، في العصر البرونزي الاخير وما بعده، دروع تغطي جسم المقاتل وتتألف من جلد، او قماش خشن، مغطى بصفائح برونزية مستطيلة ورقيقة، وتتغير احجام هذه الصفائح بما يلائم السترة التي تغطيها، حتى ان عدد الصفائح يراوح، في سترة واحدة، ما بين ٤٠٠ و٦٠٠ صفيحة، مما يجعل هذه الدرُوع ثقيلة ولكنها ضعيفة عند ملتقى الأكمام وغطاء الرقبة مع جسم السترة[٣٤]. ورغم ذلك، كان ممكناً ان يصاب المقاتل، المدرّع بهذا الشكل من الدروع، بضربة سيف او طعنة رمح تصيب الفراغ الذي يمكن ان يظل قائما في الفجوات ما بين الصفائح، كأن يصاب في الفراغ القائم بين مفاصل الدرع، وهذا ما أصاب آحاب بن عمري، ملك اسرائيل، في وقعة «راموت جلعاد» اذ ان «رجلا رمى قوسه غير متعمد فاصاب ملك اسرائيل بين مفاصل الدرع» فمات اثر ذلك[٣٥]. كما كان المقاتلون يستخدمون سلاسل من الزرد لحماية انفسهم ومركباتهم والخيل التي تجرها[٣٦].

والترس أو المجن، آلة يقي بها المقاتل نفسه من سهام الاعداء او رماحهم او سيوفهم، ويصنع من الجلد او الخشب او النحاس او الحديد، وقد رافق الترس الدرع في صنعه

---

(٣١) سويد، ياسين، الفن العسكري الاسلامي، ص ٣٩، وانظر: القرطبي، المصدر السابق، جـ ١٤: ٢٦٤ ـ ٢٦٨، وتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي المعروف بالبيضاوي (سورة سبأ).

(٣٢) لقد اشرنا، في مكان سابق من هذا الفصل، الى تنديد الله عز وجل في كتابه الكريم، باليهود، ووضعه اياهم في مصاف المشركين ولعنه اياهم، وذلك بسبب عداوتهم للمؤمنين (المائدة ٨٢) وتجديفهم في العزة الالهية (المائدة ٦٤) فارجع اليه.

(٣٣) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 266 --

(٣٤) Ibid. p. 269 --

(٣٥) العهد القديم، م.ن.، ١ مل ٢٢: ٣٤ ـ ٣٥.

وتطوره، فكان في العصر البرونزي الأول، مثلث الشكل، عريضا، يصنع من الخشب المغطى بالجلد المغطى، بدوره، بصفائح معدنية[٣٧]. وتطور الترس، بعد ذلك، بسبب تطور الدرع الذي اختصرت قياساته، مما اثّر على قياسات الترس نفسه، الذي كان يصنع من خشب مغطى بالجلد المغطى، بدوره، برؤوس مدببة. وقد اعتمد المصريون، في العصر البرونزي الثالث، اتراسا صغيرة ذات شكل مستطيل وعليها رؤوس مدببة، وقد غطيت هذه الرؤوس، فيما بعد، بصفائح معدنية. كما حمل الحثيون تروسا صنعت على شكل 8. اما تروس الكنعانيين فكانت صغيرة مستطيلة، ثم أضحت، بعد ذلك، مستديرة[٣٨].

وأدى تطور الدرع، في العصر الحديدي، الى تطور الترس ايضا، فبينما اصبح الدرع (عند الفلسطينيين) كناية عن سترة من الصفائح المعدنية، يتصل بعضها ببعض بواسطة زوايا تلتقي باشكال ٧ متعاكسة، ويسمى «الدرع الحرشفية»، مما يجعله ثقيل الوزن (اذ كان وزن درع جليات خمسة آلاف مثقال نحاس)، ظل الترس ثقيل الوزن، ايضا، مما كان يضطر المقاتل (المبارز كجليات) لاستخدام حامل للترس يتقدمه الى ساحة المبارزة[٣٩].

ولم يكن الدرع يقتصر على النصف الأعلى من الجسم فقط، بل كان يمتد الى النصف الأسفل منه، والى ساقيه ايضا، فقد كان الفلسطينيون يرتدون تنانير جلدية ويلفون على سيقانهم لفافات من نحاس، وهذا هو الشكل الذي ظهر فيه «جليات» عند مبارزته لداود[٤٠].

ثم تطور الدرع، بعد ذلك، فأصبح سترة من الزرد الحديدي المقوى، على شكل كيس بفتحة للرأس وبأكمام قصيرة، وبطول كامل الجسم، (وذلك في القرن التاسع ق. م). ثم استخدم النبّالون وشاحاً من الزرد يغطي الرقبة ما بين الخوذة والدرع. وفي القرن الثامن ق. م. اختصر الدرع حتى أصبح بشكل سترة قصيرة من الزرد[٤١]. اما الترس فقد اتخذ اشكالا مختلفة منها المثلث والمستدير والمقعّر او المنحني، والمغطى برؤوس مدببة ومستديرة بحسب المرحلة التي ظهر فيها كل شكل من هذه الاشكال. كما شكّل «حملة الأتراس» وحدة خاصة بهم[٤٢].

---

(٣٦) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 269 --

(٣٧) Ibid, P. 266 --

(٣٨) Ibid, P. 269 --

(٣٩) العهد القديم، ١ صم ١٧: ٤ ـ ٧ و Encycl. Jud. Op. Cit. P. 271 --

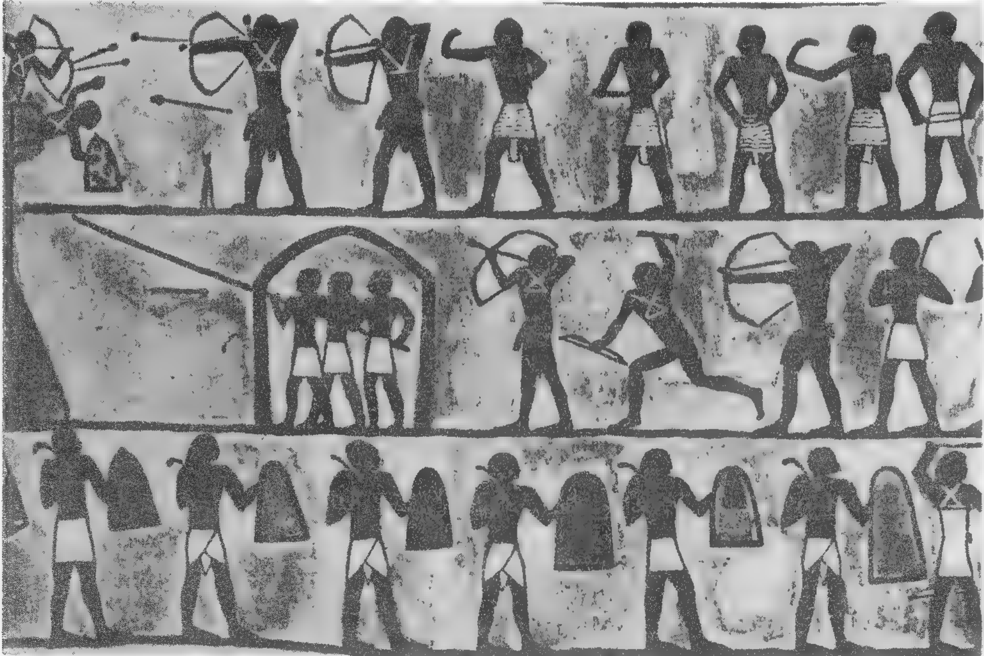
(٤٠) م.ن.، ١ صم ١٧: ٦ و Encycl, Jud. Op. Cit. P. 271 --

(٤١) Ibid P. 272 --

(٤٢) Ibid. --

الرسم (رقم ٢):

صورة لنقوش جدارية من آثار بني حسان بمصر في القرن العشرين ق. م. وهي تمثل هجوما على مدينة محاصرة، من مصريين مسلحين بالفؤوس والاقواس المحدّبة المزدوجة واتراس خشبية.



(-- Keter Publishing, Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 p. 270)

٧ـ **الخوذة:** عرفت الخوذة المعدنية في العصر البرونزي الأول، وكان وجودها احد اهم اسباب تطور الفأس كسلاح للقطع والطعن[٤٣] كما سبق أن مر معنا. ذلك ان حاجة المقاتل لسلاح يخترق الخوذة المعدنية للخصم دفع المقاتلين للبحث عن تغييرات جوهرية في شكل الفأس وفعاليته، بحيث يلبي هذه الحاجة، فكان «الفأس ـ العين Eye - axe»، الذي عرف خلال القرنين العشرين والتاسع عشر ق. م.، هو السلاح المطلوب، وقد وجد هذا السلاح في المكتشفات الأثرية في كل من فلسطين وسوريا وجبيل[٤٤].

وقد حرصت الجيوش، في العصر البرونزي الثالث، على ايجاد اشكال مختلفة من

(٤٢) -- Ibid.

(٤٣) -- Ibid, P. 266

(٤٤) -- Ibid, P. 267 - 268

الخوذ المعدنية، متعمدة التفنن في هذه الاشكال، فقد كان الكنعانيون مثلا، يلبسون خوذة معدنية مستديرة تغطي الرقبة من الخلف ولكنها تكشف الأذنين (كما وجدت في اثريات مجدو). واختار الآسيويون خوذة مروّسة قليلا في الأعلى ومغطاة بالريش او مزينة بالجلد، مع شرّابة متصلة بالتاج ومعقودة الى الخلف كضفيرة. وكانت خوذة الحثيين مروّسة مع حماية للرقبة وضفيرة طويلة. وقد وجدت اشكال اخرى لخُوَذ الحثيين في أثريات قادش، كتلك التي كان يعتمرها طاقم المركبة الحثية، وهي خوذة مستديرة تغطي الرقبة وتكشف الأذنين[٤٥].

اما في العصر الحديدي (الذي عرفته الممالك العبرية المختلفة) فقد عرفت شعوب البحر اشكالا مختلفة من الخُوَذ، فاعتمر الفلسطينيون خوذة مزينة بعرف من الريش كعرف الديكة، بينما اعتمر آخرون خوذة ذات قرون او خوذة ذات اقراص وقرون[٤٦]. ويذكر العهد القديم ان جليات الفلسطيني كان يعتمر «خوذة من نحاس» عندما انبرى داود لمبارزته[٤٧]، وكان داود يعتمر خوذة مماثلة[٤٨].

وفي مقارنة طريفة بين الجهاز العسكري الذي تجهز به كل من جليات الفلسطيني وداود العبري، في اثناء المبارزة التي جرت بينهما، وفقا لما جاء في العهد القديم، نجد ما يلي:

ـ خرج «جليات» الفلسطيني وكان طوله ست أذرع وشبرا، وعلى رأسه خوذة من نحاس. وكان لابسا درعا حرشفية (وهو الدرع المحبوك حبكا بحيث يبدو كحراشف السمك)، ووزن الدرع خمسة آلاف مثقال نحاس، وعلى رجليه ساقان من نحاس، وبين كتفيه مزراق من نحاس، وقناة رمحه كمطوى النسّاج، ووزن رمحه ست مئة مثقال حديد. وكان يتقدمه رجل يحمل ترسه»[٤٩].

---

(٤٥) Ibid. P. 269 --

(٤٦) Ibid. P. 271 --

(٤٧) العهد القديم، ١ صم ١٧: ٥.

(٤٨) م.ن.، ١ صم ١٧: ٣٨.

(٤٩) م.ن. ١ صم ١٧: ٤ـ٧.

ـ وخرج «داود» العبري بلباس شاول وجهازه العسكري، اذ «ألبس شاول داود ثيابه، وجعل على رأسه خوذة من نحاس، وألبسه درعا، وتقلد داود سيفه فوق ثيابه وحاول ان يمشي لانه لم يكن قد جرّب، فقال داود لشاول: لا استطيع ان أمشي بهذه، لأني لم أكن قد جربتها. ونزعها داود عنه. ثم اخذ عصاه بيده، وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في جيب كيس الراعي الذي له، ومقلاعه بيده، وتقدم من الفلسطيني»(٥٠).

وقد سبق ان بيّنا، في حديثنا عن جيش عزريا ملك يهوذا (٧٦٧ ـ ٧٤٠ ق.م)، ان هذا الجيش عرف «تروسا ورماحا وخُوَذا ودروعا وقسيا وحجارة مقاليع، وصنع في أورشليم، منجنيقات»(٥١)، أما خصومه الفلسطينيون الذين كانوا يتميزون بخُوَذ يعلوها ريش، فقد كانوا يستخدمون «سيوفا طويلة مستقيمة واتراسا مستديرة»، بينما كان المصريون يستخدمون «اقواسا مركبة ورماحا قصيرة»(٥٢).

الا ان اهم الاسلحة الفردية، الهجومية خصوصاً، التي كانت تستخدم، في هذه الحقبة (الالف الأول ق.م) هي: المقلاع والقوس(٥٣) والسيف والرمح، وقصة داود العبري وجليات الفلسطيني ليست قصة استثنائية في وسائل الهجوم التي كانت معتمدة في تلك الحروب.

ـ **ترتيب الجند، في القتال، وفقا للسلاح**: كانت الجيوش تتألف، في العصر الحديدي، أي عصر الممالك العبرية، من ثلاث فئات: مشاة، وخيالة، ومركبات، وهو ما أوصى به ضباط بنهدد، ملك آرام، بعد هزيمة جيشه في حربه، امام السامرة، ضد آحاب ملك اسرائيل، اذ قال هؤلاء الضباط لمليكهم: «جنّد لك جيشا كالجيش الذي سقط لك، وخيلا كالخيل السابق، ومركبات كالمركبات السابقة، فنقاتلهم في السهل ونقوى عليهم»(٥٤)، كما يؤكد ذلك ما ورد في العهد القديم من انه لم يبق ليواحاز، ملك اسرائيل، من جيشه، بعد هزيمته امام حزائيل ملك آرام، وابنه بنهدد (الثالث)، سوى «خمسين فارسا

---

(٥٠) م.ن. ١ صم ١٧: ٣٨ ـ ٤٠.

(٥١) م.ن.، ٢ اخ ٢٦: ١٤.

(٥٢) Pritchard, Atlas du monde biblique, P. 116-

(٥٣) Ibid

(٥٤) العهد القديم، ١ مل: ٢٠: ٢٥.

وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل»[٥٥]. وكان كل جندي، من جيش يواحاز، مجهزاً «بالاضافة الى اسلحته الخاصة ... بسيف، وسترة من الزرد، وخوذة»، الا ان هذا التجهيز كان يتغير من «ملك الى آخر» كما كان الجيش يشكل من كتائب مجهزة بمقاليع وقسي ورماح طويلة وقصيرة وسيوف وتروس ودروع[٥٦].

وكانت فرق المشاة تتألف من أربع فئات هي:

- النبالون، وهم رماة السهام (او النبال) من القسي.
- والقذافون، وهم رماة الحجارة من المقاليع (جمع مقلاع).
- والرمّاحون، وهم حاملو الرماح ورماة المزاريق (ج. مزراق).
- والمساعدون، وهم حاملو التروس الذين يتقدمون صفوف النبالين[٥٧].

وكان ترتيب الكتائب يتم على الشكل التالي:

- في المقدمة: حاملو التروس الذين يتقدمون الصفوف جميعها.
- في الصف الأول (الذي يلي المقدمة): النبالون يرمون نبالهم تحت حماية حاملي التروس.
- ويليهم: القذافون الذين يرمون حجارتهم تحت حماية حاملي التروس كذلك. ولا يحمل النبالون والقذافون تروسا.
- في الصفوف الخلفية: الرماحون الذين يحملون الرماح الطويلة والقصيرة والسيوف.

وهم الوحدات التي تخوض معارك القتال وجها لوجه[٥٨]. وكان المشاة يشكلون السلاح الرئيسي في ميدان القتال وفي مهاجمة الحصون[٥٩].

---

(٥٥) م.ن.، ٢ مل ١٢: ٧.

(٥٦) -- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 272

(٥٧)

(٥٨) -- Ibid, et Pritchard, Op. Cit. P. 116

(٥٩) -- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 272.

أما الخيالة فكانوا يتألفون من فئتين هما: النبالون والرماحون، وكان هؤلاء يشاركون في المعارك ويحملون القسي او الرماح. وبينما كان الرماحون يحملون تروسا، كان النبالون لا يحملونها، وذلك لان النَبّال، بعكس الرَمّاح، يحتاج لكلتا يديه كي يرمي، لذا، كان يستعيض عن الترس بالدرع وبحامل الترس الراكب الذي كان يتقدم صفوف النبالين(٦٠).

وكان الخيالة يقاتلون في وحدات خاصة بهم (وينفذون مهمات دفاع متحرك عن المركبات)(٦١).

وكان الجميع يتدرعون بدروع من صحائف نحاسية او حديدية، وكانت الدروع كناية عن قطع من هذه الصحائف يتصل بعضها ببعض بواسطة اسلاك معدنية، بحيث تغطي الجذع الأعلى من الجسم (الصدر والبطن)، اما الجذع الاسفل منه فكان يغطى بتنورة جلدية وسيقان من نحاس للساقين. وكان للخيول دروع خاصة بها.

ثانيا: الأسلحة الاجمالية:

وهي تلك التي تحتاج الى اكثر من مقاتل فرد لاستخدامها، وكان أهمها، في تلك الحقبة ثلاثة: المنجنيق، ورأس الكبش، والمركبة.

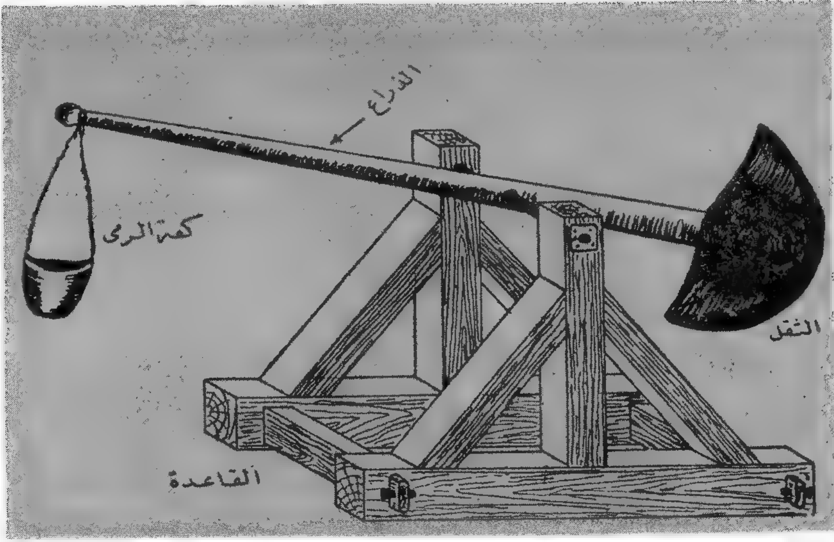
١ـ **المنجنيق**: المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة، وتستخدم لهدم الحصون او لرمي الأعداء بالنبال او لإحراق مواقع العدو، وغير ذلك. وينسب الكثير من المؤرخين اختراع هذا السلاح الى الفرس، ويبدو ذلك صحيحاً باعتبار ان لفظة «منجنيق» فارسية الأصل، وهي «من جه نيك» أي «ما أجودني»، وجمعها: منجنيقات، ومجانق، ومجانيق. ويمكن القول ان المنجنيق هو مقلاع كبير، يتألف، عادة، من قاعدة خشبية يقوم في وسطها عمود خشبي في اعلاه ذراع تتحرّك علوا وسفلا، ويتدلى منها صندوق يملأ بالحجارة او السهام او الخرق المبلولة بالزيت بعد احراقها، ويجري قذفها الى مسافات بعيدة بواسطة تحريك الذراع الخشبية(٦٢).

---

(٦٠) Ibid. --

(٦١) Ibid. --

(٦٢) سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٦١ ـ ٦٦، وانظر: محيط المحيط (جنق).



المنجنيق

عن كتاب «الفن الحربي في صدر الاسلام» لعبد الرؤوف عون، ص ١٥٩

وقد سبق ان ذكرنا ان «عُزِّيّا» بنى الأبراج على سور أورشليم وأقام «على الزوايا» منجنيقات «اخترعها رجال حذاق» لكي يرمي بها على المهاجمين «السهام والحجارة الضخمة»[٦٣]. كما سبق ان ذكرنا ان يهوذا المكابي نصب المجانيق لدكّ حصن «دياتما» شرق بحيرة الجليل لانقاذ اليهود المحاصرين فيه من قبل جيش طيموتاوس السلوقي[٦٤]. وفي العهد القديم العديد من الأمثلة عن استخدام المنجنيق في حروب العبرانيين.

٢ـ سلم الحصار: وهو سلم من حبال مجدولة بشكل درجات تنتهي بوهق او نشوطة يرميها المحاصرون على أعلى السور وشرفاته لتعلق بها، ويتسلقون السور بواسطة السلم بعد تثبيته[٦٥]. وقد سبق ان مر معنا ان يهوذا المكابي حاصر حصن «دياتما» ونصب على سوره «السلالم» لاقتحامه بغية انقاذ اليهود المحاصرين فيه، وتذكر «الانسكلوبيديا

(٦٣) العهد القديم، ٢ أخ ٢٦: ١٥.

(٦٤) م. ن. ١ مك ٥: ٣٠.

(٦٥) سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧١، وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٢: ٤٢٨.

اليهودية» سلالم الحصار كواحدة من الوسائل الرئيسية لاقتحام الحصون، وهي تعتبر ذلك نوعا من «الاقتراب المباشر» الذي يتم اما باختراق اسوار الحصن بواسطة فتح ثغرات فيها، او بتسلق هذه الأسوار بواسطة السلالم[٦٦].

٣ـ رأس الكبش او (كبش الحصار): يعتبر «رأس الكبش» او «كبش الحصار» أكثر الأسلحة الهجومية فتكا بالحصون والتحصينات، وهو كناية عن كتلة خشبية ضخمة يثبت فيها رأس من الحديد او الفولاذ، وتدخل في برج مربع مسقوف ولا ارض له، يسير على اطر وعجلات، ويلجه، في القتال، عدد من الرجال يدفعونه الى سور الأعداء كي يعملوا به نقبا وتهديما من خلال فتحات او كوى فتحت في جدران الصندوق الخشبي المتحرك. وكان المهاجمون، اذا ارادوا هدم سور او حصن ما، يتقربون منه بواسطة البرج المربع المسقوف، حيث يتدلى «الرأس الحديدي» (الذي هو أشبه برأس الكبش) من سطح البرج، وهو مربوط بسلاسل قوية، ثم يقيمون مدرجا امام الموقع الذي يريدون خرقه (ويكون، عادةً، باب السور او أضعف نقطة فيه) ويدفعون الكبش حتى يتسلق المدرج، ثم يحركون الرأس الحديدي صعودا وهبوطا باتجاه الهدف (الباب او اية نقطة اخرى) فيضربه ضربات قوية متتالية حتى يتمكن من هدمه او فتح ثغرة فيه. وكانت هذه الآلة تتقدم نحو سور الأعداء تحت غطاء كثيف من السهام التي يطلقها المحاصرون ليمنعوا المدافعين من النيل منها، بينما كان المدافعون عن الحصن او السور يسعون الى تلافي خطر هذا السلاح بان يرموا عليه سبائك الحديد المذاب او الخرق المبللة بالسوائل الملتهبة لكي يحرقوه[٦٧].

ويذكر «بريتشارد» ان مجموعة من النقوش الظاهرة على جدران قصر سنحاريب في «نينوى «Ninive» تظهر الجيش الاشوري وهو يهاجم مدينة «لاكيش» أو «لخيش» في فلسطين عام ٧٠١ ق. م، وبينما كان «كبش الحصار» او «راس الكبش» مواجها لبوابة المدينة، كان جندي يرش البوابة بالماء لكي يطفئ الخرق الملتهبة التي كان المدافعون يرمونها، من اعلى السور، على تلك الآلة، كما كان المدافعون عن المدينة يرمون المهاجمين بسيل من السهام والحجارة. وقد اكدت الحفريات التي أجريت في «لاكيش» صحة ما جاء في تلك النقوش عن الحصار، اذ انها أظهرت وجود مدرج أشوري أمام بوابة المدينة

---

(٦٦) Encycl. jud. Op. Cit. P. 273 - 274 --

(٦٧) سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٦٦ ـ ٦٧، وعون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الاسلام، ص ١٧٢، وانظر Encycl. Jud, Op. Cit. P. 274 - 275 et Pritchard, Op. Cit. P. 117

المحاصرة، ومدرج آخر في داخلها (٦٧ مكرر). وقد ورد ذكر هذا السلاح في العهد القديم، في سفر «حزقيال»، حيث جاء ان «نبوخذنصر» ملك بابل، أتى الى أورشليم «لينصب الكباش ويأمر بالذبح ويرفع الصوت بالصياح: لينصب الكباش على الأبواب، ويركم المردوم ويبني التحصينات»(٦٨).

٤ ـ **الفيل**: يمكن اعتبار الفيل عتادا حربيا استخدمته الجيوش في ميادين القتال منذ العصور القديمة، وقد مر معنا ان انطيوخوس الخامس، الملك السلوقي، استخدمه عام ١٦٣ ـ ١٦٢ ق. م. عند غزوه لليهودية، في عهد يهوذا المكابي. ويذكر العهد القديم ان انطيوخوس سقى الأفيال «عصير العنب والتوت» لكي تهتاج، ثم وزعها على الفرق فجعل «عند كل فيل الف رجل» وأقام لكل فيل «خمس مئة فارس منتخبين»، وكان على كل فيل «برج حصين من الخشب يحميه»، وعلى البرج ثلاثة محاربين يقاتلون من على ظهر الفيل، بالاضافة الى الفيّال(٦٨ مكرر). وكان مع انطيوخوس، في جيشه ٣٢ فيلا «مدربا على الحرب»(٦٩). الا انه لم يُعرف ان العبرانيين اقتنوا الفيلة لكي يستخدموها في حروبهم.

٥ ـ **الحصان**: كان الحصان وظل، الى مرحلة متقدمة، من أهم وسائل القتال في الحروب، فهو، بالاضافة الى كونه وسيلة لحمل المقاتلين وسرعة تحركهم في المناورات القتالية في المعركة، كان، في العصور القديمة، وسيلة لجرّ المركبات القتالية التي كانت تجرّ بواسطة حصانين او اربعة وفقا لحجم المركبة وضخامتها، ولتطور صناعتها عبر التاريخ.

٦ ـ **المركبة**: كانت المركبة أهم عتاد قتالي في معارك القدماء، منذ العصور الأولى في التاريخ، والى زمن غير بعيد، بل انها كانت دبابة تلك العصور.

عرفت المركبة في العصر البرونزي الأول «كقاعدة نارية متحركة»، اذ انها تؤمن للمقاتل حاجتين أساسيتين هما: الثبات والسرعة، وقد تطورت صناعتها، بسرعة فائقة، منذ ايام السومريين (في مطلع الالف الثالث ق. م)، اذ كانت تسير على عجلتين، ثم على اربع، وكان يجرها زوجان من الخيل(٧٠).

(٦٧ مكرر) Pritchard, Op. Cit, P. 117

(٦٨) العهد القديم، حز ٢١: ٢٧.

(٦٨ مكرر) م. ن.، ١ مك ٦: ٣٤ ـ ٣٧.

(٦٩) م. ن. مك ٦: ٣٠.

(٧٠) -- Encycl. Jud. Op. Cit. PP. 266 - 267

وقد بلغت المركبة، في العصر البرونزي الثالث، درجة عالية من التطور، فقد كانت عربات المصريين تقليدا لتلك التي كان يستخدمها الكنعانيون، اذ انها كانت خفيفة تسير على عجلتين ويجرها جوادان مرتبطان بنير يشد احدهما الى الآخر. وكانت معدّة لكي تحمل سائقا ونبّالا مع صندوق للنبّال (او السهام). وكما ان المصريين قلّدوا مركبات الكنعانيين، اثناء حكمهم لهؤلاء، في هذه الفترة، فقد نقل الكنعانيون بدورهم الكثير من مزايا مركبات المصريين، وظهر ذلك في النقوش التي اكتشفت في «مجدو» (١٤٦٨ ق. م). وقد طور الحثيون المركبات، بعد ذلك، حيث ظهرت في نقوش قادش (١٢٨٦ ق. م) مركبات يجرّ الواحدة منها جوادان وتحمل سائقا ورمّاحا (قاذف مزاريق)، وحامل درع. وبينما كان المصريون يستخدمون مركباتهم كقاعدة متحركة للنبّالين، كان الحثيون يستخدمون مركباتهم كقاعدة متحركة للمشاة المسلحين بالمزاريق والذين يستطيعون القتال، كمشاة، خارج هذه المركبات[٧١].

وفي العصر الحديدي، استمر المصريون باستخدام المركبات التي كانوا يستخدمونها في العصر البرونزي الثالث، بينما استخدم الفلسطينيون مركبات ثقيلة تسير على ست عجلات وتحمل طاقماً من ثلاثة مقاتلين مسلحين بالمزاريق، كشأن الحثيين. اما العبرانيون، قبل داود وسليمان، فلم يكونوا يملكون مركبات، اذ ذكر العهد القديم ان يهوذا حارب الكنعانيين في السهل فغلبهم «وورث الجبل» الا انه لم يتمكن من طرد سكان السهل منهم «لانهم كانت لهم مركبات من حديد»[٧٢]. كذلك فان «دبورة وباراق» قاتلا «سيسرا» قائد جيش الكنعانيين، عند «جبل تابور»، وكان مع سيسرا «تسع مئة مركبة من حديد»، ولم يكن مع «دبورة وباراق» مركبات. وكان لا بد من ان ينتصر سيسرا على العبرانيين بمركباته الحديدية الضخمة والكثيرة العدد والمجهزة بالمقاتلين لولا ان «ألقى الرب رعبا على سيسرا وجميع مركباته، وقتل جميع جيشه، بحد السيف امام باراق، فترجل سيسرا عن مركبته وهرب راجلا. فطارد باراق مركباته وجيشه الى حروشت الامم»[٧٣]. وكان داود وسليمان من بعده، اول من استخدم المركبات في القتال وأنشأ منها كتائب في جيشه، فقد كان لسليمان «الف واربع مئة مركبة واثنا عشر الف فرس» وأنشأ

(٧١) Ibid. PP. 269 - 270 --

(٧٢) العهد القديم، قض ١: ٩-١٩.

(٧٣) م. ن. قض ٤: ١٢-١٦.

لهذه المركبات وخيلها مدناً خاصة بها[٧٤]. وكان سليمان، في الوقت نفسه، من أهم تجار الخيول والمركبات بين مصر والحثيين، اذ كان تجّاره يشترون الخيل «من مصر ومن قُوى»، فكانوا يشترون المركبة من مصر «بستمئة من الفضة» والفرس «بمئة وخمسين»، وكان هذا هو شأن «جميع ملوك الحثيين وملوك آرام» الذين يجلبون هذه البضائع بواسطة تجار سليمان[٧٥]. ويبدو ان هؤلاء التجار كانوا يستوردون المركبات من مصر ويرسلونها الى ملوك الحثيين في شمال سوريا وملوك آرام في جنوبها حيث يقايضونها بالخيل التي يستوردونها من آسيا الصغرى ويرسلونها الى مصر[٧٦].

وقد خضعت المركبات، فيما بعد، وباعتبارها السلاح الرئيسي للانقضاض، لتغيرات مهمة، وخصوصا في عهد اشورناصربال (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م) حيث اصبحت اكثر ضخامة ووزنا، مما دعا لاستخدام وحدات متحركة من الخيالة للدفاع عنها، فقد كانت المركبة، من الحجم الوسط، تسير على ست عجلات، ويجرها جوادان، مع جواد كاحتياط، ولها طاقم من ثلاثة هم: السائق الذي يقوم، في الوقت نفسه، بمهمة الرمّاح، والنبّال، وحامل الترس الذي كان يضاف الى مركبة الملك[٧٧]. وكانت مركبة تجلت فلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م) اكثر وزنا، وكانت العجلات أعرض، وكان طاقمها مؤلفاً من ثلاثة هم: السائق، والنبال، وحامل الترس، (الذي كان يحمل ترسين مستديرين)، وكان عدد الخيول التي تجرها اربعة تجمع بينها أنيار (جمع نير). اما في عهد اشوربنيبال (٦٦٨ ـ ٦٣٠ ق.م) فقد بلغ عدد طاقم المركبة اربعة رجال هم: السائق، والنبّال، واثنان من حملة التروس[٧٨].

وقد زخر «العهد القديم» بذكر المركبات في كثير من مواضعه، فهو يذكر ان بنهدد الثاني، ملك آرام (٨٦٠ ـ ٨٤٣ ق.م)، استخدم المركبات في حصاره للسامرة[٧٩]، واستخدمها، كذلك، في قتاله ضد آحاب، ملك اسرائيل، في موقعة «راموت جلعاد» الأولى، اذ استخدم، في هذه الموقعة، اثنتين وثلاثين مركبة[٨٠]، كما كان جيش آحاب، مجهزا،

(٧٤) م.ن.، ١ مل ١٠: ٢٦.
(٧٥) م.ن.، ١ مل ١٠: ٢٨ـ٢٩. وقوى: موقع غير معروف.
(٧٦) م.ن.، ص ٦٥١ حاشية (٦).
(٧٧) -- Encycl. Jud. Op. Cit. PP. 272 - 273
(٧٨) -- Ibid. P. 273
(٧٩) العهد القديم، ١ مل ٢٠: ١.
(٨٠) م.ن.، ١ مل ٢٢: ٣١.

كذلك، بمراكب مشابهة، وقد اصيب آحاب بسهم وهو في مركبته[٨١]. ويذكر «العهد القديم»، كذلك، ان حروب الآراميين وهجماتهم المتكررة على تخوم اسرائيل، استنزفت جيش اسرائيل وأرهقته بحيث لم يبق ليواحاز، ملك اسرائيل (٨١٤ ـ ٧٩٨ ق. م)، سوى «خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف رجل»[٨٢]، وغير ذلك من الأمثلة التي يصعب حصرها، خصوصا وان المركبات كانت متوافرة لدى كل الشعوب التي كانت تقطن ارض كنعان في ذلك الحين.

وقد أنبأنا العهد القديم ان فرعون مصر طارد بني اسرائيل، الذين كانوا قد خرجوا من مصر وعبروا البحر هربا منه، بجيش كبير حدا فيه «ستمئة مركبة ممتازة، وجميع مراكب مصر، وعلى كل منها ضباط»[٨٣]، مما يؤكد ان المصريين كانوا السبّاقين في صنع مركبات القتال. ولم يأت العهد القديم على ذكر وجود مركبات من هذا النوع، او سواه، لدى العبرانيين عند خروجهم من مصر.

ثالثا: التحصينات الدفاعية:

يمكن تصنيف التحصينات الدفاعية في ثلاث فئات:

١ ـ الأسوار والبروج ٢ـ القلاع والحصون ٣ـ خنادق الدفاع

١ـ الأسوار والبروج: كانت المدن تسوّر عالية وقوية واحياناً مضاعفة من جميع الجهات، وذات ابواب تفتح في النهار وتقفل عند المساء، ومن هذه المدن: جت ويبنة واشدود الفلسطينية، وجبع بنيامين والمصفاة اليهوديتين (اللتين بنيت اسوارهما بالحجارة التي نقلها آسا، ملك يهوذا، من رامة، وكان بعشا، ملك اسرائيل، قد بناها في ارضه، فهدمها بنهدد الاول، ملك آرام في دمشق، بطلب من آسا).

وكان يقام، على هذه الاسوار، وفي زواياها، برج تنصب عليها المنجنيقات للدفاع عن المدينة ضد المحاصرين والمهاجمين، ولرمي السهام والقذائف المشتعلة، والسوائل

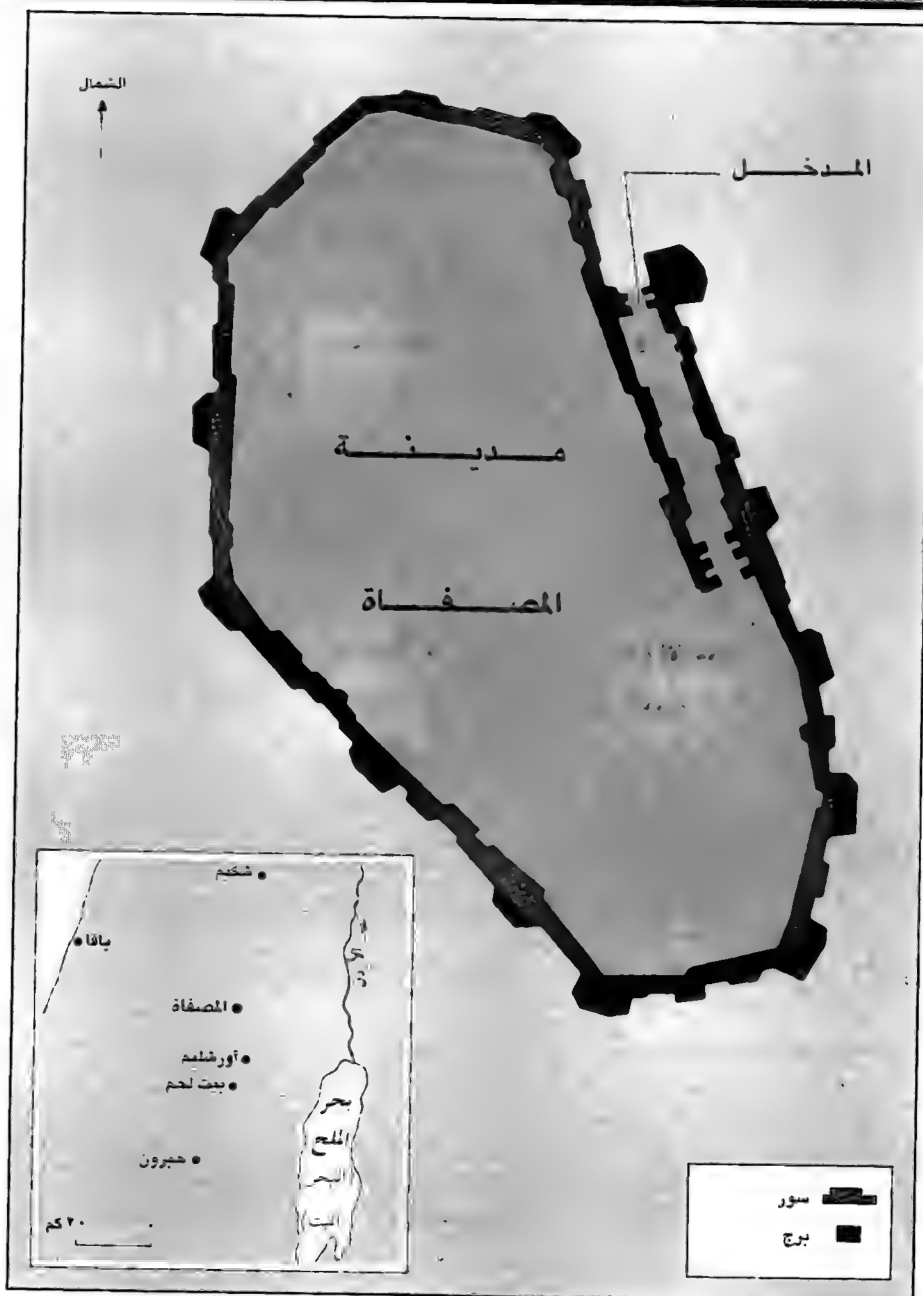
---

٨١) م. ن.، ١ مل ٢٢: ٣٤.

(٨٢) م. ن. ، ٢مل ١٣: ٧.

(٨٣) م. ن. خر ١٤: ٧ وورد في النص الفرنسي «وعلى كل منها طاقمها كاملا» وكان في هذا الجيش مليون وسبعماية الف حصان (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ ١: ٤١٤).

مخطط رقم ١: تصميم سور المصفاة في عهد آسا (ملك يهوذا)



المخطط رقم (١):
تصميم سور المصفاة في عهد آسا ملك يهوذا

الحامية والملتهبة، من اعلى السور، عليهم. وقد سبق ان ذكرنا ان عزريا (عزّيا)، ملك يهوذا، حارب الفلسطينيين و«هدم سور جت وسور يبنة وسور اشدود» كما انه بنى «ابراجا في اورشليم»، و«ابراجا في البرية»، كما اقام على بروج اورشليم وعلى زوايا السور «منجنيقات... لرمي السهام والحجارة الضخمة»[٨٤].

وقد عرف العصر البرونزي الاول الاسوار التي أقيمت حول المدن بغية حمايتها، وكانت كناية عن جدران منيعة تقام عليها، في الزوايا ومن الداخل، بروج محصنة، وتقام فيها بوابات ضخمة ومنيعة، منها ما هو أماميّ، ومنها ما هو خلفيّ او جانبي يخصص، عادة، للقيام بهجومات معاكسة ضد العدو المهاجم. وكانت البروج تقام، عادة، على شكل مربع او نصف دائري او مستطيل وفقا لوضع السور ومحاور الهجوم المحتملة، وكان ينشأ في جدار البرج وفي أعلاه متاريس ذات كوى او فتحات خاصة لرمي السهام من قبل المدافعين. وقد عثر على آثار، لمثل هذه الأسوار، في مجدو والعي (عاي) وأريحا، وعلى بروج نصف دائرية، لتحصين الأسوار، في العي وعراد وأريحا، وعلى بروج مستطيلة في طرزة (او تل الفرح) والعي وأريحا. وكانت هندسة أبواب هذه الأسوار على شكلين: إما ان تكون الممرات الداخلية (أو السراديب) الموصلة الى هذه البوابات محاطة ببروج ناتئة، لحمايتها، كما في أريحا وطرزة، وإما ان تكون الممرات الداخلية والخارجية الموصلة الى البوابات متقاطعة مع محاور تتيح للمدافعين القيام بهجوم معاكس اذا ما اخترقت تلك البوابات، بحيث يجبر العدو المهاجم على التراجع من منتصف الهجوم، ويظهر ذلك في الآثار المكتشفة في خربة التابيك (او ورش هانيكراه)[٨٥].

ويبدو ان طرائق احتلال المدن المحصنة، في ذلك العصر، كانت تنحصر في ثلاث:

أ ـ طريقة الاقتراب المباشر (وهي طريقة الهجوم المباشر بعد ان يستخدم المهاجمون سلالم الحصار وآلات دك الاسوار مثل رأس الكبش وسواه لاختراق اسوار المدينة المهاجَمة).

ب ـ طريقة الاقتراب غير المباشر (دخول المدينة بالحيلة والخدعة، كمثل حصان طروادة).

---

(٨٤) م. ن. ٢ أخ ٢٦: ٦و٩ و ١٠ و١٥. وقد آثرنا استخدام اللفظة القرآنية (البروج).

(٨٥) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 273

ج ـ طريقة الحصار (الذي كان يمكن ان يستمر سنوات حتى يكاد يهلك اهل المدينة جوعا وعطشا فيستسلمون)[٨٦].

وغالبا ما كانت الاسوار تحاط بخندق يلتف حولها من الخارج بحيث يكون حائلاً بين المهاجمين والسور، وكان هذا الخندق يملأ بالماء ما ان تتعرض المدينة للهجوم[٨٧].

وتعلو الاسوار، بالاضافة الى البروج، شرفات ومعاقل محصنة تستخدم كمتاريس للدفاع عن السور، كما يوجد، في كامل السور، فتحات يستخدمها المقاتلون لرمي السهام. وينصب على هذه الاسوار، كل آلات الدفاع مثل المجانيق التي ترمي الحجارة والسهام والخرق المبلولة بالسوائل الملتهبة بعد اشعالها.

وقد ادى ظهور المركبات والاكباش (راس الكبش) وتطورهما الى حدوث تغييرات في طبيعة هذه التحصينات، اذ صممت الممرات التي تلي البوابات او تسبقها بشكل درج يتعذر على المركبات استخدامه، كما بنيت الجدران الخارجية للاسوار من صلصال ممزوج بالقش، وبشكل املس ومنحدر بحيث يتعذر على راس الكبش الثبات عليه واختراقه، اما البوابات فقد اصبحت تُحمى بواسطة بروج مستطيلة وذات عدة طوابق، وقد وجدت مثل هذه الاشكال من البروج والبوابات في حاصور وجازر وشكيم[٨٨].

وأبرز تطور طرأ على بناء الاسوار وبروجها، في العصرين البرونزي الوسيط والبرونزي الثالث، كان بسبب انتشار نموذج بناء القلاع في وسط المدينة وعلى هضبة مشرفة على المدينة بكاملها، اذ اصبحت الاسوار الخارجية للمدينة محمية بواسطة قلاع داخلية، وقد انتشر فيهما (اي السور الخارجي والقلعة الداخلية)، وعليهما، الفتحات والكوى (للمراقبة والرمي) والشرفات المستطيلة (كمتاريس)، كما أصبحت البوابات مستطيلة (وكان للمدينة بوابة او اثنتان، واحدة أمامية واخرى خلفية) وهو ما وجد في الآثار المكتشفة في مجدّو وحاصور وجازر[٨٩].

ويذكر العهد القديم ان داود اقام في حصن صهيون (بأورشليم) بعد ان بنى حوله

---

(٨٦) Ibid, PP. 273 - 274 --

(٨٧) Ibid, P. 274 --

(٨٨) Ibid. --

(٨٩) Ibid, P. 275 --

اسوارا، وسماه (مدينة داود)[٩٠]. كما بنى سليمان، بعده، «سور اورشليم»[٩١]. ولما قام سنحاريب بغزو يهوذا، عمد حزقيا ملكها الى تحصين عاصمته اورشليم حيث «اعاد بناء كل ما كان مهدوما من السور، وعلّى الابراج، وبنى سورا آخر في الخارج، وحصّن مِلّوُ، مدينة داود»[٩٢].

ويصف العهد القديم عملية اعادة بناء سور اورشليم بعد عودة اليهود من السبي، على لسان نحميا بن حَكَلْيا، قال نحميا: «كان النصف من رجالي يعملون العمل، والنصف الآخر متسلحا بالرماح والتروس والقسي والدروع، وكان الرؤساء وراء كل بيت يهوذا الذي كان يبني السور. وكان حاملو الأثقال يحملون عاملين باليد الواحدة، وقد امسكوا الحراب باليد الأخرى. وكان كل واحد من البنائين يبني وهو متقلد سيفه على حقويه»[٩٣].

٢ـ القلاع والحصون: سبق ان ذكرنا انه، في العصرين البرونزي الوسيط والبرونزي الثالث، كانت تقام داخل المدن، وعلى نقاط عالية منها، قلاع محصنة تشرف على المدينة من كل الجهات. وكانت تقيم في هذه القلاع حاميات عسكرية مهمتها حماية المدينة والدفاع عنها اذا ما تمكن العدو من اختراق اسوارها. كما كان يقام داخل هذه القلاع، قصر لحاكم المدينة ومعبد محصن، وكان يعلو الحصن، للدفاع عنه، سور فيه كوى وفتحات نصف دائرية للمراقبة والرمي، وتقوم عليه شرفات مستطيلة هي متاريس تؤدي الغرض نفسه الذي تؤديه الكوى والفتحات في السور (وهو غير السور الخارجي الذي يقام حول المدينة ويجهّز، كسور الحصن، بفتحات وكوى وشرفات مماثلة). كما ان نماذج من هذه القلاع والمعابد المحصنة، والمسماة في التوراة «مجدال»[٩٤]، اكتشفت في شكيم ومجدو وبيت شان[٩٥]. وقد أظهرت الحفريات التي أجريت في جبع (او جبعة

---

(٩٠) العهد القديم، ٢ صم ٥: ٩ و١١ و١ أخ ١١: ٧ـ٨.

(٩١) م. ن.، ١ مل: ٥١.

(٩٢) م. ن.، ٢ أخ: ٣٢: ٥.

(٩٣) م. ن نح ٤: ١٠ ـ ١٢. والحقو: الكشح والازار او معقد الازار. والكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف، وهو اقصر الاضلاع وآخرها (محيط المحيط).

(٩٤) م. ن.، قض ٩: ٤٦، وقد جاء: «فسمع جميع اعيان مجدال شكيم، فذهبوا الى سرداب بيت ايل بريت»، وجاء في تفسير ذلك ان السرداب او البرج «هو خندق وملجأ في آن واحد» (م. ن.، ص ٤٨٨ وحاشية ١٢).

(٩٥) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 275 --

شاول، وهي اليوم تل الفول، وكانت عاصمة مملكة شاول) وجود تحصينات، في هذه المدينة، تعود الى عهد شاول وداود وسليمان، في العصر الحديدي، كما أظهرت وجود قلعة يعود تاريخها الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر ق. م، وفي هذه القلعة معقل (معتصم) في السور وبرج في إحدى الزوايا، وثلاث غرف[٩٦]. ويبدو ان الحرب التي شنها الفرعون شيشق على المملكة العبرية عام ٩٢٠ ق. م. ودمر، على اثرها، عددا كبيرا من مدنها، قد أدت الى تغير في اسلوب التحصينات الذي اعتمد بعد ذلك، إذ اصبحت كل مملكة (السامرة واليهودية) تنشئ دفاعا دائريا حولها، مع سلسلة من القلاع التي اقيمت «على طول الطرق الرئيسية والطرق التجارية وعلى الحدود»[٩٧]، وقد وجدت آثار قلاع داخلية وقصور محصنة مثل قصر آحاب في السامرة وقصر مماثل في رامات راحيل (بيت شريم) بالقرب من اورشليم، وكانت هذه القصور محصنة بمعاقل ومعتصمات قائمة في اسوار القلعة[٩٨].

وفي نظرة اجمالية، يتبين ان التحصينات الأولى التي انشئت في العهد العبري الأول (عهد المملكة الموحدة) كانت تتميز باسوارها المليئة بالمعاقل والبروج المزدوجة، والبوابات الضخمة ذات الاقسام المتناسقة، وهي اسوار مزدوجة، احدها داخلي والثاني خارجي، تلف المدينة وفق خطين متوازيين، وبشكل دائري، وبين هذه الاسوار، وعلى مسافات مختلفة، جدران تصل السور الداخلي بالسور الخارجي، وفي هذه الجدران ابواب صغيرة تتيح المرور بين السورين، كما انها يمكن ان تكون مداخل لحصون او تطل على خنادق. وهذا ما نراه في مجدّو وحاصور وجازر وعدة مدن اخرى[٩٩]. وقد دمرت هذه التحصينات في اثناء غزو الفرعون شيشق للمملكة العبرية عام ٩٢٠ ق. م. الا انه اعيد بناؤها وفقا لاسلوب جديد مزج بين الجدران السميكة والضخمة وبين النتوءات والتراجعات، كما اصبحت بوابات الدخول صغيرة وخالية من الابراج فوقها، واما البناء فاصبح اكثر ضخامة من السابق. ويعود سبب هذا التغيير في اسلوب بناء التحصينات الى

---

(٩٦) -- Ibid

(٩٧) Ibid, P. 276 وانظر العهد القديم، ٢ أخ ١١: ٥ ـ ١٢، و٢ أخ ٢٦: ٩ ـ ١٠.

(٩٨) -- Encyclo. Jud. Op. Cit. P. 279

(٩٩) -- Pritchard, Op. P. 117

تغيّر في تقنيات الاسلحة الهجومية التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر ق. م. وأهمها «رأس الكبش»(١٠٠) وقد سبق ان تحدثنا عنه.

٣ ـ خنادق الدفاع: سبق ان رأينا كيف كانت المدن تحاط بخندق خارج السور كي يعيق تقدم الاعداء نحوها، حيث يملأ هذا الخندق بالماء ما ان تتعرض المدينة للهجوم. وكثيرا ما كان المدافعون يحفرون الخندق بين السورين الداخلي والخارجي، بحيث تصبح المدينة، والحالة هذه، محصنة بثلاثة خطوط دفاعية هي: السور الداخلي، والخندق المائي، والسور الخارجي(١٠١).

ـ تحصينات رحبعام (٩٢٩ ـ ٩١٣ ق. م): تظل التحصينات التي أنشأها رحبعام بن سليمان، على حدود مملكة يهوذا، نموذجا بارزا لاعمال التحصين العبرية في الالف الأول ق. م، فقد «بنى مدنا حصينة في يهوذا، وبنى بيت لحم وعيطَم وتَقوع وبيت صور وسوكُو وعدُلاّم وجَت ومَريشة وزيف وادور رائيم ولاكيش وعَزيقة وصُرعة وأيّالون وحَبرون التي في يهوذا وبنيامين، مدنا محصنة، حصّنها تحصينا، وجعل فيها قوادا وخزائن طعام وزيتٍ وخمرٍ ومجانب ورماحا في كل مدينة، وحصنها جدا»(١٠٢). وقد ظل رحبعام وفيا لأبيه سليمان وجدّه داود طوال حياته، فلم يتخل عن طموحه في ان يستعيد وحدة المملكة التي انقسمت في عهده. لذا، فهو لم يرسم حدود مملكته «يهوذا» من جهة الشمال، أي من جهة مملكة اسرائيل التي تمردت على حكمه بقيادة ياربعام بن نباط، ولم يقم تحصينات في هذه الجهة كتلك التي اقامها باتجاه الجنوب والشرق والغرب، وذلك املا

---

(١٠٠) Ibid وقد اشتهرت الحصون اليهودية في الجزيرة العربية في مطلع القرن الهجري الأول، مثل حصن كعب بن اشرف، وحصن ابي رافع، اليهوديين، وكذلك حصون خيبر السبعة، وحصن بني ثقيف في الطائف، وكلها حصون يهودية (سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧٤).

(١٠١) - Encycl. jud. Op. Cit. P. 274

وقد عرف المسلمون خنادق الماء هذه في حروبهم الدفاعية في مطلع الدعوة الاسلامية واشهرها ذلك الذي حفره النبي (صلعم) حول المدينة المنورة، وبمشورة من سلمان الفارسي، لصد هجوم القرشيين عليها، وقد سميت «غزوة الخندق» اشارة الى الخندق الذي حفره المسلمون. كما عرف المسلمون «الخنادق المائية» فتحصنوا بها على الطريقة الرومية. واستخدم الفرس هذه الخنادق في حروبهم ضد المسلمين في العراق، واشهر الوقعات التي استخدموا فيها خندق الدفاع هي الوقعة المعروفة «بذات العيون» او «الانبار» (سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧٢ ـ ٧٣).

(١٠٢) العهد القديم، ٢أخ ١١: ٥ ـ ١٢.

في ان يستعيد هذه المملكة ذات يوم. لذا، ظلت الحرب قائمة بينه وبين ياربعام «كل ايام حياته»[١٠٣].

وليس مؤكدا ما اذا كانت هذه التحصينات التي أنشأها رحبعام قد قامت قبل غزو «شيشق»، فرعون مصر، لمملكة يهوذا، في السنة الخامسة من ملك رحبعام الذي استمر سبعة عشر عاما، ام بعد ذلك، وربما كان رحبعام قد باشر بانشاء هذه التحصينات قبل الغزو المصري لبلاده، ثم تابعه بعد ذلك. وفي كل حال، فهو قد رسم، من خلال هذه التحصينات، حدود مملكته من الشرق والجنوب والغرب، دون الشمال، كما سبق ان قدمنا، ويلاحظ ان هذه التحصينات ترسم الحدود بين مملكة يهوذا وبين بلاد الفلسطينيين من الغرب، دون ان تضم اليها النقب او منطقة المرتفعات في الجنوب. كما تظهر هذه التحصينات ان رحبعام اختصر خطوط الدفاع عن مملكته، كأنما هو عازم على الدفاع عن قلب المملكة فقط[١٠٤].

وتدل خطوط التحصينات المنشأة ان رحبعام اراد، من وراء انشائها، ان يقفل الطرق الداخلية الى المملكة من الجنوب والغرب والشرق، بينما تدل شبكة الطرق التي أنشأها في قلب المملكة وضمن حدود هذه التحصينات، انه اراد ان يصل مدن مملكته، بعضها ببعض، بطرق متوازية ومتعارضة ومتواصلة، من لاكيش جنوبا الى عزّيقة فأيّلون شمالا، ومن عزّيقة غربا الى بيت صور شرقا، ومن زيف جنوبا الى حبرون فبيت صور فعيطم فبيت لحم شمالا، ومن ادورائيم جنوبا بغرب الى حبرون شمالا بشرق، ومن عيطم شمالا بغرب الى تَقوع جنوبا بشرق (انظر المخطط رقم ٢).

رابعا ـ تجهيزات الحصار:

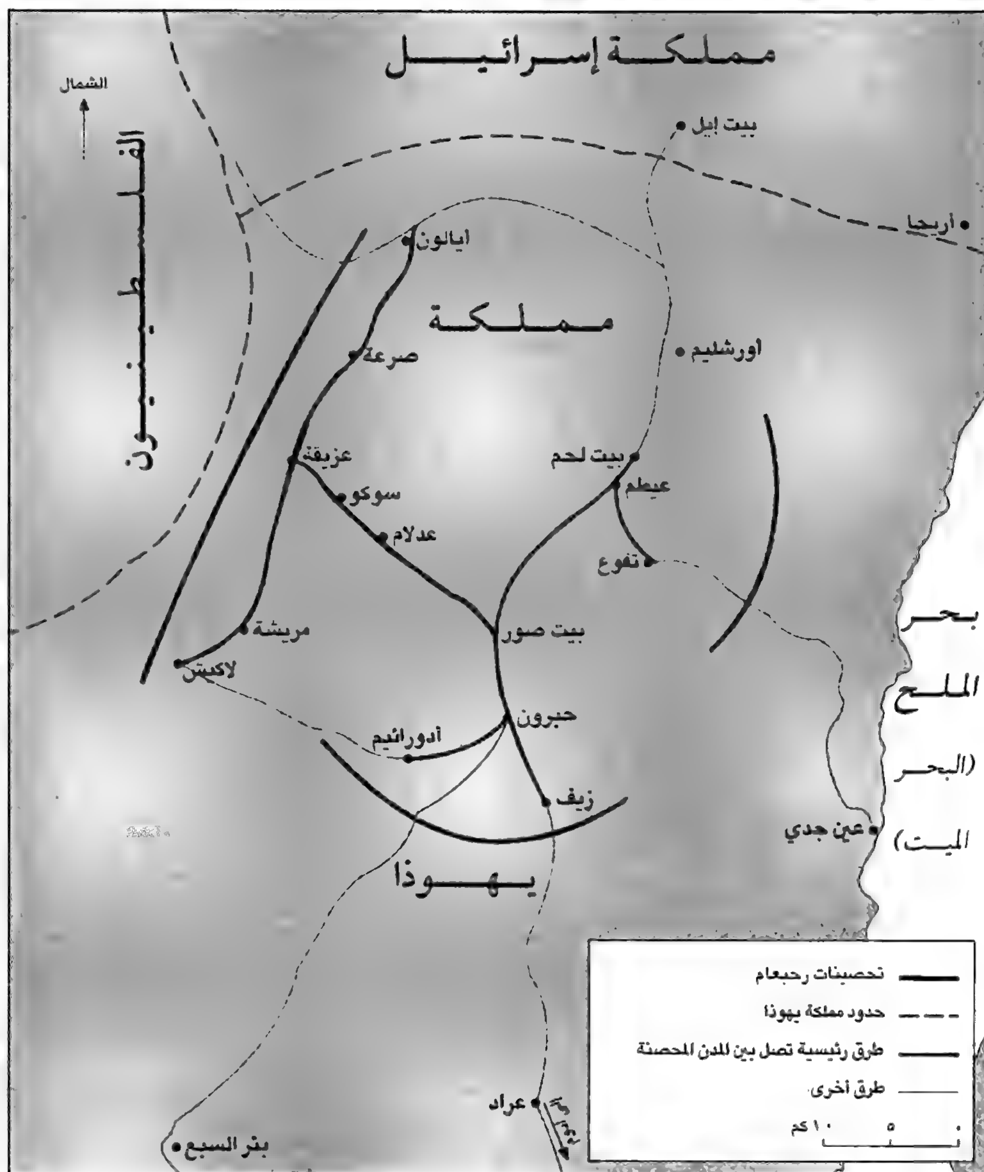
سبق ان ذكرنا ان رحبعام جهز مدنه المحصنة والمنيعة بكل حاجات الحصار من «طعام وزيت وخمر»[١٠٥]. كما ان عزّيا «بنى ابراجا في اورشليم... وبنى ابراجا في البرية

(١٠٣) م.ن.، ١مل ١٤: ٣٠ و١مل ١٥: ٦.

(١٠٤) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, p. 91 Map. 119 -

(١٠٥) العهد القديم، ٢أخ ١١: ١١.

مخطط رقم ٢: تحصينات رحبعام



المخطط رقم (٢):
تحصينات رحبعام

وحفر آبارا كثيرة» في «السهل والنجد» وفي «الجبال» [١٠٦] ولا شك في ان هذه الآبار كانت تزود الحصون المبنية في البرية، وفي السهل والنجد والجبال، بحاجتها من المياه.

ولما كانت عمليات الحصار تمتد، في غالب الاحيان، الى أمد طويل يبلغ، احيانا، السنوات، (استمر حصار بنهدد الثاني ملك آرام للسامرة، عاصمة اسرائيل، في عهد آحاب، ثلاث سنوات ونصف السنة حتى اكل اهلها لحم الحمير وزبل الحمام، وأكلت النساء أولادها)[١٠٧]، فقد عمد ملوك اسرائيل ويهوذا الى استخدام وسائل هندسية متطورة لكي يؤمنوا الماء للمدن المحاصرة دون ان يضطر اهلها للخروج منها والتعرض لخطر الموت على يد العدو المحاصِر، ومن هذه الوسائل ما ذكر «بريتشارد» انه اكتُشف في حفريات اورشليم ومجدّو وحاصور وجبعون وغيرها، ووصفه كما يلي:

«كانوا يحفرون بئرا عمودية خلف جدران المدينة، ثم يحفرون قناة طويلة، بانحدار قليل، من النبع الى المدينة، بشكل يسمح للمياه بان تجري حتى تصل اليها. وكانوا يضيفون، لهذه الوسيلة، عدة صهاريج، عند الحاجة»[١٠٨]. كما يذكر «بريتشارد» ان حزقيا بن آحاز» ملك يهوذا (٧١٦ ـ ٦٨٧ ق. م) فصّل في النقش الذي اكتُشف بعده، والمسمى «نقش سيلوه»، الطريقة التي زوّد بواسطتها عاصمته اورشليم بالمياه، وكيف تم حفر القناة لاجل هذا الغرض.

وقد جاء في ذلك النقش ما يلي: «... كان كل عامل يسعى جاهدا في الحفر باتجاه زميله، وعندما يصبح على بعد ثلاثة أذرع منه، يُسَمع صوته وهو يناديه، لانهما كانا على المستوى نفسه في الصخر، يمينا ويسارا. وما ان اختُرقت القناة حتى دك عمال المقالع آخر ما تبقى من كتل، وجها لوجه، ومعولا لمعول، فجرت المياه من النبع حتى الخزان، على مسافة ١٢٠٠ ذراع، وكانت سماكة الصخر فوق رأس عمال المقالع ماية ذراع» (نقش سيلوه)[١٠٩]. ويؤكد العهد القديم ما ورد في هذه المخطوطة بقوله: «وحزقيا هو الذي سد مخرج الماء الأعلى في جيحون وأجراه اسفلَ الى غربي مدينة داود»[١١٠].

---

(١٠٦) م.ن.، ٢ اخ ٢٦: ٩ ـ ١٠.

(١٠٧) م.ن.، ٢ مل ٦: ٢٤ ـ ٢٩، و Pritchard, Op. Cit. P. 117 --.

(١٠٨) Pritchard, Ibid. --

(١٠٩) Ibid. --

(١١٠) العهد القديم، ٢ اخ ٣٢: ٣٠.

الباب الثاني

الاجتياح

الفصل الأول: حروب يشوع بن نون.

الفصل الثاني: حروب القضاة.

الفصل الثالث: حروب الملوك.

الفصل الأول

حروب يشوع بن نون

حروب يشوع (القرن ١٣ ق.م)

ارتاع ملوك الأموريين «الذين في عبر الأردن جهة الغرب» والكنعانيون «الذين على البحر»، ودب الرعب في صفوفهم، لما وصلتهم أنباء معجزة يشوع في نهر الأردن، وكان العبرانيون قد نزلوا في مكان يسمى «الجلجال» في صحراء اريحا، استعدادا للتقدم نحو هذه المدينة[١].

حصار أريحا واحتلالها:

بينما كان يشوع يعدّ جيشه للتقدم، ابصر رجلا، غريبا عن القوم، واقفا وبيده سيف مسلول، فارتاب في أمره وتقدم منه سائلا: «أمنا انت ام من أعدائنا؟»، فأجابه ذلك الرجل: «كلا، بل انا رئيس جند الرب، والآن جئت»، فسجد يشوع للرب شاكرا تلطفه وايفاده «رئيس جنده» للقتال معه[٢].

---

(١) ـ العهد القديم، يش ٥: ١ـ ١٠

(٢) م.ن. يش ٥: ١٣ـ ١٤. وفي القرآن الكريم ظاهرة مماثلة، الا انها تمت بأسلوب مختلف. اذ ان الله عز وجل قدم للمسلمين الدعم المعنوي، في وقعتي بدر وحنين، وذلك عندما ارسل ملائكته للقتال الى جانبهم في كلتا الوقعتين. فقال تعالى: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ. فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ۞ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِنْ فَوْرِهِم هَذَا يُمْدِدْكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» (آل عمران٣/ ١٢٣ـ ١٢٤ـ ١٢٦). وقال أيضا: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ. وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا......» (التوبة٩/ ٢٥ـ ٢٦).

وجاء في تفسير الجلالين ان الملائكة قاتلت يوم بدر مع المسلمين «على خيل بلق عليهم عمائم صفر وبيض ارسلوها بين اكتافهم»، ولكننا لا نشك في ان القوة التي امد الله عز وجل بها المسلمين في بدر وحنين هي قوة معنوية، ولم تكن قوة مادية، بأي حال.

ولكننا نرى ان هذا الدعم من «رب الجند» لبني اسرائيل في حربهم، وسواه مما ورد في العهد القديم عن دعم مماثل، يدخل في باب الاسطورة، ولا يتعدى التحريض المعنوي على القتال، بمبادرة من يشوع نفسه.

ما ان علم الشعب في أريحا ان بني اسرائيل قادمون حتى اقفل مدينته في وجوههم ومنع الدخول اليها او الخروج منها، وقال الرب ليشوع: «اني قد أسلمت اريحا وملكها الى يدك»[٣].

تقع اريحا على الضفة الغربية لنهر الأردن، وهي أول مدينة يصل اليها من يعبر الأردن شمال البحر الميت، حيث عبره يشوع بشعبه. وقد سار يشوع نحو أريحا، بالترتيب التالي:

١ ـ في المقدمة: المجهزون للحرب، أي المقاتلون، وهم اربعون الفا[٤].

٢ـ ثم: البواقون، وعددهم سبعة، من الكهنة.

٣ـ ثم: تابوت العهد، وحوله الكهنة.

٤ـ وأخيرا، في الساقة: مجموع الشعب، يمشي خلف التابوت، وهو ينفخ في الابواق[٥].

يذكر العهد القديم ان الرب أمر يشوع ان يطوف بجنده «جميع رجال القتال» حول المدينة ستة ايام، مرة في كل يوم، اما في اليوم السابع فيطوفون حولها سبع مرات «وينفخ الكهنة في الأبواق» حتى اذا سمع الشعب صوت الأبواق هتف الجميع «هتافا شديدا، فيسقط سور المدينة في مكانه» ويصعد الشعب «كل واحد على وجهه»[٦].

ولكن دراسة عقلانية للحدث، ان صحّ، تجعلنا نتصور ان الأمر قد تم على الشكل التالي: ما ان بلغ يشوع سور اريحا حتى أمر شعبه بالصمت المطبق كي لا يثير انتباه اهل

---

(٣) م.ن. يش ٦: ٢.

(٤) م.ن. يش ٤: ١٣.

(٥) م.ن. يش ٦: ٦ـ٩و١٣.

(٦) م.ن. يش ٦: ٣ـ٥.

المدينة، وذلك بقوله: «لا تهتفوا ولا تُسمعوا اصواتكم، ولا يخرج من افواهكم كلمة الى يوم اقول لكم اهتفوا فتهتفون»[٧].

ثم طاف بجيشه «جميع رجال القتال»، ومعهم «تابوت العهد»، حول السور لكي يتفحصه ويختار فيه نقاط الضعف التي يستطيع، من خلالها، ان يعبر بجنده الى داخل المدينة، وعاد، بعد ذلك، الى «المخيم» الذي أقامه لتجمّع الجيش والشعب[٨]. وكرر يشوع هذه العملية ستة ايام متتالية، مرة كل يوم، ثم طاف، في اليوم السابع، حول سور المدينة، سبع مرات[٩]، حيث يبدو انه وزّع المقاتلين على النقاط المختارة من السور وكانت مهمتهم ان يخترقوا سور المدينة من تلك النقاط، عند سماعهم النفير الذي يعلن عليهم بدء الانقضاض.

وفي الوقت المحدد للانقضاض، أمر يشوع الكهنة فنفخوا في الابواق وأمر الشعب بالهتاف قائلا: «اهتفوا فقد أسلم الرب المدينة اليكم»[١٠]. عندها تعالت هتافات الشعب والجند، ونفخ الجميع في الابواق، وتقدم كل منهم «على وجهه» نحو المدينة، مخترقين سورها، «فسقط السور في مكانه»، واحتل بنو اسرائيل أريحا حيث «حرّموا كل ما في المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، فقتلوهم بحد السيف»[١١]. ثم «أحرقوا المدينة وكل ما فيها بالنار، الاّ الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد فانهم جعلوها في خزانة بيت الرب»[١٢].

ان سقوط سور أريحا لم يكن بفعل معجزة ما، كما حاول العهد القديم ان يصورها لنا، بل كان بفعل عملية «الانقضاض» عليها (وهي من الطين السريع التفتت) من قبل الجند «المجهزين للحرب»، وهم نحو اربعين الفا، وقد ساعد على ذلك تأثير الارتجاج الناتج عن نفخ العديد من الابواق، وهتاف الآلاف من الناس، في لحظة واحدة، هي لحظة «الانقضاض» (ولنتذكر تحطم زجاج المنازل عند اختراق الطائرات الحربية جدار الصوت

---

(٧) م.ن. يش ٦: ١٠.

(٨) م.ن. يش ٦: ٣ و ١١.

(٩) م.ن. يش ٦: ١٤ـ١٥.

(١٠) م.ن. يش ٦: ١٦.

(١١) م.ن. يش ٦: ٢٠ـ ٢١.

(١٢) م.ن. يش ٦: ٢٤.

فوق تلك المنازل). كما ان امر يشوع للبواقين ببدء النفخ في الابواق ولشعبه بالهتاف لم يكن اكثر من اشارة البدء بالهجوم، (ولا يزال الجند، حتى يومنا هذا، يرفقون عملية «الانقضاض» بالهتاف والصراخ).

واللافت ان الترتيب الذي اتخذه يشوع للتقدم نحو أريحا واحتلالها هو ترتيب عسكري محض لوحدة في طور الهجوم، فالمقاتلون في المقدمة، وخلفهم البواقون الذين يعطون اشارة الهجوم، وخلفهم تابوت العهد الذي هو موضع حماية وحفظ من الجميع، لذا، فان مركزه «القلب»، واخيرا، الساقة، حيث الشعب والظعن والاثقال، تماما كما هو الترتيب في كل تشكيل عسكري مقاتل. وهكذا، ما ان أعطى يشوع اشارة البدء بالهجوم، حتى «هتف الشعب ونفخوا في الابواق»، فسقط السور وانقضّ المقاتلون على المدينة.

موقعة العي (او عاي):

تقع العي (او عاي) في الضفة الغربية لنهر الاردن، على بعد بضعة أميال شمال غربي اريحا، وقد كانت الهدف الثاني ليشوع بعد اريحا.

ما ان استقر الأمر ليشوع في اريحا حتى أرسل جواسيس من قبله ليستكشفوا العي، فعاد اليه الجواسيس بأنباء مطمئنة وقالوا له ان أهل العي قلة وضعفاء ويكفي، لاحتلالها، الفان او ثلاثة آلاف رجل على الأكثر[13].

فأرسل يشوع لذلك، حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، ولكن اهل العي استطاعوا ان يهزموا المهاجمين ويطردوهم ويقتلوا منهم نحو ستة وثلاثين رجلا، وطاردوا الفارين منهم حتى موضع يدعى «شباريم» والوادي الذي يليه[14].

ورأى يشوع ما حلّ بالحملة على يد أهل العي الذين كان قد استخف بقوتهم وفقا لرأي جواسيسه، فقرر ان يغيّر تكتيكه حيال تلك المدينة، رغم ان العهد القديم ينفي عن يشوع ما بدر منه من ذكاء في المناورة العسكرية الناجحة التي اتبعها في قتاله مع اهل العي، اذ يعزو ذلك الى رب يشوع الذي قال له: «واجعل لك كمينا من وراء المدينة»[15].

---

(١٣) م.ن. يش ٧: ٢-٣.

(١٤) م.ن. يش ٧: ٤ - ٥.

(١٥) العهد القديم، يش ٨: ٢.

خطة يشوع:

ومهما يكن من أمر فقد بادر يشوع، في هجومه على العي، الى اتباع الخطة التالية:

١ـ يختار، للقتال، ثلاثين الفا من ذوي البأس من رجاله ثم يختار منهم رجالا (كمينا)، يسيرون ليلا الى مشارف العي فيلتفون حول المدينة ويكمنون خلفها، غير بعيدين عنها، بانتظار اشارة منه[١٦].

٢ ـ يتقدم هو، وكل الشعب والجيش الذي معه، نحو المدينة، متظاهراً بالهجوم عليها.

٣ ـ ما ان يتصدى له أهل العي حتى ينهزم في وجههم، فيخرجون من مدينتهم كي يطاردوه، وهم يعتقدون انهم منتصرون عليه كما في المرة الأولى.

٤ ـ ما ان يصبح اهل العي بعيدين عن مدينتهم حتى ينقضّ الكمين على المدينة، وقد فرغت من المدافعين عنها، فيستولي عليها[١٧].

التنفيذ: وقد نفذ يشوع خطته هذه على الشكل التالي:

ـ اختار، للكمين، خمسة آلاف من رجاله، وأمرهم بالسير ليلاً لكي يأخذوا مواقعهم خلف المدينة، وأوصاهم ان لا يبتعدوا عنها وان يظلوا مستعدين للهجوم على مدينة العي عند اشارة معينة حددها لهم. فتمركزوا خلف المدينة «بين بيت ايل والعي، غربي العي»، اما يشوع فبات ليلته تلك «وسط الشعب» مع الجيش[١٨].

ـ عند الفجر، تقدم يشوع، بجيشه وشعبه ومعه شيوخ اسرائيل، نحو العي، وتمركز قبالتها، شمالها، ومؤخرته غربها، والوادي بينهم وبينها[١٩]. ثم سار يشوع، «في ذلك الليل، في وسط الوادي»[٢٠]، مقتربا، كذلك، بجيشه، من المدينة، فأصبحت «العي» بين يشوع وجيشه من الشمال، وعسكر الكمين من الغرب.

---

(١٦) م. ن. يش ٨: وقد ورد في يش ٨: ٣ ـ ٤ ان يشوع اختار «ثلاثين الف رجل» وامرهم بالمسير ليلا كي يقيموا كمينا خلف المدينة، وورد في يش ٨: ٩ انهم اقاموا كمينهم «بين بيت ايل والعي غربي العي»، ثم ورد في يش ٨: ١٢ ان يشوع اختار «خمسة الآف رجل وجعلهم كمينا بين بيت ايل والعي غربي المدينة» أي في المكان نفسه الذي أقام فيه الكمين الوارد ذكره في يش ٨: ٤ـ ٩، مما يشير الى ان الكمين واحد وهو الذي بلغ عديده خمسة آلاف، اذ لا يعقل ان يكون الكمين ثلاثين الفا. لذا، آثرنا ان نعتبر ان الثلاثين الفا الذين اختارهم يشوع، أولاً، هم الجيش المقاتل، وان الآلاف الخمسة الذين اختارهم بعد ذلك هم الكمين.

(١٧) م. ن. يش٨: ٥ـ ٧.

(١٨) م. ن. يش٨: ٩و١٢.

(١٩) م. ن. يش٨: ١٠ و١١ و١٣.

(٢٠) م. ن. يش٨: ١٣.

ـ ما ان رأى ملك العي جيش يشوع، في الصباح، وقد اقترب من مدينته حتى استنفر جنده وجميع شعبه للقتال وأمرهم بالخروج لمواجهة المهاجمين دون ان يدري ان كمينا قد أُعدّ خلف المدينة لكي ينقضّ عليها اذا ما خرج جنده وشعبه منها.

ـ ووفقا للخطة، تظاهر يشوع بالهزيمة امام جند العي فتبعه هؤلاء وأوغلوا في مطاردته حتى ابتعدوا عن مدينتهم التي فرغت من المدافعين. وكذلك فعل الجند المدافعون عن بيت ايل، وهكذا «لم يبق احد في العي وبيت ايل الا خرج في اثر اسرائيل وتركوا المدينة مفتوحة وسعو وراء اسرائيل»[٢١] دون ان يدركوا ان كمينا خلف المدينة يتربص بها بانتظار الانقضاض عليها.

ـ عندها اعطى يشوع الكمين اشارة الانقضاض (بان سدد الحربة التي بيده نحو المدينة) فانقضّ رجاله على المدينة من الخلف، ولم يكن بها احد من رجالها، فاستولوا عليها واحرقوها وقتلوا من بقي فيها[٢٢].

ـ التفت جند العي الذين كانوا يطاردون يشوع وجنده، فاذا بمدينتهم تحترق، فأدركوا الحيلة التي وقعوا في حبائلها، ولم يكادوا يستفيقون من هلعهم حتى كان يشوع قد ارتد عليهم بجنده، فاذا هم بين نارين: نار يشوع من امام، ونار الكمين من خلف، فأخذ كل منهم يتلمّس طريقا للنجاة، بينما أعمل يشوع السيف فيهم «حتى لم يبق منهم باق ولا شريد» وقبض على ملك العي حيا واقتيد الى يشوع الذي قتله وقتل «جميع سكان العي في الحقول وفي البرية حيث طاردوهم» وقد سقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، ثم «رجع كل اسرائيل الى العي وضربوها بحد السيف» وبلغ عدد القتلى في هذه المعركة، وهم جميع أهل العي، رجالا ونساء، اثني عشر الفا[٢٣]. أما البهائم والاسلاب فقد غنمها بنو اسرائيل، وأما المدينة فقد أحرقت وأضحت «ركاما للأبد، خرابا الى هذا اليوم»[٢٤]. وأما ملك العي فقد علقه يشوع «على شجرة، حتى المساء، وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الشجرة وألقوها عند مدخل باب المدينة وجعلوا عليه كومة كبيرة من الحجارة الى هذا اليوم»[٢٥]. (انظر الخارطة رقم ٤).

---

(٢١) م.ن. يش٨: ١٥ـ١٧.

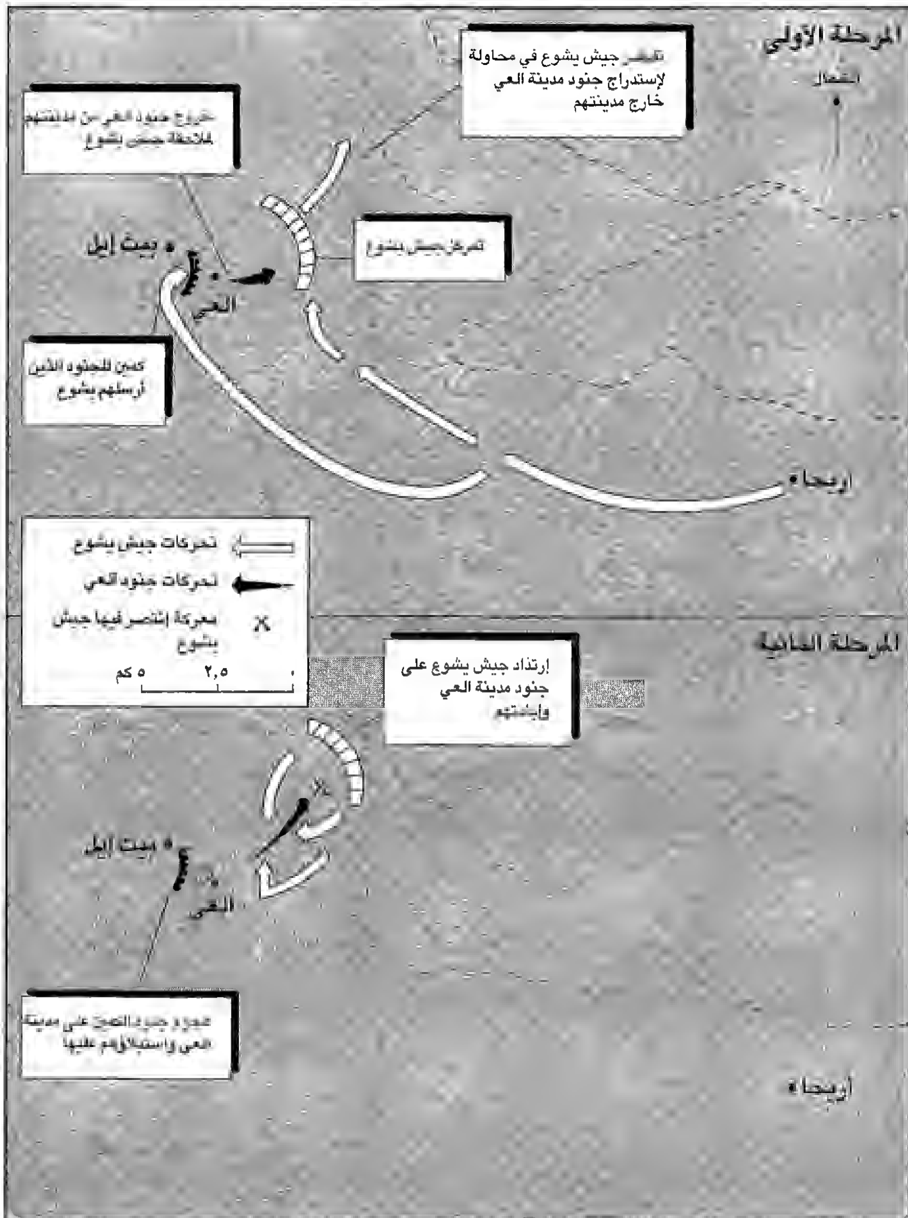
(٢٢) م.ن. يش ٨: ١٨ـ١٩.

(٢٣) م.ن. يش ٨: ٢٠ـ٢٥.

(٢٤) م.ن. يش ٨: ٢٧ـ٢٨.

(٢٥) م.ن. يش ٨: ٢٩.

خارطة رقم ٤: موقعة العي (عاي)



ويذكر «بريتشارد» في كتابه «أطلس عالم التوراة»[٢٦]، ان الحفريات التي أجريت حديثا على آثار مدينة «عاي» الواقعة على هضاب تبعد مسافة ١٦ كلم عن القدس، قد أظهرت ان هذه المدينة التي بلغت مساحتها نحو ٣ هكتار، لم تكن لتتسع لأكثر من ألف نسمة، مما يتناقض مع ما ورد في العهد القديم من ان أهل عاي الذين قضى عليهم جيش يشوع قد بلغوا نحو اثني عشر ألف نسمة. كما يبدو ان «بريتشارد» يؤكد نظريتنا التي تذهب الى القول ان جيش يشوع كان نحو ثلاثين ألف مقاتل اختار منهم خمسة آلاف للكمين[٢٧].

موقعة جبعون: تقع جبعون على مسافة نحو عشرة أميال جنوب غربي عاي ونحو خمسة أميال شمال غربي أورشليم. أي انها تقع بين عاي وأورشليم غربا. وموقعها الحالي هو قرية «الجيب» الواقعة على هضبة شمال غربي أورشليم[٢٨].

كان لانتصار يشوع على أهل أريحا والعي، وما قام به جيشه من تدمير للمدينتين وتقتيل لأهلهما، أثر بالغ السوء على معنويات الملوك في كل أرض كنعان «في عبر الأردن، في الجبل والسهل، وفي كل ساحل البحر الكُبير الى مقابل لبنان»[٢٩]، فاعتصب هؤلاء الملوك واتحدوا جميعا لكي يواجهوا الاجتياح الاسرائيلي مجتمعي الكلمة، موحدي القوى، باستثناء اهل جبعون الذين استطاعوا، بحيلة بارعة، ان يحظوا بتعهد من يشوع بان يبقوا في ديارهم ويتحالفوا معهم. ورغم ان يشوع اكتشف حيلتهم فيما بعد، فقد بقي على تعهده لهم، الا انه استعبدهم واستخدمهم كحطابين وسقاة ماء «للجماعة ولمذبح الرب»[٣٠].

تحالف ملوك الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، اذن، لصد الاجتياح الاسرائيلي لبلادهم، بينما رضي اهل جبعون ان يكونوا عبيدا لبني اسرائيل لقاء ان يظلوا في مدينتهم.

---

(٢٦) Pritchard, Atlas du Monde biblique, P. 63.

(٢٧) -- Ibid.

(٢٨) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٢٤٦، وانظر -- Barnavi, Histoire Universelle des Juifs, P 9 (Carte)

(٢٩) العهد القديم، يش ٩: ١.

(٣٠) م. ن. يش٩: ٢٧، وانظر لتفصيل الحيلة التي استخدمها اهل جدعون: يش ٩.

وكان في اورشليم ملك أموري يدعى «ادونيصادق» هاله ان يرضخ الجبعونيون، وهم أهل عزم وقوة شكيمة، لبني اسرائيل، فأرسل الى ملوك الأموريين في المدن الأخرى مثل: هوهام ملك حبرون، وفرآم ملك يرموث، ويافيع ملك لاكيش، ودبير ملك عجلون، لكي يتحالفوا معه في حرب قرر ان يشنها على الجبعونيين بسبب تحالفهم مع شعب دخيل ومعتد على أرضهم وديارهم، فوافقوه جميعا، واجتمعوا بجيوشهم على جبعون فحاربوها، ولكن الجبعونيين استنجدوا ببني اسرائيل الذين هبوا لنجدتهم، وكان يشوع وجيشه في الجلجال، فصعد منها ليلا نحو جبعون حيث لقي، بجيشه، جيوش الملوك المتحدين الخمسة، فهزمهم وتعقب فلولهم على طريق عقبة بيت حورون ثم الى عزيقة فمقيّدة حيث ضربهم ضربة حاسمة، ويذكر العهد القديم ان الرب «رماهم بحجارة ضخمة من السماء» فيما كانوا منهزمين في وادي بيت حورون الى عزيقة، فكان «الذين ماتوا بحجارة البَرَد أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف»[٣١].

ويبدو ان يشوع اتقن «استثمار» نصره هذا، اذ انه تعقّب الملوك الخمسة الذين لجأوا الى مغارة في بلدة «مقيدة»، فأمر جنده فدحرج الجند على بابها حجارة كبيرة سدت عليهم سبل الخروج، ووضع عليها خفرا من قبله، ثم تابع مطاردته لفلول الجيوش المنهزمة، آمرا جنده ان «لا تتوقفوا، بل طاردوا أعداءكم وأهلكوا مؤخرتهم، ولا تدعوهم يدخلون مدنهم»[٣٢]، ثم انقضّ على المنهزمين حيث ضربهم ضربة عظيمة جدا، فقتل منهم من قتل «ودخل من بقي منهم المدن المحصنة»[٣٣]، ثم عاد بجيشه الى «مقيدة» حيث أخرج الملوك الخمسة من المغارة وأمر قادته ان «تقدموا فضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك»[٣٤] ففعل القادة ذلك، ثم قتل الملوك الخمسة (ملوك أورشليم وحبرون ولاكيش ويرموث وعجلون) وعلقهم على الأشجار حتى المساء، حيث أنزل جثثهم ورماها في المغارة التي حُبسوا فيها، وأقفل بابها من جديد بالحجارة ولا تزال «الى يومنا هذا»[٣٥].

(أنظر الخارطة رقم ٥).

---

(٣١) م.ن. يش ١٠: ١١ وانظر: م.ن. يش ١٠: ١ـ ١٠. ولنذكر ان في القرآن الكريم نصا مماثلا ورد في سورة الفيل، قال تعالى: «ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأصْحابِ الفيلِ ۞ ألَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُم فِي تَضْليلٍ ۞ وأرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْراً أبابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجارَةٍ من سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأكُولٍ»، وذلك في معرض سرده للدفاع عن مكة المكرمة يوم هاجمها أبرهة الحَبشي عام ٥٧٠ م. اي عام مولد النبي (صلعم).

(٣٢) العهد القديم، يش ١٠: ١٦ـ ١٩.

(٣٣) م.ن. يش ١٠: ٢٠.

(٣٤) م.ن. يش ١٠: ٢١ ـ ٢٤.

(٣٥) م.ن. يش ١٠: ٢٦ـ ٢٧.

خارطة رقم ٥: موقعة جبعون



ثم احتل يشوع وجيشه، بعد ذلك: مقيّدة ولبنة ولاكيش وعجلون وحبرون، ودبير، حيث ضرب أهل هذه المدن جميعا بحد السيف، وقتل «كل نفس فيها، ولم يبق منهم باقيا»، وصنع بملوكها «كما صنع بملك أريحا»(٣٦). ثم تابع يشوع اجتياحه لأرض كنعان فاجتاح «المنطقة كلها: الجبل والنقب والسهل والسفوح، وجميع ملوكها، ولم يبق باقيا، بل حرّم كل نسمة كما أمر الرب اله اسرائيل»(٣٧)، ثم اجتاح ما تبقى من تلك البلاد، «من قادش برنيع الى غزة، مع كل أرض جوشن الى جبعون»، وأخذ «جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة، لان الرب اله اسرائيل كان يحارب عن اسرائيل»، ثم عاد يشوع مع جيشه وشعبه الى مخيمه في محلة «الجلجال»(٣٨).

وجاء في العهد القديم ان الرب امر الشمس والقمر، يوم موقعة جبعون وفي أثناء القتال، ان يقفا في كبد السماء، فقال للشمس «قفي على جبعون» وقال للقمر قف «على وادي أيّالون، فوقفت الشمس وثبت القمر»، كل في موضعه «الى ان انتقمت الأمة من أعدائها» وكان ان «وقفت الشمس في كبد السماء، وأبطأت عن الغروب نحو يوم كامل»(٣٩).

لقد وقع مؤلف هذا الحدث الاسطوري في خطأ فادح، فالله خالق هذا الكون يعلم، ولا شك، ان الشمس والقمر لا يدوران، بل ان الأرض هي التي تدور، ولكي تُرى الشمس، وكذلك القمر واقفين، لا بد من ان تقف الارض نفسها عن الدوران، وكلنا يعلم ماذا يحدث لو وقفت الارض عن حركتها ولو للحظات فقط. لا شك في ان الذي يحدث هو نهاية العالم(٤٠).

أما تفسير ذلك فهو انه من المنطقي والمعقول ان يشعر المقاتلون بوطأة قتال يوم طويل كأنما الشمس تأبى المغيب لهول الحرب وشدتها بين فريقين متقاتلين شديدي البأس، ومن الطبيعي كذلك ان لا يظهر القمر ما دامت الشمس مشرقة، ومن المنطقي والمعقول، مرة أخرى، ان لا يكون في الأمر معجزة ما دام «الرب اله اسرائيل كان يحارب

---

(٣٦) م.ن. يش ١٠: ٢٨ـ ٣٩.

(٣٧) م.ن. يش ١٠: ٤٠.

(٣٨) م.ن. يش ١٠: ٤١ ـ ٤٣.

(٣٩) العهد القديم، يش ١٠: ١٢ـ ١٣.

(٤٠) راجع لهذه المسألة: مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

عن اسرائيل». وما دام الأمر كذلك، فهل ان الرب بحاجة الى كل هذا الوقت، والى ايقاف الشمس والقمر كي ينتصر؟

موقعة مياه ميروم: «مياه ميروم» عين في فلسطين الشمالية، «وميروم» هي «ميرون» الحالية التي تقع بجوارها العين المسماة باسمها، وتجري مياهها في وادي ميرون نحو بحر الجليل(٤١). وتقع «ميرون» اليوم في الجليل الأعلى بالقرب من الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية عند سفح جبل الجرمق شمال غربي صفد وشمال شرقي بيت جن(٤٢).

ما ان بلغت أنباء انتصارات يشوع على ملك الأموريين اسماع يابين ملك حاصور، حتى استنفر باقي الملوك في ارض كنعان: يوباب ملك مادون، وملك شمرون، وملك أكشاف، كما استنفر باقي الملوك في الشمال «في الجبل وفي العربة جنوبي كنَّروت (بحر الجليل) وفي السهل وفي سفوح دُور غرباً»(٤٣) واستنفر، كذلك، ملوك الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين «في الجبل»، والحويين «تحت حرمون، في أرض المصفاة»، فاجتمع اليه جيش كثير «مثل الرمل الذي على شاطئ البحر كثرة» مع عدد كبير جدا من الخيل والمركبات، ونزل الجميع على «مياه ميروم» بغية التصدي ليشوع وجيشه(٤٤).

بينما كان الملوك المتحالفون يعدّون جيوشهم للقتال فاجأهم يشوع بغتة، عند مياه ميروم، وانقضّ عليهم، ودارت بين الفريقين معركة ضارية انتهت بهزيمة الملوك المتحالفين حيث تعقبهم يشوع وجيشه «الى صيدون الكبيرة ومسرفوت مييم (مياه مسرفوت) ووادي المصفاة شرقا، وضربوهم حتى لم يبق منهم باق»(٤٥).

(انظر: الخارطة رقم ٦).

---

(٤١) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٩٢٩.

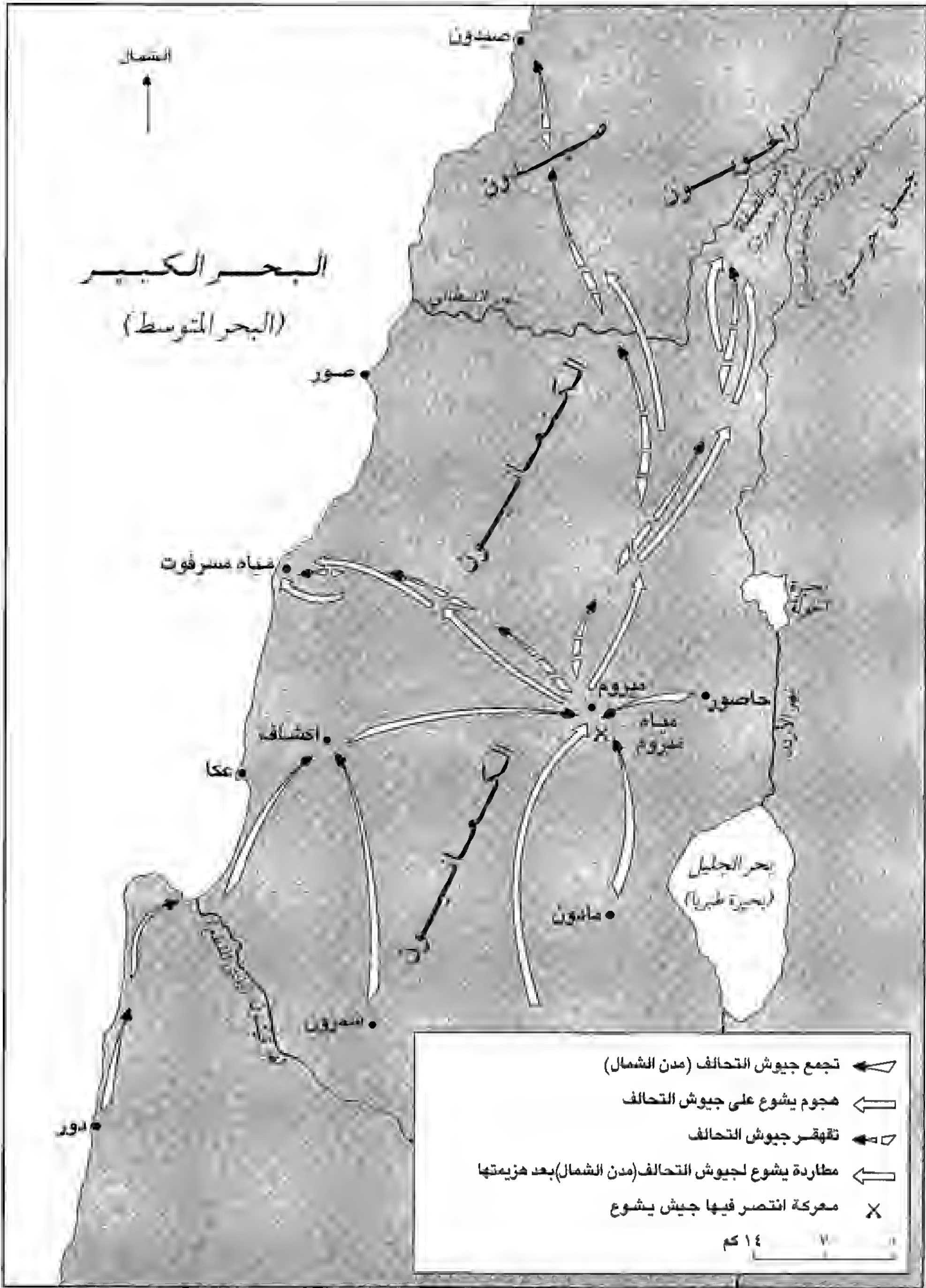
(٤٢) انظر خارطة فلسطين عام ١٩٤٨.

(٤٣) العهد القديم، يش ١١: ١ـ٢.

(٤٤) العهد القديم يش ١١: ٢ـ٥ .

(٤٥) العهد القديم، يش ١١: ٧ـ٨.

خارطة رقم ٦: موقعة مياه ميروم



موقعة حاصور:

ثم انعطف يشوع بجيشه شرقا وتوجه الى حاصور فاحتلها وقتل ملكها وقتل «كل نفس فيها بحد السيف...، ولم تبق نسمة» ثم أحرقها بالنار، وذلك لان حاصور «كانت قديما رأس جميع تلك الممالك»[٤٦]. وتابع يشوع تقدمه نحو باقي المدن التابعة للملوك الذين تحالفوا ضده فاحتلها وضرب أهلها بحد السيف «وحَرمهم كما أمر موسى عبد الرب»[٤٧]، ثم قبض على الملوك انفسهم وقتلهم، وقتل كل الرجال في كل المدن التي احتلها، اذ ضربهم بنو اسرائيل «بحد السيف حتى أبادوهم ولم يبقوا نسمة» منهم، وغنموا الغنائم والبهائم لأنفسهم[٤٨].

وهكذا يكون يشوع قد ملك الارض كلها «الجبل وكل النقب وكل منطقة جوشف (جوشن)، والسهل والعربة وجبل اسرائيل، وسهله، من الجبل الأقرع الممتد من جهة سعير، الى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون»، وقد امتلك جميع هذه البلاد بالحرب باستثناء «الحويين سكان جبعون»[٤٩].

كذلك أخذ يشوع أرض العناقيين وقضى عليهم في «حبرون ودبير وعناب»، وفي «سائر جبل يهوذا وكل جبل اسرائيل»، بعد ان قضى عليهم «مع مدنهم»، ولم يبق عناقي في ارض كنعان «الا في غزة وجَتّ وأشدود»[٥٠].

وفيما يلي ذكر للأراضي والبلدان التي اغتصبها يشوع من أصحابها الأصليين وطرد أهلها منها او قضى عليهم فيها:

أ ـ عبر الأردن شرقا:

الأراضي والبلدان الممتدة من «وادي أرنون (نهر ارنون) الى جبل حرمون، وكل العربة (غور الأردن) شرقاً وهي:

---

(٤٦) العهد القديم، يش ١١: ١٠ـ١١.

(٤٧) م.ن. يش ١١: ١٢.

(٤٨) م.ن. يش ١١: ١٤.

(٤٩) م.ن. يش ١١: ١٦ـ١٩.

(٥٠) العهد القديم، يش ١١: ٢١ ـ ٢٢.

- حشبون (عاصمة سيحون ملك الأموريين) ومملكة الأموريين «من عروعير التي على جانب وادي ارنون، الى وسط الوادي مع نصف جلعاد، الى وادي يبّوق (او نهر يبوق)، حدود بني عمّون».

- «العربة (غور الأردن) الى بحر كنّروت (الجليل)» شرقا والى «بحر العربة بحر الملح (الميت)... على طريق بيت يشيموت، ومن الجنوب ما تحت سفوح الفسجة والساحل» (عند الطرف الشمالي الشرقي للبحر الميت وعلى الحدود الجنوبية لمملكة سيحون، ومنها جبل نبو).

- باشان، مملكة عوج المقيم بعشتاروت وأذرعي، وكانت مملكته تضم «جبل حرمون وسلكة وكل باشان الى حدود الجشوري والمعكي»، كما تضم «نصف جلعاد وهو أرض سيحون، ملك حشبون»[٥١].

ب ـ عبر الأردن غربا:

- «من بعل جاد، في بقعة لبنان، الى الجبل الاقرع الممتد الى سعير... في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والنقب «أراضي الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين[٥٢].

وفيما يلي ذكر للملوك الذين هزمهم يشوع وقضى عليهم وعلى ممالكهم وعددهم ٣١ ملكا، وهم ملوك:

أريحا (١)، العَي(١)، أورشليم(١)، حبرون(١)، يَرموث(١)، لاكيش(١)، عجلون(١) جازر(١)، دَبير(١)، جادَر(١)، حُرمة(١)، عَراد(١)، لبنة(١)، عَدُلاّم(١)، مَقّيدة(١)، بيت ايل(١)، تَفّوح(١)، حافَر(١)، أفيق(١)، لَشّارون(١)، مادون(١)، حاصور(١)، شِمْرون مَراؤون(١)، أكشاف(١)، تَعناك(١)، مَجدّو(١)، قادش(١)، يُقْنَعام، في الكرمل(١)، دور، في سفح دور(١)، جوئيم، في الجلجال (أو الجليل)(١)، تِرصه(١)[٥٣].

(٥١) العهد القديم، يش ١٢: ١ـ٥.

(٥٢) العهد القديم يش ١٢: ٧ـ٨.

(٥٣) م.ن. يش ١٢: ٩ـ٢٤. وقد ورد في النص اليوناني ان «جوئيم» هو ملك الجليل، بينما ورد في النص العبري انه ملك الجلجال (العهد القديم، ص ٤٤٢ حاشية ٣).

وفيما يلي ذكر للأراضي والبلدان التي لم يحتلها يشوع وأوصى الرب باحتلالها وهي:

- «جميع نواحي الفلسطينيين وكل الجشوري، من الشّيحور شرقي مصر (أي نهر النيل في مصر) الى حدود عقرون شمالا، وهي للكنعاني».

- أرض «أقطاب الفلسطينيين الخمسة «وهم» الغزى والأشَدودي والأشقلاني (العسقلاني) والجتي والعقروني، وهناك العُويون»، (نسبة الى مدينة عاي).

- «ومن الجنوب: كل أرض الكنعاني، ومن عارة التي للصيدونيين، الى أفيق (في سهل شارون) الى حدود الأموري».

- «ارض الجبلي وكل لبنان جهة مشرق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة. جميع سكان الجبل، من لبنان الى مسرفوت مييم، وكل الصيدونيين، سأطردهم من أمام بني اسرائيل، وانت تكتفي بتوزيعها بالقرعة على اسرائيل ميراثا كما أمرتك»، أما الجشوريون والمعكيون فلم يطردهم بنو اسرائيل من ديارهم، بل أقاموا «في جشور ومعكة، في وسط اسرائيل الى هذا اليوم»[٥٤].

ثم قسّم هذه الأرض التي احتلت والتي لم تحتل، على أسباط اسرائيل، وأوصى بها ميراثا لهم[٥٥].

(انظر الخارطة رقم ٧).

ولا بد من الاشارة باهتمام، قبل ختام هذا البحث، الى الملاحظات التي أبداها الباحث الاسرائيلي «ايلي بارنافي» في كتابه «التاريخ العالمي لليهود Historie Universelle des Juifs» فهو يرى ان «التحليل الحرفي للمصادر التوراتية يُظهر العديد من التناقضات» ويقدم مثالا على ذلك انه «في ضوء الحفريات التي أجريت في السنوات العشر الأخيرة، فان فرضية معركة وحيدة منتصرة لا تصمد امام الامتحان، فلا يوجد ما يؤكد حصول تدمير عنيف للمدن المهمة، بل بعكس ذلك، فان الحفريات التي اجريت على مواقع المدن التي يفترض ان يشوع قد دمرها، مثل أريحا، تؤكد ان لا شيء من ذلك قد تم»[٥٦].

---

(٥٤) م.ن. يش ١٣: ٢-٦ و١٣.

(٥٥) انظر. لتقسيم الأرض بين أسباط اسرائيل، م.ن. يش ١٣-١٩.

(٥٦) Barnavi, Histoire Universelle des Juifs, P. 8

خارطة رقم ٧: توزيع أرض كنعان على أسباط إسرائيل



فهل نحن، اذن، أمام مبالغات سوف، يثبت العلم الحديث بطلانها كلما تقدم البحث العلمي الرصين، بحيث نجد أنفسنا أمام أساطير يصعب تصديقها والركون اليها، علميا؟ أم ان الباحث (اليهودي) يقصد، من وراء ذلك، إزالة تهمة العنف والارهاب عن أسلافه القدامى؟

بعض المبادئ العسكرية والأخلاقية:

١ـ في توازن القوى:

أوصى الرب بني اسرائيل ان يقاتلوا أعداءهم ولو كانوا أقل عددا منهم، فقال لهم: «لقد طرد الرب من أمامكم أمما عظيمة قوية، ولم يثبت في وجوهكم أحد الى هذا اليوم. الواحد منكم يطارد ألفا لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما قال لكم»(٥٧).

٢ ـ في العنصرية وعقدة التمايز:

أوصى الرب بني اسرائيل ان لا يختلطوا بباقي الأمم او يصاهروها، فقال لهم: «ان ارتددتم وتعلقتم ببقية تلك الأمم، التي بقيت معكم، وصاهرتموها ودخلتم بينها ودخلت بينكم، فاعلموا ان الرب الهكم لا يعود يطرد تلك الأمم من وجهكم، بل تصير لكم شبكة وفخا وسوطا على جنوبكم، وشوكا في عيونكم، حتى تزولوا عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب الهكم اياها»(٥٨).

٣ـ في التحريض على العدوان وتنمية الطبيعة العدوانية، والاتكالية:

لا يفتأ رب بني اسرائيل يحرض شعبه على العدوان وينمّي لديه الطبيعة العدوانية واغتصاب حق الغير، ويذكره دائما بانه هو الذي يحارب عنه ولأجله، فيقول له: «ثم دخلت

---

(٥٧) العهد القديم. يش ٢٣: ٩ ـ ١٠. وقد وردت في القرآن الكريم آيات مماثلة مثل: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنينَ عَلى القِتَالِ، إن يَكُن مِنْكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإن يَكُن مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ» (الانفال٨/ ٦٥). ومثل: «الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً، فَإنْ يَكُن مِنْكُم مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإنْ يَكُن مِنْكُم أَلفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ الله، واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الانفال ٦٦).

(راجع كتابنا: الفن العسكري الاسلامي، أصوله ومصادره، ص ٤٤).

(٥٨) م. ن. يش ٢٣: ١٢ـ١٣.

بكم أرض الأموريين الساكنين في عبر الأردن فحاربوكم، فاسلمتهم الى أيديكم، وورثتم أرضهم واستأصلتهم أمامكم»(٥٩).

ثم عبرتم الاردن ووصلتم الى أريحا، فحاربكم اهل اريحا والاموريون والفرزيون والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون فأسلمتهم الى ايديكم. وأرسلت قدامكم الزنابير فطردت ملك الأموريين من أمامكم، لا بسيفكم ولا بقوسكم. وأعطيتكم ارضا لم تتعبوا فيها، ومدنا لم تبنوها فأقمتم بها، وكروما وزيتونا لم تغرسوها، وانتم تاكلونها»(٦٠).

موت يشوع: ثم مات يشوع، بعد ذلك، وهو ابن مئة وعشر سنين. ودفن «في ارض ميراثه، في تمنة سارح التي في جبل أفرائيم الى شمال جبل جاعَش»(٦١).

---

(٥٩) م.ن. يش ٢٤: ٨.

(٦٠) م.ن. يش ٢٤: ١١ـ١٣. ويلاحظ في هذا النص ان المعرّب يستخدم صيغة المفرد أحيانا (ويقصد يشوع) وصيغة الجمع احيانا أخرى (ويقصد بني اسرائيل).

(٦١) م.ن. يش ٢٤: ٢٩ـ٣٠.

الفصل الثاني

حـــروب القضـــاة

(القرن ١٢ ـ ١١ ق.م)

I ـ حروب يهوذا

خلف يهوذا يشوع، بعد موته، في قيادة الشعب العبراني، وتابع الحرب ضد الشعوب المقيمة على أرض كنعان، متحالفا مع أخيه شمعون[١]. لم يكن لدى العبرانيين، في هذه المرحلة، جيش محترف، بل كان القتال يوكل الى كل قادر على حمل السلاح من القبائل العبرية، كل سبط على حدة، ولم يكن تحالف الأسباط جميعها في القتال حتميا، بل كان نادرا[٢]، كما سنرى، مما اتاح لمعظم المدن ـ الدول التي كانت قائمة في أرض كنعان، قبيل الاجتياح العبراني، ان تستمر مشكّلة ضغطا لا يستهان به على المواقع التي تمكن العبرانيون من احتلالها[٢].

موقعة بازق:

اجتمع الكنعانيون والفرزيون لقتال بني اسرائيل في بازق بعد موت يشوع، فاتجه يهوذا (سبط يهوذا) ومعه اخوه شمعون (سبط شمعون) لقتالهم، ودارت بين الفريقين

---

(١) العهد القديم، قض ١: ١ـ٣.

(٢) Pritchard, J. Atlas du Monde Biblique P. 69 -

معركة انتهت بهزيمة الكنعانيين والفرزيين الذين كانوا قد رأسوا عليهم قائدا يدعى «أدوني بازق» (أي سيد بازق)، فقتل من الكنعانيين وحلفائهم الفرزيين نحو عشرة آلاف، وأسر قائدهم (أدوني بازق) حيث قطع العبرانيون «اباهيم يديه ورجليه» واقتادوه الى اورشليم حيث مات[٤].

احتلال اورشليم:

تابع يهوذا تقدمه، بعد بازق، نحو أورشليم، وكانت محصنة، فاحتلها وضرب اهلها بالسيف ثم أحرقها[٥]. ويروي المؤرخ اليهودي «يوسفوس» ان يهوذا لم يتمكن من احتلال اورشليم كلها بل احتل الأحياء السفلى منها، وبقيت الأحياء العليا عاصية عليه[٦]، وقد ظل اليبوسيون (وهم فصيلة كنعانية) في أورشليم، الى جانب سبط بنيامين، الى ان فتحها الملك داود[٧].

احتلال حبرون:

ووزع يهوذا قادته لاحتلال البلاد، فاحتل كالب بن يفنّا، من سبط يهوذا، حبرون، وكان اسمها (قرية اربع)، وهي (الخليل) اليوم، وهزم اهلها، وهم من بني عناقة (عناق)، وتسلمها كالب وفقا لوصية موسى[٨]، (وكان كالب احد رجال بعثة التجسس التي ارسلها موسى الى أرض كنعان من برية فاران كما مر معنا، كما كان كالب ويشوع الاثنين اللذين بقيا على قيد الحياة من رجال بني اسرائيل الذين دخلوا ارض كنعان بعد التيه).

---

(٣) Barnavi, E., Histoire Universelle des Juifs, P. 10 -

(٤) العهد القديم، قض ١: ٤ ـ ٧.

(٥) م.ن. قض ١: ٨.

(٦) الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢: ٢٢٢.

(٧) العهد القديم، قض ١: ٢١، والدبس تاريخ سوريا، جـ٢: ٢٢٢.

(٨) العهد القديم، قض ١: ١٠ و٢٠ و٢١.

احتلال دَبير وصَفات:

واحتل عتنيئيل بن قناز، الأخ الأصغر لكالب، بعد ذلك، (دَبير) وكان اسمها قبلا، قرية (سِفْر)[٩]، بينما احتل يهوذا ومعه شمعون اخوه، (صفات)، فقتل اهلها، وكانوا من الكنعانيين، وسماها (حُرْمة)[١٠].

احتلال مدن الفلسطينيين، غزة وأشقلون وعقرون:

يذكر العهد القديم ان يهوذا اتجه بعد ذلك غربا، نحو بلاد الفلسطينيين، على الساحل، فاحتل «غزة وأرضها، وأشقلون (عسقلان) وأرضها، وعقرون وأرضها»[١١] ولكن يبدو ان العبرانيين لم يحتلوا هذه المدن الفلسطينية لأن أهلها كانوا يقتنون مراكب من حديد، بحيث صعب التغلب عليهم، فظلوا فيها ولم يغادروها كما مر في العهد القديم نفسه[١٢].

احتلال باقي المدن في أرض كنعان:

تابع العبرانيون، في عهد يهوذا، احتلالهم لأرض كنعان:

ـ فاحتل آل يوسف (وهو سبط افرائيم ومنسى) بيت ايل، وكان اسمها قبلا (لُوز)، وقد دلهم على بابها رجل من اهلها، فدخلوها وقتلوا أهلها جميعاً، وأطلقوا الرجل وكل عشيرته مكافأة له[١٣].

ـ واحتل آل منسى: بيت شان وتوابعها، وتفناك وتوابعها، ودُور وتوابعها ويِبْلاعام وتوابعها، ومجدّو وتوابعها، ولكن آل منسى لم يطردوا اهل هذه البلدان، وهم من الكنعانيين، فظل هؤلاء مقيمين على أرضهم وفي بلدانهم[١٤].

---

(٩) م.ن. قض ١: ١١ـ١٢.

(١٠) م.ن. قض ١: ١٧.

(١١) م.ن. قض ١: ١٨.

(١٢) م.ن. قض ٣: ١ـ٦، وقض ١: ١٩.

(١٣) م.ن. قض ١: ٢٣ـ٢٥.

(١٤) م.ن. قض ١: ٢٧.

ـ واحتل آل أفرائيم: جَازر، ولم يطردوا اهلها، وهم من الكنعانيين[١٥].

ـ واحتل آل زبولون: قِطرون ونَهلول، ولم يطردوا اهلها الكنعانيين كذلك[١٦].

ـ واحتل آل أشير: عكاء وصيدون وأحلَب وأكزيب وحَلَبة وأفيق ورحوب، ولم يطردوا اهلها وهم من الكنعانيين ايضاً[١٧].

ـ واحتل آل نفتالي: بيت شمس وبيت عَنات، ولم يطردوا اهلها وكانوا من الكنعانيين[١٨].

ولما أنس العبرانيون في أنفسهم القوة، لم يعودوا يطردون أهل البلدان التي يحتلونها، او يقتلونهم، بل كانوا يقيمون في تلك البلدان، مع أهلها، بعد ان يفرضوا الجزية عليهم[١٩]. وقد أشار العهد القديم الى ان آل أفرائيم أقاموا مع الكنعانيين في جازر، وان آل زبولون أقاموا مع الكنعانيين من سكان قطرون ونهلول بعد ان فرضوا الجزية عليهم، وان آل أشير أقاموا مع الكنعانيين من سكان عُكا وصيدون وأحلب واكزيب وحلبة وأفيق ورحوب، وان آل نفتالي أقاموا مع أهل بيت شمس وبيت عنات من الكنعانيين بعد ان فرضوا الجزية عليهم[٢٠].

يبدو من قراءة الاحداث، ان العبرانيين، بعد ان احتلوا غزة، اتجهوا شمالاً، على الساحل حتى عسقلان، فعقرون، ثم اتجهوا شرقا، فامتلكوا الجبل[٢١] الذي استقر فيه (بنو دان)، وكان فيه الأموريون الذين حاصروا (بني دان) ومنعوهم من النزول الى الوادي[٢٢]. وكان الأموريون يقيمون، كذلك، في أيّالون وشَعَلْبيم بجبل حارس، فغلبهم آل

(١٥) م.ن. قض ١: ٢٩.

(١٦) م.ن. قض ١: ٣٠.

(١٧) م.ن. قض ١: ٣١ و٣٢.

(١٨) م.ن. قض ١: ٣٣.

(١٩) م.ن. قض ١: ٢٨.

(٢٠) م.ن. قض ١: ٢٩ـ٣٣.

(٢١) م.ن. قض ١: ١٩.

(٢٢) م.ن. قض ١: ٣٤.

خارطة رقم ٨: حروب يهوذا



يوسف وضربوا الجزية عليهم[٢٣]، «وكانت حدود الأموريين من عقبة العقارب من الصخرة الى ما فوق»[٢٤].

لكن بني اسرائيل عادوا فعصوا ربهم، بعد موت يهوذا، وتخلوا عن عبادته واتبعوا آلهة اهل البلاد التي اقاموا فيها من «الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[٢٥] وعبدوا آلهتهم «البعليم والعشتاروت» فغضب الرب عليهم ولم يعد يناصرهم في حروبهم[٢٦]، وأبقى في ارض كنعان، أهلها الأصليين «خمسة أقطاب الفلسطينيين، وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين المقيمين بجبل لبنان، من جبل بعل حرمون الى مدخل حمَاة»[٢٧] وذلك لكي يمتحن بهم اسرائيل و«لتعليم أجيال بني اسرائيل... لتعليم الحرب للذين لم يعرفوها قبلاً»[٢٨]. وهكذا أبقى المدن الكنعانية والفلسطينية ومدن غيرها من الأقوام التي كانت تقطن ارض كنعان، أصلاً، «في قلب الشعب الاسرائيلي، حيث شكلت ضغطا في الداخل»[٢٩]. (أنظر الخارطة رقم ٨)

II ـ حروب عُتنيئيل بن قناز

تولى عُتنيئيل القضاء خلفاً ليهوذا، وكان كوشان رشعتائيم «ملك أدوم» قد غزا ارض كنعان وأخضع بني اسرائيل طيلة ثماني سنوات[٣٠]، وكان بنو اسرائيل يدفعون الجزية الى كوشان ويحملونها، سنوياً، الى مقره، ويبدو ان بني اسرائيل تأخروا، ذات عام، عن دفع الجزية، فزحف كوشان اليهم لكي يؤدبهم، وانبرى عُتنيئيل لمواجهته على أرض فلسطين (ولم يُعرف بالضبط مكان المعركة)، فهزم عُتنيئيل كوشان وجيشه «وهدأت الأرض اربعين سنة» بعد ذلك[٣١].

(٢٣) م. ن. قض ١: ٣٥.

(٢٤) م. ن. قض ١: ٣٦.

(٢٥) م. ن. قض ٣: ٥ـ٦.

(٢٦) م. ن. قض ٣: ٧.

(٢٧) العهد القديم، قض ٤: ٢و٣.

(٢٨) م. ن. قض ٤: ٢.

(٢٩) العهد القديم، قض ٤: ٤ ـ ٢٢، وانظر الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٢٩ـ٢٣٠.

(٣٠) العهد القديم، قض ٣: ٨. والدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٢٤ـ٢٢٥.

(٣١) م. ن. قض٣: ١٠ـ١١، وكان مقر عتينئيل قرية دبير (او سفر) على مقربة من حبرون (الدبس، م. ن. جـ٢: ٢٢٥).

III ـ حروب أهود بن جبرا البنياميني

بعد ان مات عُتنيئيل، استظهر «عجلون» ملك مؤاب على بني اسرائيل، وجمع، لمحاربتهم، المؤابيين (وكانوا يقطنون جنوب شرقي فلسطين، خلف البحر الميت) والعمونيين (وكانوا يقطنون شمال شرقي أرض المؤابيين، وهم أبناء خالتهم من جدهم لوط كما مر معنا) والعمالقة (وكانوا يقطنون البرية شرق تخوم المؤابيين)، ودارت بين الفريقين، عبر الأردن شرقا، معارك انتهت بهزيمة بني اسرائيل، حيث عبر المنتصرون، بقيادة عجلون نفسه، النهر، واخضعوا بني اسرائيل عبر النهر غربا، وفرضوا الجزية عليهم، كما سبق لكوشان ملك أدوم ان فعل، واحتل عجلون مدينة النخل (اريحا) وأقام فيها مستعبدا بني اسرائيل طيلة ثمانية عشر عاما، على جانبي النهر، شرقه وغربه[٣٢].

وظهر في بني اسرائيل قائد محنك هو «أهود بن جبرا البنياميني» وكان يعلم انه ليس باستطاعة شعبه الانتصار عسكريا على المؤابيين وحلفائهم، فعمد الى حيلة استطاع، بواسطتها، ان يقضي على عجلون ملك المؤابيين وقائد التحالف، اذ انه قصده في مقره حاملا اليه الهدايا تقرباً وتزلفاً، وكان قد اخفى تحت ثيابه «سيفا ذا حدين طوله ذراع»، فقدم اليه الهدايا وانصرف كي لا يثير الشكوك حوله، ولما انصرف مودّعوه عاد الى الملك طالبا ان يختلي به كي يسر له أمرا، وما ان اختلى به حتى طعنه طعنة نجلاء قضت عليه فورا. وبينما كان القوم منهمكين بأمر مليكهم، انسل خارجا واتجه الى سعيرة «وعند وصوله، نفخ في البوق في جبل أفرائيم» حيث كان بنو اسرائيل في انتظاره، ثم تقدمهم مهاجما المؤابيين المنشغلين بالفاجعة حيث احتل «معابر الاردن» مانعا عبور المؤابيين الى عبر الاردن شرقا، ثم انقض على جموعهم فقتل منهم «نحو عشرة آلاف رجل، كل شجاع وكل رجل بأس، ولم ينج منهم أحد»[٣٣].

IV ـ حروب النبية دبورة

استراح بنو اسرائيل، بعد مقتل عجلون، ثمانين عاما[٣٤] عاد، بعدها، الكنعانيون،

---

(٣٢) العهد القديم، قض ٣: ١٢ ـ ١٤ والدبس، المصدر السابق، ج٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣٣) العهد القديم، قض ٣: ١٥ ـ ٢٩، والدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣٤) م.ن. قض ٣: ٣٠.

وغيرهم من شعوب ارض كنعان، الى القتال ضدهم، فاصطدم العبرانيون، عبر الأردن شرقا، «بامارات» الآراميين والعمونيين والمؤابيين، و«بقبائل، رحل او شبه رحل، من العمالقة والأدوميين والمديانيين، انتشرت في المناطق الصحراوية جنوبا» وراحت تشن عليهم الغارات بغية الحصول على الكلأ والماشية، «وانتزاع الأراضي الخصبة منهم»[٣٥]. وكان الكنعانيون أشد تلك الشعوب على بني اسرائيل، وخصوصا أولئك المقيمون في أورشليم، في وسط البلاد (اليبوسيون)، وفي حاصور، أقوى مدن الكنعانيين في الشمال[٣٦].

وكان «يابين»، ملك حاصور، قد أعد جيشا قويا سلّم قيادته الى عسكري حازم وقوي هو «سيسرا»، الذي جهز هذا الجيش «بتسع مئة مركبة من حديد» وأخذ يضيّق على بني اسرائيل «بشدة» طيلة عشرين عاما[٣٧]. وكان يابين يقيم شمال نهر «قيشون»، في بلدة تدعى «حروشت الامم»[٣٨].

وكانت نبية تدعى «دبورة» و(تعني بالعبرية النحلة)، زوجة «لَفيدوت» قد تولت قضاء بني اسرائيل واتخذت مقرا لها تحت نخلة دُعيت باسمها (نخلة دبورة)، على جبل أفرائيم، بين الرامة وبيت آيل.

موقعة نهر قيشون:

قررت دبورة ان تنازل يابين ملك حاصور وتنهي تسلطه على شعبها، فدعت اليها «باراق (وتعني بالعبرية البرق) بن أبينوعم» من «قادش نفتالي» (من اعمال صفد) وأمرته ان يعدّ جيشا من عشرة آلاف مقاتل من سبطي زبولون ونفتالي، ويستعد لمقاتلة سيسرا، قائد جيش حاصور.

الخطة: وضعت دبورة خطة، لذلك، تتلخص بما يلي:

(٣٥) -- Barnavi. Op. Cit. ,P. 11

(٣٦) Ibid

(٣٧) العهد القديم، قض ٤: ٢و٣.

(٣٨) م.ن. قض ٤: ٢

ـ يحشد باراق جيشه على جبل تابور، بعد أن ينطلق به من قادش نفتالي الى الجبل المذكور.

ـ تقوم دبورة بعملية استدراج لجيش يابين من حروشت الامم الى نهر قيشون (المعروف بنهر المقطع، في مرج ابن عامر، شمال حيفا)، دون ان تفصح عن الطريقة التي سوف تتبعها لاستدراج ذلك الجيش.

ـ تتم المنازلة بين الجيشين في المكان الذي اختارته دبورة، جنوب غربي قادش نفتالي.

التنفيذ: انطلق باراق بجيشه من قادش نفتالي، ورافقته دبورة، وكان معه عشرة آلاف مقاتل.

ـ ما ان علم سيسرا بحشود باراق ودبورة على جبل تابور، حتى تحرك بجيشه لملاقاتها، وكان معه ٩٠٠ مركبة حديد «وجميع الشعب الذي عنده»، فانتقل من «حروشت الامم» الى «نهر قيشون».

ـ ما ان وصل سيسرا الى نهر قيشون حتى انحدر باراق بجيشه من جبل تابور وفاجأ سيسرا وجيشه عند ذلك النهر، فذعرت مركبات سيسرا وخيوله وقتل جميع عسكره «بحد السيف، ولم يبق منهم باق»، بينما سارع باراق لمطاردة سيسرا وفلول جيشه، حتى «حروشت الامم».

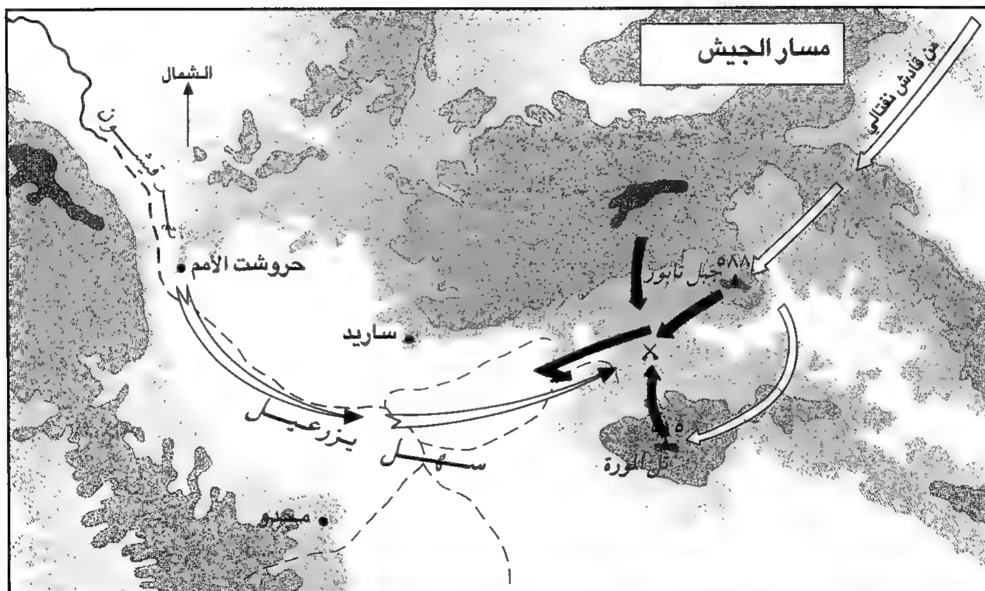
ـ أما سيسرا، فقد تخلى عن مركبته وهرب راجلا حيث دخل خيمة رجل يدعى «حابَر القيني» من بني حوباب «حميّ موسى»، كان قد نصبها عند «شجرة بلوط في صعتنّيم التي عند قادش»، واستجار بياعيل، امرأة حَابَر التي اجارته، وكان سيسرا متعباً ومرهقاً، فغافلته ياعيل وغرزت في صدغه وتدا فقتلته. وما ان وصل باراق الى خيمتها باحثا عن خصمه، حتى أرته اياه ميتا «والوتد في صدغه»(٣٩). وهكذا هزم يابين، ملك حاصور، امام دبورة وجيشها، فازداد بنو اسرائيل قوة، «وقسوا على يابين ملك كنعان حتى قضوا عليه»(٤٠).

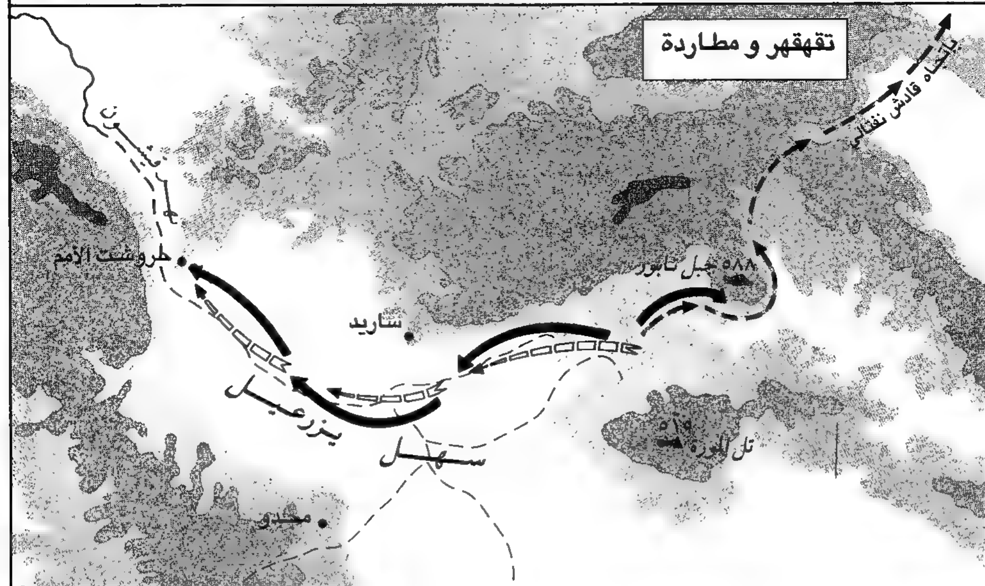
---

(٣٩) العهد القديم، قض ٤: ٤ ـ ٢٢، وانظر الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٢٩ـ٢٣٠.

(٤٠) م.ن. قض ٤: ٢٣

خارطة رقم ٩: حروب دبورا (موقعة نهر قيشون)





مسار جيش دبورا بقيادة باراق

مسار جيش سيسرا

هجوم جيش دبورا

هروب سيسرا بعد هزيمة جيشه

تقهقر جيش سيسرا

مطاردة جيش دبورا لجيش سيسرا

معركة انتصر فيها جيش دبورا

٧ كم

ارتفاع اليابس بالأمتار

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٥٠٠



وقد ورد في نشيد «دبورة»، بعد هذه المعركة، لوم لأسباط اسرائيل الذين تخلفوا عن نجدة اخوانهم في حربهم مع يابين، ومن هؤلاء: جلعاد الذي «سكن في عبر الأردن»، ودان الذي كان «يقيم على سفن»، وأشير الذي لبث «على سواحل البحار... وفي موانيه سكن»، كما لعنت سكان ميروز الذين «لم يأتوا لنصرة الرب... بين الأبطال»[41]، بينما امتدحت المتطوعين من سبطي بنيامين وأفرائيم، وسبط يسّاكر الذي كان يعضد «باراق» في هذه الحرب[42]، كما امتدحت سبطي زبولون ونفتالي قائلة: «زبولون شعب خاطر بنفسه للموت وكذا نفتالي على مشارف الحقول. أتى الملوك وقاتلوا»[43] وامرأة حابَر القيني التي «ضربت سيسرا وكسّرت رأسه وحطَمت وخرقت صدغه[44]»، ويبدو ان الطقس كان راعدا وممطرا يوم المعركة مما حدا بدبورة ان تقول في نشيدها:

«رجفت الأرض، وقطرت السماء، وقطرت الغمائم ماء. تزعزت الجبال من وجه الرب»[45] كما قالت: «من السماء قاتلت الكواكب، ومن مدارها قاتلت سيسرا، نهر قيشون جرفهم، نهر القِدم نهر قيشون»[46] واستراح العبرانيون، بعد هذه المعركة، أربعين سنة[47]. (أنظر الخارطة رقم ٩).

٧ـ حروب جدعون بن يواش الأبيعزري

استعبد المدينيون بني اسرائيل طيلة سبعة أعوام حيث كانوا يغزونهم باستمرار ويستولون على محاصيلهم ومواشيهم، ويفسدون غلة أراضيهم «الى مدخل غزة»، ولا يبقون لهم «ميرة.... ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا»[48]، مما اضطر بني اسرائيل للجوء الى المغاور والكهوف والحصون هربا من وجه مدين وحلفائها العمالقة وبني المشرق

---

(٤١) م.ن. قض ٥: ١٧ و٢٢.

(٤٢) م.ن. قض ٥: ١٤ و١٥.

(٤٣) م.ن. قض ٥: ١٨ و١٩.

(٤٤) م.ن. قض ٥: ٢٤ و٢٦.

(٤٥) م.ن. قض ٥: ٤ و٥.

(٤٦) م.ن. قض ٥: ٢٠ و٢١، وانظر Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 53- 55.

(٤٧) م.ن. قض ٥: ٣١.

(٤٨) م.ن. قض ٦: ١ـ٤.

(وهؤلاء هم العرب الرحل من سكان حوران، وكانوا حلفاء للعمالقة وللمدينيين الذين كانوا يقطنون شرق البحر الميت، خلف مساكن بني اسرائيل في عبر الأردن)(٤٩).

وظهر في بني اسرائيل رجل يدعى «جدعون» هو ابن «يواش» الأبيعزري، من «عفرة» الواقعة في وادي اسرائيل، بالقرب من نابلس(٥٠)، ادعى ان الرب ارسله نبياً لبني اسرائيل لكي يخلصهم من استعباد المدينيين لهم. وقد لقّب باسم «يَرُبَّعل» لانه هدم مذبح البعل الذي كان يعبده قومه، فدعا القوم اباه لكي يقتله، فرفض الأب قائلا: لينتقم منه البعل بنفسه لانه هدم مذبحه(٥٠ مكرر).

موقعة «تل المورة» بين جدعون والمدينيين:

سبق هذه المعركة لقاء بين جدعون وملاك الرب تضرع، خلاله، جدعون الى الرب ان يخلّص بني اسرائيل من «قبضة مدين»، فوعده الرب بالنصر، وقال له: «انطلق بقوتك هذه وخلص اسرائيل من قبضة مدين،.......... انا اكون معك، وستضرب مدين كأنه رجل واحد»(٥١). وعبر جدعون الأردن ونزل في «وادي يزرعيل» (عند زرعين من جهة جنين) تجاه كل خصوم بني اسرائيل، «جميع مدين وعماليق وبني المشرق معا». بينما حل «روح الرب» على جدعون فنفخ في البوق»، فاجتمع اليه آل ابيعزر. وأرسل الى آل منسى وأشير وزبلون ونفتالي «فصعدوا لملاقاته»(٥٢).

ويتدخل هنا الرب، كعادته قبل كل معركة، وبشكل اسطوري، ليؤكد لجدعون مساندته، ويقول جدعون للرب ممتحنا صدق رؤياه: «ان كنت مخلّص بني اسرائيل عن يدي كما قلت، فها انذا واضع جزاز صوف في البيدر، فاذا سقط الندى على الجزاز وحده وعلى سائر الأرض جفاف علمت انك تخلص اسرائيل على يدي كما قلت»(٥٣). ووضع

---

(٤٩) م.ن. قض ٦: ٢ والدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٥٠) ربما تكون (فرعاتا) الواقعة على بعد ٦ اميال غرب نابلس (الدبس المصدر السابق جـ٢: ٢٣٢).

(٥٠ مكرر) العهد القديم، قض ٦: ٢٥ ـ ٣٢.

(٥١) العهد القديم، قض ٦: ١٢ـ١٦.

(٥٢) م.ن. قض ٦: ٣٣ ـ ٣٥. والدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٣٣.

(٥٣) م.ن. قض ٦: ٣٦ ـ ٣٧.

جدعون الجزاز في البيدر وجاء في الغد فعصره، «فخرج منه من الندى ملء كوب ماء»[٥٤]. ويبدو ان جدعون ساوره الشك فيما رأى، وأراد ان يمتحن، وللمرة الثانية، جدية مساندة الرب له في حربه ضد المدينيين، فقال له ثانية: «لا تغضب عليَّ... أجرب مرة أخرى فقط بالجزاز. ليكن على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الأرض ندى»[٥٥]، فكان لجدعون في اليوم التالي، ما اراد: «فكان على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الأرض ندى»[٥٦].

ومهما يكن من امر هذه الرؤيا الاسطورية، فقد قرر جدعون خوض المعركة ضد خصومه الكثر المجتمعين عليه الى الشمال، على «تل المورة» في الوادي نفسه، فتقدم بجيشه في مرج ابن عامر (بالقرب من الموقع الذي هُزم فيه سيسرا، قائد جيش يابين) ونزل على «عين حرود» او «عين جلود» او «عين جالوت»، في الشمال الغربي من جبل جلبوع، والى الجنوب من محلة المدينيين[٥٧]، بينما كان المدينيون وحلفاؤهم لا يزالون على «تل المورة»، في الوادي شمال جيش جدعون.

وكان جدعون قد جمع جيشا قوامه ٣٢ الف رجل، فرأى ان يخيّر جنده: من أراد منهم البقاء ورغب في القتال فليبق، ومن أراد الرحيل ولم يرغب في القتال فليرحل، فرحل من القوم ٢٢ الفا، وبقي معه عشرة آلاف[٥٨]. ثم رأى جدعون ان يختار، من الباقين، شجعانهم، فعمد الى وسيلة مبتكرة، وذلك بأن أورد جنده الماء بحيث يبقى معه «كل من ولغ في الماء بلسانه كما يلغ الكلب» ويصرف كل من «جثا على ركبتيه ليشرب»، فولغ من الماء ثلاثماية وجثا الباقون على ركبهم لكي يشربوا، فاختار جدعون الثلاثماية كي يشكلوا جيشه لمحاربة المدينيين وحلفائهم[٥٩]. ويبدو، بحسب رواية العهد القديم، ان الرب هو الذي أوحى لجدعون بكل هذا، وانه قال له بعد ذلك: «بهؤلاء الثلاثمئة رجل الذين ولغوا، أخلّصكم وأسلّم مدين الى يدك أما سائر القوم، فليرجع كل واحد الى مكانه»[٦٠].

---

(٥٤) م. ن. قض ٦: ٣٨.

(٥٥) م. ن. قض ٦: ٣٩.

(٥٦) م. ن. قض ٦: ٤٠.

(٥٧) م. ن. قض ٧: ١، والدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٢٣.

(٥٨) العهد القديم، قض ٧: ٢.

(٥٩) م. ن. قض ٧: ٥ ـ ٧.

(٦٠) م. ن. قض ٧: ٧.

وكان «المدينيون والعمالقة وجميع بني المشرق» قد عسكروا في السهل، وباتوا «كالجراد كثرة»[٦١]. فقسم جدعون مئاته الثلاث الى ثلاث فرق، كل فرقة مئة، وأعطى كل فرد منهم بوقا وجرة فارغة في ضمنها مشعل، وأمرهم ان يصنعوا كما يصنع، وشرح لهم ماذا يجب ان يصنع كل منهم عند ساعة الصفر، ثم أمر الفرق الثلاث بالانتشار حول معسكر المدينيين وحلفائهم[٦٢].

وفي الساعة المحددة، وكانت منتصف الليل «في اول الهزيع الأوسط»، وهي، عادة ساعة تبديل الحراس والخفراء في المعسكر، نفخ جدعون وفرقته الأبواق وضربوا الجرار بعضها ببعض فتكسرت وبانت المشاعل، وفعلت كل فرقة مثلما فعل جدعون وفرقته، اذ نفخت الفرق الثلاث في الأبواق وحطموا الجرار وأخذوا المشاعل بأيديهم اليسرى والأبواق بايديهم اليمنى لينفخوا فيها، وهتفوا: «السيف للرب ولجدعون»[٦٣]، فدب الذعر في صفوف المدينيين وحلفائهم، وتراكض عسكرهم «وصرخوا وهربوا»، ثم «نفخ الثلاث مئة في الأبواق، فجعل الرب كل واحد يوجه سيفه الى صاحبه في المعسكر كله»[٦٤]، وهرب عسكر المدينيين وحلفاؤهم، لا يلوون على شيء، حتى بلغوا «بيت شطة» الى «صريرة» حتى عدوة «آبل محولة التي عند طَبّات»[٦٥].

وأخذ جدعون ومن معه من بني اسرائيل (من نفتالي وأشير ومنسى) يتعقبون أثر المدينيين وحلفائهم. وأرسل جدعون الى آل أفرائيم المقيمين في جبلهم ان «أنزلوا لملاقاة مدين واستولوا، قبلهم، على عيون المياه، الى بيت بارة والاردن «فقبض رجال افرائيم على قائدين من قادة المدينيين هما: عوريب (ويعني الغراب) وزيب (ويعني الذئب) وقتلوهما وحملوا رأسيهما الى جدعون «في عبر الأردن»[٦٦].

وظل جدعون ورجاله يطاردون فلول خصومهم الذين فروا عبر الأردن، فتبعوهم

---

(٦١) م. ن. قض ٧: ١٢.

(٦٢) م. ن. قض ٧: ١٦ـ١٧.

(٦٣) م. ن. قض ٧: ١٩ـ٢٠.

(٦٤) م. ن. قض ٧: ٢١ ـ ٢٢.

(٦٥) م. ن. قض ٧: ٢٢.

(٦٦) م. ن. قض ٧: ٢٣ ـ ٢٥، والدبس، المصدر السابق جـ٢: ٢٢٤.

حتى سكوت ففنوئيل الى قرقر حيث لجأ ملكا مدين «زاباح وصَلْمُنَّاع» ومعهما خمسة عشر الف رجل هم كل من بقي معهم من فلول جيشهم، «وكان الذين سقطوا مئة الف وعشرين الف رجل مستل سيف»[٦٧]. ففاجأهم جدعون، وهم مطمئنون، شرق «نوبح ويجبهة»، وأعمل، وجماعته، السيف فيهم حتى «ضرب كل الجيش» وظفر بزاباح وصلمناع فأسرهما[٦٨]، ثم مال الى سكوت فقتل سبعة وسبعين من كبرائها، لأنهم امتنعوا عن اطعام جيشه عند مروره بها، وكذلك فعل بأهل فنوئيل بعد ان هدم برجها، ثم قتل الملكين الاسيرين[٦٩]، واستعبد بنو اسرائيل مدين «واستراحت الارض اربعين سنة ايام جدعون»[٧٠] الذي مات بعد ان رزق، من نسائه الكثر، سبعين ولدا كان «ابيملك» احدهم من سرية له من اهل شكيم، ودفن في «عفرة ابيعزر» في قبر ابيه يواش[٧١]. (انظر الخارطة رقم ١٠)

استنتاج:

لا شك في ان ما يلاحظه القارئ او الباحث، في الرواية التوراتية لهذه المعركة، من اسطورية ومبالغة خارجة عن المعقول والمنطق، يجعله يرفض، كليا، مجرياتها ونتائجها، ولا يخامرنا الشك في ان ما غشي هذه الرواية من تدخل «رباني» لصالح جدعون وشعب اسرائيل يزيدنا تمسكا بلا عقلانيتها ولا منطقها. ومع ذلك، فقد تميزت هذه المعركة ـ الاسطورية بالمزايا الكاملة لأية معركة حقيقية، مثل:

١ـ الاعداد للمعركة، بالتعبئة لها، ثم باختيار الجند المنتخب، وباختيار وسائل القتال واسلحته وان كانت غير مألوفة (البوق والجرة والمصباح والسيف).

٢ـ المعركة، التي تميزت بعنصري الخدعة والمباغتة، وبحسن اختيار ساعة الصفر.

٣ـ المطاردة، وهي اساس السلوك الصحيح في اية معركة ناجحة لاستثمار النصر.

---

(٦٧) العهد القديم، قض ٨: ٤ ـ ١٠.

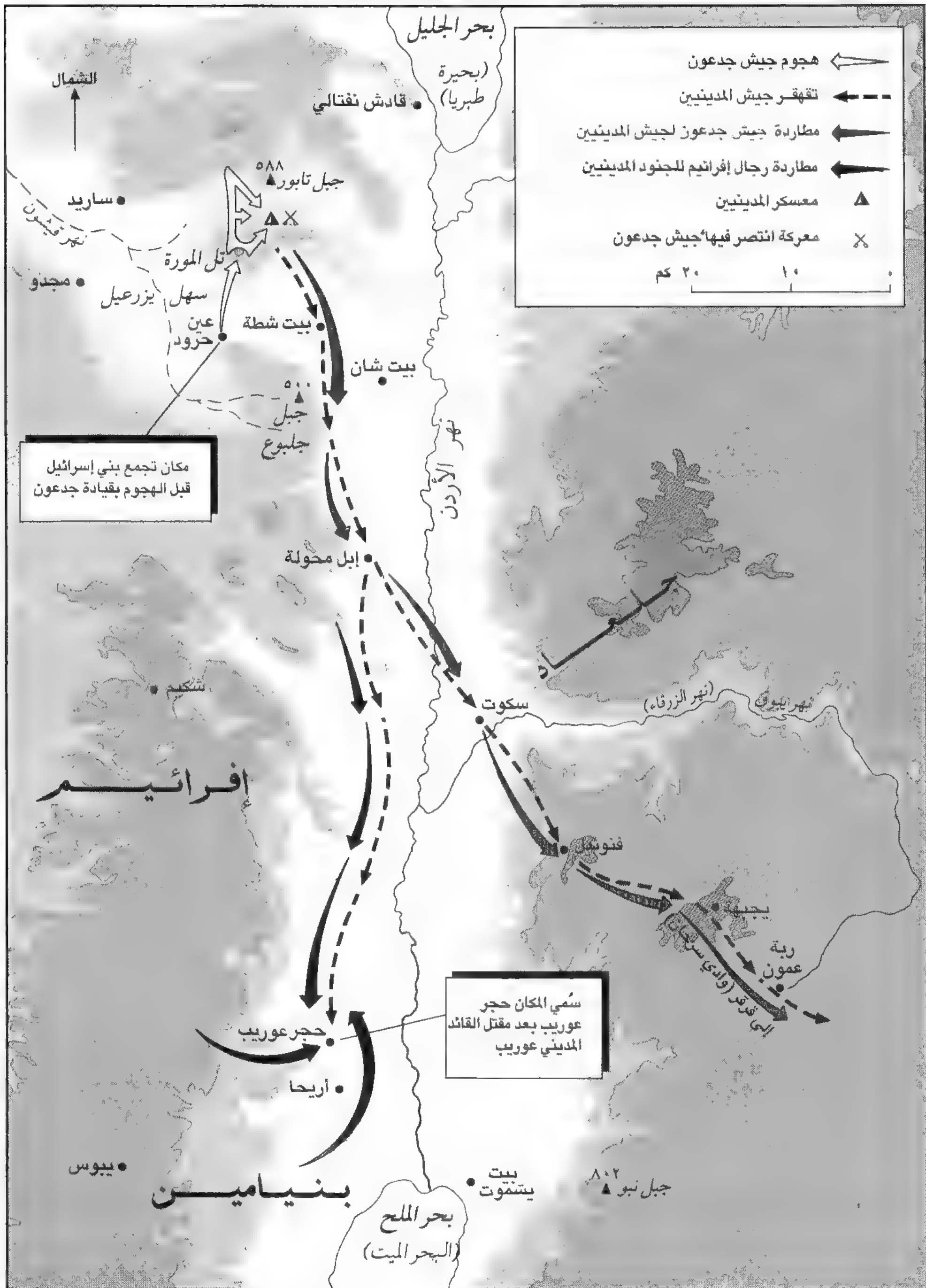
(٦٨) م. ن. قض ٨: ١١ـ١٢.

(٦٩) م. ن. قض ٨: ١٤ـ١٧ و ٢١.

(٧٠) م. ن. قض ٨: ٢٨.

(٧١) م. ن. قض ٨: ٣٠ـ٣٢.

خارطة رقم ١٠: حرب جدعون (موقعة تل المورة)



مما يجعلنا نعتبرها واحدا من نماذج اساليب القتال والتكتيك العسكري التي استخدمها بنو اسرائيل في حروبهم المختلفة.

١ ـ في الاعداد للمعركة، اعتمد جدعون الوسائل التقليدية للحشد والاستنفار والتعبئة، ثم عمد الى ترك الخيار للجند، من كان منهم راغبا في القتال يذهب اليه، ومن كان راغبا عنه لا يذهب، وهو أسلوب اتبعه القادة المسلمون في حروبهم الأولى، وان كان القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قد عرّضا بالمتخاذلين والمتقاعسين عن القتال. الا ان الاسلوب الذي اتبعه جدعون لاختيار النخبة من جيشه (ثلاثماية من اصل عشرة آلاف) تدعو الى التساؤل والاستهجان ونحن، وان كنا نميل الى عدم تصديق الرواية، نرى من المفيد ان نحاول تحليلها تحليلا منطقيا، متسائلين عن مغزى التمييز بين الذين يتناولون الماء من النهر بأفواههم راكعين وبين أولئك الذين يتناولونها براحاتهم وهم في وضع القرفصاء. فهل رأى جدعون في ركوع الجند، لتناول الماء، علامة من علامات الضعف والجبن والتخاذل، فاختار اولئك الذين لم يركعوا، دليلا على صلابتهم وشدتهم وروح المقاومة لديهم؟

أما اختياره لوسائل القتال (المصباح والجرة والبوق والسيف) فهو اختيار غير مألوف وان كان قد ثبت فعاليته في المعركة: فالبوق يرمي الرعب في قلوب العدو، والنار المفاجئة تلتهم الخيم ان رميت على معسكر العدو من قرب، والجرة لإخفاء النار حتى لحظة رميها على المعسكر، والسيف للقتال. ولكن السؤال الذي لا بد منه: كيف يمكن لثلاثماية نفر مزودين بهذه المعدات، وبالسيف دون سواه من الأسلحة، ان يهزموا جيشا بلغ عديده نحو ماية واربعين الف رجل، حيث قتلوا منه نحو ماية وعشرين الفا (بحسب رواية العهد القديم) وقضوا على أربعة من ملوك الأعداء بعد أسرهم؟

٢ ـ لا شك في أن المعركة قد تميزت بعنصري الخدعة والمفاجأة، وهما اهم عوامل النصر في أية معركة، وقد أحسن جدعون تقسيم قواته واختيار مواقعه حول معسكر الأعداء، فهو لم يحاول حصرهم ضمن معسكرهم من جهاته الأربع بحيث لا يبقى لديهم اية فرصة للهروب، بل حاصرهم من جهات ثلاث، فرقة من كل جهة، متيحا لهم الفرصة للهروب من الجهة الرابعة، (تماما كما فعل خالد بن الوليد في حربه مع الروم في معركة اليرموك)، كما انه احسن خداع الأعداء واتقن وسيلة المفاجأة عندما اخفى المشاعل في الجرار ثم أبرزها في لحظة استخدامها لإحراق مخيم الأعداء (وان لم يكن ذلك قد ذكر في

الرواية التوراتية)، ثم انه احسن اختيار ساعة الهجوم، وهي، منتصف الليل، حين يتم استبدال الخفراء، فيذهب المتيقظون منهم ويأتي الذين لم يتآلفوا مع عتمة الليل، او لم يستيقظوا تماما، كما أحسن اكتناف الهاربين والقضاء عليهم بواسطة الكمائن التي نصبت لهم من قبل رجال أفرائيم، بين بيت بارة والأردن، ولكن ما لا يمكن تصديقه والقبول به هو ان يكون ثلاثماية رجل لا سلاح لهم سوى السيف قادرين، مادياً، على أن يقضوا على ماية وعشرين الف مقاتل.

٣ ـ يبقى ان استثمار النصر بعنصريه: المطاردة واكتناف الهاربين عند مجرى نهر الأردن، كان تاما وناجحا، فقد طارد جدعون ورجاله الهاربين حتى النهر، حيث كان ينتظرهم آخرون من رجال أفرائيم لكي يقضوا عليهم ويأسروا ملوكهم.

الا اننا لن نذهب الى ما ذهب اليه «جان لارتيغي J. Larteguy» من ان جدعون برز، في هذه المعركة «قائدا عسكريا اصيلا وشجاعا، عرف كيف يستثمر عنصر المباغتة وروح الهجوم»[٧٢]، وذلك لسبب بديهي وبسيط، وهو ان هذه المعركة تظل، في قناعتنا، وبمبالغاتها غير المنطقية، أقرب الى الخيال والاسطورة، منها الى الواقع والحقيقة، رغم تأكدنا بان قناعتنا هذه لن تؤثّر في قناعات بني اسرائيل في القرن العشرين، الذين يستمدون من «تاريخهم العسكري» المكتوب في «العهد القديم» معظم نماذج حروبهم العصرية الحديثة، ولاسيما «الكمائن والغارات الصاعقة»[٧٣]، كما يرى لارتيغي نفسه، وكذلك اساليب الخداع والمفاجأة وغيرها من أساليب القتال، وهذا ما سنبيّنه فيما بعد[٧٤].

VIـ حروب أبيملك بن جدعون

تسلم حكم بني اسرائيل، بعد موت جدعون، ابنه أبيملك، وكان هذا قد قتل اخوته السبعين، في بيت ابيه في عفرة «على صخرة واحدة» ولم ينج منهم سوى أخ صغير له اختبأ من وجهه، هو أخوه «يوتام» أصغر ابناء يرُبّعل[٧٥]. وكان أهل شكيم أخوال ابيملك،

---

(٧٢) - Larteguy, Jean, les Murailles d'Israël, P. 214

(٧٣) - Ibid, P. 212.

(٧٤) انظر باب: الجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية.

(٧٥) العهد القديم، قض٩: ٥.

(وهم كنعانيون يتصلون به من جهة نسب الأم)[٧٥ مكرر]، فآزروه، الا ان الصفاء لم يدم طويلا بينه وبينهم فافترق عنهم وغادر مدينتهم مع انصار له، وأقام بعيدا عنهم، بينما تحيّن اخوه «يوتام» الفرصة فأوغر قلوب اخواله أهل شكيم على أخيه ابيملك[٧٦]، فأخذوا يتحرشون به وبأنصاره. وجاء شكيم رجل يدعى «جاعل بن عابد» مع اخوة له فزاد في تحريض اهل المدينة على ابيملك، وكانوا قد وثقوا به[٧٧]، ووصل الخبر الى ابيملك عن طريق وكيله في المدينة ويدعى «زبول»، فخرج مع انصاره الى شكيم حيث حاصرها بأربع فرق من جهاتها الأربع، فخرج جاعل بن عابد لقتاله ففاجأته كمائن ابيملك ورجاله في أرومة[٧٨]. الا ان اهل شكيم خرجوا، من جديد، لقتال ابيملك، فسار ابيملك اليهم في ثلاث فرق، وكمن في الحقول، حتى اذا ما وصلوا اليه انقضّت الكمائن عليهم، وقد انشغلت فرقتان من الفرق الثلاث بقتال اهل شكيم في الحقول بينما وقف ابيملك بفرقته على مدخل المدينة ليمنع المرتدين اليها من دخولها. ثم احتل ابيملك المدينة «وقتل الشعب الذي فيها ودمر المدينة وزرعها ملحا»[٧٩]. ثم أتى سرداب (أوبرج) «بيت ايل بَريت» من جهة جبل «صلمون» وكان أعيان «مجدال شكيم» قد لجأوا اليه، فأحرقه بمن فيه من أهل شكيم، وكان فيه نحو الف نسمة[٨٠]. ثم انطلق ابيملك الى «تاباص» فامتلكها، وكان في وسطها برج محصن لجأ اليه من بقي من أهل المدينة من نساء ورجال وأطفال، فقصده ابيملك لكي يحرقه، لكن امرأة رمته من أعلى البرج بوعاء شج رأسه، فاستدعى واحدا من غلمانه وأمره بان يقتله بالسيف كي لا يقال ان امرأة قتلته، فقتله الغلام بسيفه[٨١] وكان ابيملك قد حكم ثلاث سنوات[٨٢].

(٧٥ مكرر) Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 64 -

(٧٦) م. ن. قض ٩: ٧ـ ٢٠.

(٧٧) م. ن. قض ٩: ٢٦ـ ٢٩.

(٧٨) م. ن. قض ٩: ٣٤ ـ ٤١. وتقع ارومة بين شكيم وشيلو (Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 64)

(٧٩) م. ن. قض ٩: ٤٢ـ٤٥.

(٨٠) م. ن. قض ٩: ٤٩. «سرداب» او «برج» لأن هذا الهيكل هو خندق وملجأ في آن (العهد القديم، ص ٤٨٨ حاشية ١٢).

(٨١) م. ن. قض ٩: ٥٠ ـ ٥٤. وتاباص هي «توباص» اليوم، وتبعد ١٥ كلم شمال شكيم (م. ن. ص ٤٨٨ حاشية ١٣).

(٨٢) م. ن. قض ٩: ٢٢.

VII ـ حروب يفتاح الجلعادي (أواخر القرن ١٢ ق. م)

تسلم حكم بني اسرائيل، بعد موت ابيملك، تولع بن فوأة بن دودو، من يسّاكر، فتولى قضاء اسرائيل طيلة ٢٣ عاما، ثم خلفه في الحكم يائير الجلعادي الذي تولى القضاء طيلة ٢٢ عاما، وكان بنو اسرائيل قد انتابهم الضعف وأنحازوا الى عبادة «البعل والعشتاروت»، آلهة آرام وصيدون ومؤاب وبني عمون الفلسطينيين فباعهم الرب «الى ايدي الفلسطينيين والى أيدي بني عمون» وحكم هؤلاء بني اسرائيل «وحطموا» طيلة ١٨ عاما «جميع بني اسرائيل الذين كانوا في عبر الأردن، في ارض الأموريين الذين في جلعاد»، كما اجتاز بنو عمون الأردن ليحاربوا يهوذا وبنيامين وأفرائيم «وكان ضيق عظيم على (بني) اسرائيل»[٨٣].

وكان «يفتاح الجلعادي» رجلا ذا بأس شديد، استطاع، وهو ابن امرأةٌ بغي لجلعاد، ان يكوّن لنفسه مكانة بارزة بين قومه، رغم طرد اخوته من ابيه له، واقامته بعيدا عنهم، في ارض «طوب»، وذلك لما تميز به من قوة وسطوة، فقصده بنو قومه ورأسُوه عليهم لعله يحررهم من عبودية بني عمون والفلسطينيين فاستجاب يفتاح لهم وانتقل الى «المصفاة» حيث اتخذها مقرا له[٨٤].

١ ـ حربه ضد بني عمون (حرب بني عمون لاسترداد الارض المغتصبة):

كان بنو اسرائيل قد اغتصبوا ارض بني عمون منذ خروجهم من مصر، وكان هؤلاء يسعون لاسترداد ارضهم المغتصبة رغم مرور ٣٠٠ سنة على اغتصابها[٨٥]، وكانوا قد اجتازوا الأردن غربا لتحقيق هذا الهدف.

أ ـ المفاوضات: ما ان تسلم يفتاح الحكم حتى باشر التفاوض مع بني عمون الذين طالبوا باسترداد أرضهم المغتصبة والممتدة «من أرنون الى اليبوق والأردن»[٨٦]، لكن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة ايجابية بين الفريقين، فكانت الحرب هي البديل. وكان بنو عمون قد اجتمعوا بجلعاد، بينما اجتمع بنو اسرائيل بالمصفاة[٨٧].

---

(٨٣) م. ن. قض ١٠: ١ـ٩.

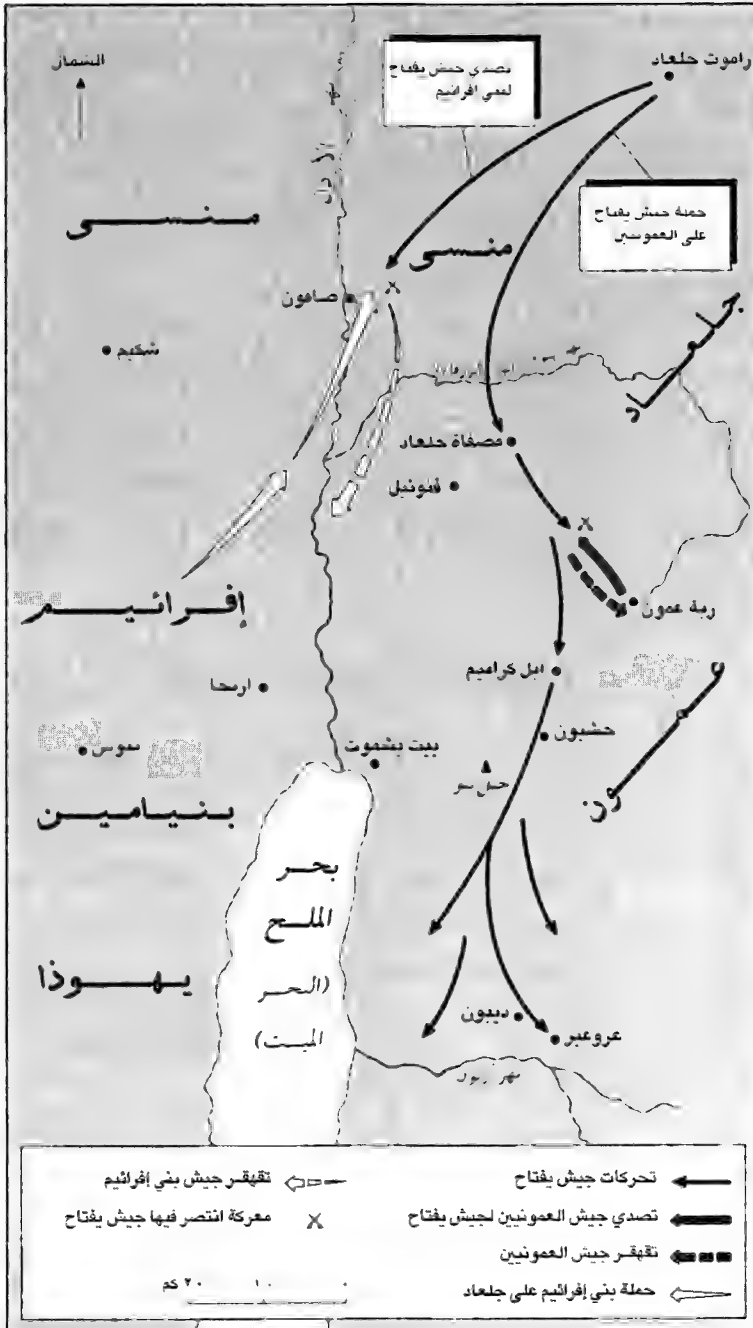
(٨٤) م. ن. قض ١١: ١ ـ ١١. وجلعاد: إسم جغرافي وهي الارض التي أقام فيها بنو جاد. الا ان الاسم يستعمل هنا كاسم شخص «بحسب العادة المألوفة في الانساب» (م. ن. ص. ٤٩ حاشية ١).

(٨٥) م. ن. قض ١١: ٢٦.

(٨٦) م. ن. قض ١١: ١٢.

(٨٧) م. ن. قض ١٠: ١٧.

خارطة رقم ١١: حروب يفتاح الجلعادي



ب ـ **الموقعة:** بدأ يفتاح الحرب بان انتقل بجيشه من المصفاة، عبر جلعاد ومنسى، الى «مصفاة جلعاد» ومنها الى أرض بني عمون، حيث بدأ القتال «من عروعير» فاجتاحت قوات يفتاح عشرين مدينة من مدن بني عمون «من عروعير الى مدخل «مِنّيت» والى «آبل كراميم» او «آبل الكروم»[٨٨]، وعاد يفتاح، بعد هذا الانتصار، الى المصفاة ليستمر في حكم بني اسرائيل بينما استمر الفلسطينيون في عدائهم لبني اسرائيل وتسلطهم عليهم.

٢ ـ حربه ضد أفرائيم:

لام بنو أفرائيم يفتاح لعدم دعوته لهم لمحاربة بني عمون الى جانبه ولكنهم أصروا على قتاله فحاربهم بجلعاد حيث أمسك الجلعاديون على أفرائيم (معابر الأردن) ومنعوهم من عبورها، ثم فتكوا بهم فقتلوا منهم نحو اثنين واربعين الفا[٨٩]. وقد استمر حكم جلعاد لبني اسرائيل ستة اعوام مات بعدها ودفن في مدينته بجلعاد[٩٠]. (انظر الخارطة رقم ١١).

VIII ـ الحرب بين سبط بنيامين وباقي اسباط اسرائيل

١ ـ اسباب الحرب:

استضاف شيخ من بلدة «جبع» التي يقطنها بنو بنيامين، رجلا من اللاويين مع سُريّته، وعند المساء، طرق باب الشيخ رجال من المدينة، من بني بليعال، طالبين تسليمهم اللاوي الغريب عن مدينتهم، ولكن الشيخ رفض طلبهم وعرض عليهم أن يأخذوا بدلا منه، ابنته العذراء وسُرّية اللاوي الضيف، فرفضوا ذلك ايضاً فما كان من اللاوي الا ان اخرج

---

(٨٨) م. ن. قض ١١: ٣٢ ـ ٣٣. ويبدو من النص ان هناك موضعين: راموت جلعاد (المصفاة) ومصفاة جلعاد (انظر: قض ١٠: ١٧ وقض ١١: ٢٩و ٣٤).

(٨٩) م.ن. قض ١٢: ١ـ ٦. والطريف ان الجلعاديين كانوا يميزون بني افرائيم عن سواهم بطريقة لفظ هؤلاء لكلمة «سبّولت» العبرية. إذ انهم كانوا يلفظونها بطريقة مختلفة عن لفظ العبرانيين لها، و«سبّولت» تعني سنبلة. وكانت افرائيم تلفظ السين سينا بينما يلفظها العبرانيون شينا (الدبس، المصدر السابق. جـ٢. ٢٤٣). وهكذا كان الجلعاديون يتحققون من هوية الافرائيمي، اذا انكر هويته، «فيقبضون عليه ويذبحونه عند معابر الأردن» (م. ن. قض ١٢ ٥ـ٦). وذلك يذكرنا بما انتشر من شائعات، خلال الحرب الأهلية اللبنانية، بان حواجز القوات اللبنانية كانت تتأكد من هوية الفلسطيني بلفظه المميز لكلمة «بندورة» بالعربية.

(٩٠) م.ن. قض ١٢: ٧.

سُريته وقدمها اليهم، فأخذوها، واغتصبوها طوال الليل، وأعادوها، عند الفجر، حيث سقطت على باب الشيخ المضيف جثة هامدة. وما ان رآها اللاوي حتى قطع جسدها اثنتي عشرة قطعة، بعدد اسباط اسرائيل، ووزعها في «جميع اراضي اسرائيل»(٩١).

٢ ـ الاستعداد للحرب:

اجتمع بنو اسرائيل، بعد هذه الحادثة، في المصفاة من ارض جلعاد، «كرجل واحد، من دان الى بئر سبع وارض جلعاد»، جميع اسباط بني اسرائيل، باستثناء سبط بنيامين، فكانوا «اربع مئة ألف رجل مستل سيف»(٩٢)، وقرروا تأديب بني بنيامين لانهم «صنعوا عيبا وفاحشة في اسرائيل»(٩٣)، فاختاروا لذلك:

- ـ من كل مئة رجل عشرة رجال.
- ـ من كل الف مئة.
- ـ ومن كل ربوة (عشرة آلاف) الف، من كل اسباط بني اسرائيل، باستثناء سبط بنيامين(٩٤).

كما قرر المجتمعون ان ينذروا بني بنيامين ويطالبوهم بتسليم المعتدين من بني بليعال، ولكن بني بنيامين رفضوا ذلك وأعدوا، بدورهم، انفسهم للحرب، فاستنفر رجالهم في مختلف مدنهم فكان ان حشدوا للقتال «ستة وعشرين الف مستل سيف» باستثناء اهل جبع الذين كانوا يعدون «سبع مئة رجل مختارين»، وكان هؤلاء المختارون «يسر الأيدي» يرمي احدهم «الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئ»(٩٥).

٣ ـ الحرب:

سار بنو اسرائيل للحرب، فصعدوا، اولا، الى «بيت ايل» ليستخيروا ربهم، فوقع الاختيار على «سبط يهوذا» لكي يبدأ القتال. ثم تقدم جميعهم عند الفجر، نحو جبع،

(٩١) م.ن. قض ١٩: ١ـ٣٠.
(٩٢) م.ن. قض ٢٠: ١ـ٢.
(٩٣) م.ن. قض ٢٠: ٦.
(٩٤) م.ن. قض ٢٠: ٩ـ١٠.
(٩٥) م.ن. قض ٢٠: ١٥ـ١٦.

فعسكروا قبالتها، واسطفوا رجالهم للحرب، وفي مقدمتهم «بنو يهوذا»، كما أمر الرب، بينما خرج بنو بنيامين، بدورهم من مدينتهم، واصطفوا للحرب قبالة خصومهم.

اليوم الأول: التقى الفريقان، في ساحة المعركة، في اليوم الأول، ونشب القتال بينهما، فسقط من بني اسرائيل، في ذلك اليوم، «اثنين وعشرين الف رجل»[96] فانهزم بنو اسرائيل امام بني بنيامين، وصعدوا الى «بيت ايل» حيث «بكوا امام الرب» وسألوه ان كانوا يعودون لقتال بني بنيامين فاجابهم الرب: «اصعدوا اليهم»[97].

اليوم الثاني: وعاد بنو اسرائيل، في فجر اليوم الثاني، لقتال بني بنيامين، بناء لتوجيهات الرب، لكن بني بنيامين بادروهم بالقتال فأسقطوا منهم «ثمانية عشر الف رجل كلهم مستلو سيف»[98]، فهزم بنو اسرائيل وفروا هاربين لا يلوون على شيء. وصعدوا من جديد الى «بيت ايل» حيث الرب، فبكوا امامه وصاموا اليه ذلك اليوم وقدموا القرابين والذبائح واصعدوا المحروقات، وسألوه ان كانوا يعودون من جديد، لقتال بني بنيامين، فأوصاهم بالعودة للحرب، ووعدهم بالنصر[99].

اليوم الثالث: وخرج بنو اسرائيل للقتال في اليوم الثالث، واصطفوا للحرب في المكان نفسه، لكنهم، هذه المرة، استخدموا الاسلوب نفسه الذي استخدمه يشوع ضد ملك عاي، (العي) فأرسلوا الى محيط جبع، عند «عراء جبع»، كمينا من «عشرة آلاف رجل» انتخبوهم من كل اسرائيل ومهمتهم مهاجمة «جبع» واحراقها، وكانت العلامة بين رجال اسرائيل والكامنين «انهم يُصعدون دخانا كثيراً من المدينة»[100].

ورأى بنو بنيامين خصومهم وقد اصطفوا للحرب فخرجوا اليهم، وما ان بدأ القتال بين الفريقين حتى تظاهر بنو اسرائيل بالهزيمة وبدأوا يفرون من امام بني بنيامين الذين ظنوا ان هزيمة خصومهم «حقيقية» كالمرتين السابقتين، وبدأوا يطاردونهم حتى قتلوا منهم، على طريق جبع بيت ايل، نحو ثلاثين رجلا. وظل بنو اسرائيل يتراجعون وبنو بنيامين يلحقون بهم حتى ابتعد هؤلاء كثيرا عن مدينتهم. وعندها كان رجال الكمين قد

---

(٩٦) م.ن. قض ٢٠: ٢١.

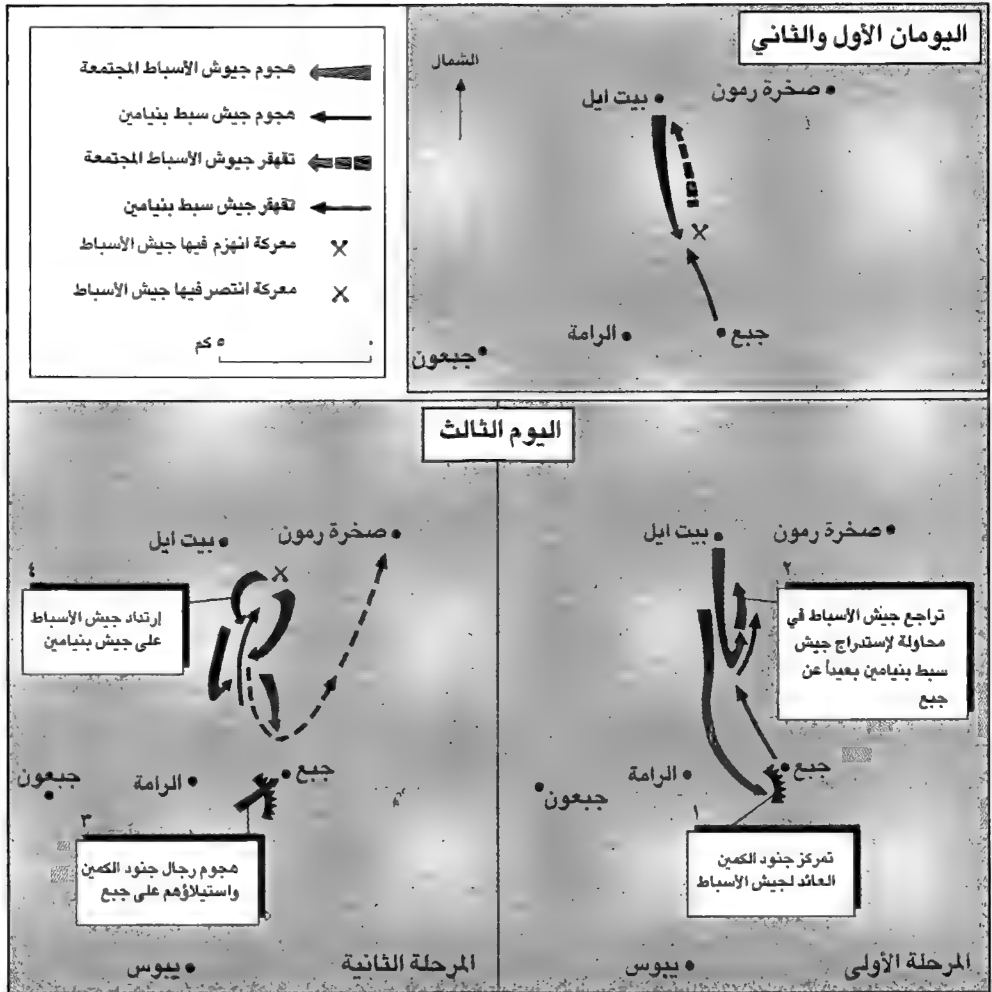
(٩٧) م.ن. قض ٢٠: ٢٣.

(٩٨) م.ن. قض ٢٠: ٢٥.

(٩٩) م.ن. قض ٢٠: ٢٦ـ٢٨.

(١٠٠) م.ن. قض ٢٠: ٣٠ـ٣٨.

خارطة رقم ١٢: الحرب بين سبط بنيامين وباقي أسباط إسرائيل



اقتحموا جبع وأحرقوها «وانتشروا فيها وضربوا كل المدينة بحد السيف»[١٠١]. وما ان شاهد بنو اسرائيل الدخان يتصاعد من «جبع» حتى ادركوا ان الكمين قد دخل المدينة واستولى عليها، فتوقفوا عن التقهقر واصطفوا من جديد للقتال عند «بعل تامار»، وذهل بنو بنيامين لما رأوا مدينتهم تحترق، ودب الذعر في صفوفهم، فانهزموا نحوها، الا ان بني اسرائيل لحقوا بهم فأدركوهم «مقابل جبع جهة مشرق الشمس» واعملوا سيوفهم فيهم،

(١٠١) م.ن. قض ٢٠: ٣٧.

فولوا هاربين «الى البرية الى صخرة الرِّمّون»، وقبض بنو اسرائيل على خمسة الآف منهم «وجدّوا في إثرهم الى جدعون» حيث قتلوا منهم الفي رجل. وقد بلغ عدد القتلى من بني بنيامين في ذلك اليوم «خمسة وعشرين الفا مستلي سيف، كلهم محاربون بواسل»(١٠٢) ثم ارتد بنو اسرائيل الى المدينة وفتكوا بمن بقي من أهلها، وبكل ما وجدوا فيها، حتى البهائم، كما أحرقوا كل مدن بنيامين(١٠٣). (انظر الخارطة رقم ١٢)

IX ـ حروب النبي صموئيل، آخر قضاة بني اسرائيل:

منذ ان استقر العبرانيون في ارض كنعان، في القرن الحادي عشر ق. م، وهم يحاولون التغلب على الفلسطينيين القاطنين في فلسطين واحتلال ارضهم، الا انهم لم يتمكنوا من ذلك، وان كانوا قد تغلبوا على العديد من الشعوب القاطنة في تلك الأرض. لذا، ظل الفلسطينيون يسيطرون على بني اسرائيل ويستبدون بهم من وقت الى آخر، وكانوا، وهم المتمركزون في خمس من المدن المهمة في فلسطين (غزة وعسقلان واشدود وجت وعقرون)، والمنتشرون في البلاد، من الساحل الى الداخل، يتحكمون بمعظم المدن العبرانية ويحاولون منع بني اسرائيل من التوسع، كما منعوهم من الحصول على أسباب القوة اللازمة لتحقيق هذا التوسع، كاقتناء الحديد الضروري لصنع الأدوات المعدنية والأسلحة التي يحتاجونها في حروبهم، خصوصاً وان اقتناء الحديد وتصنيعه والاتجار به كان من اهم خصائص الشعب الفلسطيني الذي أدخل هذه المادة الى فلسطين منذ وصوله اليها، فاستأثر بها، وظلت المدن الفلسطينية تحتكر صناعة الأدوات الحديدية والأسلحة الحربية كعامل مهم من عوامل تفوقها العسكري. وهكذا، فان «معظم الأدوات والأسلحة الحديدية، في هذا العهد، كانت تأتي من الأماكن التي يشغلها الفلسطينيون او التي كانت تخضع لنفوذهم، وكان يوجد القليل جدا من الأدوات الحديدية والمواد البرونزية في الأماكن الكنعانية والاسرائيلية»(١٠٤). وكان هذا الأمر من اهم عوامل اذكاء نار الحروب المستمرة بين الشعبين العبراني والفلسطيني. فقد كان الفلسطينيون يدركون المطامع التوسعية لبني اسرائيل ويحرصون على الاحتفاظ بأسباب القوة للوقوف في وجه

---

(١٠٢) م. ن. قض ٢٠: ٤٥ـ٤٦.

(١٠٣) م. ن. قض ٢٠: ٤٨.

(١٠٤) Pritchard, Op. Cit. P. 67; cf. Barnavi, Op. Cit. P. 14 -

اطماعهم هذه، وكان بنو اسرائيل يدركون انهم لن يستطيعوا انتزاع الأرض من اصحابها الحقيقيين الا اذا استطاعوا انتزاع الاسلحة التي تمكنهم من الدفاع عنها، مما جعل الصراع متأججا، وباستمرار، بين اصحاب الأرض وبين الشعب الدخيل المعتدي.

١ـ موقعة «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر» الاولى:

تفجر الصراع بين الشعبين الفلسطيني والعبراني، في مراحل مختلفة من عهود القضاة. وكانت احدى مراحل هذا الصراع الحرب التي اندلعت بينهما في نواحي «أفيق» في أول عهد «صموئيل» حيث حشد كل من الفريقين قواته في مواجهة الفريق الآخر، فاحتشد العبرانيون عند «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر»، واحتشد الفلسطينيون في «أفيق»، وما ان اندلع القتال بينهما و«اتسع» حتى هزم العبرانيون وولوا هاربين، فلحق بهم الفلسطينيون وقتلوا «من الصف وفي البرية نحو اربعة آلاف رجل»(١٠٥).

٢ـ موقعة «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر» الثانية:

واستجار بنو اسرائيل بربهم «رب الجند» ودعوه لنصرتهم، ثم عادوا فجمعوا صفوفهم واستعدوا لقتال الفلسطينيين من جديد، وكان معهم «تابوت العهد» يحرسه اثنان من كهنتهم هما «حفني وفنحاس» ابناء «عالي» رئيس الكهنة، وأحد قضاة بني اسرائيل، وهو الذي سهر على تربية النبي «صموئيل» وتنشئته(١٠٦). واحتشد الفلسطينيون، بدورهم، لمواجهة خصومهم، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة جديدة لبني اسرائيل، فكانت هزيمتهم «ضربة عظيمة جداً» لهم، اذ سقط منهم «ثلاثون الفا» كما «قتل ابناء عالي: حفني وفنحاس»(١٠٧). اما الفلسطينيون فقد اخذوا «تابوت العهد» من «أبان هاعيزر» الى «اشدود» حيث وضعوه في معبد إلههم «داجون»، بالقرب منه(١٠٨). وظل «تابوت العهد» بيد الفلسطينيين «سبعة اشهر»(١٠٩).

---

(١٠٥) العهد القديم، ١ صم ٤: ١ـ٢.

(١٠٦) م.ن. ١ صم ٣.

(١٠٧) م.ن. ١ صم ٤: ١٠ـ ١١.

(١٠٨) م.ن. ١ صم ٥: ١ ـ ٢. وترد التسميات «تابوت العهد» و«تابوت الرب» و«تابوت إله اسرائيل» و«تابوت الله»، في العهد القديم، للمسمى نفسه.

(١٠٩) م.ن. ١ صم ٦: ١.

٣ـ موقعة «المصفاة»:

اعاد الفلسطينيون «تابوت الرب» الى بني اسرائيل، فوضعوه في قرية «يعاريم»، وكانوا قد انصرفوا عنه الى عبادة «البعليم والعشتاروت»، فقام بينهم «صموئيل» النبي ودعاهم الى عبادة «الرب وحده» الذي يستطيع ان ينقذهم «من يد الفلسطينيين»، فسمعوا قوله، وازالوا «الآلهة الغريبة» من بينهم[١١٠]. واندفع صموئيل يحشد بني قومه لمواجهة حاسمة مع الفلسطينيين بعد ان ضمن التفافهم حوله ووثوقهم به من خلال عودتهم إلى عبادة ربهم الواحد «رب الجند»، وكان قد مر على هزيمتهم في «أبان هاعيزر» عشرون عاما.

واحتشد بنو اسرائيل في «المصفاة» استعداداً لمواجهة الفلسطينيين، وما ان علم الفلسطينيون بذلك حتى احتشدوا بدورهم استعداداً للقتال، ثم انهم «صعدوا» لقتال العبرانيين حيث كانوا محتشدين «فأرعد الرب بصوت عظيم، في ذلك اليوم، على الفلسطينيين، وهزمهم، فانكسروا امام اسرائيل. فخرج رجال اسرائيل من المصفاة وطاردوا الفلسطينيين وضربوهم الى ما تحت بيت كار»[١١١].

لا شك في ان ما رواه العهد القديم من «إرعاد الرب» على الفلسطينيين الى درجة «انهزامهم»، من جراء ذلك، أمر لا يحتمل التصديق. وربما كان سبب هزيمتهم انهم «صعدوا» الى مواقع العبرانيين ليقاتلوهم فيها، حيث كان العبرانيون متمركزين ومستعدين لاستقبال الفلسطينيين المتقدمين للقتال بلا تحفظ. ومعلوم ان موقع المقاتل المتمركز في القتال اكثر أمانا وقوة وقابلية للمناورة، وبالتالي ارجحية للنصر، من موقع المقاتل المتحرك، وخصوصا المتقدم «صعودا» باتجاه عدو متمركز ومتسلط، ولا سيما اذا كان موقع التمركز هضبة او تلة او مرتفعا، كما يبدو في رواية «العهد القديم» للحدث.

وما ان أحرز الاسرائيليون النصر في المصفاة، حتى أخذ صموئيل حجرا ونصبه «بين المصفاة والسنّ» ودعاه «أبان هاعيزر» أي «صخرة النصر» تذكاراً لانتصار بني اسرائيل في هذه الموقعة[١١٢]. أما الفلسطينيون فقد ذلوا «ولم يعودوا يدخلون أرض اسرائيل»، واستولى العبرانيون على مدن الفلسطينيين «من عقرون الى جت»[١١٣].

---

(١٠٩) م.ن. ١ صم ٦٠١.

(١١٠) م.ن. ١صم ٧: ١ـ٤.

(١١٢) م.ن. ١صم ٧: ١٢.

أما صموئيل فقد تولى قضاء اسرائيل طوال حياته، بل كان آخر قضاتها، وأقام في «الرامة» حيث كان بيته(١١٤)، ثم انه قدم نفسه «نبيا» يتلقى من «الرب» الأوامر والتوجيهات التي كان ينقلها لشعبه، وكان أهمها قول الرب له «اسمع لكلامهم وولِّ عليهم ملكا»(١١٥) فكان «شاول» ذلك الملك.

---

(١١٤) م.ن. ١صم ٧: ١٥ـ١٧.

(١١٥) م.ن. ١صم ٨: ٢٢ وانظر Barnavi, Op. Cit. P. 14 -

الفصل الثالث

حروب الملوك

(القرن ١١ ـ ١٠ ق.م.)

I ـ حروب الملك شاول (١٠٢٩ ـ ١٠٠٧ ق.م)[١]

مسح النبي (او الرائي)[٢] صموئيل «شاول بن قيس بن أبيئيل بن صرور بن بكورت بن أفيح»[٣] ملكا على بني اسرائيل، وكان شاول من سبط «بنيامين» وهو «أصغر أسباط اسرائيل» ومن عشيرة «مَطْري» وهي «أصغر جميع عشائر سبط بنيامين»[٤] الا انه كان يتحدر من اب «ثري جداً» كما انه «لم يكن، في بني اسرائيل رجل أحسن منه» ولم يكن فيها رجل بطول قامته، فقد كان يزيد طولا «على كل الشعب من كتفه فما فوق»[٥]. وأقام شاول عاصمته في بلدته «جبع» التي سميت باسمه «جبع شاول»[٦].

١ ـ الحرب بين شاول وناحاش ملك العمّونيين: موقعة يابيش جلعاد:

أسباب الحرب: تسلط ناحاش، ملك العمونيين، على بلدة «يابيش جلعاد» وكان سكانها

(١) Barnavi, E, Histoire Universelle des Juifs, P. 14 -15 بينما يذكر «آهاروني» ان شاول ملك من عام ١٠٢٥ الى عام ١٠١٧ ق.م.(Aharoni, Macmillan Bible Atlas, P. 71).

(٢) كان الذي يقال له اليوم «نبي» يقال له، في ذلك الزمن، «رائي» فكان اذا اراد الرجل من اسرائيل ان يذهب ليسأل الله يقول: «هلم نذهب الى الرائي» (العهد القديم، ١ صم ٩:٩).

(٣) م.ن. ١ صم٩: ١.

(٤) م.ن. ١ صم ٩: ٢١ و ١ صم ١٠: ٢١.

(٥) م.ن. ١ صم٩: ١و٢.

(٦) م.ن. ١ صم١٠: ٢٦، وانظر: Aharoni, Macmillan Bible Atlas, P. 72.

من سبط منسى، فأخذ يغير عليها ويهدد أهلها بانه سيقلع «كل عين يمنى» لهم ليجعل ذلك «عارا على كل اسرائيل»[٧].

واستنفر اهل البلدة باقي الأسباط من العبرانيين وأرسلوا رسلا الى «أراضي اسرائيل كلها» يطلبون النجدة والمعونة، فكان شاول أول من لبى دعوتهم وأرسل، بدوره، الى باقي العبرانيين يطلب منهم التحشّد لقتال العمونيين، فخرج بنو اسرائيل للقتال «كرجل واحد»[٨].

الحرب: تجمّع لشاول نحو ثلاثمائة وثلاثين الف مقاتل، منهم ثلاثون الفا من سبط يهوذا (وقد أحصوا لوحدهم لأن هذا السبط لم يشترك مع العبرانيين في حروب القضاة)[٩]، فسار بهم من «جبع» شمالا الى «بيت ايل» و«شكيم» و«ترصة» و«بازق»[١٠]، حيث حشد شاول قواته، ثم انحدر شرقا نحو الأردن فاجتازه وتابع تقدمه حتى بلغ مداخل «يابيش جلعاد»، جيث قسم جيشه الى ثلاث فرق ودخل البلدة «عند هجيع الصبح»،[١١] وكان ناحاش، ملك العمونيين، قد سبقه اليها منطلقا من عاصمته «ربة بني عمون» الواقعة شرق نهر الأردن[١٢]، ودارت بين الفريقين معركة، في وسط المدينة، استمرت حتى الظهر وانتهت بهزيمة ناحاش ومقتله وتشتيت جنده الذين طاردهم شاول في ارض جلعاد وشتت شملهم «ولم يبق اثنان منهم معا»[١٣].

بعد هذا الانتصار الكاسح الذي حققه شاول على العمونيين، دعا صموئيل الشعب الى «الجلجال» حيث جدد الملك لشاول «امام الرب، في الجلجال»[١٤]، ثم عاد شاول الى جبع.

(انظر الخارطة رقم ١٢)

---

(٧) م.ن. ١ صم ١١: ١و٢.

(٨) م.ن. ١ صم ١١: ٣ـ٧.

(٩) الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢: ٢٧٧، وأنظر: العهد القديم: ١ صم ١١: ٨.

(١٠) Aharoni, Op. Cit. P. 70. Map. 87 وقد وردت «بازق» و«بازاق» في العهد القديم.

(١١) العهد القديم، ١ صم ١١: ١١.

(١٢) Aharoni Op. Cit, P. 70, Map. 87

(١٣) العهد القديم، ١ صم ١١: ١١، والدبس المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٧٧، وانظر: Aharoni, Ibid.

(١٤) م.ن. ١ صم ١١: ١٤ و ١٥. والجلجال: يسمى اليوم (الجلجول) ويقع بمحاناة اريحا (الدبس، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٧٧).

خارطة رقم ١٣: موقعة يابيش جلعاد



٢ـ الحرب بين شاول والفلسطينيين (او ثورة شاول على الفلسطينيين):

لم يكن ممكنا لشاول ان يحقق الأمن والاستقرار في مملكته ان لم يتخلص من الأخطار المحيطة به وأهمها الخطر الفلسطيني. وهكذا، ما ان استتب لشاول الملك، ولما يمض عليه سنتان، حتى بدأ يعد العدّة لقتال الفلسطينيين.

وكان الفلسطينيون أصحاب بأس وسطوة، يمتلكون جيشا قويا عديده «ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف من الفرسان «وشعب» مثل الرمل» في كثرته[١٥]. ويعزز قوتهم هذه استئثارهم المطلق بصناعة الأسلحة ـ كما سبق ان قدمنا ـ اذ انه «لم يكن يوجد في كل ارض اسرائيل حداد»، بل كان على العبراني ان يتوجه الى أية مدينة فلسطينية «ليسنّ سكته ومعوله وفأسه ومنجله»، وهكذا وجد العبرانيون انفسهم، عندما حان وقت القتال، بلا سلاح، حيث «لم يوجد سيف ولا رمح في يد كل الشعب»، باستثناء شاول وابنه يوناثان، بحسب ما ورد في العهد القديم[١٦].

ولا بد لنا من ان نلاحظ، اذا صدّقنا ما ورد في العهد القديم، مدى سطوة الفلسطينيين على العبرانيين وتسلطهم عليهم، بحيث كانوا قادرين على منعهم من تعاطي مهنة الحدادة لئلا «يعمل العبرانيون سيفا او رمحا»[١٧]، وهو ما حدا بشاول، ملك العبرانيين، «للتمرد» على الفلسطينيين، بغية التحرر من عبوديتهم، (وقد استخدم الباحث اليهودي «يوهانان أهاروني» عبارة «التمرد» نفسها، واصفا بها حرب شاول ضد الفلسطينيين)[١٨].

ولكن الذي لا بد من ان يثير استغراب اي باحث واستهجانه، هو المبالغة غير المنطقية او المعقولة في وصف ما كان عليه الفلسطينيون من كثرة وقوة وبأس (٣٠ الف مركبة و٦ آلاف فارس) مقابل ما كان عليه العبرانيون من قلة وضعف وافتقار الى السلاح (الف وستماية فقط) في مواجهة الفلسطينيين، وهي مواجهة انتهت بتغلّب القلة العبرانية غير المسلحة على الكثرة الفلسطينية القوية والمسلحة، كما سنرى.

ـ **موقعة جبع بنيامين ـ مكماش (او مخماس)**: كان الفلسطينيون قد تركوا محرسا (مخفرا) لهم «عند الممر الاستراتيجي الذي يفصل جبع عن مكماش»[١٨ مكرر] فامتلكوا الممر وتحكموا به، وكان ذلك دليلا على قوتهم وتسلطهم على مُلك شاول، مما دفع شاول «للتمرد» عليهم واعداد العدة لمحاربتهم. واختار شاول، لذلك، ثلاثة آلاف مقاتل، منتخبين،

---

(١٥) م.ن. ١ صم ١٣:٥.

(١٦) م.ن. ١ صم ١٣:١٩.

(١٧) م.ن. ١ صم ١٣:١٩.

(١٨) The Rebellion of Saul against the Philistines. Aharoni, Op. Cit. P. 70

(١٨ مكرر) Pritchard, Atlas du Monde Biblique, P. 74.

من بني اسرائيل، حيث وضع الفين منهم، بقيادته، في مكماش (او مخماس)، وجبل بيت ايل، على مقربة من جبع (وكان يسهل على الواقف في مخماس ان يرى جبع ومن فيها)، وأبقى، في جبع، الفا بقيادة ابنه يوناثان[١٩].

احتشد الفلسطينيون في «مكماش»، وعددهم «ثلاثون الف مركبة وستة آلاف من الفرسان وشعب مثل الرمل... كثرة»، مما رمى الهلع والرعب في قلوب بني اسرائيل وجعلهم يهربون ويلجأون الى «المغاور والحفر والصخور والسراديب والآبار»[٢٠]، الا ان قلة منهم التحقت بشاول الذي كان مقيما في «الجلجال» غرب الأردن، وتبعهم النبي «صموئيل» الذي التحق بشاول في الموقع نفسه، وكان نفر من الذين التحقوا بشاول في الجلجال قد انفضّوا عنه خوفا من الفلسطينيين[٢١].

وأحصى شاول من بقي معه من العبرانيين في الجلجال، بعد وصول صموئيل، فبلغ عددهم ستماية رجل[٢٢]، فانطلق شاول بهم الى جبع بنيامين، ثم الى جبع، حيث انضم اليه ابنه يوناثان ومن معه، بينما بقي الفلسطينيون معسكرين قبالتهم في مكماش[٢٣].

في هذه الاثناء، كان الفلسطينيون (الذين يصفهم العهد القديم «بالمخربين»، مما يؤكد توراتية هذه العبارة التي تستخدمها اسرائيل، اليوم، لوصف الفدائيين الفلسطينيين) قد انقسموا الى ثلاث فرق وانتشروا على ثلاثة محاور:

المحور الأول: طريق عفرة، في ارض شوعال، باتجاه الشمال.

المحور الثاني: طريق بيت حورون، باتجاه الغرب.

المحور الثالث: الطريق المؤدية الى القمة المشرفة على وادي صبوعين، باتجاه الشرق نحو البرية[٢٤]

---

(١٩) العهد القديم، ١ صم١٣: ٢.

(٢٠) م.ن. ١ صم١٣: ٦. وانظر: Pritchard, Op, Cit. P. 74 .-

(٢١) م.ن. ١ صم١٣: ٧-١٠.

(٢٢) م.ن. ١ صم١٣: ١٥.

(٢٣) م.ن. ١ صم١٣: ١٦.

(٢٤) م.ن. ١ صم١٣: ١٧-١٨. وانظر: .Aharoni, Op. Cit. P. 70, Map. 88, 89

ولم يتجه الفلسطينيون جنوبا بسبب وجود شاول وجيشه في جبع.

الموقعة: بدأ يوناثان بن شاول المعركة بان توجه الى مخفر الفلسطينيين عند معبد مكماش، وخلفه غلامه، حامل سلاحه، وصعد اليه زحفا «على يديه ورجليه»(٢٥). ورغم انه لم يباغت الفلسطينيين الذين شاهدوه، وغلامه، يتجهان نحوهم، بل تركوهما يتقدمان باتجاههم قائلين «هوذا العبرانيون خارجون من الحفر التي اختبأوا فيها» وخاطبوهما قائلين: «تعاليا الينا نعلمكما أمرا»(٢٦). ورغم ذلك، فقد فتك يوناثان برجال المخفر من الفلسطينيين «وكان حامل سلاحه يقتل وراءه. وكانت الضربة الأولى التي ضربها يوناثان وحامل سلاحه تعدّ نحو عشرين رجلا في نحو نصف تلم فدان الحقل»(٢٧). ويبالغ بعض مؤرخي اليهود، بشكل غير معقول، في وصف شجاعة يوناثان وغلامه «حامل سلاحه» في هذه المعركة، فيقول يوسفوس ان يوناثان وغلامه هاجما المخفر من موضع لم يكن فيه حرس «فوجدا الأعداء نائمين، فأعملا السيف بهم، فأخذوا يطرحون سلاحهم لينجوا بانفسهم، وبعضهم يقتل بعضا يظنهم اعداء... وبعضهم كان يدفع بعضا ويزحمه فارًا فيقعون من على الصخور» ويقول كريتس ان الفلسطينيين قد توهموا «ان موجودات غير طبيعية تقاتلهم»(٢٨) ذلك كله دون ان يلحظ الفلسطينيون ان عدد المهاجمين لا يتعدى اثنين فقط.

ويحاول يوسفوس وكريتس تبرير هذه المبالغة، غير المعقولة، بان ذلك كله قد جرى لان الفلسطينيين كانوا «من أمم مختلفة» بحيث لا يعرف بعضهم بعضا، وان المهاجمين قد سلكا، للوصول الى مخفر الفلسطينيين، طريقا «لم يكن عليه حرس» بينما كان المخفر قائما «على صخر عال لا يتسنى لاحد الصعود اليه»(٢٩).

وما ان رأى شاول ما حلّ بالفلسطينيين على يد يوناثان حتى أسرع، ورجاله، الى مكان المعركة لكي يساهموا فيها الى جانب يوناثان، وانضم الى شاول ويوناثان

---

(٢٥) م.ن. ١ صم ١٤: ١٢.

(٢٦) م.ن. ١ صم ١٤: ١١-١٢

(٢٧) م.ن. ١ صم ١٤: ١٣-١٤.

(٢٨) الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٨٠. ويوسفوس في كتابه «تاريخ اليهود» وكذلك كريتس في كتابه (تاريخ اليهود، ايضا (كما يذكر الدبس).

(٢٩) م.ن. ص.ن.

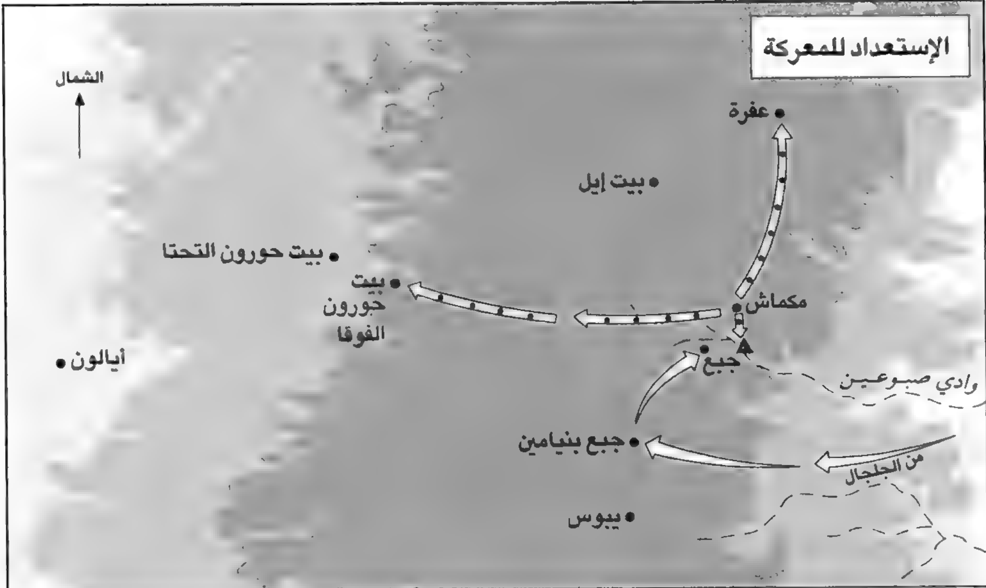
العبرانيون الذين كانوا قد التحقوا بالفلسطينيين خوفا منهم، كما ان اولئك الذين كانوا قد لجأوا الى المغاور والكهوف من جبل افرائيم خوفا من الفلسطينيين، خرجوا من جحورهم ما ان رأوا هزيمة الفلسطينيين على يد شاول ويوناثان ورجالهما، وانضموا الى شاول لكي يقاتلوا الى جانبه «وخلّص الرب اسرائيل في ذلك اليوم»[٣٠]، فهُزم الفلسطينيون، «وانتقلت الحرب الى بيت آون»[٣١]، وطارد شاول ورجاله، في ذلك اليوم، الفلسطينيين المنهزمين «من مكماش الى آيالون»[٣٢]. وكان لدى شاول الرغبة في الاستمرار بمطاردة الفلسطينيين فقال لرجاله «لننزل في إثر الفلسطينيين ليلا ونسلبهم، الى ضوء المصباح، ولا نبق منهم رجلا»[٣٣]، ولكنه عندما استشار ربه في ذلك قائلا: «هل أنزل في إثر الفلسطينيين؟ هل تسلّمهم الى يد اسرائيل؟» لم يجبه ربه عن سؤاله هذا[٣٤]، فكف شاول عن مطاردة الفلسطينيين[٣٥] خشية ان لا يلقى، من ربه، الدعم والمساندة، خصوصا وان بني اسرائيل لا يقاتلون في معركة الا اذا كان إلههم (رب الجند) الى جانبهم، بل يخوض تلك المعركة في مقدمتهم. (انظر الخارطة رقم ١٤)

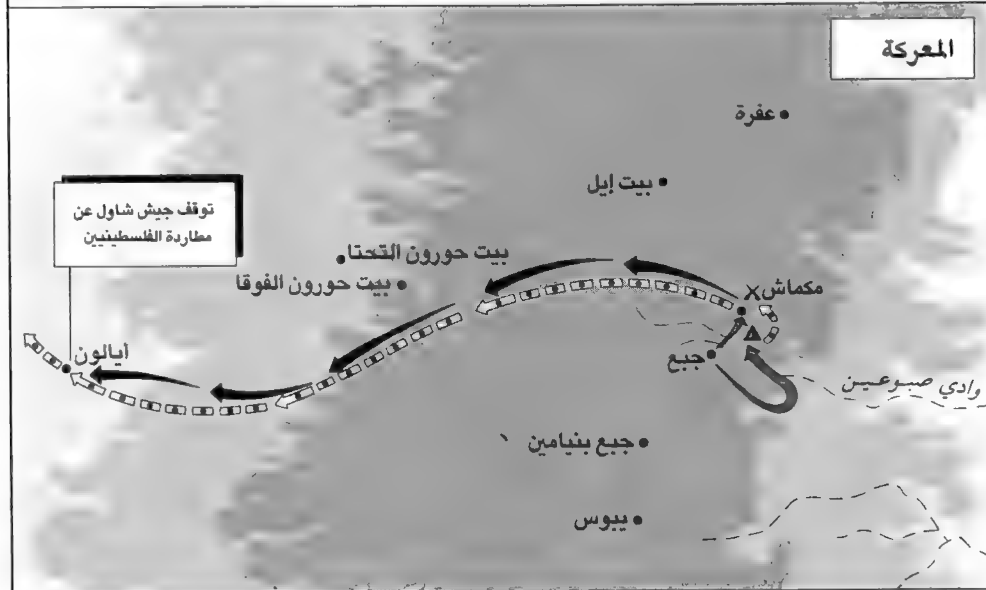
واستتب الملك لشاول، فحارب كل من كان حوله من الاعداء «من المؤابيين وبني عمون والادوميين وملوك صوبة والفلسطينيين»، كما قاتل العمالقة[٣٦]. وكان شاول قد عهد بقيادة جيشه الى عمه «أبنير بن نير»، كما كان لا يفتأ يضم الى هذا الجيش كل رجل يراه «باسلا او ذا بأس»، مما جعله يحقق، بواسطته، انتصارات باهرة على اعدائه جميعا[٣٧]. ويرى «بريتشارد» انه لم يكن ممكنا لشاول ان يعد جيشا كافيا للانتصار على العمونيين اذا لم يكن قد تخلص من الوجود الفلسطيني عند جبع، لذلك فهو يناقض ما ورد في العهد القديم، ويرى ان معركة شاول مع الفلسطينيين في «مكماش» قد جرت قبل معركته مع العمونيين في «يابيش جلعاد»[٣٧ مكرر].

---

(٣٠) العهد القديم، ١ صم ١٤: ٢١-٢٣.
(٣١) م.ن. ١ صم ١٤: ٢٣.
(٣٢) م.ن. ١ صم ١٤: ٣١.
(٣٣) م.ن. ١ صم ١٤: ٣٦.
(٣٤) م.ن. ١ صم ١٤: ٣٧.
(٣٥) م.ن. ١ صم ١٤: ٤٦.
(٣٦) م.ن. ١ صم ١٤: ٤٧-٤٨.
(٣٧) م.ن. ١ صم ١٤: ٤٧ و٥٠ و٥٢.
(٣٧ مكرر) - Pritchard, Op. Cit. P. 74.

خارطة رقم ١٤: موقعة مكماش (مخماس)





إنتشار الفلسطينيين
مسار جيش بني إسرائيل بقيادة شاول
هجوم جيش شاول
تقهقر جيش الفلسطينيين
مطاردة جيش شاول لجيش الفلسطينيين
معركة انتصر فيها جيش شاول
مخفر للفلسطينيين
٠ ٥ ١٠ كم

إرتفاع اليابس بالأمتار
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٥٠٠



٣ـ الحرب بين شاول والعمالقة (او العماليق):

ينتسب العمالقة الى عماليق بن أليفاز (من سُرِّيَّة له تدعى تمناع) بن عيسو، ابي الأدوميين (وعيسو هو أدوم). وكانت اقامة عيسو بجبل سعير، وقد أقام به بعد ان ترك ارض كنعان لأخيه يعقوب «لان مالهما كان أكثر من ان يقيما معا»[٣٨] في ارض واحدة. وكان العمالقة قد اعترضوا بني اسرائيل عند خروجهم من مصر نحو ارض كنعان[٣٩]، وناصروا المدينيين ضدهم، في عهد جدعون بن يواش الابيعزري[٤٠].

ولم ينس «رب الجند» رب بني اسرائيل ما فعله العمالقة بشعبه، فأمر شاول بان «أضرب عماليق وحرّم كل مالهم ولا تبقِ عليه، بل أمت الرجال والنساء والاولاد وحتى الرضّع والبقر والغنم والإبل والحمير»[٤١]. انها، اذن، حرب افناء يشنها رب العبرانيين على الشعب العماليقي، بشرا وبهائم، دون ان تدركه على هذا الشعب شفقة او رحمة.

التحشّد للمعركة: وتنفيذاً لأوامر الرب، استنفر شاول وشعبه وأعدّ حشوده في «طلائيم» للقتال، فاجتمع لديه مايتا الف راجل «وعشرة آلاف رجل من يهوذا»[٤٢] ثم زحف شاول بهذا الجيش الكثيف الى مدينة عماليق «وكمن في الوادي»[٤٣].

المعركة: بدأ شاول المعركة بشن هجوم مباغت على عماليق «من حويلة الى شور التي شرقي مصر»[٤٤]. فقتل كل شعب العمالقة «بحد السيف» وأسر «أجاج» ملك العمالقة واقتاده حيا، ثم عفا شاول عنه وعن «خيار الغنم والبقر وكل سمين، والحملان، وكل ما كان جيدا» بينما قضى على«كل ما كان حقيرا هزيلا» من البهائم[٤٥]. ثم أقام شاول لنفسه نصبا يذكّر بانتصاره هذا، وقد أقامه على جبل الكرمل[٤٦] الذي يقع في نصيب سبط يهوذا

---

(٣٨) م. ن. تك ٣٦: ١ـ١٢.

(٣٩) م. ن. امل ١٥: ٢.

(٤٠) انظر حروب جدعون بن يواش الابيعزري، في الفصل السابق.

(٤١) العهد القديم، ١ صم ١٥: ٣.

(٤٢) م. ن. ١ صم: ٤. وكما اشرنا سابقا كان يحسب رجال يهوذا لوحدهم لانهم لم يكونوا يشتركون في الحروب، في عهد القضاة، مع باقي اسباط اسرائيل. وقد بالغ المؤرخ اليهودي «يوسفوس» في عديد هذا الجيش فقال انه بلغ ٤٠٠ الف رجل ما عدا ٣٠ الف من يهوذا (الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢٨٢).

(٤٣) العهد القديم، ١ صم ١٥: ٥.

(٤٤) م. ن. ١ صم ١٥: ٧. وحويلة وشور: من بلاد العرب (الدبس، المصدر السابق، جـ ٢، ٢٨٢).

(٤٥) م. ن. ١ صم ١٥: ٨ـ٩.

(٤٦) م. ن. ١ صم ١٥: ١٢.

«في المحل المعروف الآن بخربة الكرمل على عشرة أميال من الخليل جنوباً»[٤٧]، ونزل شاول بعدها الى الجلجال[٤٨].

ولكن الرب غضب على شاول وندم لانه اقامه ملكا على بني اسرائيل، وذلك لانه عصي توجيهاته وعفا عن ملك العمالقة وعن خيار بهائمهم، ولم يقتلهم جميعاً كما أمره[٤٩]. وقد أسرّ الرب لصموئيل بذلك، ولكن صموئيل عاد فتوسط لشاول عند ربه فعفا عنه بعد أن أتى شاول بأجاج، ملك العمالقة، و«قطّعه» في الجلجال «أمام الرب»[٥٠]. ثم انصرف صموئيل بعدها الى بيته في الرامة، وانصرف شاول الى بيته في «جبع شاول»[٥١]. ورغم ذلك، فقد ظل الرب نادما لانه «ملّك شاول على اسرائيل» كما ان صموئيل لم يعد «يرى شاول الى يوم وفاته»[٥٢]، ثم أمر الرب صموئيل ان يمسح داود ملكا على اسرائيل خلفا لشاول[٥٣].

٤ـ الحرب، من جديد، بين شاول والفلسطينيين (١٠١٠ ق.م):

استجمع الفلسطينيون قواهم، بعد هزيمُتهم امام شاول في معركة جبع بنيامين ـ مكماش وأخذوا يستعدون لمواجهة حاسمة مع العبرانيين. وعلم شاول بالأمر فأخذ يستعد بدوره، لمواجهتهم.

الاستعداد للقتال:

أ ـ الفلسطينيون: احتشد الفلسطينيون للقتال، وجمعوا عساكرهم في «سوكو»، ثم انتشروا بين سوكو وعزّيقة «أفيس دَمّيم»، على جبل يشرف على الوادي، باتجاه العبرانيين[٥٤].

---

(٤٧) الدبس، المصدر السابق، جـ ٢: ٢٨٣، نقلا عن اوسابيوس وايرونيموس.
(٤٨) العهد القديم، ١ صم ١٥: ١٢.
(٤٩) م.ن. ١ صم ١٥: ١١و ١٧ـ ١٩.
(٥٠) م.ن. ١ صم ١٥: ٣٠ـ ٣٣.
(٥١) م.ن. ١ صم ١٥: ٣٤.
(٥٢) م.ن. ١ صم ١٥: ٣٥.
(٥٣) م.ن. ١ صم ١٦: ١ـ ١٣.
(٥٤) م.ن. ١ صم ١٧: ١ـ ٣.

ب ـ العبرانيون: اجتمع العبرانيون: في «وادي البطمة»، ثم انتشروا على جبل مقابل للجبل الذي انتشر عليه الفلسطينيون، فأصبح الجيشان متقابلين يفصل بينهما الوادي.

الموقعة: بدأ القتال بالمبارزة، وفقا للتقاليد التي كانت سائدة يومذاك وظلت سائدة بعد ذلك الى زمن طويل.

أ ـ جليات الفلسطيني: إنبرى من الفلسطينيين، رجل اسمه «جليات» من بلدة «جت». وكان طول هذا الرجل «ست أذرع وشبراً» وكان يعتمر «خوذة من نحاس» ويلبس «درعا حَرشَفية» وزنها «خمسة آلاف مثقال نحاس»، وتغطي رجليه «ساقان من نحاس» ويحمل بين كتفيه «مزراق من نحاس»، كما كان يحمل رمحا قناته «كمطوى النساج» ووزن سنانه «ست مئة مثقال حديد»، وكان يتقدمه خادم يحمل «ترسه»(٥٦).

تقدم الفلسطيني «جليات»» صفوف قومه، مقتربا من صفوف العبرانيين، ونادى هؤلاء مطالبا اياهم ان يختاروا واحدا منهم لمبارزته، «فان استطاع ان يحاربني وقتلني، صرنا لكم عبيدا، وان ظفرت انا به وقتلته تصيرون انتم عبيدا لنا»(٥٧). وظل الفلسطيني «جليات» كذلك، طيلة اربعين يوما، يبرز صباحا ومساء، ويدعو العبرانيين لمبارزته، وما من مجيب(٥٨). وكان شاول وقومه قد سمعوا نداء الفلسطيني «ففزعوا وخافوا خوفا شديداً»(٥٩).

ب ـ داود: وكان داود بن يَسّي «الأفراتي من بيت لحم يهوذا»(٦٠) شابا «أصهب جميل العينين وسيم المنظر» يبدو أنه «ذو بأس ومحارب باسل»(٦١) الا انه كان أصغر أخوته(٦٢).

وكان داود يرعى غنم ابيه بعد ان التحق اخوته الثلاثة الكبار (ألياب وأبينا داب وشمّة) بجيش شاول، وكان داود يتردد على مواقع هذا الجيش لكي يتفقد اخوته ويستقصي حاجاتهم، كما كان يموّنهم، ويموّن «قائد الالف» بالفريك، والارغفة و«قطع الجبن»(٦٣).

---

(٥٦) م.ن. ١ صم ١٧: ٤ ـ ٧. والمثقال: درهم و٧/٣ أو درهم ونصف، بحساب الصاغة. والمزراق: الرمح القصير.

(٥٧) م.ن. ١ صم ١٧: ٨ ـ ١٠.

(٥٨) م.ن. ١ صم ١٧: ١٦.

(٥٩) م.ن. ١ صم ١٧: ١١.

(٦٠) م.ن. ١ صم ١٧: ١٢.

(٦١) م.ن. ١ صم ١٦: ١٢و١٨.

(٦٢) م.ن. ١ صم ١٧: ١٤.

(٦٣) م.ن. ١ صم ١٧: ١٧ـ١٨.

وزار داود اخوته في «المعسكر» غداة ذات يوم، وسمع منهم قصة ذلك الفلسطيني الذي مضى عليه اربعون يوما يدعو العبرانيين للمبارزة وما من مبارز، وسمع منهم، كذلك، ان الملك وعد من يتقدم لمبارزته بثروة طائلة وبابنته زوجة له وبمعاملة متميزة له ولأهل بيته[٦٤]. وكان الجيشان قد تصافا للقتال «صفا بازاء صف» وهتفا للحرب، وبينما هما كذلك خرج الفلسطيني جليات ودعا العبرانيين للمبارزة، كعادته كل يوم، وسمعه داود، ورأى بنفسه، «جميع رجال اسرائيل» يهربون من وجهه خائفين[٦٥]، فانبرى داود مستأذنا الملك لقتال ذلك الفلسطيني، معتدا بقدرته وقوته، وهو الذي قتل «أسدا ودبا، وسيكون هذا الفلسطيني الأقلف مثل واحد منهما»[٦٦]، فاذن له شاول بذلك، وحاول ان يُلبسه ثيابه ويقلده سيفه ودرعه، الا ان داود أبى ذلك قائلا: «لا استطيع ان امشي بهذه، لاني لم اكن قد جربتها» ثم نزعها عنه، و«اخذ عصاه بيده، وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في جيب كيس الراعي الذي له، ومقلاعه بيده، وتقدم من الفلسطيني»[٦٧].

المبارزة:

تقدم داود من الفلسطيني بمقلاعه، واقترب الفلسطيني من داود برمحه ومزراقه ودرعه، وخادمه الذي يحمل «ترسّه»[٦٨]. وتطلع جليات الى داود فاستخف به «لانه كان غلاما أصهب جميل المنظر»[٦٩]، ودار بين الخصمين نقاش قصير تباهى خلاله الفلسطيني بسيفه ورمحه ومزراقه، وتباهى العبراني بمقلاعه وبربه، «رب القوات، إله صفوف اسرائيل» الذي سوف يدفع بجليات وقومه الى يديه «فأقتلك وأفصل رأسك عنك، واجعل اليوم جثث جيش الفلسطينيين لطيور السماء ووحوش الارض، حتى تعلم الارض كلها ان لاسرائيل إلها»[٧٠]. ثم تقدم كل منهم نحو الآخر، «ومد داود يده الى الكيس واخذ

---

٦٤) م.ن. ١ صم ١٧: ٢٥.

(٦٥) م.ن. ١ صم ١٧: ٢٠ـ٢٤.

(٦٦) م.ن. ١ صم ١٧: ٣٦.

(٦٧) م.ن. ١ صم ١٧: ٣٧ـ ٤٠.

(٦٨) م.ن. ١ صم ١٧: ٤١.

(٦٩) م.ن. ١ صم ١٧: ٤٢.

(٧٠) م.ن. ١ صم ١٧: ٤٣ـ٤٦.

منه حجرا وقذف بالمقلاع، فضرب الفلسطيني في جبهته، وانغرز الحجر في جبهته فسقط على وجهه على الارض. وانتصر داود على الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن في يد داود سيف»[٧١]. وتقدم داود، بعد ذلك، من جليات، فاحتز رأسه واخذه للملك شاول. وما ان رأى العبرانيون ذلك حتى هاجموا الفلسطينيين فهزموهم وطاردوهم «حتى انتهوا الى الوادي والى أبواب عقرون»[٧٢]، وقُتل من الفلسطينيين خلق كثير «في طريق شعرئيم، الى جت والى عقرون»[٧٣].

٥ ـ الحرب الأخيرة بين شاول والفلسطينيين:

معركة جلبوع ومقتل شاول(١٠٠٧ ق.م):

مرة أخرى استجمع الفلسطينيون قواهم، ونهدوا لقتال العبرانيين. وكان الفلسطينيون بقيادة «آكيش بن ماعوك» ملك «جت»، بينما كان العبرانيون بقيادة «شاول». وكان شاول قد بدأ يخشى الصعود السريع لنجم داود بعد انتصاره على «جليات» الفلسطيني، فقرر القضاء عليه، ولكن داود استطاع الافلات منه، ولجأ، مع انصاره، وكانوا يعدّون ستماية رجل، الى «آكيش بن ماعوك» الفلسطيني الذي أقطعه مدينة «صقلاج»[٧٤]. والتحق بداود، في صقلاج، رجال أشداء من مختلف اسباط اسرائيل. ويقدم العهد القديم لائحة بأسماء القادة الذين التحقوا بداود في تلك المدينة «وهو مبعد من وجه شاول»، وكان هؤلاء القادة «بين الابطال، انصارا على الحرب» كما كانوا «مسلحين بالقسي، وهم يرمون بالحجارة والسهام عن القسي، باليمين واليسار» ومن بينهم: من اخوة شاول من البنياميين، ومن الجاديين «أبطال بأس رجال حرب حاملو تروس ورماح»، ومن يهوذا ومنسى. وكان بينهم قادة «أصغرهم على مئة واكبرهم على الف» فسلمهم داود قيادات في جيشه، وظل جيشه يزداد يوميا، حتى صار معسكرا عظيما كمعسكر الله»[٧٥].

---

(٧١) م.ن. ١ صم ١٧: ٤٩ـ٥٠.

(٧٢) م.ن. ١ صم ١٧: ٥١ـ٥٢.

(٧٣) م.ن. ١ صم ١٧: ٥٢.

(٧٤) م.ن. ١ صم ٢٧: ٢ـ٦.

(٧٥) م.ن. ١ اخ ١٢: ١ـ٢٢.

الاستعداد للقتال:

أ ـ الفلسطينيون: استنفر «آكيش» جميع بلاد الفلسطينيين، وطلب من داود ورجاله ان يشتركوا معه في القتال ضد شاول فلبى داود طلبه، وجمع آكيش جيشه في «افيق» (في سهل شارون)، ثم تقدم شمالا، بمحاذاة طريق ڤياماريس Via Maris حتى وصل الى «شونم» (في مرج ابن عامر) عند سفح جبل موره، فعسكر هناك استعدادا لمواجهة العبرانيين(٧٦).

وبينما كان قادة الفلسطينيين يعبرون «مئة ومئة والفا الفا» من افيق الى شونم، استرعى انتباههم وجود داود ورجاله بينهم، مما أثار استهجانهم وغضبهم، فقالوا لآكيش: «رد الرجل (داود) وليرجع الى الموضع الذي عينته له، ولا ينزل معنا الى الحرب، فلا يكن لنا خصما في القتال. فبماذا يرضي هذا سيده الا برؤوس هؤلاء الرجال؟»(٧٧)، فطلب آكيش عندها من داود ورجاله ان يعودوا ادراجهم الى صقلاج.

ب ـ العبرانيون: استنفر شاول، بدوره، بني اسرائيل، وجمع رجاله على جبل «جلبوع» عند عين «يزرعيل» حيث نشرهم على الجبل في مواجهة الفلسطينيين، مفضلا ان يتحصن جيشه في الأرض الجبلية كبديل عن السلاح الخفيف الذي يحمله(٧٨).

الموقعة:

ما ان نشب القتال بين الجيشين حتى انهزم رجال اسرائيل من وجه الفلسطينيين، وسقط معظمهم قتلى في جبل الجلبوع، وفرّ شاول وبنوه الثلاثة: يوناثان وأبينا داب وملكيشوع، فطاردهم الرماة الفلسطينيون بقسيّهم حتى أدركوهم، فقتلوا أبناء شاول الثلاثة وأثخنوا شاول بالجراح(٧٩). وخاف شاول ان يقع بأيدي الفلسطينيين فيقتلوه «ويشنّعوا فيه»، فطلب من حامل سلاحه ان «استل سيفك واطعني به» فأبى حامل سلاحه

---

(٧٦) م.ن. ١ صم ٢٨: ٤ و١صم ٢٩: ١؛ وانظر: Aharoni, Op. Cit. P. 74-75.

(٧٧) م.ن. ١ صم ٢٩: ٢-٤.

(٧٨) م.ن. ١ صم ٢٨: ٤ و١ صم ٢٩: ١؛ وانظر: Aharoni, Op. Cit. P. 74- 75.

(٧٩) Aharoni, Ibid. P. 75.

ذلك، عندها «اخذ شاول سيفه وسقط عليه» فمات، وفعل حامل سلاحه الشيء ذاته بنفسه عندما رأى ان شاول قد مات[٨٠].

وأتى الفلسطينيون، في اليوم التالي، فوجدوا شاول وابناءه الثلاثة صرعى، في جبل الجلبوع، «فقطعوا رأسه، ونزعوا سلاحه... وعلقوا جثته على سور بيت شان»، وجاء اهل «يابيش جلعاد» ليلا، وكان شاول قد انقذ مدينتهم من العمونيين، فانزلوا جثته وجثث ابنائه الثلاثة، عن سور بيت شان، ونقلوها الى يابيش «وأحرقوها هناك». وهجر العبرانيون، بعد هذه المعركة، المدن، عبر الوادي وعبر الاردن، فاحتلها الفلسطينيون و«اقاموا فيها»[٨٢].

موقعة «صقلاج» بين داود والعمالقة:

تقع «صقلاج» على حدود النقب جنوب بئر السبع[٨٣]. وكان آكيش ملك «جت» قد اقطعها لداود ورجاله، كما مر معنا. ولما عاد داود من افيق، بناء لطلب آكيش وقادته، وجد صقلاج قد نهبت واحرقت، كما سبيت نساؤه ونساء رجاله، وكذلك بنوهم وبناتهم. وكان العمالقة قد هاجموا المدينة حين غادرها داود ورجاله، فأحرقوها ونهبوها وسبوا اهلها[٨٤].

وقرر داود مطاردة الفاعلين ومقاتلتهم، وتبعه اربعماية من رجاله، بينما تقاعس مئتان عن السير معه لقتال العمالقة وظلوا في المدينة. ووصل داود ورجاله الى ارض العمالقة فوجدهم «يأكلون ويشربون ويعيّدون» منتشين بالنصر الذي أحرزوه في صقلاج، فانقضّ عليهم وضربهم «من الفجر الى مساء الغد» فأبادهم ولم يفلت منهم سوى «اربعماية من الفتيان» هربوا على ظهور الجمال، اما داود فاستعاد السبي والمال كله، لم

---

(٨٠) العهد القديم، ١ صم ٣٠ : ١ ـ ٥، الا ان سفر صموئيل الثاني اورد رواية أخرى لمقتل شاول قال: وصل عماليقي الى صقلاج بعد المعركة وقابل داود وروى له انه مر بجبل جلبوع اثر المعركة فوجد شاول جريحا، فناداه شاول وطلب اليه ان يقتله قائلا له: «قد أخذني الدوار، مع ان نفسي لم تزل فيّ»، فقتله العماليقي واخذ تاجه والسوار الذي بيده واتى بهما الى داود لتأكيد موت شاول، فبكى داود ورجاله على شاول ويوناثان وقتل داود العماليقي لأنه قتل مسيح الرب (٢ صم ١: ١ـ١٥).

(٨١) م.ن. ١ صم ٣١ :٨ـ١٣.

(٨٢) م.ن. ١ صم ٣١ :٧.

(٨٣) الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ص ٢٠١ و Aharoni, Op. Cit. P. 73.

(٨٤) العهد القديم، ١ صم ٣٠ : ١ـ٥.

ينقص شيء مما سلبه العمالقة من صقلاج، كما اخذ داود البقر والغنم والمواشي التي خلفها العمالقة بعد المعركة، فكانت غنيمة لداود[٨٥].

تقسيم الغنائم:

وزع داود غنائم هذه المعركة وفقاً لقاعدة سنها يومذاك، وأضحت بعدها «سنة وحكماً في اسرائيل الى هذا اليوم»، وهذه القاعدة هي: «كنصيب النازل الى الحرب يكون نصيب القائم على الامتعة/ على السواء يقتسمون» [٨٦] فأصابت أسهم الغنيمة من بقي في صقلاج من رجاله، كما أصابت أصحابه في «جميع الاماكن التي سار فيها داود ورجاله»[٨٧].

II ـ حروب الملك داود (١٠٠٧ ـ ٩٦٧ ق. م.) [٨٧ مكرر].

١ ـ الحرب بين داود واشبعل (اشبوشت) بن شاول (موقعة بركة جبعون: ١٠٠٧ او ١٠٠٦ ق. م.):

تلقى داود نبأ مقتل شاول وأبنائه الثلاثة وهو في صقلاج، فبكاه هو ورجاله، بكاء مرا، ورثاه مرثاة ذاع صيتها بين جميع بني اسرائيل، ومما قاله فيها: «شاول ويوناثان محبوبان عزيزان، في حياتهما وفي مماتهما لم يفترقا. أسرع من العقبان وأشد من الأسود. يا بنات اسرائيل ابكين على شاول الذي كان يكسوكن القرمز زينة، وبحلى الذهب يزيد ثيابكن بهاء... قد ضاق صدري عليك يا اخي يوناثان، لقد كنت عزيزا عليّ جدا، وكان حبك عندي أعجب من حب النساء»[٨٨].

ثم ارتحل داود ورجاله من صقلاج الى حبرون حيث مسحه رجال يهوذا «ملكا على بيت يهوذا»[٨٩] وقد احصى العهد القديم عديد جيش داود الذي تشكل في حبرون، بعد

---

(٨٥) م.ن. ١ صم ٣٠: ١٠ـ ٢٠.

(٨٦) م.ن. ١ صم ٣٠: ٢٤ـ ٢٥.

(٨٧) م.ن. ١ صم ٣٠: ٢٦ ـ ٣١.

(٨٧ مكرر) Barnavi, Op. Cit. P. 15

(٨٨) م.ن. ٢ صم ١: ٢٣ـ ٢٦.

(٨٩) م.ن. ٢ صم ٢: ٤.

موت شاول، فبلغ ثلاثماية واربعين الفا، وثمانماية واثنين وعشرين رجلا(٣٤٠٨٢٢ رجلا) موزعين كما يلي:

ـ بنو يهوذا (حاملو التروس والرماح)	٦٨٠٠
ـ بنو شمعون	٧١٠٠
ـ بنو لاوي	٤٦٠٠
ـ يويا داع، رئيس الهرونيين	٣٧٠٠
ـ صادوق	٢٢٠٠
ـ بنو بنيامين، اخوة شاول	٣٠٠٠
ـ بنو افرائيم	٢٠٨٠٠
ـ نصف سبط منسى	١٨٠٠٠
ـ بنو يسّاكر (مئتا رئيس، وجميع إخوتهم تحت أمرهم)	٢٠٠٠٠
ـ سبط زبولون (بجميع ادوات الحرب)	٥٠٠٠٠
ـ سبط نفتالي (الف رئيس و٣٧ الفا مسلحين بالتروس والرماح)	٣٨٠٠٠
ـ سبط دان	٢٨٦٠٠
ـ سبط اشير	٤٠٠٠٠
ـ من عبر الأردن (من الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى)	١٢٠٠٠٠
المجموع	٣٤٠٨٢٢(٨٩مكرر)

(٨٩ مكرر) م.ن. ١اخ ١٢: ٢٤ـ٣٨.

وكان ابنير بن نير، قائد جيش شاول، قد فرّ من معركة «جلبوع» والتحق بابن شاول الأصغر «اشبعل» أو «اشبوشت»، فأخذ أبنير أشبوشت الى «محنائيم» عبر الاردن، وأعلنه ملكا على «جلعاد والاشيريين ويزرعيل وافرائيم وبنيامين، وعلى كل اسرائيل»(٩٠). وهكذا ظهر اول انقسام جدي بين يهوذا وباقي اسرائيل ترسّخ بعدها وتجذّر، بعد الملك سليمان، في مملكتين منفصلتين هما مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل كما سنرى.

ولكن ما لبثت الحرب ان نشبت بين اتباع داود واتباع اشبوشت وأبنير، اذ خرج أبنير واشبوشت وانصارهما، «من محنائيم الى جبعون»، وخرج يوآب بن صروية، قائد جيش داود، وانصاره، نحو جبعون كذلك، فعسكر كل من الفريقين قبالة الآخر، على ضفة من ضفاف «بركة جبعون»، وتداعى الفريقان للمبارزة، فانتدب كل منهما فريقا من اثني عشر رجلا ليتبارزوا فيما بينهم، فقتل بعضهم الآخر ولم يبق واحد منهم حيا، فدعي ذلك المكان «حقل الصخور» استذكاراً لتلك المبارزة(٩١). ثم جرى قتال شديد بين الجيشين انتهى بهزيمة أبنير «ورجال اسرائيل» امام رجال داود(٩٢). وكانت حصيلة المعركة ٢٠ قتيلا من رجال داود بينهم «عسائيل» اخو يوآب، قائد الجيش، و٣٦٠ قتيلا من رجال ابنير، من بني اسرائيل(٩٣).

وطالت الحرب بين بيت شاول وبيت داود، «ولم يزل داود يتقوّى وبيت شاول يضعف»(٩٤)، وحدث ان وقع خلاف بين ابنير واشبوشت بسبب سُرّية كانت لشاول واستأثر بها ابنير، فأرسل ابنير رسلا الى داود يفاوضه على الملك، وعلم يوآب بتودد أبنير لداود فعاتب سيّده ثم سعى لاستدراج ابنير اليه، في حبرون، بدون علم داود، حيث اختلى به جانبا وطعنه طعنة واحدة كانت كافية للقضاء عليه(٩٥).

وعلم اشبوشت بنبأ مقتل قائده ابنير في حبرون فارتعد وثبطت همته للقتال، كما

---

(٩٠) م.ن. ٢ صم ٢: ٨. وكان عمر اشبوشت عند ما ملّكه ابنير، اربعين سنة وملك سنتين فقط (م.ن. ٢ صم ٢: ٩).

(٩١) م.ن. ٢ صم ٢: ١٢-١٦.

(٩٢) م.ن. ٢ صم٢: ١٧.

(٩٣) م.ن. ٢ صم ٢: ٣١.

(٩٤) م.ن. ٢ صم٣: ١.

(٩٥) م.ن. ٢ صم ٣: ٧-٢٧.

«ارتاع كل اسرائيلي»[٩٦]. وكان في جيش اشبوشت رجلان «رئيسا غزاة» احدهما يدعى «بعنة» والثاني «ريكاب» من «بني بنيامين»، فتآمر الرجلان لقتل اشبوشت ودخلا بيته خلسة وهو نائم، ثم قتلاه واخذا رأسه لداود في حبرون، فأمر داود بقتلهما لأنهما «قتلا رجلا بارا في بيته، على سريره»، ودفن رأس اشبوشت في قبر ابنير بحبرون[٩٧]. وبعد موت اشبوشت، أقبل «جميع أسباط اسرائيل» وكذلك «جميع شيوخ اسرائيل» الى داود، في حبرون ومسحوه «ملكا على اسرائيل»، وكان داود حينذاك «ابن ثلاثين سنة». وقد ملك طيلة اربعين عاما، «ملك في حبرون، على يهوذا، سبع سنين وستة أشهر، وملك في اورشليم ثلاثا وثلاثين سنة على كل اسرائيل ويهوذا»[٩٨].

٢ـ الحرب بين داود واليبوسيين: سقوط حصن صهيون واحتلال يبوس (اورشليم)، (١٠٠٠ ق.م):

كانت يبوس (أورشليم) عاصمة لليبوسيين (احدى عشائر الكنعانيين)، وكان في مقدمتها حصن يدعى «حصن صهيون»، لا بد من احتلاله لبلوغ أورشليم، فسار داود اليه برجاله، لكن اليبوسيين تمردوا عليه ورفضوا تسليمه اليه، ووضعوا على أسوار الحصن كل من كان أعمى او مقعدا، وقالوا لداود: «انك لا تدخل الى هنا، فحتى العميان والعرج يصدّونك»[٩٩]. وكان اليبوسيون يظنون ان قلعتهم حصينة تعصى على داود، خصوصاً وان قناة ماء كانت تفصل بينه وبين الحصن، وانه لن يغامر بقتل العميان والمقعدين لكي يدخل الحصن على جثثهم. ولكن داود عمد الى وضع خطة تؤمن له بلوغ الحصن دون ان ينال من حماته العميان والمقعدين، فحاصره وطلب من رجاله ان يجتازوا القناة اليه، وأعلن انه سوف يكافئ كل من اجتاز القناة وقتل يبوسيا ووصل الى مواقع اولئك المقعدين والعميان. فكان يوآب ورجاله اول من اجتاز القناة ووصل الى اسوار الحصن فاخترقها

---

(٩٦) م.ن. ٢ صم ٤: ١.

(٩٧) م.ن. ٢ صم ٤: ٢ـ ١٢.

(٩٨) م.ن. ٢ صم ٥: ١ـ ٥.

(٩٩) م.ن. ٢ صم ٥: ٦، والدبس، تاريخ سوريا، جـ٢: ٣١٠.

وتغلب على المدافعين عنها واحتل الحصن، ثم دخله داود وأقام فيه وسماه «مدينة داود»، وأقام حوله مباني وأسواراً «من مِلوّ (وهو واد كان يفصل بين يبوس القديمة والحصن) فداخلا»، حيث ردم الوادي وأقام فيه «قصراً له ومساكن لأعوانه ومجتمعاً للشعب»(١٠٠). (انظر الخارطة رقم ١٥).

وفي العام ٩٩٦ ق.م. أعلن داود أورشليم عاصمة لملكه.

خارطة رقم ١٥: موقعة وادي رفائيم

الشمال

بيت إيل

بيت حورون التحتا

بيت حورون الفوقا

جازر

عقرون

أيالون

جبع

جبعون

الفلسطينيون

يبوس

الحملة الأولى

وادي رفائيم

الحملة الثانية

بيت لحم

حبرون

احتلال جيش داود لمدينة يبوس

حملات الفلسطينيين على يبوس

تصدي جيش داود لحملات الفلسطينيين

تقهقر جيش الفلسطينيين

مطاردة جيش داود للفلسطينيين

معركة انتصر فيها جيش داود

٠ ٤ ٨ كم

إرتفاع اليابس بالأمتار



(١٠٠) م.ن. ٢ صم ٥: ٧ ـ ٩، والدبس، م.ن.ص.ن.

٣ـ الحرب بين داود والفلسطينيين: موقعة وادي رفائيم (١٠٠٠ ق.م)

ارتاع الفلسطينيون لنمو قوة داود وقدروا الخطر المحتمل عليهم ان هو استمر في قوته المطّردة، فقرروا ضربه قبل ان يستفحل خطره، واحتشدوا لذلك، في واد يسمى «وادي رفائيم» (جنوب غربي اورشليم) فصعد اليهم داود برجاله فهزمهم وشتت جموعهم واخذ اصنامهم، (لذا، سمي ذلك المكان بعدها «بعل فراحيم» او «بعل فراصيم») ثم عاد الى مواقعه. ولكن الفلسطينيين عادوا فاحتشدوا، من جديد، في الوادي المذكور، استعدادا لقتال داود من جديد. اما داود فقد وضع لقتالهم خطة عبّر عنها العهد القديم بقوله: «فسأل داود الرب فقال له: «لا تصعد (الى الفلسطينيين) مجابهة، بل أعطف من خلفهم وأتهم من حيال أشجار البلّسان»[١٠١]، وقد استدار داود برجاله من خلف مواقع الفلسطينيين ففاجأهم وهزمهم وشتت جموعهم وطاردهم «من جبع الى مدخل جازر»[١٠٢]. (انظر الخارطة رقم ١٥)

٤ـ الحرب بين داود والفلسطينيين والمؤابيين وملك صوبة والآراميين (١٠٠٠ ـ ٩٩٠) ق.م.):

أ ـ الحرب بين داود والفلسطينيين:

كان داود قد استقر في عاصمة ملكه بأورشليم وبدأ باخضاع القبائل والمدن المجاورة له، فكان ان بدأ بالفلسطينيين حيث هاجم عاصمتهم (جت) وأخضعها، كما أخضع ما جاورها من المدن والقرى[١٠٣].

ب ـ الحرب بين داود والمؤابيين:

ثم اتجه داود الى المؤابيين، فعبر، لذلك، الأردن، وهاجمهم فهزمهم وقتل وأسر الكثير

---

(١٠١) العهد القديم، ٢ صم ٥ : ٢٣. واشجار البلسان = شجر ابيض كالزهر، يستعمل في الادوية، ويسمى «السيسبان». (محيط المحيط). وقد وردت «بعل فراحيم» في العهد القديم (٢ صم٥ : ٢٠ و ١اخ ١٤ : ١١).

(١٠٢) العهد القديم، ٢ صم ٥ : ٢٥، والدبس، المصدر السابق، جـ٢ : ٣١١ ـ ٣١٢. وانظر للموقعة نفسها، ١أخ ١٤ : ٨ ـ ١٥، الا ان الرواية هنا تقول ان داود امر باحراق آلهة الفلسطينيين، ولم ياخذها (م.ن. ١اخ ١٤ : ١١).

(١٠٣) م.ن. صم ٨ : ١، والدبس، المصدر السابق، جـ٢ : ٣١٦، وانظر تكرارا لرواية هذه الحرب في ١اخ ١٨ : ١، حيث جاء فيه ان داود «اخذ جت وتوابعها من ايدي الفلسطينيين» وهو ما لم يكن واضحا تماما في ٢ صم ٨ : ١.

منهم، أما الأسرى فكان يأمر الواحد منهم ان يضطجع على الارض فان كان طول حبلين قتله وان كان أقل استبقاه وقد أضحى المؤابيون عبيدا لداود يؤدون اليه الجزية[١٠٤].

ج ـ الحرب بين داود وهَدَدْ عازر بن رحوب، ملك صوبة، وحلفائه الآراميين:

كانت تقع مملكة صوبة في شمال سوريا، شمال جبال لبنان الشرقية نحو حمص وحماة وحلب، الى يبرود والنبك وصدد والقريتين، فتدمر والفرات[١٠٥]. وكان هَدَدْ عازر قد توجه نحو الفرات رغبة في ان يمد سلطته اليه، فهاجمه داود وأخذ منه «الفا وسبع مئة فارس وعشرين الف راجل» و«عرقب» خيل جميع مركباته باستثناء ماية منها فقط[١٠٦]. وهبّ آراميو دمشق لنجدة هَدَد فقتل داود منهم اثنين وعشرين الفا، ثم اقام محافظين في «آرام دمشق» واصبح الآراميون يدفعون الجزية لداود[١٠٧].

وكان لـ «توغو»، ملك حماة، ثأر عند هَدَد عازر لِما كان بينهما من حروب سابقة، فلما علم بهزيمته امام داود ارسل الى داود ابنه «يورام» مع الكثير من الهدايا. اما داود فقد قتل، في طريق عودته الى أورشليم، ثمانية عشر الفا من الآراميين، في «وادي الملح»، واجتاح أدوم ووضع فيها محافظين من قبله «وصار جميع الأدوميين رعايا لداود»[١٠٨].

وهكذا اصبح داود ملكا «على جميع اسرائيل»، بينما ظل «يوآب بن صَرْوِية» قائدا لجيش خاله داود[١٠٩].

---

(١٠٤) م. ن. ٢ صم ٨: ٢، والدبس، المصدر السابق، جـ ٢: ٢١٦. وانظر تكرارا لرواية هذه الحرب (دون ذكر رواية قياس الاسرى بالحبل)، في ١أخ ١٨: ٢.

(١٠٥) الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢١٦.

(١٠٦) العهد القديم، ٢ صم ٨: ٣ ـ ٤.

(١٠٧) م. ن. ٢ صم ٨: ٥ ـ ٦، وكان ملكهم يسمى «هَدَد» ايضا (الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٢١٧).

(١٠٨) العهد القديم، ٢ صم ٨: ٩ـ ١٤، وانظر: م. ن. ١أخ ١٨: ٩ ـ ١٣. ويبين سفر الاخبار الأول (١أخ: ١٢) ان أبشاي بن صَروية (اي أخو يوآب بن صَروية قائد جيش داود) هو الذي قتل ١٨ الفا من الآراميين في وادي الملح.

(١٠٩) م. ن. ٢ صم ٨: ١٥ ـ ١٦، وانظر: م. ن. ١أخ ١٨: ١٤ ـ ١٥. ويذكر الدبس، (المصدر السابق، جـ٢: ٢١٩) ان يوآب بن صَروية هو ابن اخت الملك داود.

٥ـ الحرب بين داود والعمونيين وحلفائهم الآراميين: موقعة ربة عمون(٩٩٠ ق.م):

مقدمات الحرب:

جرت هذه الحرب إثر معاملة سيئة تلقاها وفد التعزية الذي ارسله الملك داود الى حنون، ملك عمون، بمناسبة وفاة والده، الملك ناحاش، اذ زين لحنون ان هذا الوفد ليس قادما للتعزية بل للتجسس على مملكته وعاصمته، فألقى القبض على اعضائه «وحلق نصف لحاهم وقطع نصف ثيابهم من الوسط حتى أدبارهم، ثم صرفهم»[١١٠]. فقرر داود، إثر ذلك، الانتقام للوفد ومهاجمة بني عمون للاقتصاص منهم، في «ربة عمون» عاصمة ملكهم ذاتها.

الاستعداد للحرب:

أ ـ العبرانيون: استنفر داود «جيش الابطال كله» وحشده، بقيادة يوآب[١١١]، (ولم تذكر النصوص التوراتية عدد جيش يوآب).

ب ـ العمونيون وحلفاؤهم الآراميون: ارسل العمونيون الى آراميي النهرين وآراميي معكة وصوبا، (او صوبة) «الف قنطار من الفضة» لكي يستأجروا منهم «مراكب وفرسانا» لمواجهة العبرانيين فأرسلوا اليهم نحو ٣٢ الف رجل، موزعين كما يلي:

ـ من آراميي بيت رحوب وآراميي صوبا:	:٢٠ الف راجل
ـ ملك معكة ومعه	: الف رجل.
ـ من رجال طوب	: ١٢ الف رجل.
ـ كما ارسلوا اليهم بالاضافة الى ذلك	: ٣٢ الف مركبة.

وقد اتخذ العمونيون وحلفاؤهم التشكيلة التالية للقتال:

ـ بنو عمون: اصطفوا للحرب عند مدخل المدينة، ومهمتهم الدفاع عنها.

---

(١١٠) م.ن.٢ صم ١٠: ٤ وانظر: ١اخ ١٩: ٤.

(١١١) م.ن.٢ صم ١٠: ٧ وانظر ١ اخ ١٩: ٨.

ـ الآراميون (رحوب وصوبا ومعكة وطوب): نزلوا عند «ميدبا» (مأدبا اليوم) بناحية الحقول وكانت مهمتهم مفاجأة المهاجمين من الخلف وحصرهم بينهم وبين العمونيين[١١٢].

الحرب:

لقد جرت هذه الحرب على ثلاث مراحل:

ـ **المرحلة الأولى**: انتقل يوآب بجيشه الى مدينة العمونيين «ربة عمون» فوجد العمونيين وقد «اصطفوا للحرب» عند مدخل المدينة، وبعيدا عنهم في الحقول عند «ميدبا»، حلفاؤهم الآراميون، ينتظرون انشغاله بالحرب مع العمونيين لكي ينقضّوا عليه من الخلف. وقد قدر يوآب الموقف تقديرا صحيحا، فخشي، ان هو اقتحم مواقع العمونيين، ان يقع بين نارين، نارهم من الشمال ونار حلفائهم الآراميين من الجنوب، فبادر الى تقسيم جيشه الى فرقتين:

ـ الفرقة الأولى، بقيادته، وقد اختارها من «جميع منتخبي اسرائيل»، وكانت مهمتها مشاغلة الآراميين لكي يتاح للفرقة الثانية مقاتلة العمونيين بدون هاجس مباغتتها من الخلف.

ـ الفرقة الثانية، وهي باقي الجيش، بقيادة أخيه أبشاي (أو أبيشاي)، وكانت مهمتها مهاجمة مواقع العمونيين عند مدخل مدينتهم[١١٣].

وأصدر أوامره الى الفرقتين ان يكون القتال بالتساند بينهما: إن استقوى الآراميون على فرقته اعانه اخوه على الآراميين، وان استقوى العمونيون على فرقة أخيه اعان اخاه على العمونيين[١١٤].

وما ان وصل يوآب وفرقته الى مواجهة الآراميين حتى بادرهم بالقتال فانهزموا وعاد

---

(١١٢) م.ن. ٢صم ١٠: ٨ و١اخ ١٩: ٦.

(١١٣) م.ن. ١اخ ١٩: ١٠ـ ١١، و٢صم ١٠: ٩ـ ١٠.

(١١٤) م.ن. ١اخ ١٩: ١٢ و٢صم ١٠: ١١. (١١٢)ـ م.ن. ٢صم ١٠: ٨ و١اخ ١٩: ٦.

يوآب لمؤازرة اخيه. وما ان رأى العمونيون حلفاءهم الآراميين منهزمين حتى انهزموا بدورهم، ودخلوا مدينتهم، واقفلوا بابها خلفهم.

ولم يحاول يوآب اقتحام المدينة عليهم، بل تركهم وانصرف عائدا الى اورشليم[١١٥].

ـ **المرحلة الثانية**: لم يرضَ «هدد عازر» ملك صوبا، بالهزيمة على يد العبرانيين خصوصا بعد هزيمته امامهم في معركة الفرات، فقرر ان يعود لمنازلتهم مع حلفائه الآراميين. وبعد ان حرّض هؤلاء على القتال، وبعد ان حشد، لذلك، «الآراميين الذين في عبر النهر»، نهر الفرات، اجتمع لديه، في «حيلام» عبر الاردن جيش كثيف سلم قيادته الى قائد جيشه «شوباك» او (شوفاك)[١١٦].

علم داود بأمر الحشود الآرامية في «حيلام» فانطلق بجيشه من أورشليم، واتجه شمالا نحو بيت ايل فشكيم، ثم انعطف شرقا حيث عبر الأردن جنوب بيت شان، وتابع تقدمه شمالا بشرق، مارا شمال بيت جلعاد حتى أطل على مواقع الآراميين في «حيلام» من الجنوب.

وفوجئ الآراميون بالعبرانيين فاصطفوا، على عجل، لقتالهم، لكن العبرانيين بادروهم بالقتال، فانهزم الآراميون شمالا، وطاردهم العبرانيون باتجاه دمشق بعد ان قتلوا منهم اربعين الف رجل ودمروا لهم سبعة آلاف مركبة وقتلوا قائد جيشهم «شوفاك» او «شوباك» (وقد ورد في سفر صموئيل الثاني: سبع مئة مركبة واربعين الف فارس)[١١٧].

المرحلة الثالثة: بعد هذه الموقعة انكفأ الآراميون الى مواطنهم ولم يعودوا يجرؤون على مساندة العمونيين ضد العبرانيين[١١٨]، مما أتاح لداود التصرف بحرية تجاه العمونيين، فأرسل اليهم، بعد عام، جيشا بقيادة «يوآب» فهاجمهم وحاصر عاصمتهم «ربة عمون» واحتلها بعد ان دمرها، ثم نهبها واستعبد اهلها. وكان داود قد بقي بأورشليم[١١٩].

---

(١١٥) م.ن. ١اخ ١٩: ١٤ـ١٥ و٢ صم ١٠: ١٣ـ١٤.
(١١٦) م.ن. ١اخ ١٩: ١٦ و٢ صم ١٠: ١٥ وانظر Aharoni, Op. Cit. PP. 78-79.
(١١٧) م.ن. ١اخ ١٩: ١٧ـ١٨، وانظر: ٢ صم ١٠: ١٧ـ١٨.
(١١٨) العهد القديم، ١اخ ١٩: ١٩، و٢ صم ١٠: ١٩.
(١١٩) م.ن. ١اخ ٢٠: ١ و٢ صم ١١: ١.

ولما تأكد يوآب من ان سقوط عاصمة العمونيين اضحى اكيدا، طلب من داود ان ينتقل اليها لكي يأخذ المدينة بنفسه فيكون الفتح باسمه، «فجمع داود كل الشعب وزحف على ربة فحاربها واخذها»[١٢٠] وأخذ تاج «ملكام»، ملك العمونيين، عن رأسه «وكان وزنه قنطارا من الذهب، بالحجارة الكريمة»، فوضعه فوق رأسه، وأخرج من المدينة غنائم «وافرة جداً» كما انه جمع شعب «ربة عمون» وجعله «على المناشير وعلى نوارج الحديد وفؤوس الحديد» وجعل بعضه على «اعمال قوالب الآجر». وهكذا صنع «بجميع مدن بني عمون»[١٢١]، التي دمرت جميعها[١٢٢]، كما دمرت «ربة عمون» نفسها[١٢٣]. (انظر الخارطة رقم ١٦).

استنتاج:

يمكننا ان نستنتج من هذه الحرب ما يلي:

١ ـ لقد طبق «يوآب» قائد جيش داود، في حربه هذه، مناورة معروفة من مناورات الحرب العصرية، تكتيكيا واستراتيجيا، هي «المناورة بالخطوط الداخلية Manoeuvre par lignes intérieures وتتلخص هذه المناورة بما يلي:

اذا وجد جيش في وضع يوجب عليه التصدي لقوى عدوة من محاور مختلفة، فيمكن اعتماد الخطة التالية:

اولا: يختار هدفا واحدا (اي محورا واحدا) كهدف رئيسي، بينما يصنع قوى اخرى للمشاغلة تجاه باقي الأهداف بغية كسب الوقت والقضاء على كل هدف على حدة.

ثانيا: يهاجم الهدف الأول فيقضي عليه، بينما تكون بقية قواه تشاغل باقي الأهداف.

ثالثا: يعود فيقضي بالتتابع، وبالطريقة نفسها، على بقية الأهداف العدوة على باقي المحاور.

---

(١٢٠) م.ن. ٢ صم ١٢: ٢٧ـ٢٩.

(١٢١) العهد القديم، ١ أخ ٢٠: ٢ـ٣، و٢ صم ١٢: ٢٩ـ ٣١.

(١٢٢) م.ن. ١ أخ ٢٠: ١و٢ صم ١١: ١.

(١٢٣) م.ن. ١ أخ ٢٠: ١ ولم يرد شيء عن تدمير (ربة عمون) في سفر صموئيل الثاني، وان كان قد ورد انها حوصرت (٢ صم ١١: ١).

خارطة رقم ١٦: حروب داود ضد العمونيين وحلفائهم الآراميين (موقعة ربة عمون)

وقد طبق داود هذه المناورة، تكتيكيا واستراتيجيا، كما يلي:

أ ـ تكتيكيا: عمد في المرحلة الأولى، الى تقسيم جيشه فرقتين:

ـ فرقة مشاغلة تقاتل الآراميين في الحقول كي لا يهاجموا فرقة أخيه «ابشاي» من الخلف وهو مشغول بقتاله ضد العمونيين.

ـ فرقة تهاجم العمونيين وتقاتلهم وهي مطمئنة الى انها لن تضرب من الخلف بسبب انشغال الآراميين، حلفاء العمونيين، بالقتال ضد فرقة يوآب.

ـ ما ان انتصر يوآب على الآراميين حتى عاد لمؤازرة اخيه ابشاي في قتاله ضد العمونيين، فانهزم هؤلاء.

ب ـ استراتيجيا: عمد داود في المرحلتين الثانية والثالثة:

ـ الى مهاجمة الآراميين في عقر دارهم، في «حيلام» عبر الأردن وهزمهم وطاردهم شمالا باتجاه دمشق، الى ان جعلهم في وضع يستحيل عليهم مساندة العمونيين عسكريا

ـ ثم ارتد الى العمونيين فهاجمهم، في عقر دارهم كذلك، وضربهم وهزمهم ودمر مدنهم وعاصمتهم وقتل شعبهم.

٢ـ طبق داود في المرحلتين: الثانية والثالثة، من حربه هذه، مبدأ «الحرب الجماعية» او «الامة المسلحة» حيث جمع «كل اسرائيل وعَبّر الأردن وزحف على حيلام»[١٢٤]، لمحاربة الآراميين المحتشدين فيها، ثم ارسل، بعد ذلك، «يوآب، وضباطه معه، وكل اسرائيل»[١٢٥] لمحاربة بني عمون، مطبقا بذلك مبدأ «الحرب الجماعية» تطبيقا تاما.

ويرى الصحفي الفرنسي «جان لارتيغي» في كتابه «أسوار اسرائيل» ان هذه الحرب اعتبرت، لفترة طويلة، كاحدى الحروب المصيرية «وتكاد تكون لدى اليهود، أهم من المبارزة التي جرت بين داود وجليات»[١٢٦]، فقد حشد داود فيها، ليس فقط «يوآب والجيش النظامي» بل كذلك «شعب اسرائيل بأسره» ليوقع بالآراميين هزيمة حاسمة، ولكن كان من الواضح ان ذلك لم يكن اكثر من مقدمة «للتغلب على العمونيين واخضاعهم»[١٢٧].

---

(١٢٤) م.ن. ٢٠ صم ١٠: ١٧ و١١ أخ ١٩: ١٧.

(١٢٥) م.ن.م.ن. ٢ صم ١١: ١.

(١٢٦) Larteguy, Jean, les Murailles d'Ysraël P. 215.

(١٢٧) Ibid

٦ـ الحرب بين داود وابنه أبشالوم: موقعة غابة افرائيم (٩٧٥ ق.م.):

تمرد ابشالوم بن داود على ابيه وادّعى الملك، فتبعه جمهور بني اسرائيل[١٢٨]، فخاف داود وهرب، مع انصاره، وهم من سبط يهوذا، من أورشليم، تاركا في بيت الملك «عشرا من السواري لحفظ البيت»[١٢٩]، وتبعه ستمئة رجل من «جت» بقيادة «اتاي» الجتي، عبروا الأردن مع داود[١٣٠].

وعبر داود وانصاره «وادي قدرون» ليلاً، الى طريق البرية، وتبعه الكاهنان «صادوق» و«ابياتار» ومعهما «جميع اللاويين» يحملون «تابوت العهد»، فطلب الملك من الكاهنين ان يعيدا تابوت العهد الى أورشليم وان يبقيا فيها مع ابنيهما «احيما عص بن صادوق» و«يوناثان بن ابياتار» لكي يتجسسوا له على ابشالوم وينقلوا اليه اخباره، ففعل الكاهنان ما طلبه داود منهما وعادا، مع ابنيهما، الى اورشليم.

أما داود فصعد، مع انصاره، «مرتقى الزيتون» (جبل الزيتون)، حتى اذا ما وصل الى قمة الجبل التقى بصديق له يدعى «حوشاي الاركي» ينتظره، فأمره داود ان يعود الى أورشليم (التي كان ابشالوم قد دخلها، بعد ان هجرها ابوه، واتخذها عاصمة لملكه) وينضم الى الكاهنين «صادوق وابياتار» وابنيهما، وان يرسلوا اليه اخبار ابشالوم و«كل كلمة تسمعونها» من «بيت الملك»[١٣١]، فعمل «حوشاي» بأمر الملك والتحق بابشالوم في أورشليم وتقرب منه حتى أضحى واحدا من المقربين اليه.

وهكذا استطاع داود ان يقيم، في مقر ابنه بأورشليم ، شبكة تجسس متكاملة، تعمل في «بيت الملك» وفي عقر دار ابشالوم، وهذه الشبكة هي:

- الكاهنان صادوق وابياتار وابناهما احيما عص ويوناثان.
- حوشاي الاركي، صديق داود.
- بعض نساء اورشليم اللواتي كن يتعاطفن مع داود وأنصاره[١٣٢].

انتقل داود من جبل الزيتون الى «بحوريم»[١٣٤] على الطريق من اورشليم الى الاردن،

---

(١٢٨) العهد القديم، ٢ صم ١٥: ١٠ـ١٢.
(١٢٩) م.ن. ٢ صم ١٥: ١٦.
(١٣٠) م.ن. ٢ صم ١٥: ١٨ـ٢٢.
(١٣١) م.ن. ٢ صم ١٥: ٢٣ـ٣٧.
(١٣٢) م.ن. ٢ صم ١٥: ٢٤.
(١٣٣) م.ن. ٢ صم ١٧: ١٧ـ٢٠.
(١٣٤) م.ن. ٢ صم ١٦: ٥.

وكان ابشالوم قد عزم على مطاردته فأشار عليه «احيتوفل» ان يجمع «اثني عشر الف رجل» ويداهم اباه «هذه الليلة» وهو تعب ومسترخي اليدين «ويرعبه» فيهرب كل الشعب الذي معه فيضربه «على انفراد»[١٣٥]. ولكن «حوشاي» تدخل وأفسد على «أحيتوفل» مشورته بمشورة أخرى وهي ان يجمع ابشالوم اليه «كل اسرائيل، من دان الى بئر سبع» ويسير لمواجهة ابيه، لان اباه ورجاله «أبطال» وأبوه «رجل حرب»، ويخشى ان يكون متخفيا فلا يطاله وتقع الواقعة عليه وعلى جيشه[١٣٦]. فمال ابشالوم وشيوخ اسرائيل الى مشورة «حوشاي»ولم يأخذوا بمشورة «احيتوفل» رغم انها كانت الأصوب[١٣٧]. ثم عيَّن ابشالوم رجلا يدعى «عماسا بن يترا» قائدا لجيشه بدلا من يوآب الذي كان قد اتبع الملك داود، وخرج هو وجيشه «وجميع رجال اسرائيل» لقتال والده. ونزل بأرض جلعاد[١٣٨]. وقامت شبكة التجسس «بنقل الخبر الى داود، فورا، عبر أمَةٍ من اورشليم نقلته الى يوناثان وأحيماعص عند «عين روجل»[١٣٩]، فنقل هذان الخبر الى داود الذي ما لبث ان عبر بجيشه «وكل الشعب» الأردن ليلا، وعسكر عند الفجر، في بلدة تدعى «محنائيم» (او محنة، في جبل عجلون) عبر الأردن[١٤٠].

وفي محنائيم، نظم داود جيشه مئات والوفا، وجعل على كل مئة او الف رئيسا، وقسّمه ثلاث فرق: الأولى بقيادة يوآب القائد العام للجيش، والثانية بقيادة ابيشاي اخي يوآب، والثالثة بقيادة اتاي الجتي[١٤١]. وكان داود قد عزم على ان يخرج، بنفسه، مع الجيش الى الحرب، الا ان الشعب طلب منه ان لا يفعل ذلك، بل يبقى في المدينة لكي يؤمن لجيشه النجدة عند الضرورة، وذلك «لاننا اذا هربنا نحن لا يبالون بنا، واذا مات نصفنا لا يبالون بنا، اما انت فكعشرة آلاف منا»، هكذا قال له الجيش والشعب[١٤٢].

---

(١٣٥) م.ن. ٢ صم ١٧: ١ـ٢.

(١٣٦) م.ن. ٢ صم ١٧: ٨ـ١٣.

(١٣٧) م.ن. ٢ صم ١٧: ١٤.

(١٣٨) م.ن. ٢ صم ١٧: ٢٥ـ٢٦.

(١٣٩) م.ن. ٢ صم ١٧: ١٥ـ١٧.

(١٤٠) م.ن. ٢ صم ١٧: ٢٢و٢٤.

(١٤١) م.ن. ٢ صم ١٨: ١ـ٢.

(١٤٢) م.ن. ٢ صم ١٨: ٢ـ٣.

ووقف داود امام باب المدينة يستعرض جيشه الذاهب لقتال ابنه ابشالوم، وأوصى قادته ان «ترفقوا بالفتى ابشالوم»، وخرج الجيش كله «مئة مئة والفا الفا... الى البرية للقاء اسرائيل»[143].

وكانت المواجهة بين الجيشين في «غابة افرائيم» قاسية وشرسة وحاسمة، حيث كان القتال منتشرا « على وجه تلك الارض كلها» وحيث «افترست الغابة» من الرجال «اكثر مما افترس السيف في ذلك اليوم» فكانت «هزيمة عظيمة» لاسرائيل، وقتل منها «عشرون الفا»[144].

أما ابشالوم فقد فاجأه رجال ابيه وهو راكب بغلا، «فدخل البغل تحت اغصان بلوطة... فتعلق رأسه بالبلوطة، فبقي معلقا بين السماء والارض»[145]، فتقدم يوآب منه «واخذ بيده ثلاثة أوتاد فغرسها في قلب ابشالوم» الذي كان لا يزال حيا، ثم احاط بابشالوم «عشرة فتيان حاملو سلاح يوآب» وضربوه حتى قتلوه. ونفخ يوآب في البوق اعلانا لانتهاء القتال، ثم سحبت جثة ابشالوم وطرحت في الغابة ووضعت فوقها كومة من الحجارة، بينما هرب رجاله «كل امرئ الى خيمته»[146]. ولما أُخبر داود بمقتل ابنه ابشالوم بكى بكاء مرا ورثاه رثاء حزينا.

٧ـ ثورة شابَع بن بكري على داود (٩٧٧ ق. م):

قرر داود، بعد هزيمة ابنه في «غابة افرائيم» ومقتله، ان يعود بجيشه وشعبه الى اورشليم ليمارس الملك فيها، وسعى لكي يستميل اليه قلوب بني اسرائيل جميعا، وكان اول ما قام به ان ارسل الى «عِماسا» يستميله واعدا اياه ان يكون قائدا لجيشه بدلا من يوآب[147]، ثم «امال اليه قلوب جميع رجال يهوذا» وشيوخهم الذين طلبوا من داود ان يعود الى اورشليم، وانتقلوا الى «الجلجال» ليرافقوه في عبوره الأردن الى اورشليم، فعبروا معه[148].

---

(١٤٣) م.ن. ٢ صم ١٨:٤ـ٦.
(١٤٤) م.ن. ٢ صم ١٨:٦ـ٨.
(١٤٥) م.ن. ٢ صم ١٨:٩.
(١٤٦) م.ن. ٢ صم ١٨: ١٤ـ١٧.
(١٤٧) م.ن. ٢ صم ١٩:١٣.
(١٤٨) م.ن. ٢ صم ١٩: ١١ـ١٥.

كان «شابَع بن بكري» وهو رجل من «بليعال» من بنيامين، قد استطاع ان يجمع حوله جمهور بني اسرائيل ويحرضهم على داود قائلا لهم: «ليس لنا نصيب مع داود، ولا لنا ميراث مع ابن يسَّى»(١٤٩)، فارتد بنو اسرائيل عن داود واتبعوا ابن بكري، بينما استمر بنو يهوذا في موالاتهم لداود ورافقوه من الأردن الى اورشليم(١٥٠).

وفور وصول داود الى أورشليم، استدعى «عماسا» قائد جيش ابنه، اليه، وطلب منه ان يجمع اليه رجال يهوذا «في ثلاثة ايام»، وانطلق عماسا لتنفيذ امر الملك الا انه لم يعد في الموعد المحدد، فطلب داود من أبيشاي ان يطارد شابع بن بكري، فخرج ابيشاي لمطاردته، وكذلك فعل اخوه يوآب ورجاله(١٥١). وما ان وصل يوآب الى «جبعون» حتى وجد «عماسا» في استقباله، فتقدم يوآب منه لكي يعانقه، الا انه عاجله بطعنة من سيفه «في بطنه، فدلق أمعاءه الى الارض، ولم يُثْنِّ عليه، فمات»(١٥٢).

مضى يوآب وابيشاي في طلب «شابع» الذي فر من وجههما والتجأ الى «آبل بيت معكة»، فحاصر يوآب وابيشاي ورجالهما المدينة وباشروا بهدم السور «وركموا ردما الى المدينة مستندا الى السور»(١٥٣). ورأتهم امرأة حكيمة من المدينة فطلبت ان تتحدث الى يوآب الذي استمع اليها فسألته عن مطلبه ومطلب جنده فأجابها بان متمردا على الملك، هو شابع بن بكري، قد لجأ الى المدينة، وان مطلبه هو ان يتسلم ذلك الرجل لكي ينصرف عنها. فوعدت المرأة يوآب خيرا، ثم عادت الى اهلها في المدينة وأشارت عليهم ان يقطعوا رأس شابع ويسلموه الى يوآب لكي يفك حصاره عن مدينتهم، ففعل اهل المدينة ذلك وعاد يوآب الى أورشليم، حاملا معه، إلى الملك، رأس شابع(١٥٤).

٨ ـ حروب اخرى بين داود والفلسطينيين:

وكانت، غير ما ذكرنا، حروب عدة بين داود والفلسطينيين ذكرها العهد القديم وهي:

---

(١٤٩) م.ن. ٢ صم ٢٠:١.

(١٥٠) م.ن. ٢ صم ٢٠:٢.

(١٥١) م.ن. ٢ صم ٢٠:٤ـ٧.

(١٥٢) م.ن. ٢ صم ٢٠:٨ـ١٠.

(١٥٣) م.ن. ٢ صم ٢٠:١٤ـ١٥.

(١٥٤) م.ن. ٢ صم ٢٠:١٦ـ٢٢.

أ ـ حربه مع بيشبيبنوب من بني رافاة (رفائيم): وقد حضرها داود بنفسه، وقاتل فيها الفلسطينيين على رأس جيشه، وكاد يقتل على يد «بيشبيبنوب» لولا ان تداركه ابن اخته «ابيشاي» فضرب الفلسطيني ضربة قضت عليه. عندها، «ناشد داودَ رجالُه» قائلين له: «لا تخرج معنا الى الحرب، لئلا تُطفِئَ سراجَ اسرائيل»[155]. وكان «بيشبيبنوب» هذا متقلّداً سيفا جديدا «ووزن رمحه ثلاثمئة مثقال من نحاس»[156]. ولم تذكر التوراة مكان هذه الموقعة.

ب ـ موقعة جوب (او جازر): ذكر العهد القديم هذه الموقعة (في سفر صموئيل الثاني) في «جوب» التي لم يحدد موقعها بالضبط، وذكرها (في سفر الاخبار الاول) في «جازر»، وقد هُزم فيها الفلسطينيون وقتل احد بني رافاة (او رفائيم) ويدعى «سبكاي الحوشي سِفّاي»[157].

ج ـ موقعة جوب الثانية: وقد هُزم الفلسطينيون كذلك في هذه الموقعة وقَتل الاسرائيلي ألحانان بن ياعري أخا «جليات الجتي» المدعو «لحميّ»، وكانت قناة رمح «لحمي» هذا «كنول النسّاج»[158].

د ـ موقعة «جت»: (وهي ذكرين او تل الصافي اليوم). وقد أقدم رجل من بني رافاة (او رفائيم) من الفلسطينيين على تقريع اسرائيل فقتله «يوناثان بن شمعا»، ابن اخي داود. وكان الرجل الفلسطيني هذا «طويل القامة سداسي الاصابع، أي له اربع وعشرون اصبعا»[159].

الخدمة في جيش داود:

وزع داود الخدمة في جيشه على «رؤساء الجيش» الذين هم، عادة، رؤساء قبائل او عشائر او عائلات، من كل سبط، وكان توزيعها كما يلي:

---

(١٥٥) م.ن. ٢ صم ٢١: ١٥-١٧.

(١٥٦) م.ن. ٢ صم ٢١: ١٦.

(١٥٧) م.ن. ٢ صم ٢١: ١٨ و١ اخ ٢٠: ٤.

(١٥٨) م.ن. ٢ صم ٢١: ١٩ و١ اخ ٢٠: ٥.

(١٥٩) م.ن. ٢ صم ٢١: ٢٠-٢١، و١ اخ ٢٠: ٦-٧.

- **خدمة بيت الرب:** ويقوم بها بنو آساف وبنو هيمان وبنو يدوتون، وعددهم مايتان وثمانية وثمانون رجلا. وكانت خدمة بيت الرب و«بيت الله» كناية عن خدمة «المتنبئين تحت يدي الملك» (بنو آساف)، او خدمة «المتنبئين على صوت الكنّارات لاجل الحمد والتسبيح للرب» (بنو يدوتون)، او خدمة «رائي الملك، ينفخون في البوق، لكلام الله» (بنو هيمان). وكان ابناء كل أسرة من الأسر الثلاث (آساف ويدوتون وهيمان) يخدمون «تحت يد ابيهم، للغناء في بيت الرب، بالصنوج والعيدان والكِنّارات». وتكون خدمة «بيت الله»، عادة «تحت يد الملك» وأيدي أرباب الأسر الثلاث (آساف ويدوتون وهيمان)(١٦٠).

- **خدمة الحراسة:** وقد وزعت هذه الخدمة على ٢٤ قرعة «على حد واحد، الصغير والكبير، والمعلم والتلميذ»، وطالت كل ابناء الأسر الثلاث(١٦١).

وقد وزعت حراسة «بيت الرب» الى:

أ - **حراسة الأبواب:** ويقوم بها «فرقة البوابين» الذين توزع عليهم الأبواب بالقرعة وفقاً للجهات الأربع، وكانت فرق البوابين من القورحيين (من بني آساف) أصلا، ثم من الحوسيين (من بني مراري) وبني عوبيد أدوم، واللاويين، وغيرهم. وكان البوابون يقومون بالحراسة صغيرهم ككبيرهم، «بحسب بيوت ابائهم، لكل من الابواب»، وكانت حراسة الأبواب تشمل المخازن والأروقة والمصاعد (اي الأدراج)(١٦٢).

ب - **حراسة خزائن بيت الله وخزائن الأقداس:** ويقوم بها اللاويون أصلا. وكانت خزائن الأقداس باشراف الملك نفسه ورؤوس الآباء ورؤساء الالوف والمئين ورؤساء الجيش، وكانت تضمن ما «قدّسوه من الحروب والغنائم لترميم بيت الرب» وكل ما «قدسه صموئيل الرائي وشاول بن قيس وابنير بن نير ويوآب بن صروية»، وكانت هذه المقدسات جميعها بيد «شلوميت بن العازر» واخوته، وقد أوكل الملك اليهم حراستها(١٦٣).

---

(١٦٠) العهد القديم ١أخ ٢٥: ١-٧.

(١٦١) م.ن. ١أخ ٢٥: ٩، وانظر: م.ن. ١أخ ٢٥: ٨-٣١.

(١٦٢) م.ن. ١أخ ٢٦: ١-١٩.

(١٦٣) م.ن. ١أخ ٢٦: ٢٠-٢٨.

ج ـ خدمات أخرى:

ـ للعمل الخارجي (كتبة و قضاة): لليصهاريين.

ـ لخدمة الرب والملك في عبر الأردن: للحبرونيين (حشبيا واخوته، وهم «ألف وسبعماية، ذوو بأس»).

ـ لخدمة الرب والملك في يعزيز جلعاد: للحبرونيين (يريّا واخوته، وهم «الفان وسبعماية، ذوو بأس»)[١٦٤].

توزيع الخدمات على الفرق:

كانت فرقة الخدمات موزعة على اثني عشر شهراً، برئاسة «رؤساء الآباء ورؤساء الالوف والمئين وكتبتهم الذين يخدمون الملك»، وكانت كل فرقة مؤلفة من ٢٤ الف رجل، وعليها رئيس من عشيرتها، او من سبطها، وكان لكل سبط رئيس[١٦٥]، فكان عديد الفرق جميعها: ١٢× ٢٤٠٠٠= ٢٨٨٠٠٠ رجل.

القيّمون على المرافق المهمة:

وقد عيّن الملك قيّمين على المرافق المهمة مثل:

ـ خزائن الملك، وعليها عزموت بن عديئيل.

ـ خزائن البلاد (في الحقول والمدن والضياع والحصون)، وعليها يوناثان بن عُزِّيًّا.

ـ فلاحي الأرض، وعليهم عزري بن كلوب.

كما عيّن قيّمين على الكروم وما فيها من خزائن الخمر، وعلى الزيتون والجمّيز، والبقر والجمال والحمير والغنم «كل هؤلاء رؤساء الأموال التي للملك داود»[١٦٦].

(١٦٤) م.ن. ١ اخ ٢٦: ٢٩ـ ٣٢.

(١٦٥) م.ن. ١ اخ ٢٧: ١ـ٢٢.

(١٦٦) م.ن. ١ اخ ٢٧: ٢٥ ـ ٣١.

وفي المراكز المهمة:

- يوناثان عم الملك، وهو رجل خبير وفقيه، واحيتوفَل[١٦٧] وحوشاي الأركي، صديق الملك، ويوياداع بن بنايا وأبياتار: مستشارو الملك.

- يحيئيل بن حكموني: مستشار ابناء الملك.

- يوآب بن صروية: قائد الجيش[١٦٨].

أبطال الحرب الاسرائيليون في عهد داود:

عدّ العهد القديم، من ابطال الحرب الاسرائيليين، في عهد داود، سبعة وثلاثين بطلا، وألصق بهم صفات بالغ فيها حتى جاوزت حد الاساطير واصبحت غير قابلة للتصديق، وفيما يلي اسماء هؤلاء «الأبطال» ونماذج من أعمالهم «الخارقة»:

١- إشبعل الحكموني (عدينو العَصْني)، وهو رئيس الثلاثة الذين كانوا مع داود، وقد قام على ثمانماية من اعدائه «فقتلهم بمرة واحدة».

٢- ألعازار بن دودو (الأحوحيّ)، قاتل جيشا من الفلسطينيين، وكان قومه قد هزموا أمامهم، فضربهم بالسيف حتى «كلت يده ولصقت بالسيف» وانتصر عليهم.

٣- شمة بن آجيء الهاراري: قاتل جيشا من الفلسطينيين الذين اجتمعوا قبالة الاسرائيليين، في حقل عدس، فهُزم الاسرائيليون امامهم، عندها وقف هذا «في وسط الحقل... وضرب الفلسطينيين» وهزمهم.

٤- أبيشاي بن صروية (ابن اخت داود واخو يوآب)، وهو رئيس الثلاثة، ولكنه لم يبلغ مرتبة الثلاثة الأولين، «أشرع رمحه على ثلاثمئة وقتلهم».

٥- بنايا بن يوياداع، كان له اسم بين الثلاثة الأولين، الا انه لم يبلغ مرتبتهم وان كان اشهر الثّلاثين. وقد قتل «بطلي مؤاب» كما قتل اسدا «في وسط جب يوم ثلج».

---

(١٦٧) ظل احيتوفل مستشارا لداود في أورشليم حتى غادرها بعد تمرد ابنه ابشالوم، فبقي احيتوفل فيها والتحق بابشالوم مستشارا له، الا ان تخلّي ابشالوم عن مشورته التي نصحه فيها بمطاردة ابيه فورا وعمله بمشورة حوشاي الاركي - كما سبق ان مر معنا - جعله يغادر أورشليم الى بلدته ويقدم على الانتحار (٢ صم ١٧: ٢٣).

(١٦٨) العهد القديم، ١أخ ٢٧: ٣٢ - ٣٤.

٦ـ عسائيل اخو يوآب، وهو من الثلاثين.

٧ـ ألحانان بن دودو، من بيت لحم.

٨ و٩ـ شمّة الحرَودي وأليقا الحَرودي.

١٠ و١١ـ حالص الفَلْطي وعَيرا بن عَقّيش التقوعي.

١٢ و١٣ـ أبيعازر العناتوتي وسبكاي الحوشي.

١٤ و١٥ـ صَلحون الأحوحي ومَهراي النطوفي.

١٦ و١٧ـ حالب بن بعنة النطوفي واتّاي بن ريباي «من جبع بني بنيامين».

١٨ و١٩ـ بنايا الفِرعَتوني وهِدّاي «من أودية جاعَش».

٢٠ و٢١ـ أبيعَلْبون العربَتي وعزموت البرحومي.

٢٢ و٢٣ و٢٤ـ ألَيحبا الشعلبوني وياشين الجوني.

٢٥ و٢٦ـ يوناثان بن شمة الهراري وأحيّام بن شارار الأراري.

٢٧ و٢٨ـ أليفالَط بن أحَسْباي (بن المعكي)، وأليعام بن أَحيتوفَل الجيلوني.

٢٩ و٣٠ـ حَصراي الكرملي وفَعراي الأربي.

٣١ و٣٢ـ يِجْال بن ناتان (من صوبة) وباني الجاديّ.

٣٣ و٣٤ـ صالق العمّوني ونحراي البئيروتي (حامل سلاح يوآب).

٣٥ و٣٦ـ عيرا اليِتري وجاريب اليِتري.

٣٧ـ أوريّا الحثي(١٦٩).

الا ان العهد القديم يقدم لنا، في سفر آخر، اللائحة نفسها تقريبا، مضافا اليها أسماء أخرى لم يرد ذكرها في هذه اللائحة(١٧٠).

---

(١٦٩) م.ن. ٢ صم ٢٣: ٨ـ ٣٩.

(١٧٠) م.ن. ١ اخ ١١: ١١ـ ٤٧.

احصاء بني اسرائيل في أواخر عهد داود:

أمر الملك داود قائد جيشه يوآب ان يطوف في «جميع اسباط بني اسرائيل، من دان الى بئر سبع» لكي يحصي عددهم، فاصطحب يوآب معه قادة الجيش، «فعبروا الأردن وبدأوا بعروعير... في وسط وادي جاد جهة يعزير، وأتوا الى جلعاد... ثم أتوا الى دان... وما حولها نحو صيدون. ثم أتوا الى حصن صور وجميع مدن الحويين والكنعانيين، ثم ذهبوا الى نقب يهوذا الى بئر سبع»[١٧١]. وعادوا بعد «تسعة اشهر وعشرين يوما» وكان عدد ما أحصاه داود وقادة جيشه، في هذه الجولة، من جميع اسباط بني اسرائيل، مليوناً وثلاثماية الف رجل «محارب مستل سيف»: ثمانماية الف رجل من اسرائيل وخمسماية الف من يهوذا[١٧٢]. ويذكر العهد القديم ان الرب ارسل بعد ذلك، وفي عهد داود، وباء في اسرائيل «فمات من الشعب ومن دان وبئر سبع، سبعون الف رجل»[١٧٣]، فيكون عدد القادرين على حمل السلاح قد أضحى، بعد هذا الوباء: مليوناً ومئتين وثلاثين الف رجل (او مليونا وثلاثماية الف نسمة، اذا اخذنا بالحسبان ما ورد في سفر الاخبار الاول. راجع الحاشية ١٧٢).

داود وصناعة السلاح:

لم يقدم لنا العهد القديم شيئا في هذا المجال، الا ان القرآن الكريم خصّ داود بآيات، مظهرا فضل الله عز وجل عليه في تعليمه استخدام الحديد لصنع الدروع والأسلحة، وهو أمر كان، قبل داود، حكرا على الفلسطينيين في ارض كنعان، كما سبق ان بينّا، فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ فَضْلاً، يا جِبالُ أَوِّبي مَعَهُ والطَّيْرَ، وأَلَنَّا لهُ الحَدِيدَ * أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّرْ في السَّرْدِ ...﴾(سبأ ٣٤/ ١٠ و ١١). ويبدو ان داود كان اول من صنع

---

(١٧٠) م.ن. ١اخ ١١: ١١ـ٤٧.

(١٧١) م.ن. ٢ صم ٢٤: ٢ـ٧.

(١٧٢) م.ن. ٢ صم ٢٤: ٨ـ٩، وقد ورد في موضع آخر من العهد القديم، ان يوآب أحصى مليونا وخمسماية وسبعين الف رجل «مستل سيف» منهم: مليون ومئة الف رجل من اسرائيل وأربعماية وسبعون الف رجل من يهوذا. هذا باستثناء اللاويين والبنياميين (العهد القديم. ١اخ ٢١: ٥ـ٦). الا اذا اعتبرنا ان السبعين الفا الذين زادوا في هذا الاحصاء هم اولئك الذين ماتوا بالطاعون في عهد داود (انظر: م.ن. ٢ صم ٢٤: ١٥).

(١٧٣) م.ن. ٢ صم ٢٤: ١٥.

الدروع، اذ كانت صفائح، فكان اول من سرّدها وحلّقها، أي جعلها حلقات (قتادة، في القرطبي)، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وسَخَّرْنـا مَعَ داودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ، وَالطَّيْرَ، وكُنَّا فَاعِلِينَ * وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِن بَأْسِكُمْ، فَهَل أَنْتُم شَاكِرونَ﴾(الانبياء ٧٩ و٨٠)، واللبوس هي الدرع، لانها تُلبس. ولتحصنكم من بأسكم: اي لتحميكم في حروبكم مع اعدائكم، والبأس هنا بمعنى الحرب او آلة الحرب، بعد حذف المضاف: آلة بأسكم (القرطبي)[١٧٤].

وقد سبق ان رأينا، في سياق البحث، ان السيوف لم تكن الا سلاح القادة في جيش اسرائيل (كما في عهد شاول) وان باقي الجيش كان مسلحا بالقسي والسهام والتروس والرماح والمقلاع (كشأن داود مع جليات)، وان تعبير «مستلي سيف» الذي يرد، غالبا، في نصوص العهد القديم، في سياق وصفه للمقاتلين من بني اسرائيل، لم يكن اكثر من نعت مجازي للدلالة على مقدرتهم وبأسهم في الحروب.

فهل يعقل، والحالة هذه، ان يجتاح العبرانيون ارض كنعان ويتغلبوا على شعوبها ويمتلكوا بلادا ومدنا يدمرونها ويفتكون بأهلها، وينتصروا على جيوش جرارة تاركين خلفهم، في معاركهم معها، اعدادا هائلة من القتلى، وهم غير مسلحين بأسلحة حديدية كالسيوف مثلا؟ وان يكونوا قد انتظروا مجيء داود ليعلمهم استخدام الحديد وصناعة الدروع والأسلحة؟

موت داود ومقتل قائد جيشه يوآب:

لما شعر داود بدنو اجله، دعا اليه ابنه سليمان وعهد اليه بالملك وأوصاه بالاقتصاص من قائد جيشه يوآب لما صنعه به و«بقائدي جيوش اسرائيل: أبنير بن نير وعماسا بن ياتَر، اذ انه قتلهما وسفك دماء الحرب في السلم»[١٧٥]، ثم توفي بعد ان كان قد ملك اربعين سنة: سبع سنين منها بحبرون والباقي بأورشليم[١٧٦]. وما ان تسلم سليمان الملك حتى

(١٧٤) سويد، ياسين، الفن العسكري الاسلامي، أصوله ومصادره، ص ٣٩. وقد سبق ان اوردنا هذه الآيات، مع تفسيرها، في الفصل الخامس من الباب الأول، فارجع إليه.

(١٧٥) العهد القديم، ١ مل ٢: ١ـ٥.

(١٧٦) م.ن. ١ مل ٢: ١١.

بادر الى تنفيذ وصية ابيه فأمر بقتل يوآب قائد الجيش «لانه ضرب رجلين أبّر وخيراً منه، وقتلهما بالسيف على غير علم من داود ابيه، وهما أبنير بن نير قائد جيش اسرائيل وعماسا بن ياتر قائد جيش يهوذا»[١٧٧]، واللافت ان داود لم يوص بقتل يوآب بسبب قتله لابنه ابشالوم في معركة «غابة افرائيم» رغم انه اوصاه وأوصى جنده رفقا بأبشالوم. وكلف سليمان «بنايا بن يوياداع» تنفيذ عملية الاعدام هذه، فبطش بنايا بيوآب و«قتله ودفن في بيته في البرية. وأقام الملك (سليمان) بنايا بن يوياداع مكانه على رأس الجيش»[١٧٨]. وكان حين تسلم سليمان الملك، قد مضى على خروج العبرانيين من مصر أربعماية وستة وسبعون(٤٧٦) عاما[١٧٩].

انقسام مملكة سليمان وقيام مملكتي يهوذا واسرائيل:

استقر الحكم للعبرانيين في ارض كنعان بعد ان استطاعوا القضاء على مقاومة الشعوب، اصحاب الارض، لهم، ولا سيما الفلسطينيين الذين ظلوا على نزاع مستمر معهم طيلة عهدي القضاة والملوك، الى آخر عهد الملك داود.

وتفرغ سليمان، منذ ان تسلم الحكم من ابيه، للبناء والاعمار، فكان اهم ما قام به بناء بيت الرب المسمى «هيكل سليمان» وبيت الملك، في أورشليم. وتوفي سليمان بعد ان حكم اربعين عاما[١٨٠].

ويبدو ان حروبا ذات اهمية لم تقع في عهد سليمان، ولكن أخطر ما حدث لمملكته بعد وفاته أنها انقسمت الى مملكتين: مملكة يهوذا، ومملكة اسرائيل.

ـ مملكة يهوذا، وفيها سبطا يهوذا وبنيامين (ثم انضم اليهم السواد الأعظم من اللاويين). وقد حكمها «رحبعام بن سليمان» وجعل «أورشليم» عاصمة لملكه.

(١٧٧) م.ن. ١ مل ٢: ٣٢.

(١٧٨) م.ن. ١ مل ٢: ٣٤: ٣٥.

(١٧٩) م.ن. ١ مل ٦: ١.

(١٨٠) م.ن. ١ مل ١١: ٤٢.

ـ مملكة اسرائيل، وفيها الاسباط العشرة الباقون من بني اسرائيل، وقد حكمها «ياربعام بن نباط»[١٨١]، وكان قد تمرد على الملك سليمان ثم فر من وجهه الى مصر حيث احتضنه ملكها «شيشاق»، وما ان توفي سليمان حتى عاد ياربعام الى «شكيم» (نابلس) فجعلها عاصمة لملكه بعد انقسام مملكة سليمان، وأبقى على تحالفه مع ملك مصر، وقلّد مصر في عبادة الأصنام فصنع عجلين من ذهب جعل احدهما في «بيت ايل» والثاني في «دان»، ودعا شعبه لعبادتهما[١٨٢].

(١٨١) م.ن. ١ مل ١٢: ٢٩. ويذكر «آهاروني» تاريخ الانقسام في العام ٩٢١ ق.م. Aharoni, Op. Cit. P. 90 ويذكره بريتشارد في العام نفسه (Pritchard, Op. Cit. P. 104) ويبدو ان مملكة الشمال كان اسمها، في البدء، افرائيم، وكانت (شكيم) عاصمتها، الا انها اتخذت، بعد ذلك، وفي عهد الملك عمري، اسم (اسرائيل) واصبحت (السامرة) عاصمتها، ولكن العهد القديم، يدعوها، في مطلق الاحوال (اسرائيل) (Barnavi, Op. Cit. P. 20)

(١٨٢) العهد القديم، ١ مل١٢: ١ـ٢٩.

الباب الثالث

حروب المملكتين

الفصل الأول: الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل.

الفصل الثاني: الحروب بين المملكتين واهل البلاد.

الفصل الأول

الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل

رغبة في تسهيل قراءة الأحداث التي جرت في المملكتين اليهوديتين، رأينا ان نحاول وضع جدول باسماء الملوك الذين حكموا كلا منهما، مع مدة حكم كل ملك والسنة التي بدأ ملكه فيها، وذلك من خلال ما ورد في سفري الملوك الاول والثاني، وفقا لما يلي:

الجدول الأول: وهو جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل وفقا لما ورد في العهد القديم، (سفري الملوك الاول والثاني). وقد وضعنا هذا الجدول استنادا الى العهد القديم وحسبناه بالطريقة التالية:

ـ تحديد تاريخ موت سليمان وانقسام المملكة: وجدنا اسانيد متباينة في هذا المجال منها:

١ـ الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢ ص٤٨٩: يذكر الدبس، نقلاً عن المؤرخ «باتو»، ان حكم ياربعام الاول (ملك اسرائيل) بدأ عام ٩٧٥ ق. م. وكذلك ما نقله عن المؤرخ «وينر»، أما ما نقله عن المؤرخ «كلينتون» فهو ان حكم ياربعام بدأ عام ٩٧٦ ق. م. وياربعام هو أول ملك لاسرائيل بعد موت سليمان وانقسام المملكة. وقد استبعدنا هذه الآراء لعدم اتفاقها مع آراء معظم الباحثين.

٢ـ موسوعة «كييه Quillet» الفرنسية: وقد جاء فيها ان الملك سليمان مات عام ٩٣٥ ق.م.

٣ـ الباحث اليهودي «آهاروني Aharoni» وفريق من الباحثين، في كتابهم: «أطلس مكميلان للتوراة The Macmillan Bible Atlas» ص ٩٠ حيث ورد ان المملكة العبرية انقسمت عام ٩٢٨ ق.م.

٤ ـ الباحث اليهودي «ايلي برنافي E. Barnavi" وفريق من الباحثين، في كتابهم «التاريخ العالمي لليهود، Histoire universelle des Juifs" ص ١٧، حيث ورد ان الملك سليمان مات عام ٩٢٨ ق.م.

٥ـ الباحث «برنارد ويلّرفال B. Willerval" وفريق من الباحثين، في كتابهم «التسلسل المصور لاحداث التاريخ العالمي Chronologie illustrée de L'histoire" universelle" ص ٤٠، حيث ورد ان الملك سليمان مات عام ٩٣١ ق.م.

٦ـ موسوعة «دائرة المعارف البريطانية The New Encyclopedia Britannica" جـ٢٥: ٤٠٦، وقد جاء فيها ان مُلْك سليمان بدأ في منتصف القرن العاشر ق.م. دون تحديد العام الذي بدأ فيه هذا المُلك او انتهى به.

٧ـ الموسوعة العالمية Encylopaedia universalis"، وقد جاء فيها ان الملك سليمان مات عام ٩٣٠ ق.م.

٨ ـ العهد القديم، الطبعة الفرنسية La Sainte Bible, ancien et nouveau" testaments وقد ورد في ص ٣٨٦ من العهد الجديد "nouveau testament, P. 386" ان انقسام المملكة العبرية كان عام ٩٢٣ ق.م.

أمام هذه التواريخ المتباينة في تأريخ موت سليمان وانقسام مملكته، كان علينا ان نختار تاريخا محددا لنبدأ منه الجدول الذي نعدّه، وقد اخترنا العام ٩٣٠ ق.م.

ولقد كان من الممكن ان نضع هذا الجدول دون تحديد السنوات لبداية حكم كل ملك وانتهائه، كما فعل العديد من الباحثين في هذا المجال، الا اننا آثرنا تحديد هذه السنوات

لنبين مدى ما يجده الباحث من صعوبةٍ، بل استحالةٍ، في نقل ما ورد في العهد القديم الى حيّز الواقع، والى صعوبةٍ، بل استحالةٍ، اعتماد العهد القديم كمستند علمي صحيح وموثوق لكتابة التاريخ، كما سيتبين لنا من الجدول المرفق.

الجدول الأول (أ)

محاولة لوضع جدول يبين الفترة الزمنية لحكم كل من الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل

(المستند: العهد القديم، سفرا الملوك الاول والثاني) [1]

أ ـ مملكة يهوذا (أورشليم)					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس:		المستند
			١ ـ مدة ملكه	٢ ـ بدء حكم ملك اسرائيل	
ـ رحبعام بن سليمان	ـ بعد موت سليمان مباشرة	١٧ سنة	٩٣٠ـ٩١٤	٩١٣ـ٩١١	١ مل ١٤: ٢١
ـ أبيا او (أبيام) بن رحبعام	ـ في السنة ١٨ لملك ياربعام باسرائيل.	٣ سنوات	٩١٤ـ٩١٢	٩١١ـ٨٧١	١ مل ١٥: ١و٢
ـ آسا بن أبيا (او أبيام)	ـ في السنة ٢٠ لملك ياربعام باسرائيل	٤١ سنة	٩١٢ـ٨٧٢	—	١ مل ١٥: ٩و١٠
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	٨٧١ـ٨٤٧	—
يوشافاط بن آسا	في السنة الرابعة لملك آحاب باسرائيل	٢٥ سنة	٨٧٢ـ٨٤٨	—	١ مل ٢٢: ٤١و٤٢
=	—	—	—	—	—
=	—	—	—	٨٤٨ـ٨٤١	—
يورام بن يوشافاط	في السنة الخامسة لملك يورام باسرائيل	٨ سنوات	٨٤٨ـ٨٤١	٨٤١ـ٨٤٠	ـ٢ مل ٨: ١٦و١٧
أحزيا بن يورام	في السنة ١٢ لملك يورام باسرائيل(٤)	سنة واحدة	٨٤١ـ٨٤٠	٨٤٠ـ٨٣٤	ـ٢ مل٨: ٢٥و٢٦ و٢مل٩: ٢٩
عتليا أم أحزيا	بعد مقتل ابنها أحزيا	٧ سنوات	٨٤٠ـ٨٣٤		ـ٢ مل ١١: ٤و٢٠

الجدول الأول (ب)

محاولة لوضع جدول يبين الفترة الزمنية لحكم كل من الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل

(المستند: العهد القديم، سفرا لملوك الاول والثاني)(١)

ب ـ مملكة اسرائيل (السامرة) او ترصة او شكيم او يزرعيل					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس:		المستند
			١ ـ مدة ملكه	٢ ـ بدء حكم ملك يهوذا	
ياربعام بن نباط الافرائيمي	بعد موت سليمان مباشرة(٢)	٢٢ سنة	٩٣٠ـ٩٠٩		١ مل ١٤:٢٠
=	—	—	—	—	—
ناداب بن ياربعام	في السنة الثانية لملك آسا بيهوذا	سنتان	٩٠٩ـ٩٠٨	٩١١ـ٩١٠	١ مل ١٥:٢٥
بعشا بن احيّا	في السنة الثالثة لملك آسا بيهوذا	٢٤ سنة	٩٠٨ـ٨٨٥	٩١٠ـ٨٨٧	١ مل ١٥:٣٣
ايلة بن بعشا		سنتان	٨٨٥ـ٨٨٤	٨٨٧ـ٨٨٦	١ مل ١٦:٨
زمري (عبد ايلة)		٧ ايام	٨٨٤ـ٨٨٤	٨٨٦ـ٨٨٦	١ مل:١٥
عُمري (قائد الجيش)	في السنة ٢٦ لملك آسا بيهوذا				
وتبني بن جينت	في السنة ٢٧ لملك آسا بيهوذا	٥ سنوات	٨٨٤ـ٨٨٠	٨٨٦ـ٨٨٢	١ مل ١٦: ٢١و٢٢
عُمري (٣)		٧ سنوات	٨٨٠ـ٨٧٤	٨٨٢ـ٨٧٦	١مل١٦:٢٣
آحاب بن عمري	في السنة ٢٧ لملك اسا بيهوذا	٢٢ سنة	٨٧٤ـ٨٥٢	٨٧٥ـ٨٥٤	١ مل ١٦:٢٩
=	في السنة ٣١ لملك آسا بيهوذا	—	—	—	—
=	في السنة ٣٨ لملك آسا بيهوذا	—	—	—	—
احزيا بن أحاب	—	سنتان	٨٥٣ـ٨٥٢	٨٥٦ـ٨٥٥	١ مل ٢٢:٥٢
	—				
يورام بن أحاب	في السنة ١٧ لملك يوشافاط بيهوذا	١٢ سنة	٨٥٢ـ٨٤١	٨٥٥ـ٨٤٤	٢ مل ٣:١
=	في السنة ١٨ لملك يوشافاط بيهوذا	—	—	—	—
=		—	—	—	—
ياهو بن يوشافاط بن نمشي (قائد الجيش).	—	٢٨ سنة	٨٤١ـ٨١٤	٨٤٤ـ٨١٧	٢ مل ١٠:٣٦
	—				
	بعد قتله ليورام بن احاب				

الجدول الأول (تابع)

محاولة لوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفرا الملوك الأول والثاني)

أـ مملكة يهوذا (أورشليم)

اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس: ١ـ مدة ملكه	٢ـ بدء حكم ملك اسرائيل	المستند
يواش بن أحزيا	في السنة ٧ لملك ياهو باسرائيل	٤٠ سنة	٧٩٥ـ٨٣٤	٧٩٦ـ٨٣٥	٢مل ١٢:١
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
امصيا بن يواش	في السنة الثانية لملك يواش باسرائيل	٢٩ سنة	٧٦٧ـ٧٩٥	٧٦٩ـ٧٩٦	٢ مل ١٤: ١و٢
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
عزريا (عزيا) بن امصيا	في السنة ٢٧ لملك ياربعام باسرائيل(٥)	٥٢ سنة	٧١٦ـ٧٦٧	٧٠٦ـ٧٥٧	٢ مل ١٥: ١و٢
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
يوتام بن عزريا	في السنة ٢ لملك فاقح باسرائيل	١٦ سنة	(٧)٧٠١ـ٧١٦	٧١٧ـ٧٣٢	٢ مل ١٥: ٣٢و٣٣
آحاز بن يوتام	في السنة ١٧ لملك فاقح باسرائيل	١٦ سنة	٦٨٦ـ٧٠١	٧٠٢ـ٧١٧	٢ مل ١٦: ١و٢
=	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ	ــــ
حزقيا بن آحاز*	في السنة ٣ لملك هوشع باسرائيل	٢٩ سنة	٦٥٨ـ٦٨٦	٦٨٤ـ٧١٢	٢مل ١٨: ١ و٢
منسى بن حزقيا	ــــ	٥٥ سنة	٦٠٤ـ٦٥٨	٦٣٠ـ٦٨٤	٢ مل ٢١: ١
آمون بن منسى	ــــ	سنتان	٦٠٢ـ٦٠٤	٦٢٩ـ٦٣٠	٢ مل ٢١: ١٩
يوشيا بن آمون	ــــ	٣١ سنة	٥٧٢ـ٦٠٣	٥٩٩ـ٦٢٩	٢ مل ٢٢: ١
يواحاز بن يوشيا	ــــ	٣ أشهر	٥٧٢ـ٥٧٣	٥٩٩ـ٥٩٩	٢ مل ٢٣: ٣١

الجدول الأول (تابع)

محاولة لوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفرا الملوك الأول والثاني)

ب ـ مملكة اسرائيل (السامرة) او ترصة او شكيم او يزرعيل					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس: ١ـ مدة ملكه	٢ـ بدء حكم ملك يهوذا	المستند
ياهو بن يوشافاط نمشي (قائد الجيش)	بعد قتله ليورام بن آحاب	٢٨ سنة	٨١٤-٨٤١	٨١٧-٨٤٤	٢مل ١٠:٣٦
يواحاز بن ياهو	في السنة ٢٣ لملك يواش بيهوذا	١٧ سنة	٧٩٨-٨١٤	٧٩٦-٨١٢	٢ مل ١٣:١
يواش بن يواحاز	في السنة ٢٧ لملك يواش بيهوذا	١٦ سنة	٧٨٢-٧٩٨	٧٨٢-٧٩٨	٢ مل ١٣:١٠
=	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ
ياربعام بن يواش (الثاني)	في السنة ١٥ لملك أمصيا بيهوذا	٤١ سنة	٧٤٢-٧٨٢	٧٤١-٧٨١	٢ مل ١٤:٢٣
=		ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ
زكريا بن ياربعام	ـــــــ	٦ اشهر	٧٤٣-٧٤٣	٧٣٠-٧٣٠	٢ مل ١٥:٨
شلوم بن يابيش(٦)	في السنة ٣٨ لملك عزريا بيهوذا	شهر واحد	٧٤٣-٧٤٣	٧٢٩-٧٢٩	٢ مل ١٥:١٣
منحيم بن جادي	في السنة ٣٩ لملك عزريا بيهوذا	١٠ سنوات	٧٣٤-٧٤٣	٧٢٠-٧٢٩	٢ مل ١٥:١٧
فقحيا بن منحيم	في السنة ٣٩ لملك عزريا بيهوذا	سنتان	٧٣٣-٧٣٤	٧١٧-٧١٨	٢ مل ١٥:٢٣
فاقح بن رمليا	في السنة ٥٠ لملك عزريا بيهوذا(٧)	٢٠ سنة	٧١٤-٧٣٣	٦٩٧-٧١٦	٢ مل ١٥:٢٧
=	في السنة ٥٢ لملك عزريا بيهوذا	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ
=	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ
هوشع بن ايلة	ـــــــ	٩ سنوات		٦٨١-٦٩٠	٢ مل ١٧:١(٨)

(*) «وفي السنة السادسة لحزقيا (ملك يهوذا) التي هي السنة التاسعة لهوشع ملك اسرائيل. استولى (شلمناصر، ملك آشور) على السامرة، وجلا ملك آشور اسرائيل الى آشور، وأسكنه في حلاج وعلى الخابور. نهر جوزان. وفي مدن ميدياء (٢ مل ١٨: ١٠و ١١).

الجدول الأول (تابع)

محاولة لوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفرا الملوك الأول والثاني)

أ ـ مملكة يهوذا (أورشليم)					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس: ١ ـ مدة ملكه	٢ ـ بدء حكم ملك اسرائيل	المستند
الياقيم (اويواقيم) بن يوشيا	ــــــــ	١١ سنة	٥٦٣ـ٥٧٣	٥٨٩ـ٥٩٩	٢مل ٢٣: ٢٤و٣٦
يوياكين بن يواقيم	ــــــــ	٣ اشهر	٥٦٣ـ٥٦٣	٥٨٩ـ٥٨٩	٢ مل ٢٤: ٨
متنيا (صدقيا) عم يواقيم(٥٥)	ــــــــ	١١ سنة	٥٥٣ـ٥٦٣	٥٧٩ـ٥٨٩	٢ مل ٢٤: ١٧و١٨
جدليا بن احيقام بن شافان(٥٥٥)	ــــــــ	٧اشهر	٥٥٣ـ٥٥٣(٩)	٥٧٨ـ٥٧٩	٢ مل ٢٥: ٢٢و٢٥(١٠)

(٥٥) «وفي السنة التاسعة لملكه... (صدقيا) زحف نبوكد نصر ملك بابل، هو وجميع جيوشه، على اورشليم، وعسكر عندها وبنى حولها تحصينات. فصارت المدينة تحت الحصار الى السنة الحادية عشرة لملك صدقيا» (٢ مل ٢٥: ١و٢). ثم «أحرق (نبوكدنصر) بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم...» (٢ مل ٢٥: ٩).

(٥٥٥) «واما من بقي من الشعب في أرض يهوذا، ممن أبقاهم نبوكد نصر، ملك بابل، فولّى عليهم جدليا بن أحيقام بن شافان» (٢ مل ٢٥: ٢٢).

هوامش الجدول الأول:

(١) ـ اعتمدنا، في تأريخ فترة حكم كل ملك، القاعدة التالية:

١ ـ على اساس مدة ملكه: حسبان سنوات الحكم لكل ملك، ناقص واحد (السنة الاخيرة) التي ظلت مشتركة بينه وبين الملك الذي خلفه، حيث دخلت هذه السنة في حساب الاخير، مثلا:

ـ حكم الملك ابيًا بن رحبعام (يهوذا)، بعد أبيه رحبعام، مدة ٣ سنوات. وبما اننا قدرنا ان حكم ابيه قد انتهى عام ٩١٤ (حكم ١٧ سنة من تاريخ ٩٣٠ ق. م. حتى تاريخ ٩١٤ ق. م. أي: ٩٣٠ ـ (١٧ ـ ١) = ٩١٤)، فان حكمه يكون قد بدأ عام ٩١٤ ق. م. وانتهى عام ٩١٢ ق. م. (اي: ٩١٤ ـ (٣ـ١) = ٩١٢ ق. م). وهكذا الى آخر ملوك يهوذا (او اسرائيل).

٢ـ على أساس بدء حكم قرينه في مملكة اسرائيل(او يهوذا): حسبان سنوات الحكم لكل ملك (من يهوذا) وفقا للسنة التي بدأ فيها حكمه بالنسبة الى قرينه في المملكة الاخرى (اسرائيل) ناقص واحد، حيث ظلت السنة الاخيرة مشتركة بينه وبين الملك الذي يليه، ودخلت في حساب الاخير، مثلا:

ـ بدأ حكم الملك أبيًا بن رحبعام (يهوذا) في السنة ١٨ من حكم ياربعام باسرائيل، وبما ان حكم ياربعام بدأ عام ٩٣٠ ق. م.، فان حكم أبيًا بدأ عام: ٩٣٠ ـ (١٨ـ١) = ٩١٣ ق.م. وانتهى في العام ٢٠ من حكم ياربعام، اي عام ٩١٣ (٣ – ١)= ٩١١ ق. م. وهكذا الى آخر ملوك يهوذا، ويعاد الامر نفسه لملوك اسرائيل بالنسبة الى حكم ملوك يهوذا.

وقد تبين لنا، من خلال هذه العملية الحسابية الصحيحة، في رأينا، انه يستحيل التوفيق، او المطابقة، بين سنوات الحكم لكل ملك (من المملكتين) على أساس مدة ملكه، وبين سنوات حكمه على أساس بدء حكم قرينه في المملكة الاخرى، وهكذا نجد ان حكم ابيًا (في يهوذا) بدأ عام ٩١٤ ق. م. على الاساس الاول وعام ٩١٣ ق.م. على الاساس الثاني، وهكذا بالنسبة الى سائر ملوك يهوذا (واسرائيل)، كما يظهر واضحا في الجدول. وتظهر الفروقات كبيرة وواضحة بين سنوات الحكم لباقي الملوك في الجدول كذلك، مما يؤكد لنا عقم محاولة التوفيق بين هذين الاساسين في أية عملية حسابية كما يؤكد لنا عدم امكان اعتماد مرويات العهد القديم (في هذا المجال على الاقل) اساسا صالحا لحساب التأريخ الصحيح لحكم كل ملك من ملوك يهوذا واسرائيل، ويظل الامر، في نظرنا، تقديرا يعتمد على الحس والمنطق فقط.

(٢) ـ يبدو ان ياربعام قد أعلن رغبته في الاستيلاء على الملك قبل موت سليمان بفترة وجيزة، مما أدى الى مطاردته من قبل سليمان اذ تراءى له النبي (أحيا الشيلوني) وبشره بان مملكة سليمان سوف

تنقسم على نفسها وانه سيكون ملكا على اسرائيل (١ مل ١١: ٢٦ - ٣٢)، فأعلن رغبته في الاستيلاء على الملك، وكان سليمان لا يزال على عرش مملكته «والتمس سليمان قتل ياربعام، فقام وهرب الى مصر، الى شيشاق، ملك مصر، ومكث في مصر الى وفاة سليمان»(١ مل ١١: ٤٠).

(٣) - جاء في العهد القديم، بعد موت زمري: «حينئذ انقسم شعب اسرائيل شطرين: شطر من الشعب تبع تِبني بن جينت ليقيمه ملكا، والشطر الآخر تبع عُمْري. وقوي الشعب الذي مع عُمري على الشعب الذي مع تِبني بن جينت فمات تِبني وملك عمري. في السنة الحادية والثلاثين لآسا، ملك يهوذا، ملك عمري على اسرائيل اثنتي عشرة سنة. ملك في ترصة ست سنين» (١ مل ١٦: ٢١ - ٢٣)، فيكون عمري قد ملك، بالاشتراك مع تبني خمس سنوات، من عام ٢٧ حتى عام ٣١ لملك آسا، ملك يهوذا، ثم ملك لوحده سبع سنوات، من عام ٣١ حتى عام ٣٨ لملك آسا، حيث ملك آحاب ابنه، بعد ذلك. فيكون مجموع ملك عمري: ١٢ سنة منها ٦ سنوات بترصة والباقي بالسامرة.

(٤) - ورد في العهد القديم (٢ مل ٨: ٢٥) انه «في السنة الثانية عشرة ليورام بن آحاب ملك اسرائيل، ملك أحزيا بن يورام على يهوذا»، ثم ورد في الكتاب نفسه (٢مل ٩: ٢٩) انه «في السنة الحادية عشرة ليورام بن آحاب كان أحزيا قد ملك على يهوذا».

(٥) - يبدو ان التطابق في سنوات الملك بين زكريا بن ياربعام وعزريا بن أمصيا غير ممكن وفقا لما ورد في العهد القديم. فقد ورد ان زكريا تسلم الملك في اسرائيل في السنة ٣٨ لملك عزريا بيهوذا، وان عزريا تسلم الملك في يهوذا في السنة ٢٧ لملك ياربعام الثاني بن يواش باسرائيل، فاذا حاولنا تطبيق ذلك على ما حصلنا عليه من حساب السنوات كما هو وارد في الجدول يتبين لنا ما يلي:

- بدأ ملك زكريا بن ياربعام عام ٧٤٣ ق. م. (وفقا للجدول)، ولكن اذا حسبنا سنة بدئه الملك بالنسبة الى مُلك عزريا، ملك يهوذا، نجد انه بدأ ملكه عام ٧٣٠ ق. م.، أي بفارق ١٢ عاما عن الرقم الوارد في الجدول (وقد وجد بريتشارد حلا لهذه المشكلة في جدوله الوارد في ص ٢٠ من كتابه «اطلس العالم التوراتي Atlas du monde biblique» بأن حسب مدة حكم ياربعام الثاني ٢٩ سنة وليس ٤١ سنة كما ورد في العهد القديم).

- بدأ ملك عزريا عام ٧٦٧ ق. م. (وفقا للجدول)، ولكن اذا حسبنا سنة بدئه المُلك بالنسبة لمُلك ياربعام ملك اسرائيل نجد انه بدأ ملكه عام ٧٥٧ ق. م.، أي بفارق عشر سنوات عن الرقم الوارد في الجدول.

(٦) - ورد في العهد القديم ان مُلك منحيم بن جادى (اسرائيل) بدأ عام ٣٩ لملك عزريا بن أمصيا

(يهوذا) وانتهى عام ٥٠ لمُلك عزريا، وقد حكم منحيم عشرة أعوام. فاذا حسبنا المدة الواقعة بين (٣٩ و٥٠) نجد انها تبلغ ١٢ عاما، مع حساب العامين، الاول والاخير (٣٩ و ٥٠).

(٧) - ورد في العهد القديم ان مُلك يوتام بن عزريا (يهوذا) بدأ عام ٢ لمُلك فاقح ابن رمليا (اسرائيل) وانتهى عام ١٧ لمُلك فاقح، وقد حكم ١٦ عاما. فاذا حسبنا المدة الواقعة بين ٢ و١٧ نجد انها لا تجاوز الـ ١٥ عاما رغم حساب العامين ٣ و١٧. كما انه، وفقا لما ورد في العهد القديم (٢ مل ٥ ١: ٣٢و٣٣)، يجب ان يكون حكم يوتام قد بدأ عام ٧٢٦ ق. م. وليس عام ٧١٦ ق. م.، أي يفارق عشرة أعوام، والا فان الملكين لا يلتقيان في فترة زمنية واحدة. الا اننا نجد، في العهد القديم، (٢مل٥ ١: ٣٠) ان هوشع بن ايلة (ملك اسرائيل) ملك مكان فاقح بن رمليا «في السنة العشرين ليوتام بن عزيا» ملك يهوذا، ثم نجد، في مكان آخر من السفر نفسه (٢مل٥ ١: ٣٣) ان يوتام نفسه «ملك ست عشرة سنة» فقط. وقد اعتمدنا الرأي الأخير في جدولنا.

(٨) - ان مجموع سنوات الملك في اسرائيل، بحسب السفرين المذكورين اعلاه، هو ٢٥٢ سنة، فاذا حسمنا، من هذا المجموع، السنوات المشتركة بين الملوك والتي تبلغ ١٢ سنة، وحسمنا ايضا ٨ سنوات (في حال اعتبار السنة التي يتحدث عنها العهد القديم سنة قمرية)، يصبح مجموع سنوات الملك في اسرائيل ٢٣٢ سنة، فيكون انتهاء مملكة اسرائيل، وفقا لهذا الحساب، وهو عام ٦٩٨ ق. م. غير مطابق للتاريخ المتداول والمتعارف عليه لسقوط مملكة اسرائيل بيد شلمناصر وهو عام ٧٢١ ق.م.

(٩) - لا شك في ان التواريخ التي حصلنا عليها في آخر الجدول والتي تبين نهاية مملكة يهوذا (عام ٥٥٣ ق. م.) ونهاية مملكة اسرائيل (عام ٧٠٦ ق. م) هي غير مطابقة للواقع، وذلك وفقا لرأي معظم الباحثين الذين يرون ان نهاية مملكة يهوذا كانت عام ٥٨٧ ـ٥٨٦ ق. م. وان نهاية مملكة اسرائيل كانت عام ٧٢٢ ـ ٧٢١ ق. م.

(١٠) - ان مجموع سنوات الملك في يهوذا، بحسب سفري الملوك الاول والثاني، هو ٢٩٥ سنة. فاذا حسمنا، من هذا المجموع، السنوات المشتركة بين الملوك والتي تبلغ ١٦ سنة، وحسمنا ايضا ١٣ سنة (في حال اعتبار السنة التي يتحدث عنها العهد القديم سنة قمرية)، يصبح مجموع سنوات الملك بيهوذا ٢٦٦ سنة، فيكون انتهاء مملكة يهوذا، وفقا لهذا الحساب، وهو عام ٥٦٤ ق. م.، غير مطابق للتاريخ المتداول والمتعارف عليه لسقوط اورشليم بيد نبوخذنصر (نبوكدنصر) (عام ٥٨٦ق.م).

الجدول الثاني: جدول يبين الملوك الذين حكموا في مملكتي يهوذا واسرائيل مع تبيان مدة ملك كل منهم وذلك وفقا للموسوعة العالمية "Encyclopaedia Universalis" (بحث كتبه: ج. ناهون).

مملكة يهوذا (أورشليم) (١)				مملكة اسرائيل (السامرة) (١)			
اسم الملك	تاريخ الملك	مدة الملك	المدة بحسب العهد القديم	اسم الملك	تاريخ الملك	مدة الملك	المدة بحسب العهد القديم
رحبعام	٩١٧_٩٣٠	١٣ سنة	١٧ سنة	ياربعام	٩١٣_٩٣٠	١٧ سنة	٢٢ سنة
ابيًا	٩١٥_٩١٧	٢ سنتان	٣ سنوات	ناداب	٩١٠_٩١٣	٣ سنوات	سنتان
آسا	٨٧٥_٩١٥	٤٠ سنة	٤١ سنة	بعشا	٨٨٦_٩١٠	٢٤ سنة	٢٤ سنة
يوشافاط	٨٥٠_٨٧٥	٢٥ سنة	٢٥ سنة	ايلة	٨٨٥_٨٨٦	٢ سنتان	٢ سنتان
يورام	٨٤٤_٨٥٠	٦ سنوات	٨ سنوات	زمري	٨٨٥_٨٨٥	٧ شهور	٧ شهور
أحزيا	٨٤٢_٨٤٤	٢ سنتان	سنة واحدة	عمري	٨٧٦_٨٨٥	٩ سنوات	١٢ سنة
عتليا	٨٣٦_٨٤٢	٦ سنوات	٦ سنوات	آحاب	٨٥٣_٨٧٦	٢٣ سنة	٢٢ سنة
يواش	٧٩٧_٨٣٦	٣٩ سنة	٤٠ سنة	احزيا	٨٥٢_٨٥٣	٢ سنتان	٢ سنتان
امصيا	٧٨٠_٧٩٧	١٨ سنة	٢٩ سنة	يورام	٨٤٢_٨٥٢	١٠ سنوات	١٢ سنة
عزريا (اوعزيا)	٧٤٠_٧٨٠	٤٠ سنة	٥٢ سنة	ياهو	٨١٣_٨٤٢	١٩ سنة	٢٨ سنة
يوتام	٧٣٥_٧٤٠	٥ سنوات	١٦ سنة	يواحاز	٨٠٠_٨١٣	١٤ سنة	١٧ سنة
آحاز	٧٢٢_٧٣٥	١٤ سنة	١٦سنة	يواش	٧٨٥_٨٠٠	١٥ سنة	١٦ سنة
حزقيا	٦٩٢_٧٢٢	٣٠ سنة	٢٩ سنة	ياربعام الثاني	٧٤٤_٧٨٥	٤٠ سنة	٤١ سنة
منسى	٦٤٢_٦٩٢	٥٠ سنة	٥٥ سنة	زكريا	٧٤٣_٧٤٤	٣ شهور	٦ شهور
آمون	٦٤٠_٦٤٢	٢ سنتان	٢ سنتان	شلّوم	٧٤٣_٧٤٣	شهر واحد	شهر واحد
يوشيا	٦٠٨_٦٤٠	٣٢ سنة	٣١ سنة	منحيم	٧٣٦_٧٤٣	٧ سنوات	١٠ سنوات
يواحاز	٦٠٨_٦٠٨	٣ شهور	٣ شهور	فقحيا	٧٣٥_٧٣٦	٢ سنتان	٢ سنتان
الياقيم (يوياقيم)	٥٩٨_٦٠٨	١١ سنة	١١ سنة	فاقح	٧٣٠_٧٣٥	٦ سنوات	٢٠ سنة
يوياكين	٥٩٨_٥٩٨	٣ شهور	٣ شهور	هوشع	٧٢٢_٧٣٠	٨ سنوات	٩ سنوات

N, B. Encyclopaedia "Universalis" Vol. 9. PP. 527 - 528, article: Judaïsme, Histoire des Hebreux, Par G. NAHON.

(١) قارنا بين مدة حكم كل ملك كما وردت في العهد القديم وكما وردت في الموسوعة.

ويثير ناهون، في بحثه، مسألة صحة التأريخ لاحداث ذلك العصر فيقول: «بداية، يثير التأريخ مشكلة، وعمليا، تأكد التأريخ بشيء من الدقة بدءا من العام الالف قبل الميلاد، أي في عهد سليمان (حيث نجد، لذلك، توافيق أشورية ومصرية). وقد بنى سليمان المعبد، بحسب سفر الملوك الأول (١ مل ٦: ١) عام ٤٨٠ بعد الخروج من مصر، ويتوافق هذا التاريخ مع العام ٩٧٠ ق. م، ولكن الخروج من مصر قد تم عام ١٤٥٠ ق. م. وهو تاريخ لا يتوافق مع حساب السنوات منذ بدء الخليقة، بحسب سفر التكوين (عام ١٣١٢ ق. م هو تاريخ الخروج وفقاً للحسابات الرابينية (الحاخامية) التقليدية، ولا مع نتائج الحفريات التي جرت في ارض كنعان (فتوح يشوع في مطلع القرن الثالث عشر ق. م.)، اذ انه لم يحكم مصر، عام ١٤٥٠ ق. م.، أي فرعون باسم رعمسيس، بينما نجد ان احدى المدن التي بناها العبرانيون المسترقّون قد سميت بهذا الاسم (العهد القديم، خر ١: ١١). ونحسب ان التأريخات التوراتية، كباقي التأريخات القديمة الأخرى، لا تهدف الى اعادة بناء حسابية للزمن بقدر ما تهدف الى تأويله».

(Nahon, Ibid, P. 531 PP. 526, 531)

معلومات عن التقويم اليهودي(*): يستند هذا التقويم الى الدورتين الشمسية والقمرية، ففي التقويم اليهودي المستعمل حاليا، يحسب اليوم من غروب شمس اليوم الأول الى غروبها في اليوم التالي، ويتضمن الاسبوع ٧ ايام، والشهر ٢٩ او ٣٠ يوما، والسنة ١٢ شهرا قمريا ونحو ١١ يوما، (او ٣٥٣ او ٣٥٤ او ٣٥٥ يوما).

ولكي يتطابق هذا التقويم مع التقويم السنوي الشمسي يجب اضافة شهر ثالث عشر من ٣٠ يوما، على السنوات ٣و٦و٨و ١١و ١٤و١٧و١٩، وذلك في الدورة المؤلفة من ١٩ سنة. لذلك، فان السنة اليهودية «الكبيس» تراوح بين ٣٨٣ و٣٨٥ يوما.

وقد قدم العديد من علماء اليهود، منذ القرن التاسع الميلادي، تواريخ مختلفة لبداية الكون او خلق العالم، تراوح جميعها بين ٣٧٦٢ و٣٧٥٨ ق. م. ، ولكن التاريخ الذي يعتبره عامة اليهود صحيحا ومقبولا لبداية خلق الكون هو ٧ تشرين الأول عام ٣٧٦١ ق. م. ومع

(*) المرجع: Encyclopedia britannica
T1, p.430, T3, P.289 and T 6, P. 546.

ذلك، فان الشك يطال جميع هذه التواريخ التي تظل تستخدم رغم عدم التأكد من صحتها، لدى الكثير من أحبار اليهود، كاشارة لتأكيد تمسكهم بالتقليد اليهودي.

ومنذ ان بدأ الشعب اليهودي يؤرخ على اساس سنة بدء الخليقة (Anno Mundi) في القرن التاسع الميلادي، بدأت التناقضات تظهر في النصوص التوراتية، وكذلك التقلبات في حسابات الأحبار اليهود، مما أدى الى الوقوع في حسابات غير مضبوطة. حتى انه، عندما أرّخت التوراة عهد الملوك، بعد الشتات، كان من الصعب تضبيط هذا التأريخ على جداول ملوك آخرين في الفترة نفسها(*).

(*) المرجع: Encyclopedia Britannica T1P. 430.

الجدول الثالث

ملوك يهوذا واسرائيل

من الانشقاق (٩٣٣) حتى نهاية مملكة الشمال (٧٢٢ ـ ٧٢١ ق.م) وسقوط اورشليم (٥٨٧ ق.م.)

كما ورد في الترجمة العربية للكتاب المقدس، العهد القديم (ص١٩ ـ ٢١).

مملكة يهوذا (أورشليم)		مملكة اسرائيل (السامرة)	
اسم الملك	تاريخ الملك	اسم الملك	تاريخ الملك
رحبعام	٩٣٣_٩١٦	ياربعام الاول	٩٣٣_٩١١
أبيّام	٩١٥_٩١٣	ناداب	٩١١_٩١٠
آسا	٩١٢_٨٧١	بعشا	٩١٠_٨٨٧
يوشافاط	٨٧٠_٨٤٦(١)	إيلة	٨٨٧_٨٨٦
يورام	٨٤٨_٨٤١	زمري	٨٨٦
أحزيا	٨٤١	عمري	٨٨٦_٨٧٥
عتليا	٨٤١_٨٣٥	آحاب	٨٧٥_٨٥٣
يواش	٨٣٥_٧٩٦	أحزيا	٨٥٣_٨٥٢
أمصيا	٨١١_٧٨٢(٢)	يورام	٨٥٢_٨٤١
عزريا	٧٨١_٧٤٠	ياهو	٨٤١_٨١٤
يوتام	٧٤٠_٧٣٥	يواحاز	٨٢٠_٨٠٣(٣)
آحاز	٧٣٥_٧١٦	يواش	٨٠٣_٧٨٧
حزقيا	٧٣٠_٦٨٧(٤)	ياربعام الثاني	٧٨٧_٧٤٧
منسى	٦٨٧_٦٤٢	زكريا	٧٤٧
آمون	٦٤٢_٦٤٠	شلّوم	٧٤٧_٧٤٦
يوشيا	٦٤٠_٦٠٩	منحيم	٧٤٦_٧٣٧
يواحاز	٦٠٩	فقحيا	٧٣٧_٧٣٥
يواقيم (الياقيم)	٦٠٩_٥٩٨	فاقح	٧٣٥_٧٣٢
يوياكين	٥٩٨_٥٩٧	هوشع	٧٣٢_٧٢٤
صدقيا	٥٩٧_٥٨٧	سقوط السامرة	٧٢٢_٧٢١
سقوط أورشليم والقبض على صدقيا وخراب الهيكل.	٥٨٧		

هوامش الجدول الثالث

(١) - ورد في النص «وملك يوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لآحاب ملك اسرائيل... وملك في اورشليم خمسا وعشرين سنة» (١ مل ٢٢: ٤١ و٤٢) وقد حدد العهد القديم (٢ مل ٨: ١٦) تاريخ نهاية ملك يوشافاط بتاريخ بداية ملك خلفه يورام،وهو ما لم يتقيد به واضعو الجدول.

(٢) - ورد في النص «وفي السنة الثانية ليواش بن يواحاز، ملك اسرائيل، ملك أمصيا بن يواش، ملك يهوذا... وملك تسعا وعشرين سنة في اورشليم» (٢ مل ١٤: ١و٢). ولا ندري على ماذا اعتمد محققو تواريخ الملوك في هذا الجدول كي يضعوا بدء ملك أمصيا عام ٨١١ بينما هو، وفقا لحساب السنوات الوارد ذكرها في النص، عام ٨٠١، كما ان مُلك يواش على يهوذا قد استمر أربعين عاماً (٢مل١٢: ١و٢). ورغم اعتقادنا بان خطأ مطبعيا ادى الى استبدال ٨١١ بـ ٨٠١، يظل الفارق بين انتهاء ملك يواش (عام ٧٩٦) وبدء ملك أمصيا (عام ٨٠١) خمس سنوات، اي ان ملك أمصيا قد بدأ قبل انتهاء ملك يواش بخمس سنوات، وهذا غير منطقي البتة.

(٣) - ورد في النص «وفي السنة الثالثة والعشرين ليواش بن أحزيا، ملك يهوذا، ملك يواحاز بن ياهو على اسرائيل في السامرة، سبع عشرة سنة» (٢ مل١٣: ١) وهذا يعني ان بدء حكم يواحاز في اسرائيل كان عام ٨١٢ وليس عام ٨٢٠ كما ورد في الجدول.

(٤) - ورد في النص «وفي السنة الثالثة لهوشع بن ايلة، ملك اسرائيل، ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا... وملك تسعا وعشرين سنة في أورشليم» (٢ مل١٨: ١و٢) الا ان حساب بدء ملك حزقيا استنادا الى بدء ملك هوشع (عام ٧٣٢) لا يستقيم، اذ يكون ملك حزقيا قد بدأ قبل انتهاء ملك آحاز بأربعة عشر عاما وهذا غير منطقي البتة.

الجدول الرابع

ملوك يهوذا واسرائيل كما أوردهم المؤرخ «بريتشارد» في كتابه «اطلس العالم التوراتي» ص ٢٠ ـــ ٢١.

(Pritchard, J. B. Atlas du Monde Biblique, P. 20- 21)

وضع المؤرخ بريتشارد وفريق من الباحثين جدولا يحدد تاريخ حكم كل ملك من ملوك يهوذا واسرائيل على الشكل التالي:

ملوك يهوذا	تاريخ الملك	ملوك اسرائيل	تاريخ الملك
ـ رحبعام	٩١٣ـ٩٣١	ياربعام الاول	٩١٠ـ٩٣١
ـ أبيّام	٩١١ـ٩١٣	ناداب	٩٠٩ـ٩١٠
ـ آسا	٨٧٠ـ٩١١	بعشا	٨٨٦ـ٩٠٨
ـ يوشافاط	٨٤٨ـ٨٧٠	إيلة	٨٨٥ـ٨٨٦
ـ يورام	٨٤١ ـ٨٤٨	زمري	٨٨٥
ـ أحزيا	٨٤١	عمري	٨٧٤ـ٨٨٥
ـ عتليا	٨٣٥ـ٨٤١	آحاب	٨٥٣ـ٨٧٤
ـ يواش	٧٩٦ـ٨٣٥	أحزيا	٨٥٢ـ٨٥٣
ـ عزريا (أمصيا)	٧٦٧ـ٧٩٦	يورام	٨٤١ ـ٨٥٢
ـ عزريا (عزيا)(١)	٧٤٠ـ٧٦٧	ياهو	٨١٤ـ٨٤١
ـ يوتام	٧٣٢ـ٧٤٠	يواحاز	٧٩٨ـ٨١٤
ـ آحاز	٧١٦ـ٧٣٢	يواش	٧٨٢ـ٧٩٨
ـ حزقيا	٦٨٧ـ٧١٦	ياربعام الثاني(٤)	٧٥٣ـ٧٨٢
ـ منسى (٢)	٦٤٣ـ٦٨٧	زكريا	٧٥٢ـ٧٥٣
ـ امون	٦٤١ ـ٦٤٣	شلّوم	٧٥٢
ـ يوشيا	٦٠٩ـ٦٤١	منحيم	٧٤٢ـ٧٥٢
ـ يواحاز	٦٠٩	فقحيا	٧٤٠ـ٧٤٢
ـ يواكيم (الياقيم او يوياقيم)	٥٩٨ـ٦٠٩	فاقح(٤)	٧٣٢ـ٧٤٠
ـ صدقيا(٣)	٥٨٦ـ٥٩٧	هوشع	٧٢٣ـ٧٣٢

هوامش الجدول الرابع:

(١) - ورد في العهد القديم (٢ مل ١٥: ١و٢) ان عزريا (او عزيا) بن أمصيا قد ملك طيلة ٥٢ سنة، ولكن هذا الجدول اختصر فترة ملك عزريا هذه الى ٢٧ سنة بدلا من ٥٢ سنة.

(٢) - ورد في العهد القديم (٢ مل ٢١: ١) ان منسى قد ملك طيلة ٥٥ سنة، ولكن هذا الجدول اختصر فترة ملك منسى هذه الى ٤٤ سنة بدلا من ٥٥ سنة.

(٣) - لم يظهر، في الجدول، اسم (يوياكين) الذي ملك في يهوذا لمدة سنة (٥٩٨-٥٩٧ ق.م) بعد يوياقيم (او يواكيم) وقبل صدقيا.

(٤) - يبدو ان فترة ملك ياربعام الثاني قد اختصرت في هذا الجدول الى ٣٠ سنة بدلا من ٤١ سنة كما وردت في العهد القديم (٢ مل ١٤: ٢٣). كما يبدو ان خطأ مطبعيا وقع في الجدول (Pritchard, P. 20) حيث ذكر ان فترة ملك فاقح استمرت من عام ٧٥٢ حتى عام ٧٣٢ ق.م. الا انها وردت، في مكان آخر من الكتاب نفسه، انها استمرت من عام ٧٤٠ حتى عام ٧٣٢ ق.م. (Pritchard, P. 105).

الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل[*]:

يبدو، من مراجعة سفري الملوك (الاول والثاني)، ان الحروب بين مملكتي يهوذا واسرائيل لم تهدأ الا في فترات محدودة ومتقطعة، فقد كانت بين رحبعام (ملك يهوذا) وياربعام (ملك اسرائيل) حرب «كل الايام»[1]. ورغم ان العهد القديم لم يشر، بالتفصيل، الى أية حرب جرت بينهما، بل يذكر ان رحبعام حشد، لقتال ياربعام، جيشا من ١٨٠ الف رجل «منتخبين، رجال حرب»، لكن الرب نهاه عن ذلك، فأذعن، هو وجنده «لكلام الرب، وعادوا ممتثلين لأمر الرب»[2]، ولم يذكر بعدها أية حرب بين الملكين. الا ان أبيّا (او أبيّام) بن رحبعام، خليفة أبيه رحبعام في ملك يهوذا، اشار، عندما نهد الى حرب ياربعام، الى حرب جرت بين أبيه وبين هذا الاخير، فقال ان رجالا «لا خير فيهم تافهون» اجتمعوا الى ياربعام «وتغلبوا على رحبعام بن سليمان، وكان رحبعام فتى ضعيف القلب فلم يثبت أمامهم»[3]. وكما كانت الحرب بين أبيا ورحبعام، فقد كانت، بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا (ملك اسرائيل) حرب «كل أيامهما»[4]. وتبدو لنا الصورة جلية عندما نرى ان حكم كل من هؤلاء الملوك قد امتد زمنا طويلا، فقد حكم رحبعام وأبيّا وآسا مملكة يهوذا طيلة ٦١ عاماً، وحكم ياربعام وبعشا مملكة اسرائيل طيلة ٤٦ عاماً. كما يبدوا ان الحكم، في مملكة اسرائيل خصوصاً، قد تعرّض لانقلابات عسكرية عديدة ناجحة كان أهمها: الانقلاب الذي قام به (عمري) قائد الجيش في عهد إيلة بن بعشا، ضد (زمري) عبد ايلة (وكان هذا قام بانقلاب ضد سيده فقتله وملك مكانه)، والانقلاب الذي قام به (ياهو بن يوشافاط) قائد الجيش في عهد (يورام بن آحاب)، إذ انقلب ياهو على مليكه فقتله وملك مكانه[5]. بالاضافة الى عمليات دموية أخرى، كاغتيال شلّوم بن يابيش لزكريا بن ياربعام، واغتيال منحيم بن جادى لشلّوم بن يابيش، واغتيال فاقح بن رمليا لفقحيا بن منحيم واغتيال هوشع بن ايلة لفاقح بن رمليا، وغيرها[6].

(*) تقيدنا، في هذا الفصل، بالتواريخ الواردة في المراجع التي استندنا اليها، مستنيرين بالجداول التي اوردناها في مطلع الفصل.

(١) العهد القديم، ١ مل ١٤: ٣٠ و ١ مل ١٥: ٦.

(٢) م.ن. ١ مل ١٢: ٢١ ـ ٢٤، و«كفوا عن الخروج على ياربعام» (٢ اخ ١١: ٤).

(٣) م.ن. ٢ اخ ١٣: ٧.

(٤) م.ن. ١ مل ١٥: ١٦.

(٥) م.ن. ١ مل ١٦: ٨ ـ ٢٢، و٢ مل ٩: ٥ ١ ـ ٣٠.

(٦) م.ن. ٢ مل ١٥: ٨ ـ ٣٠.

I ـ الحرب بين أبيّا بن رحبعام (ملك يهوذا) وياربعام (الاول) بن نباط الافرائيمي (ملك اسرائيل):

معركة جبل صمارائيم:

حشد أبيّا، لقتال ياربعام، اربعمئة الف رجل «أبطال حرب... منتخبين»، وحشد ياربعام، في مواجهته ثمانماية الف رجل «منتخبين، من ابطال بأس»[7].

المعركة:

اتخذ أبيّا مواقع لجيشه على جبل «صمارائيم» في جبل «افرائيم»، ثم توجه مخاطبا بني اسرائيل لعله يستطيع ان يعيدهم الى عبادة رب اسرائيل والتخلي عن عبادة «عجول الذهب» التي صنعها لهم ياربعام «آلهة»[8]. في هذه الاثناء كان ياربعام يعدّ العدة لمفاجأة خصمه بمناورة بارعة وهي ارسال قوى للالتفاف من وراء جيشه ومهاجمته من الخلف، بينما يقوم هو بمهاجمته من أمام، فيجعله بين نارين، حيث يكون هو وجيشه «قدام يهوذا، والكمين وراءهم»[9].

وبينما كان أبيّا مستغرقا في توجيه النصح لاعدائه ان «هوذا الله معنا، رئيسا لنا». ومناديا بني اسرائيل ان «لا تحاربوا الرب اله أبائكم فانكم لا تنجحون»[10] اذا به يفاجأ بالاعداء وقد احاطوا بجنده «من امامهم ومن خلفهم». وكعادة بني اسرائيل في كل ساعة ضيق، «صرخوا الى الرب ونفخ الكهنة في الابواق» فاذا برب اسرائيل يضرب «ياربعام وكل اسرائيل أمام أبيّا ويهوذا» ويقتل منهم «خمس مئة ألف رجل»، وينهزم ياربعام وجيشه أمام أبيّا وجيشه، ويطارد أبيّا فلول جيش ياربعام فيحتل عدة مدن لاسرائيل ومنها «بيت ايل وتوابعها، ويشانة وتوابعها، وعفرائين وتوابعها» بينما لم يقوَ ياربعام، بعد ذلك، على تحمل نتائج الهزيمة «وضربه الرب فمات»[11].

ولم يذكر لنا العهد القديم عدد قتلى بني يهوذا، وكعادة العهد القديم في كل معركة تقريبا، نرى رب اسرائيل يتدخل باستمرار في القتال لصالح شعبه فينصره ويهزم اعداءه، ولو كان هؤلاء الاعداء من بني اسرائيل كما هي الحال في هذه المعركة.

---

٧) م.ن. ٢ اخ ١٣: ٣.
(٨) م.ن. ٢ اخ ١٣: ٤ـ ٨.
(٩) م.ن. ٢ اخ ١٣: ١٣.
(١٠) م.ن. ٢ اخ ١٣: ١٢.
(١١) م.ن. ٢ اخ ١٣: ١٤ـ ٢٠.

II ـ الحرب بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا (ملك اسرائيل)[١٢].

كان جيش آسا مسلحا بالتروس والرماح، وكان يعد ثلاث مئة الف من يهوذا، ومئتين وثمانين الفا من بنيامين «ممن يحملون التروس ويشدون القسيّ كل هؤلاء أبطال باس»[١٣]. وأراد بعشا ان يحصّن مدينة الرامة في أرض يهوذا، على التخوم بين المملكتين، فنقل الحجارة والاخشاب وبدأ تحصينها، وفي نيته ان يمنع بني يهوذا من الوصول الى آسا مليكهم، بحيث «لا يدع احدا (منهم) يخرج او يدخل» اليه. وكان ذلك في السنة السادسة والثلاثين من ملك آسا[١٤].

وكان آسا على عهد تحالف مع «بَنْهَدَدَ بن طبرمّون بن حزيون» (او بنهدد الاول ٩٠٠ ـ ٨٦٠ ق. م) ملك آرام في دمشق، وكان بنهدد، كذلك، على عهد مع بعشا ملك اسرائيل، فأرسل آسا اليه الهدايا من الفضة والذهب من «خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك»، وكتب اليه يقول: «ان بيني وبينك وبين ابي وابيك عهدا، وها انذا مرسل اليك هدية فضة وذهبا، فهلم وانقض عهدك مع بعشا ملك اسرائيل فينصرف عني»[١٥]. فاستجاب بنهدد لطلب آسا ووجه جيوشه الى اسرائيل حيث دخلها من الشمال وتقدم، محققا انتصارات، الى دان فحاصور حتى بحر الجليل[١٦]، فضرب مدنها «عِيّون ودان وآبل بيت معكة، وكل كنّاروت مع كل أرض نفتالي»[١٧]، عندها توقف بعشا عن تحصين الرامة واقام بترصة، بينما توجه آسا الى الرامة فنقل حجارتها وأخشابها وحصّن بها «جبع بنيامين والمصفاة»[١٨] ويبدو ان الرب صب جام غضبه على آسا لانه استعان باجنبي على بني قومه فضربه «ومرض آسا في رجليه في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه... ومات في السنة الحادية والاربعين من ملكه[١٩]». (انظر الخارطة رقم ١٧)

(١٢) Pritchard, Atlas du monde Biblique P. 104 - 105

(١٣) م.ن. ٢ اخ ١٤: ٨.

(١٤) م.ن. ١ مل ١٥: ١٧ و ٢ اخ ١٦: ١.

(١٥) م.ن. ١ مل ١٥: ١٨ـ ١٩ و ٢ اخ ١٦: ٢ـ٣.

(١٦) Pritchard Op.Cit. P. 104.

(١٧) م.ن. ١ مل ١٥: ٢٠، ووردت في سفر الاخبار الثاني «فضربوا عيّون ودان وآبل مائيم وجميع مخازن مدن نفتالي» (٢ اخ ١٦: ٤).

(١٨) م.ن. ١ مل ١٥: ٢١ ـ ٢٢، ووردت في سفر الاخبار الثاني (٢ أخ ١٦: ٥ـ ٦): جبع والمصفاة.

(١٩) م.ن. ٢ اخ ١٦: ٧ـ ١٣.

خارطة رقم ١٧: الحرب بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا (ملك اسرائيل)

الشمال
صور
البحر الكبير
(البحر المتوسط)
عيون
دان
آبل بيت معكة
أرام
حاصور
عكا
كناروت
الجليل
دور
مجدو
بيت شان
جلعاد
مملكة
إسرائيل
ترصة
السامرة
شكيم
سكوت
فنوئيل
جبع
الرامة
أورشليم
مملكة
يهوذا

إحتلال بعشا (ملك إسرائيل) للرامة
حملة بنهدد الأول (ملك أرام) على الجليل
إنسحاب جيش بعشا عن الرامة
إستعادة آسا (ملك يهوذا) للرامة
١٠ ٢٠ كم

بعد موت آسا، تسلم ابنه يوشافاط مقاليد الملك في يهوذا، وكان ابوه قد استظهر على اسرائيل وانتزع منها «مدن افرائيم» فوضع يوشافاط في هذه المدن، وفي باقي «مدن يهوذا المحصنة»، جيشا، وأقام فيها محافظين[٢٠]. وقد عزز يوشافاط جيشه طيلة مدة ملكه، فبلغ ذلك الجيش مليونا ومائة وستين الف رجل «رجال حرب أبطال بأس» كما وصفهم العهد القديم، وكانوا موزعين كما يلي:

- من يهوذا: ٣٠٠ الف بقيادة الرئيس عَدْنه ومعه «رؤساء الوف».
- ويليه: ٢٨٠ الفاً بقيادة الرئيس يوحانان.
- ويليه: ٢٠٠ الف «بقيادة عمسيا بن زكري.
- من بنيامين: ٢٠٠ الف «مسلحون بالقسيّ والتروس» بقيادة الياداع
- ويليه: ١٨٠ الفا «مجهزون للحرب «بقيادة يوزاباد».

فيكون المجموع: ١,١٦٠ مليونا ومائة وستين الف رجل، باستثناء «الذين جعلهم الملك في المدن المحصنة في كل يهوذا»[٢١].

وقد تمت، في عهد يوشافاط بن آسا، ملك يهوذا، وآحاب بن عمري، ملك اسرائيل، مصاهرة بين المملكتين، اذ صاهر يوشافاط آحاب، ثم أقاما تحالفاً عسكرياً بينهما ضد ملك آرام فقاتلاه متحدين في راموت جلعاد[٢٢] كما سنبين فيما بعد.

وقد تجدد التحالف بين المملكتين، بعد ذلك، في عهد أمصيا بن يواش، ملك يهوذا، ويواش بن يواحاز، ملك اسرائيل، الى درجة ان أمصيا كان يستأجر جندا من رجال يواش يقاتلون الى جانبه في الحروب، فقد استأجر من اسرائيل «مئة الف بطل بأس، بمئة قنطار من الفضة» عندما قرر مهاجمة بني سعير[٢٣]. وقد عزز أمصيا جيشه حتى بلغ ثلاثماية الف رجل «منتخبين، يخرجون الى الحرب ويحملون الرمح والترس»[٢٤].

---

(٢٠) م.ن. ٢ اخ ١٧: ١-٢.
(٢١) م.ن. ٢ اخ ١٧: ١٤-١٩.
(٢٢) م.ن. ٢ اخ ١٨: ١-٣ و٢٨-٣٤.
(٢٣) م.ن. ٢ اخ ٢٥: ٦-١٢.
(٢٤) م.ن. ٢ اخ ٢٥: ٥.

III ـ الحرب بين أمصيا بن يواش (ملك يهوذا) ويواش بن يواحاز (ملك اسرائيل):

معركة بيت شمس:

الا ان الخلاف دب بين أمصيا ويواش فتواعدا للقتال عند بيت شمس من أرض يهوذا، وزحفا بجيشهما الى موقع المعركة حيث تواجه الجيشان فهزم أمصيا وجيشه أمام يواش وجيشه، وفر جنود يهوذا الى خيامهم بينما طارد يواش ملك اسرائيل، أمصيا ملك يهوذا، حتى اذا ما قبض عليه اقتاده الى أورشليم عاصمته (عاصمة يهوذا) فهدم اسوارها «من باب أفرائيم الى باب الزاوية على أربعمئة ذراع» وأخذ «كل الذهب والفضة وجميع الآنية التي وجدت في بيت الله... وخزائن بيت الملك، ورهائن»، ثم اطلق سراح أمصيا وعاد الى السامرة[٢٥]. وقد عاش أمصيا، بعد موت يواش بن يواحاز، ملك اسرائيل، خمسة عشر عاما استمر، خلالها، ملكا على يهوذا[٢٦]، ولكن مؤامرة دبرت ضده في أورشليم فهرب الى لاكيش حيث تبعه المتآمرون وقتلوه فيها[٢٧].

الحرب بين فاقح بن رمليا (ملك اسرائيل) وآحاز بن يوتام (ملك يهوذا) واحتلال أورشليم:

في السنة السابعة عشرة من مُلك فاقح بن رمليا لاسرائيل، ملك احاز بن يوتام على يهوذا، وكان سنّه لا يزيد على العشرين، وقد هاجمه ملك آرام المقيم في دمشق فهزمه وأسر «جمعا عظيما» من أهله وساقهم الى دمشق[٢٨]. واغتنم فاقح بن رمليا، ملك اسرائيل، فرصة ضعف آحاز وهزيمته امام الملك الآرامي فهاجمه، بدوره في أورشليم، وهزمه، وقتل من بني يهوذا «مئة وعشرين الفا، في يوم واحد، كلهم ذوو بأس»[٢٩]. كما سبى بنو اسرائيل، من اخوتهم (بني يهوذا) «مئتي الف من النساء والبنين والبنات» وسلبوا «غنائم كثيرة»، وأتوا بسبيهم هذا الى السامرة عاصمتهم[٣٠].

---

(٢٥) م.ن. ٢اخ ٢٥: ١٧ ـ ٢٤.
(٢٦) م.ن. ٢اخ ٢٥: ٢٥.
(٢٧) م.ن. ٢اخ ٢٥: ٢٧.
(٢٨) م.ن. ٢اخ ٢٨: ١ ـ ٥.
(٢٩) م.ن. ٢اخ ٢٨: ٦.
(٣٠) م.ن. ٢اخ ٢٨: ٨.

ويبدو ان فئة من بني اسرائيل استعابت على نفسها ان تقود بني قومها سبايا وأسرى، ومن هؤلاء جماعة من رؤساء بني افرائيم رفضت ان يدخل نساء بني يهوذا وبناتهم السبايا، وكذلك بنوهم المسبيّون، السامرة، على هذا الشكل وبهذا الخزي، فغلب رأيهم هذا رأي المتشددين الذين يقودون السبي والسلب، مما جعل هؤلاء يذعنون لرأي حكمائهم، فأخذوا السبي «وألبسوا من السّلب جميع العراة بينهم، وكسوهم وألبسوهم أحذية وأطعموهم وسقوهم ودهنوهم، وحملوا جميع العرجان منهم على حمير، وجاؤوا بهم الى أريحا مدينة النخل، الى أخوتهم، ثم رجعوا الى السامرة»[٣١].

بعد هذه الهزيمة الكاسحة التي تلقاها بنو يهوذا على يد الآراميين ثم على يد اخوتهم من بني اسرائيل، تجرأ عليهم أهل تلك البلاد فهاجمهم الأدوميون وضربوهم وأخذوا منهم أسرى، ثم هاجمهم الفلسطينيون «في مدن السهل ونقب يهوذا» واحتلوا «بيت شمس وأيّالون وجديروت وسوكو وتوابعها، وثمنة وتوابعها، وجمزو وتوابعها» واستوطنوا تلك الديار[٣٢].

---

(٣١) م.ن. ٢ اخ ٢٨: ١١ـ١٥، ويذكر العهد القديم ان نبيا للرب اسمه «عوديد» أنّب بني اسرائيل على سبيهم لاخوتهم من بني يهوذا ونصحهم باعادة السبي الى دياره كي لا يغضبوا الرب اله ابائهم، ففعلوا (م.ن. اخ ٢٨: ٩ـ١١).

(٣٢) م.ن. ٢ اخ ٢٨: ١٧ـ١٨.

الفصل الثاني

الحروب بين المملكتين واهل البلاد(*)

لم يكن الحال مستقرا في فلسطين بين الغزاة العبرانيين الذين استوطنوا بلادا ليست لهم، بل اغتصبوها وطردوا اهلها منها واقاموا فيها لهم مملكة انشطرت، بعد موت سليمان، الى شطرين: يهوذا واسرائيل.

ومع نشوب الحرب بين المملكتين الشقيقتين من حين لآخر، كان العبرانيون يخوضون، الى جانب ذلك، حروبا أخرى هي حروبهم مع اهل البلاد الأصليين الذين لم يعترفوا بالاحتلال العبراني لبلادهم وظلوا يقاومونه.

ومن هذه الحروب: حربهم مع الآراميين والمؤابيين والأدوميين (بني سعير) والفلسطينيين والعمونيين. وقد أقام العبرانيون في مناطق الهضاب، بينما كان الآراميون في الشمال، والعمونيون والمؤابيون والأدوميون يقيمون في شرقي البلاد.

I ـ الحروب بين العبرانيين والآراميين:

كان الآراميون يقطنون سوريا الداخلية ويتخذون من دمشق عاصمة لهم، وكانت حدودهم تمتد جنوبا حتى شمال فلسطين حيث كانوا يخاصمون العمونيين ثم العبرانيين في منافسة مستمرة للسيطرة على «عبر الأردن» وخصوصا «باشان وجلعاد». وقد تمكن الآراميون في القرن التاسع ق. م. وبقيادة ملكهم «حزائيل»، من السيطرة على القسم الأكبر من سوريا وفلسطين[1] من ارض كنعان.

(*) تقيدنا، في هذا الفصل، بالتواريخ الواردة في المراجع التي استندنا اليها، مستنيرين بالجداول التي أوردناها في مطلع الفصل الأول

(١) Pritchard, Atlas du monde Biblique, P. 70

وقد جرت بين الآراميين والعبرانيين في مملكتي يهوذا واسرائيل حروب عديدة اهمها تلك التي وردت في العهد القديم وهي:

١ـ الحرب بين بنهدد الأول ملك آرام وبعشا ملك اسرائيل: وقد سبق ان تحدثنا عن هذه الحرب في الفصل الأول من هذا الباب (II ـ الحرب بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك اسرائيل)، وكان بنهدد فيها نصيرا لآسا ملك يهوذا، فهاجم اسرائيل واحتل قسما منها[٢].

٢ـ الحرب بين بنهدد الثاني ملك آرام (٨٦٠ ــ ٨٤٣ ق. م) وآحاب ملك اسرائيل (٨٧٤ـ٨٥٣ ق. م):[٣]

خلف بنهدد الثاني اباه بنهدد الأول في ملك آرام بدمشق عام ٨٦٠ ق. م.، وكان قد تولى عرش اسرائيل عام ٨٧٤ ق. م. آحاب بن عمري، خلفا لوالده.

أ ـ حصار السامرة: قرر بنهدد حصار السامرة (عاصمة اسرائيل)، فجمع جيشا من خيل ومراكب وعلى رأسه ٣٢ ملكا، وسار من دمشق الى راموت جلعاد فسكوت، ثم اجتاز الأردن وصعد الى السامرة وأوقع عليها الحصار، وارسل الى آحاب (ملك اسرائيل) رسلا يطلبون اليه الاستسلام وتسليم كل ما لديه من فضة وذهب وزوجات وبنين حسان[٤] وكذلك بان يفتش عبيد بنهدد بيت الملك آحاب ويأخذون منه كل ما يقع تحت عيونهم ويشتهونه[٥]. فجمع آحاب رجال الرأي والمشورة من قومه واستشارهم في الأمر، فأشاروا عليه بالتمنع والرفض، وعاد رسل بنهدد بجواب آحاب الى مليكهم الذي امر بتشديد الحصار على المدينة، وأخذ يستعد لقتال اسرائيل. واستمر الحصار على السامرة حتى اكل اهلها الحمير وزبل الحمام، وصار رأس الحمار «بثمانين من الفضة»، وحتى اكلت النساء اولادها،[٦] عندها قرر آحاب مبادرة بنهدد بالقتال. ويذكر العهد القديم ان نبيا تقدم من آحاب وأشار عليه ببدء القتال ووعده بالنصر، ونصحه ان يبعث، في طليعة الجيش، «فتيان رؤساء الاقاليم»، وكانوا ٢٢٠ رجلا، لكي ينشبوا القتال مع الآراميين، ويرسل

---

(٢) انظر ١ مل ١٥ و٢ أخ ١٦.

(٣) Pritchard, Op. Cit. P. 70

(٤) العهد القديم، ١ مل ٢٠: ١ـ٣، وانظر Pritchard, Op.Cit. P. 104

(٥) م.ن. ١ مل ٢٠: ٦.

(٦) م.ن. ١ مل ٢٠: ١٣ـ١٩ و ٢ مل ٦: ٢٤ـ٢٩.

خلفهم جيش اسرائيل وكان عديده ٧ آلاف رجل، فجمع آحاب فتيان رؤساء الاقاليم واوفدهم للقتال وأرسل الجيش خلفهم. وكان بنهدد قد آوى الى خيمته، عند الظهيرة، وجمع الملوك حوله، وهم يشربون ويسكرون[٧].

وأُخطر بنهدد بخروج نفر من رجال السامرة باتجاه معسكره، فلم يكترث، وأمر بالقاء القبض عليهم عند وصولهم، وسوقهم اليه أحياء، وتابع، مع الملوك، الشرب والسكر. واقترب فتيان رؤساء الاقاليم من المعسكر، والجيش وراءهم، وفوجئ بنهدد بجند اسرائيل ينقضون عليهم ويقتل كل رجل منهم من يلتقيه من رجال الآراميين «فهرب الآراميون واتبّعتهم اسرائيل»، اما بنهدد فقد استطاع الهرب «على فرس مع الفرسان». وهاجم جيش اسرائيل، وآحاب على رأسه، معسكر الآراميين «وضرب آرام ضربة عظيمة»[٨].

ب ـ موقعة افيق: ويبدو ان بنهدد لم يرض بالهزيمة وقرر منازلة آحاب في السهل بعد ان هُزم أمامه في جبال السامرة، فجمع، بعد عام من حصاره للسامرة، جيشا كذلك الذي جمعه في المعركة السابقة «خيلا كالخيل السابق ومركبات كالمركبات السابقة» وعزل الملوك وعيّن، بدلا منهم، قادة الجيش ثم سار الى «أفيق» لمحاربة آحاب[٩]. وما ان علم آحاب بمسير بنهدد لقتاله في أفيق حتى أعد للقائه جيشا من مملكته، وسار به الى سهل افيق حيث عسكر قبالة جيش بنهدد، وحيث بدا جيش اسرائيل، في مواجهة جيش آرام، كأنه «قطيعان صغيران من المعز» مقابل الآراميين الذين كانوا «قد ملأوا الأرض»[١٠].

واستمر الجيشان في معسكريهما، الواحد مقابل الآخر، طيلة ستة ايام، لم يتقدم أي منهما لقتال الآخر، الا ان الحرب «التحمت» في اليوم السابع، اذ بادر آحاب خصمه بهجوم مفاجئ استطاع خلاله، ان يقتل «مئة الف راجل» من جيش آرام «في يوم واحد»[١١] بينما هرب الباقون ودخلوا مدينة «افيق» فسقط عليهم سورها وقتل من تبقى منهم وكانوا ٢٧

---

(٧) م.ن. ١مل ٢٠:١٢ـ١٦.

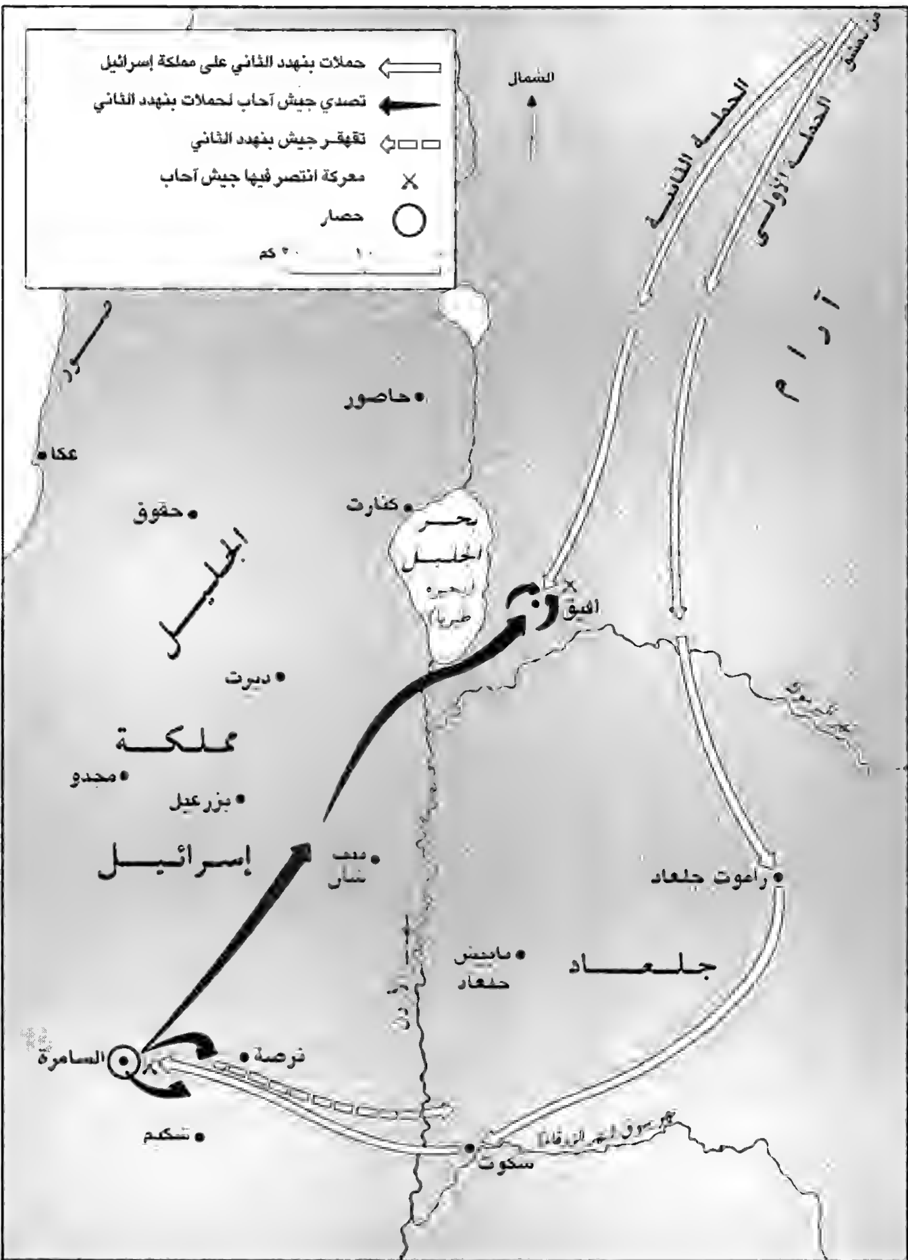
(٨) م.ن. ١مل ٢٠:١٧ـ ٢١.

(٩) م.ن. ١مل ٢٠: ٢٤ـ٢٦.

(١٠) م.ن. ١مل ٢٠:٢٧.

(١١) م.ن. ١مل ٢٠:٢٩.

خارطة رقم١٨: الحرب بين بنهدد الثاني ملك آرام و آحاب ملك إسرائيل



الف رجل[١٢]. اما بنهدد فقد فرّ متخفيا من مخبأ الى آخر في المدينة حتى اذا ما وجد ان لا مناص من الاستسلام ارسل لآحاب يعرض عليه ذلك، ويتوسل اليه ان يبقي على حياته لقاء تنازلات يقدمها اليه، فوافق آحاب على ذلك، واستسلم بنهدد ملك آرام لآحاب ملك اسرائيل، الذي أطلق سراحه لقاء ما يلي:

- ان يعيد الى آحاب المدن التي أخذها ابوه (بنهدد الأول) من عُمْري (ابي آحاب).

- ان يجعل للاسرائيليين أسواقا في دمشق كما سبق لبنهدد الاول ان فعل في السامرة[١٣].

ويذكر بريتشارد ان تحصينات بناها الاسرائيليون في مجدو وحاصور لمواجهة الآراميين[١٤].

(انظر الخارطة رقم ١٨).

٣ - الحرب بين الاتحاد اليهوذي - الاسرائيلي (في عهد يوشافاط ملك يهوذا وآحاب ملك اسرائيل) والآراميين:

خلف يوشافاط اباه آسا في ملك يهوذا (عام ٨٧٠ ق.م) فعزز مدنه المحصنة بجيش قوي، واقام محافظين في مدن يهوذا وافرائيم (وكان والده آسا قد استولى عليها)، فذاع صيته وهابه الجميع، بمن فيهم الفلسطينيون والعرب[١٥]. ثم تعاظم شأنه بين الشعوب التي تقطن البلاد، خصوصا بعد ان بنى في مدن يهوذا قلاعا للحرب ومدنا للخزن، وكان له «رجال حرب أبطال بأس» في أورشليم، وقد بلغ عديد جيش يهوذا، في عهده، مليوناً ومئتين وستين الف رجل، موزعين كما يلي:

- من يهوذا: ٣٠٠ الف رجل بقيادة الرئيس «عَدنَه»

و٢٨٠ الف رجل بقيادة الرئيس «يوحانان»

---

(١٢) م.ن. ١مل ٢٠: ٣٠.

(١٣) م.ن. ١مل ٢٠: ٣٢-٣٤، وانظر Pritchard, Op. Cit. P. 114

(١٤) Pritchard, Ibid

(١٥) العهد القديم، ٢أخ ١٧: ١و١١.

٢٠٠ الف رجل بقيادة الرئيس «عمسيا بن زكري»

ـ ومن بنيامين: ٢٠٠ الف رجل «مسلحون بالقسي والتروس» بقيادة «أليادا ع» و ٢٨٠ الف رجل بقيادة «يوزاباد».

هذا عدا الذين جعلهم يوشافاط «في المدن المحصنة في كل يهوذا»[١٦].

موقعة راموت جلعاد الأولى:

صاهر يوشافاط آحاب، وكان هذا قد خسر «راموت جلعاد» في حربه مع بنهدد ملك آرام. وكان قد مضى ثلاث سنوات لم تقم خلالها حرب بين اسرائيل وآرام، وكان بنهدد، ملك آرام، قد التزم، في المعاهدة التي أقرّت بينه وبين آحاب بعد موقعة افيق، ان يعيد الى آحاب البلدان التي أخذها والده من اسرائيل، ومنها (راموت جلعاد)، الا انه لم ينفذ التزامه، رغم مرور ثلاث سنوات على المعاهدة. فقرر آحاب، عندئذ، ان يستعيد (راموت جلعاد) بالقوة، فدعا نسيبه يوشافاط، وكان في زيارة له بالسامرة، لمساندته في حربه مع الآراميين لاسترداد ارضه، فلبى يوشافاط طلبه[١٧].

وجمع آحاب أبناء اسرائيل، وكان عددهم «أربعمئة الف رجل»، واستشارهم في الامر فوافقوه على النهوض للحرب واسترداد «راموت جلعاد» من الآراميين وتنبأوا له بالنصر[١٨]. فخرج بجيشه ومعه «يوشافاط» وصعدا معا الى «راموت جلعاد»، واتفق الملكان على ان يتنكر احدهما، وهو آحاب، ويتقدم لقتال الآراميين، بينما يظل يوشافاط بملابسه الملكية. وتقدم آحاب للحرب وكان ملك آرام (بنهدد) ينتظره وهو على أهبة الاستعداد لمقاتلته ومعه ٣٢ مركبة، وقد أعطى التعليمات لجنده ان لا تقاتلوا الا «ملك اسرائيل وحده»[١٩].

ولما كان يوشافاط قد بدا، في ساحة القتال، بزيه الملكي، وآحاب متنكراً، فقد شاهد

---

(١٦) م.ن. ٢أخ ١٧: ١٢ـ١٩.

(١٧) م.ن. ١مل ٢٢: ١ـ ٤ و٢أخ ١٨: ١ـ٣.

(١٨) م.ن. ١مل ٢٢: ٦ـ١٢، و٢أخ ١٨: ٥ـ١١.

(١٩) م.ن. ١مل ٢٢: ٢٩ ـ ٣١ و٢أخ ١٨: ٢٨ـ٣٠.

جند بنهدد يوشافاط فظنوه آحاب، ملك اسرائيل، وحاولوا قتله الا انه صرخ فادركوا انه ليس آحاب ورجعوا عنه، ولكن احد جند بنهدد أصاب آحاب، وبصورة غير متعمدة، بسهم منه «بين مفاصل الدرع» فجرحه جرحا بليغا، أحس آحاب بعده بخطر الموت، فأمر جنده ان يخرجوا به من ساحة القتال وظل واقفا في مركبته، قبالة آرام، يراقب القتال، وقد اشتد، وهو ينزف دما، الى ان مات في المساء، بعد ان نزف دمه في «باطن المركبة»، ونودي، عندها، على الجيش، عند غروب الشمس ان «لينصرف كل رجل الى مدينته، وكل رجل الى ارضه»[٢٠].

أما يوشافاط فعاد الى بلاده، واما اسرائيل فقد تسلم الملك فيها، بعد مقتل آحاب (عام ٨٥٢ ق. م.) ابنه أحزيا.

٤ـ الحرب بين الاتحاد اليهوذي ـ الاسرائيلي (في عهد أحزيا بن يورام ملك يهوذا ويورام بن آحاب ملك اسرائيل) والآراميين:

خلف حزائيل بن بنهدد الثاني اباه على عرش آرام بدمشق (عام ٨٤٣ ق. م.)، وكان ذلك في عهد أحزيا الذي خلف والده يورام بن يوشافاط على عرش يهوذا، (وكان يورام نفسه قد تسلم الملك في يهوذا خلفا لأبيه يوشافاط، عام ٨٤٨ ق. م)، وفي عهد يورام الذي خلف اخاه أحزيا بن آحاب على عرش اسرائيل (عام ٨٥٢ ق.م).

موقعة راموت جلعاد الثانية (عام ٨٤٢ ق.م.):

كان يورام بن آحاب، ملك اسرائيل، قد كرر محاولة ابيه لاستعادة «راموت جلعاد» من الآراميين، الا انه هزم امامهم وجرح في المعركة ونقل الى بلدة «يزرعيل» (زرعين)، العاصمة الشتوية لاسرائيل في ذلك الحين، لكي يعالج من جراحه «التي أصابه بها الآراميون في الرامة (راموت) عند محاربته لحزائيل ملك آرام»[٢١]، وقد عاده احزيا بن يورام ملك يهوذا، في يزرعيل، للاطمئنان عليه.

---

(٢٠) م.ن. ١ مل ٢٢: ٢٢ـ٣٦، و٢ أخ ١٨: ٣١ـ٢٤ وانظر: Pritchard, Op. Cit. P. 104

(٢١) العهد القديم، ٢ مل ٨: ٢٨ـ٢٩ و٢ مل٩: ١٥ وانظر: Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 99, Map. 134

ثورة ياهو على بيت آحاب:

وفي أثناء ذلك، عام ٨٤١ ق. م.، دبر ياهو بن يوشافاط بن نمشي، قائد جيش اسرائيل، انقلابا ضد سيده الملك يورام، ثم سار اليه وهو في يزرعيل مع أحزيا ملك يهوذا، وما ان علم الملكان بقدوم قائد جيش اسرائيل حتى هبا لاستقباله فبادرهما بالقتال فأصيب يورام بسهم أطلقه عليه ياهو نفسه فارداه قتيلا، وحاول أحزيا الهرب فلحقه جند ياهو، وأدركوه عند «عتبة جور» قرب «يبلعام» ورموه بسهم أصابه، ولكنه تابع هربه الى «مجدّو» حيث مات هناك[٢٢].

تسلم ياهو، بعد ذلك، ملك اسرائيل (عام ٨٤١ ق. م.) وكان لآحاب، بالسامرة، سبعون ابنا، فكتب ياهو الى شيوخها وأمرهم بان يرسلوا اليه «رؤوس الرجال» ابناء سيدهم (آحاب) ويلاقوه بها الى يزرعيل، ففعلوا ذلك. ثم قتل ياهو كل من بقي من بيت آحاب في يزرعيل «وجميع عظمائه ومقربيه وكهنته، حتى لم يُبقِ له باقيا»[٢٣]. واتى، بعد ذلك، السامرة «فضرب جميع من بقي لآحاب» فيها «حتى أبادهم»[٢٤]، ثم دعا اليه «جميع انبياء البعل وعُبّاده وجميع كهنته، لا يتخلف منهم احد»، (وكان بيت آحاب قد عبدوا البعل من دون اله اسرائيل)، وما ان اجتمع الانبياء والكهنة حتى أمر بقتلهم جميعا. وبارك «الرب اله اسرائيل» عمل ياهو هذا، وبشّره بانه سيجلس، من بنيه «الى الجيل الرابع، على عرش اسرائيل» مكافأة على ما صنعه ببيت آحاب[٢٥].

٥ـ الحرب بين يواحاز ملك اسرائيل (٨١٤ـ٧٩٨ ق. م.) وحزائيل ملك آرام (٨٤٣ ـ ٨٠٥ ق. م.):

خلف يواحاز اباه ياهو على عرش اسرائيل (عام ٨١٤ ق.م)، وكان لا يزال حزائيل على عرش آرام بدمشق، فأخذ حزائيل «يمخرق» على حدود اسرائيل، من الأردن شرقاً، حيث ضرب في ارض جلعاد، بني جاد وبني رأوبين وبني منسّى، واتسعت سيطرته، عبر

---

(٢٢) م. ن. ٢ مل ٩: ١ـ٢٧.

(٢٣ م. ن. ٢ مل ١٠: ١ ـ ١١.

(٢٤) م. ن. ٢ مل ١٠: ١٧.

(٢٥) م. ن. ٢ مل ١٠: ١٨ ـ ٣٠، ويبدو ان ياهو قد دفع الجزية لشلمناصر ملك اشور، وقد أظهرت ذلك الخطوط المسمارية التي اكتشفت في آثار شلمناصر وجاء فيها «وفي هذه الايام، اخذت الجزية من صيدا ومن ياهو بن عمري»، ويبدو ان تسمية «ياهو بن يوشافاط» بياهو بن عمري لان عمري كان أصل الدولة باعتباره أبا لآحاب وجدا لاحزيا ويورام (الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢: ٤٤٩).

الأردن حتى «عروعير (عراعر) التي على وادي أرنون (وادي الموجب) وجلعاد وباشان» حيث شكل تهديداً مستمراً لاسرائيل. ويذكر عاموس في نبوءته ان ناراً سوف «تلتهم قصور بنهدد» وابيه «حزائيل» من ملوك آرام لأنهم «داسوا جلعاد بنوارج من حديد»[٢٦].

وكانت حروب الآراميين، بالاضافة الى هجماتهم المتكررة على تخوم اسرائيل، قد استنزفت جيش اسرائيل وأنهكته، بحيث لم يبق ليواحاز منه سوى ٥٠ فارساً و ١٠ مراكب و ١٠ آلاف رجل[٢٧] وقد استمر بنهدد بن حزائيل (او بنهدد الثالث) الذي حكم آرام بعد موت ابيه (٨٠٥-٧٧٣ ق. م.)، في السياسة نفسها التي سلكها ابوه تجاه اسرائيل[٢٨].

٦- الحرب بين يواش بن أحزيا ملك يهوذا (٨٣٤-٧٩٥ ق. م) وحزائيل ملك آرام:

تسلم يواش بن احزيا عرش يهوذا من عتليا، جدته لأبيه (عام ٨٣٤ ق. م)، وقد حكم وهو ابن سبع سنين وظل في الحكم اربعين عاما[٢٩]، وقد هاجم حزائيل مملكة يهوذا فقابله يواش بجيش «عظيم جدا» الا انه هزم امامه، فاحتل اورشليم وأهلك جميع وجهائها وقادتها، و«رؤساء الشعب» فيها، وسباها وأخذ منها غنائم وفيرة، وعاد الى دياره. اما يواش فلم يلبث بعد ذلك ان أصيب بامراض كثيرة، ثم «تآمر عليه حاشيته وقتلوه»[٣٠].

٧- الحرب بين يواش بن يواحاز ملك اسرائيل (٧٩٨-٧٨٣ ق. م) وبنهدد الثالث (ابن حزائيل) ملك آرام (٨٠٥-٧٧٣ ق. م):

خلف يواش أباه يواحاز على عرش اسرائيل (عام ٧٩٨ ق. م) وكانت لا تزال الأراضي التي احتلها الآراميون من مملكته بايديهم، ولم يردوها بحسب المعاهدة التي تمت بين آحاب وبنهدد الثاني بعد موقعة أفيق، بل ان حزائيل كان قد أضاف اليها، في حروبه، معظم أراضي اسرائيل عبر الاردن. وكان حزائيل قد مات وخلفه ابنه بنهدد الثالث (عام ٨٠٥ ق. م)، وكان بنهدد هذا ضعيفا، فاستقوى عليه يواش ابن يواحاز، ملك اسرائيل، وهاجمه، واسترد منه المدن التي كان ابوه حزائيل قد أخذها في عهد ابيه يواحاز، ثم أعاد يواش

---

(٢٦) م.ن. ٢ مل ١٠: ٣٢-٣٣. و Pritchard, Op. Cit, P. 104 - وسفر «نبوءة عاموس، عا ١: ٣».

(٢٧) م.ن. ٢ مل ١٣: ٧.

(٢٨) م.ن. ٢ مل ١٣: ٣.

(٢٩) م.ن. ٢ اخ ٢٤: ١.

(٣٠) م.ن. ٢ اخ ٢٤: ٢٣-٢٥.

الكرة ثلاث مرات مهاجما آرام حتى استرد كل الاراضي التي كانت قد انتزعت من مملكته[٣١].

٨ ـ الحرب بين ياربعام الثاني ملك اسرائيل (٧٨٣ ـ ٧٤٣ ق. م) وهديانو ملك آرام (٧٧٣ ـ ٧٥٠ ق. م):

خلف ياربعام الثاني أباه يواش في ملك اسرائيل (٧٨٣ ق. م.)، فحارب هديانو وانتصر عليه و«رد حدود اسرائيل من مدخل حماة الى بحر العربة» (البحر الميت)[٣٢] كما استرد بلاد العمونيين والمؤابيين الى مملكة اسرائيل، واستعاد الى مملكته بني اسرائيل الذين يقطنون عبر الاردن، وكان ملوك آرام قد احتلوا بلادهم واخضعوهم لحكمهم[٣٣].

٩ ـ الحرب بين آحاز بن يوتام ملك يهوذا (او يوتام: ٧٣٢ ـ ٧١٧ ق. م؟) ورصين ملك آرام (٧٥٠ ـ ٧٣٢ ق. م) ومعه فاقح بن رمليا ملك اسرائيل (٧٣٣ ـ ٧١٤)[*].

إلا ان التحالفات انقلبت في عهد فاقح بن رمليا الذي ملك اسرائيل بعد ياربعام الثاني بأكثر من ثلاثين عاما (انظر الجدول رقم ١) حيث انحاز فاقح الى آرام في حربه ضد

(*) لم يكن ممكنا الجمع بين الفترات الزمنية التي حكم، خلالها كل من:
- آحاز بن يوتام، ملك يهوذا
- وفاقح بن رمليا، ملك اسرائيل.
- ورصين ملك آرام.

فبينما يقرر «بريتشارد» ان حكم آحاز كان بين عامي ٧٣٢ و٧١٦ ق. م وان حكم فاقح كان بين عامي ٧٤٠ و٧٣٢ ق. م، وان حكم رصين كان بين عامي ٧٥٠ و٧٣٢ ق. م، حيث يجعل العام ٧٣٢ ق. م. العام الوحيد المشترك بين الملوك الثلاثة، مما يعني ان الحرب بين هؤلاء الملوك، والتي ورد ذكرها في العهد القديم (٢مل ١٦: ٥ ـ ٩) قد جرت في هذا العام دون سواه، نراه يخطىء في حساب الفترة الزمنية لحكم ياربعام الثاني ملك اسرائيل فيختصرها الى ٣٠ سنة بدلا من ٤١ سنة، مما يدفع بفترة حكم فاقح بن رمليا عشر سنوات فيجعلها بين ٧٤٠ و٧٣٢ ق.م، كما يجعل العام ٧٣٢ ق. م. مشتركا في فترتي حكم الملكين المذكورين (آحاز وفاقح). الا ان بريتشارد يذكر في كتابه (ص ١٠٥) ان فاقح ورصين حاولا جرّ يوتام، ملك يهوذا، (٧٤٠ ـ ٧٣٢ ق. م) الى حلف معهما ضد «تجلت فلأسر» ملك آشور، الا انهما لم يفلحا في ذلك، فاقدما على غزو يهوذا واحتلال عاصمتها أورشليم، دون ان يحدد زمن هذا الغزو وهل تم في عهد يوتام أم في عهد ابنه آحاز. (Pritchard, Op. Cit. P. 105) مع الاشارة الى ان العهد القديم حدد زمن هذه الحرب في عهد آحاز بن يوتام (٢ مل ١٦: ٥ ـ ٩).

كما نذكر ان أخطاء مماثلة وقعت في الجدولين الثاني والثالث (اوردناها في تعليقاتنا على تلك الجداول) مما يجعلنا نشك:
أ ـ في صحة حساباتنا (الجدول الاول) من جهة.
ب ـ او في صحة حسابات الجداول الاخرى (الثاني والثالث والرابع) من جهة ثانية.
ج ـ او في صحة ما ورد في العهد القديم من تحديد لفترات الحكم لكل من ملوك يهوذا واسرائيل وخصوصا فترة حكم كل من (آحاز وفاقح) وحرب فاقح ورصين (ملك آرام) مع آحاز، راجين ان يسهم القارئ الكريم في ايجاد حل لهذه المعضلة.

(٣١) م. ن. ٢ مل ١٣: ٢٢ـ ٢٥.
(٣٢) م. ن. ٢ مل ١٤: ٢٥.
(٣٣) الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢: ٤٥٧.

يهوذا، فتحالف مع رصين ملك آرام، ضد آحاز ملك يهوذا، وانطلقا معا، بجيشيهما، ليحاصرا أورشليم، عاصمة يهوذا، الا انهما عجزا عن اخضاعها[٣٤]، وكان رصين قد استرد «إيلة» للأدوميين وطرد اليهود منها، فعاد اليها أهلها وأقاموا فيها[٣٥]. أما آحاز فقد استنجد بتِجلَت فلآسر ملك آشور، لكي يخلصه من «يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل» القائمين عليه، وأرسل اليه، مقابل ذلك، ما وجده «في بيت الرب وخزائن بيت الملك» من الذهب والفضة، فلبى ملك آشور طلب آحاز وهاجم دمشق عاصمة الملك الآرامي فاحتلها، وسبى أهلها الى «قير» وقتل ملكها «رصين»[٣٦].

II ـ الحرب بين العبرانيين والمؤابيين:

١ـ الحرب بين الاتحاد اليهوذي ـ الاسرائيلي، ومعه الأدوميون، ضد المؤابيين، موقعة «قير حراست»:

جرت هذه الموقعة بين يورام بن آحاب ملك اسرائيل (٨٥٢ ـ ٨٤١ ق. م) ومعه يوشافاط بن آسا ملك يهوذا (٨٧٢ ـ ٨٤٨ ق. م) وملك أدوم، من جهة، وميشاع ملك مؤاب، من جهة اخرى[٣٧]. ويبدو ان هذه الموقعة جرت عام ٨٥٠ ق. م، أي بعد تسلم يورام الملك مباشرة، كما سيتبين من أسبابها.

أسباب الحرب: كانت مؤاب الشمالية أرضا متنازعا عليها، [illegible]اقلها أيدي الممالك المجاورة لها، من عمونيين واسرائيليين وآراميي دمشق، بعكس مواب الجنوبية. وكان ميشاع، ملك مؤاب، يدفع الجزية السنوية لملك اسرائيل، آحاب، ومقدارها «مئة الف حمل ومئة الف كبش بصوفها». وما ان مات آحاب وخلفه ابنه يورام على عرش اسرائيل حتى تمرد ميشاع على الملك الجديد وابى دفع الجزية[٣٨].

---

(٣٤) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٥. وانظر Pritchard, Op. Cit. P. 105.

(٣٥) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٦ و Pritchard, Op. Cit. P. 104 -

(٣٦) م. ن. ٢ مل ١٦: ٦ـ٩ و Pritchard, Op. Cit. P. 105 -

(٣٧) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas P 98. -

(٣٨) العهد القديم، ٢ مل ٣: ١ـ٥ و Pritchard, Op. Cit. P. 70 -

الاستعداد للقتال: استنفر يورام بني اسرائيل للقتال وأحصاهم، ثم ارسل الى يوشافاط ملك يهوذا يستشيره في الدخول معه في حرب ضد ميشاع، ملك مؤاب، لتمرده عليه، فوافق يوشافاط وأعدّ جيشه للقتال. واجتمع الملكان ليتدارسا معا الطريق التي ينبغي عليهما سلوكها للوصول الى قير حراست (او قير حارس او قير حارسية او قير مؤاب) عاصمة المؤابيين، مع توخي الحذر والحيطة والمباغتة في السير للوصول اليها، فقر رأيهما على ان يسلكا طريق «برية أدوم»، وكانا على علاقة حسنة بملك أدوم، فأجاز لهما ذلك، بل انه وافق على التحالف معهما ضد مؤاب[٣٩].

السير للقتال: انطلق يورام بجيشه من السامرة، واتجه جنوبا حتى بلغ اورشليم حيث انضم اليه يوشافاط بجيشه، ثم انطلقا معا، متجهين جنوبا كذلك، حتى حبرون فعرّاد في مملكة يهوذا، ثم اتجها شرقا فجنوبا سالكين «طريق أدوم» في برية أدوم، حيث انضم اليهما ملك أدوم بجيشه، وكان قد مر عليهم، في مسيرتهم، سبعة أيام لم يجدوا خلالها ماء لهم او لبهائمهم، فأشير عليهم ان «اجعلوا هذا الوادي حُفَراً حُفَراً» فاذا الماء تنبجس من الحفر وتفيض في الوادي، في ارض ادوم، فتسقي الجيوش كافة[٤٠].

دارت الجيوش الثلاثة حول البحر الميت، اذن، من الغرب، فالجنوب، ثم اتجهت شمالا نحو التخوم الفاصلة بين أدوم فبلغتها عند بلدة «زوار» على الحدود نفسها، ودخلت أرض المؤابيين سالكة طريق «هورونايم» المحاذية للبحر الميت شرقا، ثم استدارت شرقا نحو «قير حراست» عاصمة المؤابيين فحاصرتها[٤١].

وبلغ المؤابيين تحركات الجيوش الثلاثة واختراقها حدود أدوم باتجاه عاصمة بلادهم، فاستنفر ملك مؤاب شعبه، واجتمع لديه «كل من ابتدأ يتقلد سلاحا فما فوق»[٤٢] ووقف المقاتلون على تخوم أرضهم للدفاع عنها.

---

(٣٩) م. ن. ٢ مل ٣: ٨ـ ٩.

(٤٠) م. ن. ٢ مل ٣: ١٦ـ ٢٠ و Aharoni, Op. Cit. P. 98 -

وقد ورد عند أهاروني ما نصه: «وقد عانوا، في الطريق الصحراوي، من ظمأ شديد، الا انهم انقذوا بفيضان مفاجئ، وهذه الظاهرة ليست بغريبة في وديان صحراء يهوذا». الا اننا لم نأخذ بهذه «الظاهرة المعجزة» وفضلنا اعتماد ما ورد في العهد القديم من ان نبيا اسمه (اليشاع) أشار على الملوك ان «اجعلوا هذا الوادي حُفَرا حُفَرا» ففعلوا ذلك. «وكان في الصباح.. ان مياها جاءت من طريق أدوم، فامتلأت الأرض ماء» (مل ٣: ٢٠) وهذا يعني، في نظرنا، ان الآبار التي حفرها الجيش امتلأت ماء، من جراء الامطار التي انهمرت، وليس هناك أية ظاهرة عجائبية.

(٤١) Aharoni, Op. Cit. P. 98, Map. 130

(٤٢) العهد القديم، ٢ مل ٣: ٢١.

ويذكر العهد القديم، انه، ما ان اشرقت شمس الصباح وشاهد المؤابيون مياه الوادي وقد اصطبغت باللون الاحمر (الذي هو، ولا شك، لون تراب الأرض التي تفجرت الماء منها) حتى ظنوا ان قتالا وقع بين الملوك المتحالفين فجرت دماؤهم في الوادي، فانقلبوا الى السلب والنهب، مما أتاح الفرصة للجيوش المتحالفة كي تفتك بهم. وضرب المتحالفون (العبرانيون والادوميون) المؤابيين فانهزموا من أمامهم، فطاردوهم ودخلوا البلاد وهم يضربونهم، ثم هدموا المدن المؤابية «وردموا كل عين ماء وقطعوا كل شجرة حسنة، حتى انهم لم يبقوا الحجارة الا في قير حراست»[٤٣] الا انهم لم يستطيعوا دخول قيرحراست فضربوها بالمقاليع (المجانيق)، وحاول ميشاع ملك مؤاب ان يخترق، بسبعماية مقاتل من رجاله، صفوف الأدوميين ليصل الى مليكهم، فلم يستطع، ولكنه استطاع ان يأسر الابن البكر لملك المؤابيين، وكان ولي عهده، فأخذه وأحرقه على سور المدينة، وعندها انصرف المهاجمون عائدين الى بلادهم وهم غاضبون لانهم لم يستطيعوا فتح «قير حراست»[٤٤].

ولا بد من التساؤل، امام الحركة الالتفافية التي قامت بها الجيوش المتحالفة، عن الاسباب الاستراتيجية والتكتيكية التي اقتضت القيام بها، ويبدو لنا، من دراسة هذه العملية، ما يلي:

أ ـ تقع «قير حراست» عاصمة المؤابيين، وهي هدف الهجوم، في الجزء الجنوبي من مؤاب، بالقرب من حدود مؤاب ـ أدوم، حيث يحدّها من الغرب البحر الميت، ومن الشرق الصحراء، ومن الجنوب بلاد أدوم، اما من الشمال فيفصل بينها وبين الحدود الشمالية للبلاد، والمتصلة بحدود اسرائيل، كثافة من التجمعات السكانية يصعب على الجيوش المهاجمة اختراقها بلا خسائر، لذلك، فان القيام بهجوم من الشمال على مؤاب للوصول الى عاصمتها في الجنوب يكاد يكون مكلفا للمهاجم، ان لم يكن مستحيلا.

---

٤٣) م.ن. ٢ مل ٣: ٢٢ـ ٢٥.

(٤٤) م.ن. ٢ مل ٣: ٢٥ـ ٢٧ و 99 -98 .Aharoni, Op. Cit -

ويذكر «الدبس» ان الادوميين حلفاء العبرانيين عادوا فانحازوا، بعد هذه المعركة، الى المؤابيين وخرجوا على حليفهم يوشافاط ملك يهوذا، ثم دخلوا مملكته ودمروا مدنا كثيرة فيها، لانه انحاز الى اسرائيل ضد المؤابيين. ويستند في روايته هذه الى صحيفة أثرية تدعى «صحيفة ميشاع» كشف عنها العالم الأثري الفرنسي «كليرمون كانو» عام ١٨٦٩ وهي الآن في متحف اللوفر بفرنسا، وتؤكد هذه الصحيفة ما أورده الدبس (الدبس، تاريخ سوريا: جـ٢: ٤٣٦). وانظر Aharoni, Op. Cit. P 97

ب ـ ان الهجوم من الشمال يقتضي عبور نهر الأردن، بينما لا يقتضي ذلك اذا تم من جنوب البحر الميت وهو ما تم بالفعل.

ج ـ كان لا بد من تجميع الجيوش الثلاثة المتباعدة (السامرة، واورشليم، وادوم)، وكانت هذه الطريقة هي الافضل والاسرع لذلك.

د ـ بعكس الهجوم من الشمال، لم يكن بين الحدود المؤابية ـ الأدومية من الجنوب، وبين العاصمة المؤابية، تجمعات سكانية تعيق تقدم الجيوش المهاجمة.

٢ ـ الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا والمؤابيين، والادوميين والعمونيين: موقعة (عين جدي):

سوف نتحدث عن هذه الحرب عند حديثنا عن حرب يوشافاط مع العمونيين.

III ـ الحرب بين العبرانيين والأدوميين:

كان موطن الأدوميين في «جبل سعير» جنوب البحر الميت، على جانبي وادي عربة (لذلك سموا «بني سعير»). وكانت عاصمتهم (بصرى) تقع في منطقة خصبة بعكس القسم الأكبر من المناطق الأخرى في بلادهم. وغالباً ما كانوا على علاقة طيبة بملوك يهوذا، الا انهم كانوا يشكلون حاجزا بين هؤلاء الملوك وبين خليج العقبة، مما أدى الى كثيرٍ من الازمات بين الفريقين[٤٥].

١ ـ الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا والأدوميين، والمؤابيين والعمونيين:

سوف نتحدث عن هذه الحرب عند حديثنا عن حرب يوشافاط مع العمونيين في (موقعة عين جدي).

٢ـ الحرب بين يورام بن يوشافاط ملك يهوذا (٨٤٨ ـ ٨٤١ ق. م.) والأدوميين: موقعة صعير:

ما ان تسلم يورام المُلْك في يهوذا خلفا لأبيه يوشافاط (عام ٨٤٨ ق. م.) حتى تمرد

---

(٤٥) Pritchard, Op. Cit. P. 70

الأدوميون الذين كانوا خاضعين لسيطرة يهوذا «وأقاموا عليهم ملكا»، فاستنفر يورام قومه وسار بجيش كثيف الى «صاعير» او «صعير» ثم هاجم ادوم بمركباته ليلا وضرب الأدوميين، الا انه لم يتمكن من الانتصار عليهم واعادتهم الى طاعته، بل ظلوا خارجين «من تحت ايدي يهوذا»[٤٦]. ويعتقد «يوسفوس» ان حملة يورام على الادوميين وهزيمته امامهم جرّأت عليه شعوبا أخرى مثل «لبنة»[٤٧].

٣ ـ الحرب بين أمصيا بن يواش ملك يهوذا (٧٩٥ ـ ٧٦٧ ق. م) والأدوميين:

موقعة وادي الملح:

تسلم أمصيا ملك يهوذا بعد أبيه يواش (عام ٧٩٥ ق. م) فقرر معاقبة الأدوميين الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة مملكته في عهد يورام، فجمع جيشا من ثلاثماية الف رجل «منتخبين، يخرجون الى الحرب، ويحملون الرمح والترس»[٤٨]، وكانوا جميعا من يهوذا وبنيامين «من سن عشرين سنة فما فوق»، ثم رتبهم «بيوت آباء ورئاسات الوف ورئاسات مئتين»[٤٩] أي انه رتّبهم (بالبيوت، اي بالعشائر، وقادة الوف وقادة مئتين)، واستأجر كذلك من اسرائيل، مئة الف رجل «بطل بأس، بمئة قنطار من الفضة»[٥٠]. ولكن أمصيا خشي من خيانة يوقعها به مرتزقة اسرائيل الذين جندهم فآثر ان يعيدهم الى موطنهم ولا يستعين بهم في قتاله، فعادوا[٥١]. وسار أمصيا لقتال الأدوميين بجيشه، وكانت المواجهة بين الفريقين في مكان يدعى «وادي الملح» جنوب البحر الميت، حيث تمكن أمصيا من ان يهزم الأدوميين ويوقع بهم خسائر فادحة، اذ قتل منهم عشرة آلاف وأسر عشرة آلاف آخرين، الا انه اقتاد الأسرى جميعهم الى رأس صخرة شاهقة العلو ثم طرحهم من أعلاها «فتحطموا باجمعهم»[٥٢]. وأما أولئك الذين كان أمصيا قد استأجرهم من بني اسرائيل ثم

---

(٤٦) العهد القديم، مل ٨: ٢٠ ـ ٢٢. و«صاعير» مكان مجهول في شرق الاردن.

(٤٧) الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢، ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٤٨) م.ن. ٢ أخ ٢٥: ٥.

(٤٩) م.ن.

(٥٠) م.ن. ٢ أخ ٢٥: ٦.

(٥١) م.ن. ٢ أخ ٢٥: ٧ـ ١٠.

(٥٢) م.ن. ٢ أخ ٢٥: ١١ـ ١٢.

اعادهم، فقد تفرقوا في مدن يهوذا «من السامرة الى حورون» حيث «قتلوا ٣ آلاف رجل» وسلبوا سلبا كثيرا، وعادوا الى ديارهم(٥٣).

IV ـ الحرب بين العبرانيين والعمونيين:

١ ـ الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا (٨٧٢ ـ ٨٤٨ ق.م) والمؤابيين والأدوميين والعمونيين: موقعة عين جدي او حصون تامار:

تقع ارض العمونيين على الحدود الشمالية الشرقية لمؤاب وعلى الحدود الشرقية لمملكة اسرائيل، وعاصمتها «ربة عمّون» الواقعة عند منبع أهم روافد نهر يبوق. وكانت مملكة عمّون على نزاع مستمر مع مملكة اسرائيل بسبب أراضي جلعاد ومؤاب الشمالية(٥٤).

وفي أواخر عهد يوشافاط ملك يهوذا (عام ٨٥٠ ق.م) تحالف العمونيون والمؤابيون واهل جبل سعير (الادوميون) ضد مملكة اسرائيل وساروا جميعهم لقتالها بعد ان عبروا البحر الميت في عملية جريئة ومن معبر مقابل لبلدة «مسادة» على الضفة الغربية للبحر المذكور، ثم توجهوا شمالا نحو بلدة «عين جدي» او «حصون تامارا» وانطلقوا منها نحو اورشليم متسلقين احدى اصعب الطرق الصاعدة مباشرة في قلب هضاب يهوذا(٥٥) وهي ما يسمى «بمرتقى صيص» او «عقبة صيص» الموصلة مباشرة الى «برية يروئيل» فبرية «تقوع»(٥٦).

وعلم يوشافاط بخبر مسير الملوك الثلاثة المتحدين لمحاربته، فاستنفر بني يهوذا الذين اجتمعوا أمام بيت الرب في أورشليم، وطلب منهم يوشافاط «الصوم» تقربا من الرب، وتلا صلاة هي غاية في التزلف والخضوع نجتزئ منها:

«ايها الرب... ألست انت إلهنا الذي طردت سكان هذه الارض من وجه شعبك اسرائيل واعطيتها لنسل ابراهيم خليلك للأبد؟... يا إلهنا، ألا تقضي عليهم (بني عمون والمؤابيين

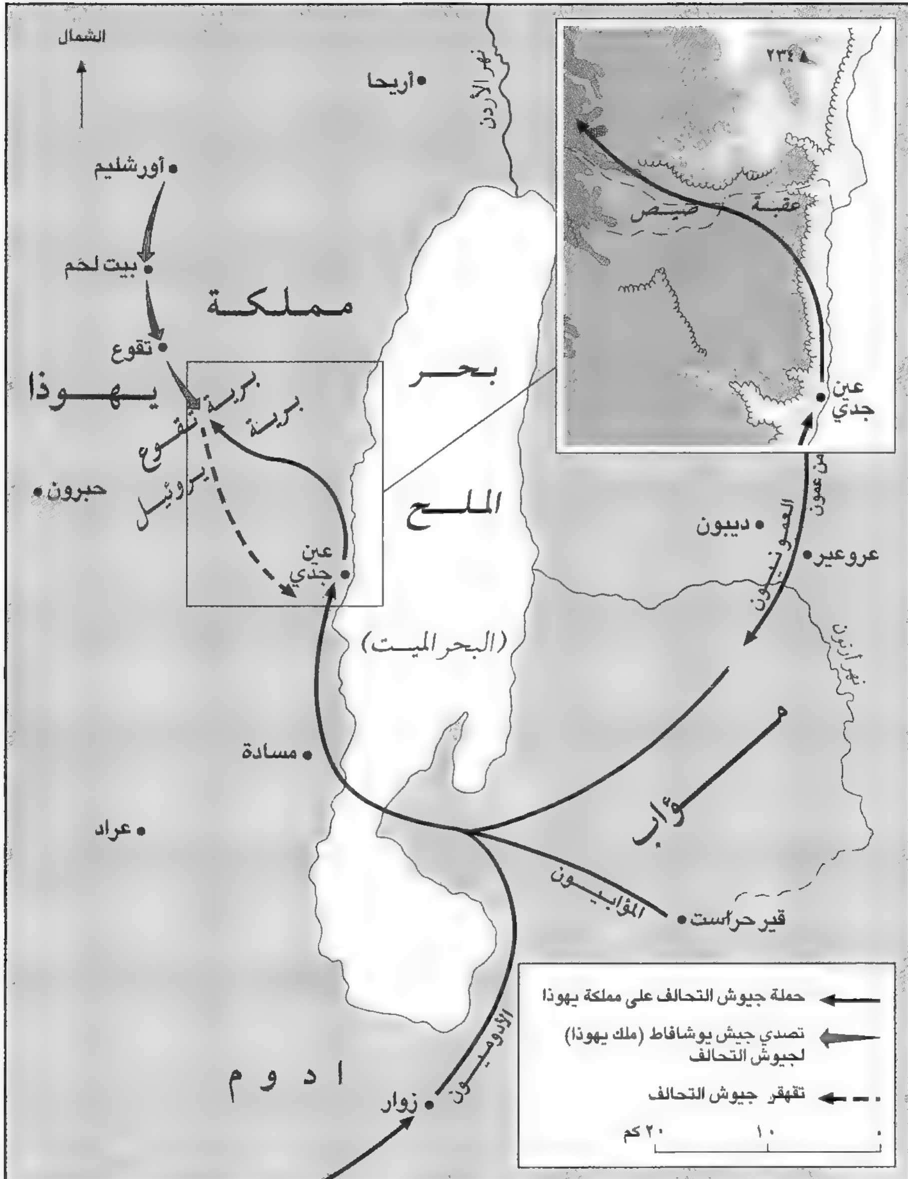
---

(٥٤) Pritchard, Op. Cit. P. 70

(٥٥) العهد القديم، ٢ اخ ٢٠: ١ ـ ٢٤، وانظر Aharoni, Op. Cit. PP. 98 _ 99

(٥٦) العهد القديم، ٢ اخ ٢٠: ١٦ وانظر Aharoni, Op. Cit. PP. 98 Map. 129

خارطة رقم ١٩: موقعة عين جدي أو حصون تامار



وأهل جبل سعير اي الأدوميين)؟ اذ لا قوة لنا امام هذا الجمع العظيم الآتي علينا، ولا نعلم ماذا نصنع، وانما عيوننا اليك»[٥٧]. وكانت «صلاة الرجاء هذه «كافية لكي يطمئن بنو يهوذا الى النصر على اعدائهم، فساروا لملاقاتهم، من أورشليم الى بيت لحم فتقوع، حتى اذا ما وصلوا الى «برية تقوع» وجدوا الجيوش الثلاثة المتحالفة ضدهم قد انهكها القتال فيما بينها حتى غطت جثث رجالها ارض برية تقوع. ويذكر العهد القديم انه، خلال مسير الجيوش الثلاثة الى اورشليم، تحالف المؤابيون والعمونيون ضد الأدوميين فقاتلوهم حتى افنوهم، ثم تقاتل المؤابيون مع العمونيين حتى أفنى بعضهم بعضا، وتطلّع بنو اسرائيل الى القوم «فاذا هم جثث صرعى على الأرض ولم يكن منهم ناج»[٥٨]. عندها اقبل بنو يهوذا على الجثث فوجدوا بينها «أموالا كثيرة.. وأمتعة ثمينة»، وظلوا ينقلون الغنائم من بين هذه الجثث طيلة «ثلاثة أيام»[٥٩]. واجتمعوا في اليوم الرابع في «وادي البركة» ثم قفلوا عائدين الى أورشليم[٦٠]. (انظر الخارطة رقم ١٩).

٢ـ الحرب بين يوتام ملك يهوذا (٧١٦ ــ ٧٠١ ق.م) والعمونيين:

تسلم يوتام بن عزيّا عرش يهوذا عام (٧١٦ ق.م) خلفا لوالده عزيا (او عزريا) ابن أمصيا بن يواش، فبنى مدنا في جبل يهوذا وعزز دفاعها بالحصون والبروج، وقاتل العمونيين فهزمهم وفرض عليهم الجزية «مئة قنطار فضة وعشرة آلاف كُرّ من الحنطة وعشرة آلاف من الشعير»، وظل العمونيون يدفعون هذه الجزية ليوتام ثلاث سنوات[٦١].

٧ـ الحرب بين العبرانيين والفلسطينيين:

كان الفلسطينيون يقيمون في المنطقة الجنوبية من الساحل السوري (او الشامي) عندما غزا العبرانيون أرضهم، لذا كانوا، في الغالب، على عداء، بل على حروب معهم. وظل

---

(٥٧) العهد القديم، ٢ أخ ٢٠: ٦ـ١٢.

(٥٨) م.ن. ٢ أخ ٢٠: ٢٣ـ٢٤.

(٥٩) م.ن. ٢ أخ ٢٠: ٢٥.

(٦٠) م.ن. ٢ أخ: ٢٦.

(٦١) م.ن. ٢ أخ ٢٧: ٤ ـ ٥. والكُر: مكيال يساوي ستين قفيزاً او اربعين اردبا او ستة أوقار حمار. (والقفيز: مكيال يساوي ثمانية مكاكيك. والمكوك: مكيال يساوي صاعا ونصف الصاع، او نصف رطل الى ثماني اواقي، والأردب: مكيال يساوي ٢٤ صاعا، ووقر الحمار: حمله). (انظر: محيط المحيط، قفز).

الفلسطينيون يقاومون الغزاة العبرانيين، وما زالوا الى يومنا هذا. وقد اعطى الفلسطينيون اسمهم «فلسطين» لكل البلاد الواقعة في الجنوب الشامي، والتي غزاها العبرانيون فيما بعد.

١ ـ ناداب ملك اسرائيل يحاصر «جِبَّتون» الفلسطينية (عام ٩٠٩ ق.م.):

اعتلى ناداب بن ياربعام عرش اسرائيل لسنتين فقط، وقد غزا مدينة «جِبَّتون» التي كان يقطنها الفلسطينيون وحاصرها (عام ٩٠٩ ق.م) الا ان ثورة قامت ضده بقيادة «بعشا بن أحيّا» من آل يساكر فضربه بعشا وهو محاصر لجِبَّتون وقتله وتسلم عرش اسرائيل مكانه (٩٠٨ـ ٨٨٥ ق.م)(٦٢).

وقد استمر بعشا في محاصرة جِبَّتون، بعد استلامه الملك، الا انه لم يقوَ عليها، ثم عاد وحاصرها عدة مرات، وكذلك فعل ابنه ايلة بعد ان تسلم الملك خلفا لابيه (٨٨٥ ـ ٨٨٤ ق.م)، الى ان ثار عليه عبده (زمري)، فهاجمه وهو محاصر (جِبَّتون) (عام ٨٨٤ ق.م) وقتله، ثم تسلم عرش اسرائيل مكانه، الا ان زمري لم يبق في الملك سوى سبعة أيام، اذ ثار عليه (عُمري) قائد الجيش، وكان محاصرا جِبَّتون، ففك الحصار عنها وسار، مع جيشه، الى «ترصة» حيث كان يقيم «زمري»، فحاصر المدينة واحتلها، عندها دخل (زمري) برج بيت الملك «وأحرق على نفسه بيت الملك بالنار ومات»(٦٣).

٢ ـ الحرب بين عزريا (او عزيا) بن أمصيا، ملك يهوذا (٧٦٧ـ٧١٦ ق.م) وبين الفلسطينيين والعمونيين والعرب:

خلف عزريا (او عزيا) والده أمصيا بن يواش على عرش يهوذا في أورشليم (عام ٧٦٧ ق.م) فعزز جيشه ونظّمه وجهّزه للهجوم والدفاع ودرّبه على القتال.

عديد جيش عزريا وتنظيمه: كان عدد جيش عزريا ٣٠٧٥٠٠ رجل، وقد نظم هذا الجيش أفواجا، لكل «فوج» قائد او «رئيس»، وقد بلغ عدد الرؤساء ٢٦٠٠ رئيس، مما يجعلنا نعتقد ان كل فوج كان مؤلفا من نحو ١١٨ مقاتلا (٣٠٧٥٠٠÷ ٢٦٠٠=١١٨).

---

(٦٢) العهد القديم، ١ مل ١٥: ٢٥ـ٢٨.

(٦٣) م.ن. ١ مل ١٦: ٨ـ١٨.

وكان «حنانيا»، أحد رؤساء الملك، قائدا للجيش يعاونه كل من «يعيئيل الكاتب» و«مَعَسْيا». وقد اعتمد هذا الجيش نظام القتال بالأفواج، اذ كان يخرج للقتال «فوجا فوجا»، وكان «جيش حرب» يقاتل «ببأس شديد، لمناصرة الملك على العدو»(٦٤).

تجهيزاته العسكرية: كان هذا الجيش مجهزا تجهيزا جيدا للهجوم والدفاع، فقد جهزه عزريا بالتروس والرماح والخوذ والدروع والقسي وحجارة المقاليع(٦٥)، كما انه صنع «في أورشليم» المنجنيقات التي «اخترعها رجال حذاق» وركزها على البروج والزوايا «لرمي السهام والحجارة الضخمة»(٦٦)، ثم انه حصن مدن يهوذا بالبروج المجهزة بالمجانيق، اذ بنى بروجا في عاصمته أورشليم «عند باب الزاوية وعند باب الوادي وعند الزاوية»، وفي البرية، وحصنها بالمنجنيقات، وحفر آبارا في تلك المدن وفي البرية وفي الحقول والسهل والساحل، وفي الجبال(٦٧).

حروبه:

وذاع صيت عزريا، واشتهر جيشه بقوته وقدراته القتالية، مما جعله يطمح الى محاربة الفلسطينيين الذين كانوا المقاومين الرئيسيين للعبرانيين في أرض كنعان، فخرج اليهم بجيشه وحاربهم في جت ويبنة وأشدود فهزمهم «وهدم سور جتّ وسور يَبنة وسور أشدود»، واحتل أرضهم، وبنى فيها مدنا، ثم تحوّل لمحاربة العرب المقيمين في «جوربعل»، والعمونيين الذين دفعوا له الجزية. «وامتدت سمعته الى داخل مصر» والى أمكنة أخرى بعيدة «اذ كانت له نصرة عجيبة حتى أصبح مقتدرا»(٦٨). وقد انتظر الفلسطينيون طويلا، حتى عهد آحاز بن يوتام بن عزريا (٧٠١ ـ ٦٨٦ ق.م) حين غزا فاقح بن رملبا، ملك اسرائيل، مملكة يهوذا، فقتل أعداداً هائلة وسبى أعداداً أخرى من أهلها، فانتقم الفلسطينيون من يهوذا بان انتشروا في جنوبها واحتلوا مدنها«بيت شمس وأيّالون

(٦٤) م.ن. ٢اخ ٢٦: ١١ـ١٣.

(٦٥) م.ن. ٢اخ ٢٦: ١٤.

(٦٦) م.ن. ٢اخ ٢٦: ٢٥.

(٦٧) م.ن. ٢اخ ٢٦: ٩ـ١٠.

(٦٨) م.ن. ٢اخ ٢٦: ٦ـ٨و١٥.

وجَديروت وسوكو وتوابعها، وتِمنة وتوابعها وجِمزو وتوابعها» واستوطنوها[٦٩] كما سبق ان قدمنا[٧٠].

٣ ـ الحرب بين حزقيا بن آحاز، ملك يهوذا (٦٨٦ ـ ٦٥٨ ق. م.) والفلسطينيين:

خلف حزقيا والده آحاز بن يوتام بن عزريا على عرش يهوذا (عام ٦٨٦ ق. م)، فكان اول عمل قام به هو ان هاجم الفلسطينيين وضربهم حتى وصل الى «غزة وتخومها» من «برج الحراس الى المدينة المحصنة»[٧١]، ولم يتوقف عن الاستمرار في مهاجمتهم وضربهم الا بعد ان هاجم شلمناصر، ملك اشور، عاصمته «السامرة»[٧٢] واحتلها بعد ثلاث سنوات من محاصرتها، ثم أجلى سكانها الى أشور[٧٣].

---

(٦٩) م. ن. ٢ أخ ٢٨ : ١٨. مع التحفظ الذي سبق ان أوردناه في الفصل السابق حول الفترة التي حكم فيها كل من آحاز وفاقح، وفيما اذا كانا قد التقيا في فترة زمنية واحدة، أم لا.

(٧٠) انظر البند ١٧ من الفصل السابق.

(٧١) العهد القديم، ٢ مل ١٨ : ٨.

(٧٢) م. ن. ٢ مل ١٨ : ٩.

(٧٣) م. ن. ٢ مل ١٨ : ١٠ ـ ١١.

الباب الرابع

حروب الغزاة (العبرانيين)
مع الغزاة (الآخرين) على أرض كنعان

- الفصل الأول: حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين.
- الفصل الثاني: حروب العبرانيين مع الأشوريين.
- الفصل الثالث: حروب العبرانيين مع الكلدانيين.
- الفصل الرابع: ثورة المكابيين ضد السلوقيين وحلفائهم.

الفصل الأول

حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين

١ـ حملة الفرعون «شيشاق»، على مملكة يهوذا (عام ٩٢٦ ق. م.)

كان «شيشاق» اول ملوك الأسرة الثانية والعشرين من الفراعنة في مصر، استولى على الحكم عام ٩٤٥ ق. م[١]، ولم تكن أحوال المملكة العبرية غريبة عنه عندما هاجمها عام ٩٢٦ ق. م، اذ انه سبق ان استقبل، في بلاده، زعيما متمردا على الملك سليمان هو «ياربعام بن نباط الأفرائيمي» وكان هذا طامحا الى الملك فحاول سليمان قتله، فهرب الى شيشاق في مصر ومكث عنده حتى موت سليمان، حيث عاد ليتسلم الحكم في مملكة اسرائيل بعد انفصالها عن مملكة يهوذا[٢].

وفي السنة الخامسة من ملك رحبعام بن سليمان على يهوذا (عام ٩٢٦ ق. م) شن شيشاق على هذه المملكة حملة عسكرية قوامها ستون الف فارس «من اللوبيين (الليبيين) والسُكيين (قبيلة افريقية على شواطئ البحر الأحمر) والكوشيين (الأحباش)»[٣]، فاجتاح مدنها المحصنة حتى وصل الى أورشليم عاصمتها فنهب «ما في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك» وكذلك «كل تروس الذهب التي صنعها سليمان»[٤].

---

(١) حتي، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى، جـ٢: ٦٦، ويذكر «جون ولسون» في كتابه «الحضارة المصرية» تعريب د. احمد فخري، ان شيشاق (ويسميه: شاشونق الاول) هذا كان من أصل ليبي مصري، وان الأسرة الثانية والعشرين من فراعنة مصر بدأت به (ولسون، الحضارة المصرية، ص ٤٦٢).

(٢) العهد القديم، ١ مل ١١: ٢٦ـ ٤٠.

(٣) عبد الملك، بطرس، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٧٣ و٧٩٩ و ٨٢٠ والعهد القديم. ٢ أخ ١٢: ٣ ويرى بعضهم ان الكوشيين من سكان جنوب الجزيرة العربية (الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٢٩٧).

(٤) العهد القديم، ١ مل ١٤: ٢٥ ـ ٢٦ و٢ أخ ١٢: ٢ـ ٩.

ويبدو ان رحبعام لم يقاوم هذه الحملة طيلة زحفها نحو عاصمته، وفي عاصمته، اذ ان شيشاق لم يهدم أسوار أورشليم ولم يدمرها بل اكتفى بنهب خزائنها وقفل عائدا الى بلاده، مخلفا رحبعام، كما كان، على مملكته.

ويذكر «بارنافي» ان شيشاق بلغ، في حملته هذه، وادي يزرائيل، ووادي بيت شان، خارج حدود يهوذا، كما يذكر انه اجتاز الاردن. وقد نقش شيشاق، في معبد آمون بالكرنك، اسماء المدن التي اجتاحها في حملته هذه وهي: جبعون، وأورشليم، ومجدّو وأيّالون، وبيت شان(٥).

ولكن «آهاروني» يذكر ان النقوش الظاهرة على البوابة التي بناها شيشاق في الزاوية الجنوبية الغربية لمعبد آمون في الأقصر تنبئنا ان حملته قادته عبر مملكة ياربعام (اسرائيل) وعبر النقب في مملكة يهوذا، وان أسماء المدن المدرجة في هذه النقوش تتضمن اسماء مدن في اسرائيل وأخرى في يهوذا، ومعظمها في النقب. ويبدو ان شيشاق احتل مجدو وتوغل عبر الأردن لمطاردة ياربعام حتى أقصى مركز قيادته شرقا، ويدل على ذلك الجزء من تمثاله الذي عثر عليه في مجدّو. مما يشير الى ان الهدف الأول لشيشاق كان تدمير المراكز الرئيسية المحصنة لكل من يهوذا واسرائيل، وهكذا وضع شيشاق حدا لسيطرة كل من رحبعام وياربعام على طرق القوافل التي تمر، عبر الأردن، في وادي يزرائيل في الشمال، وعبر النقب في الجنوب، ولكن شيشاق لم يكن من القوة بحيث يستطيع تحقيق طموحاته كلها، وتحويل غزوته الى فتح، وفي كل حال، فان الاسباب التي دفعت شيشاق الى استخدام القوة ضد ياربعام (الذي كان قد حماه في السابق) لا تزال مجهولة(٦).

الا اننا لم نجد، في العهد القديم، ما يؤيد أقوال كل من بارنافي وآهاروني وتحليلاتهما، فكل ما جاء فيه هو ان رحبعام بنى مدنا في مملكته وحصّنها وجعل فيها «قوادا وخزائن طعام وزيت وخمر، ومجانب ورماحا»، وهذه المدن هي: «بيت لحم وعيطم

---

(٥) Burnavi, Elie, Histoire Universelle des Juifs, P. 20

(٦) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 91 ويبدو ان آهاروني تعمد زجّ «الفلسطينيين» في مؤامرة دفع شيشاق لغزو بلادهم، فهو يتابع قائلا: «ويبدو ان الفلسطينيين هم الذين حرضوا شيشاق على هذا الغزو لانهم كانوا مرهقين من خضوعهم لسلطة مملكة اسرائيل الموحّدة»: Aharoni, Ibid, P. 92

وتقوع، وبيت صور وسوكو وعَدُلاَم، وجَت ومَريشة وزيف، وأدورائيم ولاكيش وعَزَّيقة، وصُرعة، وأيّالون وحبرون»[٧]، وان شيشاق «استولى على المدن المحصنة التي في يهوذا، ووصل الى أورشليم»[٨]، دون ان يشير العهد القديم الى احتلال شيشاق لأية مدينة من مدن حليفه ياربعام ملك اسرائيل، او الى مطاردته له عبر الأردن، كما ورد في النقوش التي خلّفها، والتي استند اليها الباحثان.

٢ـ حملة الفرعون نكو على مملكة يهوذا: موقعة مجدّو:

تسلم الفرعون نكو (او نخو او نخاو) حكم مصر منذ العام ٦٠٩ ق. م. وحتى العام ٥٩٤ ق. م. وهو من ملوك الأسرة السادسة والعشرين من أسر الفراعنة في مصر[٩]، وقد عاصر يوشيا ملك يهوذا (٦٠٣ ـ ٥٧٣ ق. م).

كان الصراع محتدما بين نينوى (عاصمة الأشوريين) التي بدأت تشهد انحسار مجدها بعد موت مليكها آشور بنيبال، وبين بابل (عاصمة الكلدانيين) التي بدأت تشهد صعود قوتها في عهد مليكها نابوبولاصر ابن نبوخذنصر الاول.

وقد ازدادت قوة نابوبولاصر عندما صاهر الملك سياكسار، ملك الميديين، وحالفه، فتمرد على أسياده الأشوريين وسعى الى تأسيس مملكة قوية بزعامته، هي مملكة بابل الكلدانية.

وخشي نكو، فرعون مصر، من طموح نابوبولاصر المتزايد، وكان نكو حليفا للأشوريين، فسعى لتأييد آخر ملوكهم «آشور اوباليت» الذي كان قد عزم على استعادة حرّان من أيدي الملك البابلي المتمرد، فأعد، لذلك، جيشا، وتوجه به نحو كركميش، عند الفرات مروراً بغزة وعسقلان، لمواجهة الكلدانيين وحلفائهم الميديين الذين كانوا يزحفون نحو نينوى[١٠].

---

(٧) العهد القديم، ٢ أخ ١١: ٥ـ١٢.

(٨) م. ن. ٢ أخ ١٢: ٤.

(٩) ولسون، المصدر السابق، ص ١١، وقد ذكر حتي (المصدر السابق، جـ١: ١٢٤) ان الفرعون نكو قد حكم مصر منذ عام ٦٠٠ وحتى عام ٥٩٣ ق. م. وان أهم عمل قام به هو حفر قناة تصل بين النيل والبحر الاحمر. وينحو المؤرخ «هيرودوت» المنحى نفسه عندما يذكر أن نكو هو الذي باشر بحفر القناة بين النيل والبحر الاريتري (البحر الاحمر) وان داريوس الفارسي اتمها (Hérodote, L'Enquête, T1, LII P. 249 N 158) كما يذكر هيرودوت ان «نكو» حكم مصر منذ عام ٦٠٩ حتى عام ٥٩٤ ق. م. (Ibid, T1, P. 511, Note 210)

(١٠) حتي، المصدر السابق، ص ٦٩ـ ٧٠ و Barnavi, Op. Cit, P. 24

وكان يوشيا ملك يهوذا، حليفا للكلدانيين، كما كان يخشى ان يؤدي انتصار الفرعون نكو الى فقدان يهوذا لاستقلالها، وهي المستقلة حديثا، فتصدى لنكو عند «مجدو» محاولا عرقلة تقدمه باتجاه كركميش(١١). ويذكر «العهد القديم» ان نكو حاول اقناع يوشيا بعدم التعرّض له، اذ وجه اليه رسلا لكي يقول له «ما لي ولك يا ملك يهوذا، انا لست أخرج اليوم عليك، بل على بيت آخر أحاربه، لان الله أمرني ان أبادر، فكف عن مقاومة الله الذي معي لئلا يهلكك»(١٢)، ولكن يوشيا لم يرتدع، فتحول نكو لقتاله في «مجدو» حيث قتله وهزم جيشه.

ويصف العهد القديم كيفية مقتل يوشيا فيقول: «لم يحوّل يوشيا وجهه عنه (اي عن نكو)، بل تنكر لمحاربته، ولم يسمع لكلمات نكو عن فم الله، وجاء للقتال في وادي مجدو، فرمى الرماة نحو الملك يوشيا، فقال الملك لرجاله: «انقلوني فاني قد أثخنت بالجراح، فنقله رجاله من المركبة ووضعوه في مركبة أخرى كانت له وجاؤوا به الى أورشليم فمات ودفن في مقابر آبائه»(١٣).

أما نكو، فتابع تقدمه نحو كركميش بعد ان ارسل من يتولى أمر اورشليم من قبله، وكان شعب يهوذا قد نصّب عليه يواحاز بن يوشيا ملكا، بعد مقتل ابيه، وكان عمره ٢٣ سنة ، فعزله نكو من منصبه، بعد ثلاثة اشهر فقط من توليه الملك، وعين مكانه أخاه الياقيم ملكا على يهوذا وأورشليم، وكان عمره ٢٥ سنة، وسماه «يواقيم»، ثم أخذ أخاه يواحاز الى مصر حيث مات هناك(١٤). وفرض نكو على يهوذا غرامة «مئة قنطار فضة وقنطار ذهب»(١٥).

في هذه الاثناء، كانت جيوش الكلدانيين، بقيادة نابوبولاصر، والميديين بقيادة سياكسار، تحاصر نينوى، فتقهرها، ثم تدخلها فتنهبها وتدمرها(١٦). اما نكو الذي كان قد انتصر على يوشيا في مجدو، واحتل غزة وعسقلان وأورشليم، فقد هزم في معركة

---

(١١) Aharoni, Op. Cit. P. 122

(١٢) العهد القديم، ٢ أخ ٣٥: ٢١.

(١٣) م.ن.، ٢ أخ ٣٥: ٢٢ـ ٢٤، و٢ مل ٢٣: ٢٩ـ ٣٠..

(١٤) م.ن، ٢ مل ٢٣: ٣٤؛ و٢ أخ ٣٦: ١ـ٥.

(١٥) م.ن. ٢ مل ٢٣: ٣٣؛ و٢ أخ ٣٦: ٣. وانظر لمعركة مجدو. Hérodote, Op, Cit. LII N°159 et dossier P. 458.

(١٦) حتيّ، المصدر السابق، جـ١، ص ٦٩.

حاسمة في «كركميش» على الفرات، ضد نبوخذنصر الثاني ابن نابوبولاصر، وكان هذا قد تسلم الملك، حديثا، من والده. وهكذا اضحت بابل، بعد تدمير نينوى، وهزيمة فرعون مصر، السيد المطلق على غرب آسيا[١٧].

٣ـ حملة زارح الكوشي على مملكة يهوذا: موقعة مريشة او وادي صفاته:

اختلف الباحثون في نسب الكوشيين وموطنهم، فمنهم من قال انهم كانوا يقطنون أواسط الجزيرة العربية وجنوبها، ومنهم من قال انهم كانوا يقطنون شواطئ افريقيا، وقال آخرون انهم من بلاد الحبشة. وذكر آهاروني انهم من بلاد النوبة[١٨].

ويذكر العهد القديم، ان الكوشيين هم من بني حام، وان بني كوش هم «سبأ وحويلة وسَبْتة ورَعْمة وسَبْتَكا» وان كوش هو «ولد نُمرود» وهو «اول جبار في الأرض»، وكان اول مملكته «بابل وأرك وأكّد وكَلْنَة في ارض شنعار»[١٩]. ويرى الطبري ان زارح (او زرح) الكوشي هو «ملك من ملوك الهند»[٢٠]. وكذلك يراه ابن الاثير الذي يسميه (رزح)[٢١]. اما الدبس فيرى أن «كوش» هي بلاد الحبشة، وهو يوافق الباحث «لانرمان» ان زارح الكوشي هو ملك الحبشة الذي كان قد انقضّ على مصر فخرّبها وأراد ان يفعل الشيء نفسه بفلسطين[٢٢].

---

(١٧) حتيّ، المصدر السابق، جـ١: ٧٠، و: Barnavi. Op. Cit. P. 24 وقد جاء في سفر «ارميا» عن موقعة كركميش ما يلي: «كلمة الرب التي كانت الى ارميا النبي على الأمم. على مصر. على جيش فرعون نكو، ملك مصر الذي كان عند نهر الفرات في كركميش، الذي ضربه نبوكد نصر ملك بابل في السنة الرابعة ليواقيم بن يوشيا ملك يهوذا» (ار ٤٦: ١ـ ٢). وكركميش: هي مدينة سورية تقع على الضفة اليمنى للفرات، ويدعى موقعها اليوم (جرابلس).

(١٨) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 91 -- 92.

(١٩) العهد القديم، تك ١٠: ٦ـ١١؛ ١اخ ١: ٩ـ ١٠. وارض شنعار: هي المنطقة الممتدة بين بابل وارك وكَلْنة وأكّد، وفيها اقيم برج بابل (عبد الملك، مرجع سابق، ص ٥٢٥). وسبا، او شبا: قبيلة عربية من نسل سام، يبدو ان بعض أفرادها هاجر الى الحبشة حيث لقبوا بقبيلة الكوشيين (م. ن. ص ٥٠٤). وحويلة: مقاطعة من بلاد العرب، يسكن بعضها الكوشيون (م. ن. ص ٣٢٩). وسبتة: الابن الثالث من ابناء كوش، يعتقد ان اولاده أقاموا في جنوب بلاد العرب، وان اسم مدينتهم «شبوه» عاصمة حضرموت (م. ن. ص ٤٥٥). ورعمة: مقاطعة في الجنوب الغربي من بلاد العرب، كانت تقطنها ذرية حام (م. ن. ص ٤٠٦). سبتكا (أو شبكا): اسم الابن الخامس من أولاد كوش، ويعتقد ان أولاده أقاموا في بلاد العرب بالقرب من الخليج الفارسي (العربي)، (م. ن. ص ٤٥٥).

(٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ١: ٥١٧.

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ١: ٢٥١.

(٢٢) الدبس، تاريخ سورية جـ٢: ٤٠٤، وقد ذكر ذلك «لانرمان» في كتابه «التاريخ القديم للمشرق».

ومهما يكن من امر، فان «زارح» الكوشي (او زرح، كما يسميه الطبري، او رزح كما يسميه ابن الاثير، او زادح كما يسميه ابن خلدون)[٢٣]، هاجم مملكة يهوذا، في عهد آسا مليكها (٩١٢ ـ ٨٧٢ ق. م) بجيش عديده «الف الف» مقاتل و«ثلاثماية مركبة»، فلاقاه آسا بجيش بلغ عديده خمسماية وثمانين الف مقاتل «ثلاثماية الف من يهوذا ومئتان وثمانون الفا من بنيامين» وهم مجهزون «بالتروس والرماح» و«يحملون التروس ويشدون القسي»[٢٤]، وكان اللقاء في «وادي صفاته عند مريشة»[٢٥]، فهزم الكوشيون امام آسا الذي طاردهم، بجيشه، حتى «جرار» وسحق جيشهم «حتى لم يبق منهم حي»، وغنم منهم «غنيمة عظيمة جدا»، وضرب «جميع المدن المحيطة بجرار» ونهبها، وأخذ «كثيرا من الغنم والابل» وضرب «حظائر الماشية» ثم عاد الى أورشليم[٢٦].

رواية الطبري عن الحرب بين زرح وآسا:

روى الطبري عن الحرب بين زرح الكوشي وآسا بن آبيا رواية لم نجدها عند أحد سواه، فهو يصف آسا بالصلاح والورع والاغراق في عبادة الله، بعكس والده آبيا الذي كان يعبد الأصنام، أما زرح، فهو من ملوك الهند، وقد كان جبارا فاسقا يعبد الشمس والقمر.

وقد تسلم آسا حكم يهوذا خلفا لأبيه فأنكر آلهة ابيه وقومه وفرض على شعبه عبادة الاله الواحد، مما أثار حفيظة العديد من قومه، فلجأ بعضهم الى زرح ملك الهند وشكوا اليه أمر مليكهم ودعوه لاحتلال بلادهم.

١ـ بعثة التجسس الى مملكة يهوذا: عندها اختار زرح عصبة من أمناء قومه وعهد اليهم بالذهاب الى أرض كنعان حيث مملكة يهوذا، متظاهرين بانهم تجار يبيعون بضاعة من بلادهم البعيدة، حيث يطّلعون، سرا، وعن كثب، على أحوال هذه البلاد وأحوال مليكها

---

(٢٣) ابن خلدون، تاريخه، جـ٢: ١٩٢.

(٢٤) العهد القديم، ٢: اخ ١٤: ٧ـ٨.

(٢٥) م. ن. ٢ اخ ١٤: ٩. ومريشة: هي الآن «خربة مراش» على بعد ثلث ساعة من بيت جبرين جنوبا. (الدبس، م. ن، جـ٢: ٤٠٥). ووادي صفاته: اما ان يكون «تل الصافي» الذي يبعد ثلث ساعة عن خربة مراش او انه الوادي الممتد من بيت جبرين الى تل الصافي، وهذا هو المرجع، وكانت الموقعة عند طرف بيت جبرين (م. ن. ص. ن).

(٢٦) م. ن، ٢ اخ ١٤: ١١ـ ١٥. وجرار، أو أم الجَرار: جنوب غزة، على بعد ساعتين منها، (الدبس، م. ن. ج. ٢: ٤٠٥).

وقوة جيشها، ويقيّمون وضعها العسكري والاجتماعي وامكانات التغلب على أهلها، فسار هؤلاء حتى وصلوا الى ايلياء (بيت المقدس) وبدأوا ينشرون ما لديهم من بضاعة يبيعونها ويستقصون، في الوقت نفسه، من اهل البلاد، أحوال المدينة وحصونها وعدد ينابيعها، ويستقصون اخبار مليكهم وقوة جيشه، وطريقة قتاله، وعدد عساكره ومراكبه، واين قراره ومسكنه؟ فاخبرهم اهل البلاد ان للملك حليفا صديقا، قويا وعزيزا، لا يخذله ان طلب نجدته، ولا يهزمه ان استجاره. ثم ان هذه العصبة من الجواسيس دخلت قصر الملك ومثلت بين يديه وعرضت عليه النفيس من بضاعتها، فوجدته زاهدا باللالىء والجواهر، مستغنيا عن الياقوت والحليّ، رافضا ان يأخذ من بضاعتهم شيئا، بثمن او بلا ثمن.

وعادت بعثة الجواسيس الى زرح مليكها لتروي له ما وجدت، واستحلفهم زرح بالشمس والقمر ان كانوا صادقين، فحلفوا له بذلك.

٢ـ الاستنفار والتحشد: عندها قرر زرح القيام بحملة الى تلك البلاد فكتب الى كل البلاد التي يحكمها او يحالفها لكي ترسل اليه جندا، فكتب الى يأجوج ومأجوج والترك وفارس وغيرهم ممن يثق بمناصرتهم له، فأمدوه بالفرسان والخيل والرجّالة والعدد، واجتمع اليه الجند من كل ناحية، وأحصى ما بلغه جيشه من عدد فاذا هو «الف الف ومائة الف سوى أهل بلادهم»[٢٧]، ثم أمر باعداد مائة مركبة، تجر كل واحدة منها أربعة بغال، ومعها عشرة من الخدم وخمسة أفيال، وعرّف على جنده العرفاء، وحرضهم على القتال. وبلغ آسا ما يعدّه زرح من جيش لقتاله فاستجار بربه الذي طمأنه ووعده بالنصر[٢٨].

٣ـ السير للقتال: سار زرح بجيشه حتى بلغ ساحل ترشيش[٢٩]، ولما علم آسا بذلك ارسل اليهم مفاوضين من قبله لعلهم يمتنعون عن قتاله[٣٠]، فأبى زرح الا مقاتلته، ولم يكن امام آسا الا ان يتضرّع الى ربه ليستبدل بضعفه قوة، وينصره.

---

(٢٦) م.ن، ٢ اخ ١٤: ١١ـ١٥. وجَرار، او أم الجَرار: جنوب غزة، على بعد ساعتين منها، (الدبس، م.ن. ج.٢: ٤٠٥).

(٢٧) الطبري، المصدر السابق، جـ ١: ٥٢٤.

(٢٨) م.ن. ج ١: ٥٢٤ـ٥٢٥.

(٢٩) لم يحدد موقعها بالضبط، ويعتقد بعضهم انها مدينة «ترتيسوس Tartessos» الواقعة في جنوب اسبانيا قرب جبل طارق، وربما تكون «قرطجنة» على الساحل الافريقي، (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٢١٦).

(٣٠) ربما يكون مستغربا ان يرسل آسا الى زرح مفاوضين قاطعين تلك المسافة البعيدة (من اورشليم الى ترشيش)، ولكن اسطورة يونان الذي عزم على الهرب من يافا الى ترشيش تدل على ان الطريق كانت مباشرة من سواحل البحر المتوسط الى الساحل الافريقي، كما ان سفن سليمان وحِيرام كانت تأتي الى ترشيش مرة كل ثلاث سنوات «حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودا وطواويس» (١ مل ١٠: ٢٢ و٢ اخ ٩: ٢١)، (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٢١٦).

وتابع زرح مسيرة ترشيش حتى وصل الى مرحلتين من ايلياء حيث أوفد رسلا من قبله الى ملكها آسا وهم يحملون اليه التهديد والشتائم والاستخفاف بإلهه الذي يستنصره على زرح وجيشه الذي عسكر بالقرب من عاصمة يهوذا.

٤- **الاستعداد للقتال:** بينما كان جيش زرح يستعد لحصار المدينة ومهاجمتها، أوصى الله الى آسا ان يطمئن قلبه ووعده بالنصر، ثم أمره ان «اخرج من مصلاك، ثم مر خيلك ان تتجمع، ثم أخرج بهم وممن اتبعك حتى تقفوا على نشز من الأرض»[٣١]، ففعل آسا ما أمره به، وخرج اثنا عشر من رؤساء جيشه، مع كل واحد رهط من الجند، حيث وقفوا على رابية مشرفة على معسكر زرح الذي هزئ بهم وبقوتهم حتى انه تردد في مهاجمتهم، وأرسل الى آسا يسأله «اين صديقك الذي كنت تعدنا به، وتزعم انه يخلّصك مما يحل بكم من سطوتي؟»[٣٢].

٥- **القتال:** اصطف جيش زرح للقتال، وأمر زرح الرماة ان يرموا جند آسا بنشابهم ولكن الله بعث ملائكة ردّت السهام عن جند آسا وأعادتها الى مصدرها فارتدت السهام الى صدور رماتهم فقتلتهم. عندها أمر زرح جنده ان يسلّوا سيوفهم ويشنوا هجوما على جند آسا الذين كانوا لا يزالون في مواقعهم على التلة، فتصدت لهم الملائكة وقاتلتهم، فقتلتهم جميعا «ولم يبق منهم غير زرح ونسائه ورفيقه»[٣٣] ومائة الف فقط[٣٤].

وفرّ زرح، بمن معه، هاربا، حتى اذا ما بلغ الساحل حيث تستقر سفنه، ركب تلك السفن التي ما ان بدأت تمخر عباب اليم حتى هبت عليها الرياح من كل جانب «فغرق زرح ومن كان معه» بينما غنم جند آسا ما تركه جيش زرح من غنائم[٣٥].

لا شك في ان الطبري، في روايته هذه، لم يستند الى أي مرجع تاريخي او ديني، كما ان تفاصيل هذه الرواية لم ترد في العهد القديم، وان كنا قد أوردناها فلكي ندل على ما ينتاب التاريخ المكتوب، في كثير من الاحيان، من تشويش يبلغ حد الأساطير.

---

(٣١) الطبري، المصدر السابق، جـ ١: ٥٢٨.

(٣٢) م. ن. جـ ١: ٥٢٩.

(٣٣) م. ن. ص. ن.

(٣٤) م. ن. جـ١ ص ٥٣٠.

(٣٥) م. ن. ص. ن.

الفصل الثاني

حروب العبرانيين مع الآشوريين

كان الأشوريون قد وطّدوا دعائم مملكة قوية أقاموها ما بين دجلة والفرات، عندما بدأوا يتطلعون للتوسع نحو مملكة الكلدانيين جنوبا ونحو سوريا غربا، فقد كان عسيرا عليهم ان يتوسعوا شرقا، نحو بلاد فارس، عبر جبال زاغروس المنيعة، او ان يتوسعوا شمالا، نحو أرمينية، عبر جبالها الصعبة المرتقى[1]. وقد تكررت حملاتهم على سوريا منذ القرن التاسع ق. م. حيث أخذوا يجتاحون المدن العبرية في مملكتي يهوذا والسامرة، والمدن الفلسطينية كعقرون وأشدود وعسقلان وغزة، والمدن الآرامية السورية كدمشق وحماة، والمدن الفينيقية كصور وصيدا وجبيل وأرواد[2] وكانت حروبهم مع العبرانيين هي التالية:

١ـ في عهد شلمناصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م.)[3]: موقعة قرقر (٨٥٣ق.م.)

حكم شلمناصر الثالث مملكة اشور طيلة ٣٥ عاما، وقد وجّه، خلال حكمه، عدة

(١) بورتر، هارفي، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٤٧.

(٢) م.ن. ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) تجدر الاشارة الى اننا لم نعتمد التسميات الواردة في جدول ملوك اشور عند بورتر (ص ٥٠) نظرا لما ورد فيه من اخطاء، فهو سمّى، مثلا: شلمناصر الثاني بدلا من الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٣ ق.م.) والثالث بدلا من الرابع (٧٨١ ـ ٧٧١ ق.م.) والرابع بدلا من الخامس (٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق.م.)، وسرجون بدلا من سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م.)، وانظر لذلك:

-- Quillet (encyclopédie) Histoire Universelle, T I. P.P. 98 - 109.

- Pritchard, Atlas du monde biblique, P. 106 - 107

(وفيه جدول ملوك اشور وبابل المعاصرين لملوك اسرائيل ويهوذا)

- Aharoni, Johanan, The Macmillan Bible Atlas, P.99

حملات الى البلدان والممالك المجاورة، ومنها سوريا التي هاجمها عام ٨٥٣ ق. م، فتحالف ضده هدد إيزر (بنهدد) الآرامي ملك دمشق وإيرهوليني ملك حماة وآحاب ملك اسرائيل مع ملوك الحثيين والفينيقيين. وكانت اسرائيل قد اشتركت في جيش التحالف بنحو الفي مركبة حربية وعشرة آلاف مقاتل، كما اشتركت حماة بعشرة آلاف مقاتل ايضا، وقدمت دمشق عشرين الفا، وكانت الخيالة من دمشق وحماة، بينما قدم «جندب»، أحد مشايخ القبائل العربية، الف مقاتل يمتطون الجمال[٤]، كما شارك العديد من المدن الفينيقية، وكذلك حامية جبيل المصرية، بعدد كبير من المقاتلين. وقد حدد «بريتشارد» القوى المشاركة في التحالف من مختلف الممالك والمدن السورية كما يلي:

- دمشق: ٢٠ الف مشاة، و ١٢٠٠ خيالة و ١٢٠٠ مركبة حربية.
- حماة: ١٠ آلاف مشاة و ٧٠٠ خيالة و ٧٠٠ مركبة حربية.
- اسرائيل: ١٠ آلاف مشاة و ٢٠٠٠ مركبة حربية.
- جبيل: ٥٠٠ مشاة. ومن الحامية المصرية في جبيل: الف مشاة.
- عرقة: ١٠ آلاف مشاة و ١٠ مركبات حربية.
- أرواد: ٢٠٠ مشاة.

- من باقي المدن الفينيقية: أوساناتو Ousanatou (جنوب عرقة) وشيانو Shianou او سيانو Siannu (شمال أرواد وغرب حماة على الساحل) ١٠ آلاف و ٢٠٠ مشاة و ٣٠ مركبة حربية.

- من العرب: الف مقاتل يمتطي كل منهم جملا (الف جمل).

فيكون مجموع جيش التحالف: ٦٠٩٠٠ مقاتل من المشاة

و ١٩٠٠ مقاتل من الخيالة.

والف مقاتل على الجمال

و ٣٩٤٠ مركبة حربية

وعدة آلاف من بعشا بن رحوب من عمون[٥].

---

(٤) Pritchard, Op. Cit. P. 108, et Aharoni Op. Cit. P. 96 ـ وانظر، حتي، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى، جـ١: ٦٨. وفاتور: بلدة تقع على نهر الفرات (العهد القديم، عدد ٢٢: ٥).

(٥) Pritchard. Cit. P. 108, et Aharoni, Op. Cit. P. 96 --

بينما لم يكن لدى الاشوريين سوى أقل من نصف ما لدى التحالف من مركبات حربية، الا انهم كانوا يتمتعون بتفوق في الخيالة يصل الى ضعفي ما لدى التحالف منها[٦]

سار شلمناصر بجيشه غربا، من نينوى الى فاتور (Pether) في حران ومنها الى حلب فقرقر، بينما سارت جيوش التحالف من مواقعها في أورشليم والسامرة وربة بني عمون والعربة ودمشق وصور وجبيل وعرقة وأرواد وحماة الى قرقر[٧] على العاصي، حيث دارت بين الفريقين معركة ضارية هزم فيها التحالف السوري امام الملك الاشوري، وخسر نحو عشرين الفا من مقاتليه[٨] (أنظر الخارطة رقم(٢٠)). ويصف شلمناصر في أحد نقوشه التي عثر عليها في «نمرود» انتصاره في قرقر بانه انزل بالاعداء «هزيمة نكراء» واجرى في صفوفهم «مجزرة كبرى». ويعلق المؤرخ بريتشارد على ذلك بقوله «وهذا ممكن طالما ان جيش التحالف الذي بلغ عديده نحو ٦٠ الف مقاتل كان يقوده أحد عشر قائدا مختلفا ودون اي تنسيق بين هؤلاء القادة»[٩]. ورغم انتصار شلمناصر في قرقر على تحالف الملوك السوريين، فان هذه البلاد لم تخضع للاشوريين خضوعا تاما، بل شهدت عدة ثورات وحالات تمرد عليهم مما اضطر الملك الاشوري لان يعيد الكرة في هجومه على سوريا طيلة اعوام ٨٤٩ و٨٤٨ و٨٤٥ ق. م.[١٠] دون ان يتمكن من اخضاع البلاد كليا لحكمه.

الا انه، في عام ٨٤١ ق. م. عاد شلمناصر فوجه حملة على سوريا فقابله ملك دمشق «حزائيل» الذي كان قد اغتصب الحكم من بنهدد، وجرت المعركة عند جبل «سنير» حيث هزم حزائيل بينما تابع شلمناصر تقدمه نحو دمشق فحاصرها الا انها صمدت في وجهه فتقدم الى حوران حيث دمر عددا من مدنها، ومنها اتجه غربا الى حاصور فالساحل السوري حتى بلغ سفوح الكرمل جنوب صور، ثم انعطف بجيشه شمالا نحو صور فحاصرها الى ان استسلمت ودفع مليكها الجزية، وكذلك فعل بصيدا، وتابع تقدمه شمالا

---

(٦) Pritchard. Ibid. --

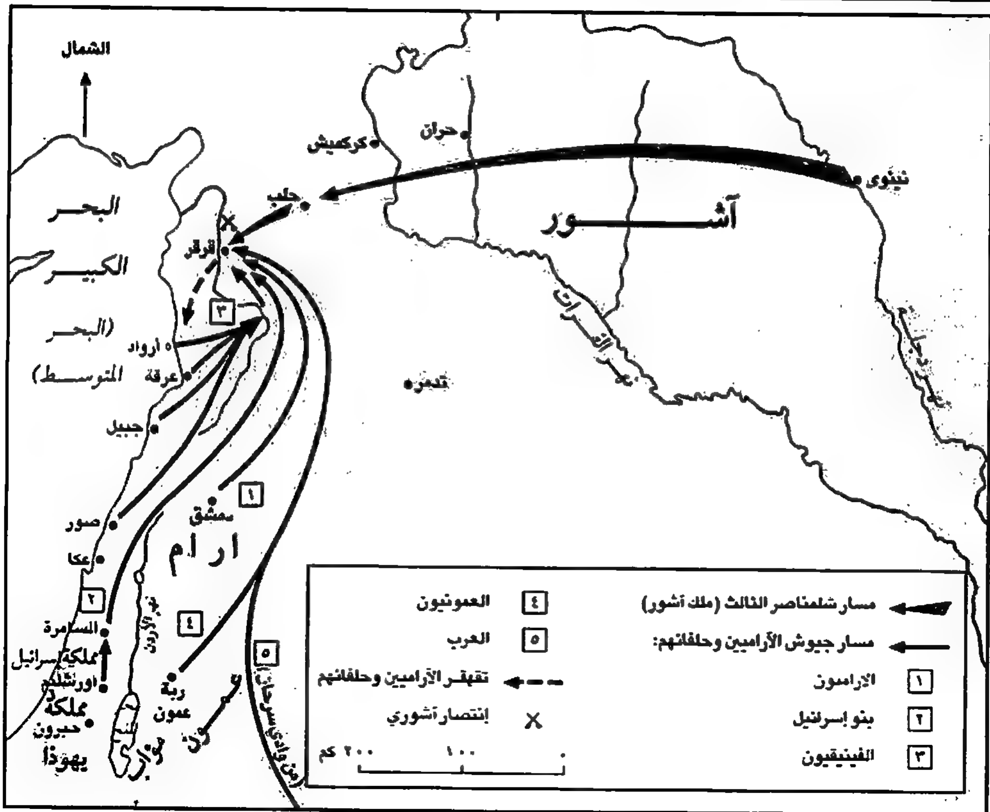
(٧) Aharoni Op. Cit. P. 96 - 97 --

(٨) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٤، الا اننا لا نجد ذكرا لهذه المعركة في العهد القديم.

(٩) Pritchard, Op. Cit. P. 108 ويقول شلمناصر، عن معركة قرقر، في أحد نقوشه التي وجدت في كورك: «لقد جمع (آحاب ملك اسرائيل) لمساعدة (التحالف): ٢٠٠٠ مركبة حربية، و١٠ آلاف مقاتل، ولكني قاتلتهم وأوقعت فيهم هزيمة نكراء، وبجثثهم صنعت ما يشبه الجسر على العاصي» (Pritchard, P. Op. Cit. P. 107).

(١٠) Aharoni, OP. Cit. P. 99 --

خارطة رقم ٢٠: موقعة قرقر



حتى نهر الكلب حيث نقش اسمه الى جانب أسماء الفاتحين من المصريين والاشوريين الذين كانوا قد سبقوه[١١].

٢ـ في عهد الملك تجلت فلآسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م.):

حكم تجلت فلآسر الثالث نحو ثمانية عشر عاما وجهّ خلالها عدة حملات الى سوريا «من سنة ٧٤٣ حتى سنة ٧٣٢ ق.م.» حيث أخضع «السامرة ودمشق وصور وحماة وعرب البادية بين فلسطين ومصر «وأدعى» انه «أخضع ملك يهوذا ايضا»[١٢].

---

(١١) يقول شلمناصر الثالث في حولياته التي اكتشفت في حفريات نمرود: «لقد اخذت الجزية من صور وصيدا، ومن ياهو بن عمري». وهو قد اقام نصبا لانتصاراته هذه عند سفوح جبل الكرمل. -- Aharoni, Op. Cit. P. 99- 100 & Pritchard, Op. Cit. P. 107

(١٢) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٧.

ويذكر العهد القديم ان تجلت فلآسر هذا (وكان قد دعى نفسه «فول» بعد ان تولى السلطة في بابل عام ٧٢٩ ق. م.، وذلك تيمنا بسلفه الملك الاشوري فول لوش الثالث الذي حكم من عام ٨١٠ حتى عام ٧٨١ ق. م وقام بعدة حملات على سوريا[١٣])، وفي عام ٧٣٨ ق. م.، فرض على منحيم، ملك اسرائيل حينذاك جزية مقدارها «الف قنطار فضة»، وذلك لكي يُبقي المُلك في يده وقد رضخ منحيم لطلب الملك الاشوري وأدى الجزية المفروضة عليه بعد ان حصّلها «من جميع أصحاب الثروات»، فأدى كل رجل «خمسين مثقال فضة»، أما ملك اشور فانه «لم يقم في تلك الارض» بعد أن أخذ الجزية من مليكها[١٤].

كما يذكر العهد القديم، كذلك، ان تجلت فلآسر عاد فغزا اسرائيل عام ٧٣٤ ق.م. (أو ٧٣٣ ق. م؟) وفي عهد ملكها «فاقح بن رمليا»، فاخذ «عيّون وآبل وبيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي»، واجلاهم الى اشور[١٥] (انظر الخارطة رقم ٣٦) فكان هذا هو الإجلاء الأول لبني اسرائيل. ويذكر محققو العهد القديم ان غزو تجلت فلآسر لهذه المدن الاسرائيلية تم على مرحلتين: الأولى في حملة على فلسطين عام ٧٣٤ ق. م. حيث غزا «كل أرض نفتالي» والثانية في حملته على دمشق عام ٧٣٣ ـ ٧٣٢ ق. م. حيث غزا جلعاد والجليل[١٦]. ويبدو ان رصين، آخر ملوك آرام في دمشق قبل سقوطها بيد الاشوريين، قد تحالف مع فاقح ملك اسرائيل، ضد آحاز ملك يهوذا الذي استجار بتجلت فلآسر، اذ أرسل اليه يقول: «انا عبدك وابنك، فاصعد وخلصني من يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل القائمين علي»[١٧]، وكان رصين وفاقح يحاصران عاصمته أورشليم دون ان يتمكنا من النيل منها، وأرسل آحاز ما كان في «بيت الرب وخزائن بيت الملك» في أورشليم، من ذهب وفضة، هدية الى الملك الاشوري الذي قبل المهمة وسار الى

---

(١٣) العهد القديم، ٢ مل ١٥: ١٩ وص ٧٠٤ حاشية (٤). وانظر بورتر، المرجع السابق ص ٥٠ و٥٧.

(١٤) م.ن.، ٢ مل ١٥: ١٩ـ ٢٠.

(١٥) م.ن. ٢ مل ١٥: ٢٩.

(١٦) م.ن. ص ٧٠٥ حاشية (٦).

(١٧) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٧.

دمشق فاحتلها وجمع أهلها وأجلاهم الى «قير» وقتل «رصين»[١٨]، ثم عاد فضرب «فاقح» ملك اسرائيل وأسر العبرانيين الذين كانوا عبر الأردن شرقا، واجلاهم الى ما بين النهرين، «وصار اجلاء الشعوب، بعد ذلك، دأب ملوك اشور وبابل، منعا للخيانة»[١٩].

ودانت سوريا كلها، بعد ذلك، للملك الاشوري، وبدأ ملوكها يفدون اليه لكي يقدموا له الخضوع والطاعة وهم محملون بالهدايا، وكان ممن وفدوا اليه حينذاك «آحاز ملك يهوذا، ومِتْعَنّا ملك صور، وفاقح ملك السامرة، وحانون ملك غزة، وغيرهم»[٢٠].

ويذكر «بريتشارد» ان الحفريات التي جرت في «نمرود» أظهرت نقوشا تقول (على لسان تجلت فلآسر الثالث عام ٧٣٨ ق.م.): «لقد اخذت الجزية من رصين ملك دمشق، ومنحيم ملك السامرة وحيرام ملك صور»، كما ظهرت نقوش أخرى تقول (على لسان تجلت فلآسر نفسه عام ٧٣٤ ق.م): «لقد اخذت الجزية من يواحاز ملك يهوذا»[٢١]، وظهرت نقوش أخرى تقول (على لسان تجلت فلآسر ايضا عام ٧٣٢ ق.م.): «لقد خلع (الاسرائيليون) مليكهم فاقح ونصّبوا هوشع ملكا عليهم»[٢٢].

٣ـ في عهد الملك شلمناصر الخامس (٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق.م):

حكم شلمناصر الخامس نحو خمس سنوات حاصر، خلالها، السامرة بعد ان كانت قد تمردت على حكم سلفه تجلت فلآسر الثالث، فأخضعها، الا انها عادت فتمردت من جديد وتحالفت مع فرعون مصر ضده، فعاد اليها وحاصرها سنتين او اكثر، الا انه توفي قبل اخضاعها[٢٣].

كان «هوشع بن أيلة» قد تسلم الملك في السامرة خلفا لفاقح فأخذ يتآمر على ملك اشور محاولا التمرد عليه، حتى انه امتنع عن دفع الجزية السنوية له، وأرسل الى فرعون

---

(١٨) م.ن. ٢ مل ١٦: ٨ـ٩.

(١٩) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٧ـ٥٨.

(٢٠) م.ن. ص ٥٨.

(٢١) Pritchard, Op. Cit. P. 106 -- الا ان يواحاز لم يكن ملكا على يهوذا، في هذه الفترة، وفقا للجداول التي بين ايدينا.

(٢٢) Ibid

(٢٣) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٨.

مصر يفاتحه بأمر التمرد على الملك الاشوري، ويطلب مساعدته في ذلك. فسار شلمناصر الى اسرائيل حيث قبض على «هوشع» وأودعه السجن[٢٤] ثم حاصر السامرة لسنتين او اكثر الا انه توفي قبل اخضاعها، فأخضعها خليفته سرجون بعده[٢٥].

ويذكر المؤرخ «آهاروني» ان الملك الاشوري شن هجومه على مملكة اسرائيل «في السنة السابعة لملك هوشع» (أي نحو عام ٧٢٥ ـ ٧٢٤ ق. م)، حيث حاصر مدينة السامرة التي سقطت بأيدي الاشوريين «في السنة التاسعة لملك هوشع» (أي نحو ٧٢٣/ ٧٢٢ ق. م.)[٢٦].

٤ـ في عهد الملك سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق. م):

حكم سرجون الثاني مملكة اشور نحو سبعة عشر عاما خلفا لأخيه شلمناصر الخامس[٢٧]، فأخضع، في السنة الأولى لحكمه (عام ٧٢٢ ق.م) السامرة عاصمة اسرائيل وذلك في السنة الثالثة لحصارها من قبل جيش اشور، في عهد سلطة الملك شلمناصر الخامس، كما أسلفنا، حيث «أجلى الآلاف من اهلها بالقوة وأتى مكانهم بقبائل غريبة[٢٨]». وقد اختلف المؤرخون في من فتح السامرة، أهو شلمناصر ام سرجون، ولكن نقوشا وجدت في حفريات قصر سرجون في «خورساباد» عائدة للعام ٧٢٢ ق.م. وقد جاء فيها عن لسان سرجون نفسه: «في بدء سلطتي الملكية، حاصرت السامرة وفتحتها، وسبيت من أهلها ٢٧٢٩٠ نسمة، كما اني اخذت منها جنودا لمركباتي الحربية الخمسين في أفواجي الملكية. وقد أعدت بناء المدينة افضل مما كانت عليه من قبل، ووضعت فيها اناسا

(٢٤) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٣و ٤. ويبدو ان شلمناصر أسر هوشع قبل حصاره للسامرة، وكان هوشع خارجها، فانهى بذلك ملكه الذي امتد تسع سنوات (العهد القديم، ص ٧٠٧ حاشية ٣).

(٢٥) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ١ـ ٥. وقد ورد في العهد القديم ان اسم فرعون مصر الذي استنجد به فاقح هو «سوء»، الا ان هذا الاسم غير معروف في التاريخ المصري (ص ٧٠٧ حاشية ٢). ويرى بورتر ان اسم هذا الفرعون هو (سوا او سبقو او شيبق الأول) احد ملوك الدولة الخامسة والعشرين (او الدولة الكوشية)، وكان «سبقو» اول ملوكها، وقد بدأ حكمه عام ٧٣٠ ق. م (بورتر، المرجع السابق، ص ٢٧).

(٢٦) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٦. وانظر: Aharoni, Op. Cit. P. 114

(٢٧) Quillet. Op. Cit. P. 100 --

(٢٨) Barnavi, Histoire universelle des Juifs P. 23 --

من البلدان التي كنت قد فتحتها. ووضعت عليهم ضابطا من ضباطي وفرضت عليهم الجزية كباقي الرعايا الاشوريين»[٢٩]. وجاء في العهد القديم ما يؤكد ذلك، اذ جاء فيه: «وصعد ملك اشور على تلك الارض كلها، وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات، وفي السنة التاسعة لهوشع استولى ملك اشور على السامرة، وجلا اسرائيل الى اشور، وأسكنهم في حلاح وعلى الخابور، نهر جوزان، وفي مدن ميديا»[٣٠]. فاذا عرفنا ان حكم سرجون الثاني بدأ في السنة التاسعة لهوشع، أدركنا فورا ان سقوط السامرة واجلاء اهلها الى اشور قد تم على يده وفي عهده كما تؤكد النقوش ذلك. (انظر الخارطتين رقم ٢١ و٢٢).

ويذكر المؤرخ «الدبس» استناداً الى عدد من المؤرخين، ان هناك خلافا حول من أخضع السامرة، فهو ينسب الى المؤرخ سمث (في كتابه: تاريخ اشور) قوله: «زعم بعضهم ان الاشوريين سئمت نفوسهم إبطاء الأعمال الحربية في فلسطين وقلة النجاح فيها، فثار الجنود في اشور واختاروا ملكا سرجون الذي كان قائدا في فلسطين»[٣١]. الا انه ينسب الى الأب ڤيغورو قوله: «ظن سمث وغيره من أهل العلم في تاريخ اشور ان شلمناصر مات قبل افتتاح السامرة، وان سرجون شدد الحصار عليها وافتتحها». وبعد ان يرى ڤيغورو ان شلمناصر هو الذي افتتح السامرة وليس سرجون، يتابع قوله: «اذا ظهر، من بعض الآثار، نسبة هذا الفتح الى سرجون، فذلك محمول على ان سرجون كان قائد الجيش فتفاخر بالظفر ناسبا اياه الى نفسه»[٣٢]. ولكن ڤيغورو نفسه يعود فيذكر انه قد وجد لسرجون اثرين ينبئان بانه هو الذي اخضع السامرة، جاء في الأثر الأول: «انا حاصرت مدينة سامريتانا (السامرة) وانا اخذتها وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها، وأخذت منها خمسين مركبة حربية حفظتها لنفسي وتركت أموالها لجنودي ووليت عليها نوابا عني وافترضت عليها الجزية التي كانت تؤديها للملك السالف»، وجاء في الاثر الثاني «في بدء ملكي... حاصرت وفتحت السامرة وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها وحفظت خمسين

---

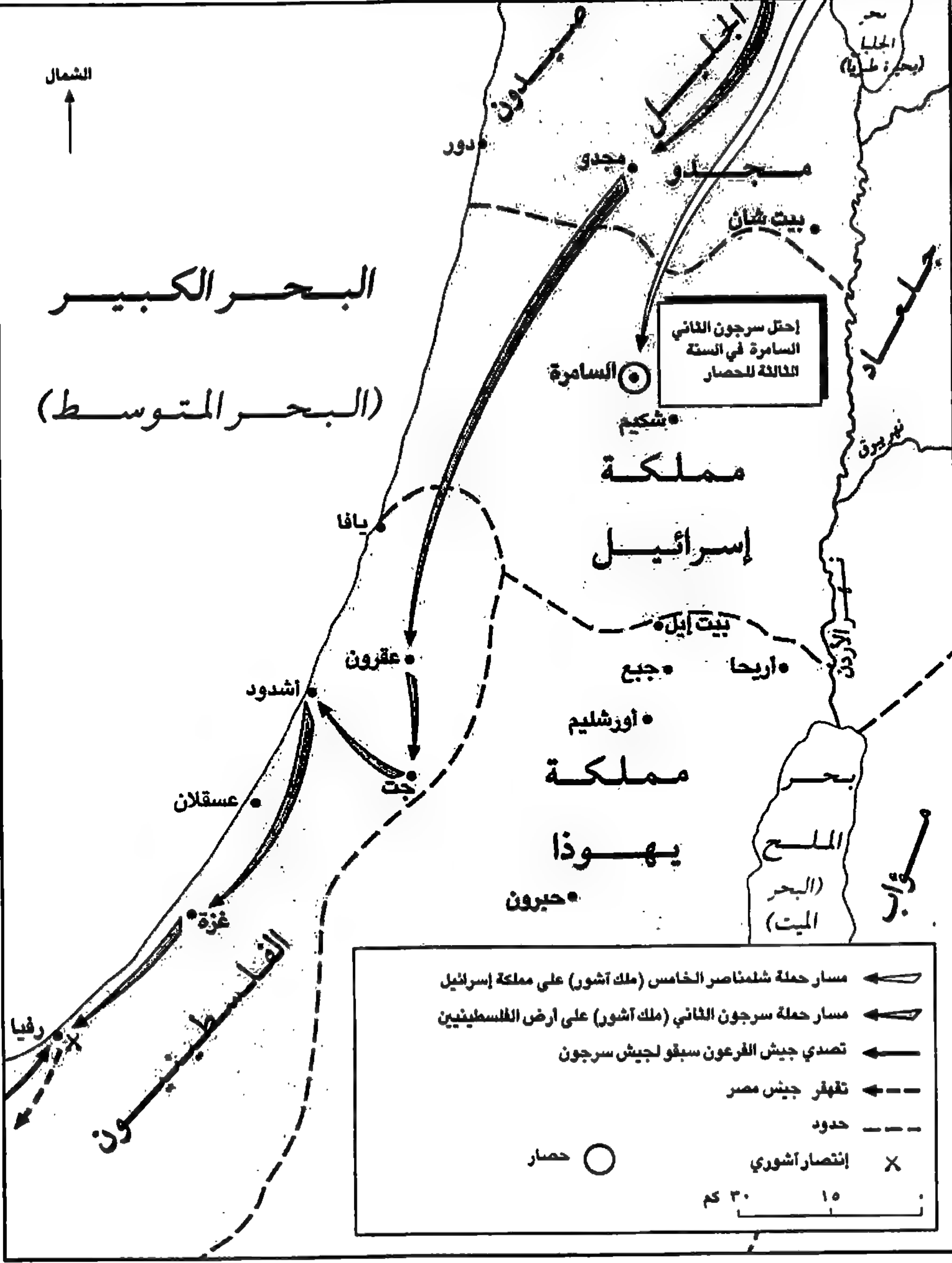
(٢٩) وانظر: Barnavi, Op. Cit. P. 23 -- Pritchard, Op. Cit. P. 106 -- 107

(٣٠) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٥ ـ ٦، ونهر جوزان: بالقرب من حاران (حران) في الشمال الاقصى لبلاد ما بين النهرين (العهد القديم، ص ٧٠٧ حاشية ٥). ومدن ميديا: شرق بلاد ما بين النهرين (م. ن. ص. ن. حاشية ٦).

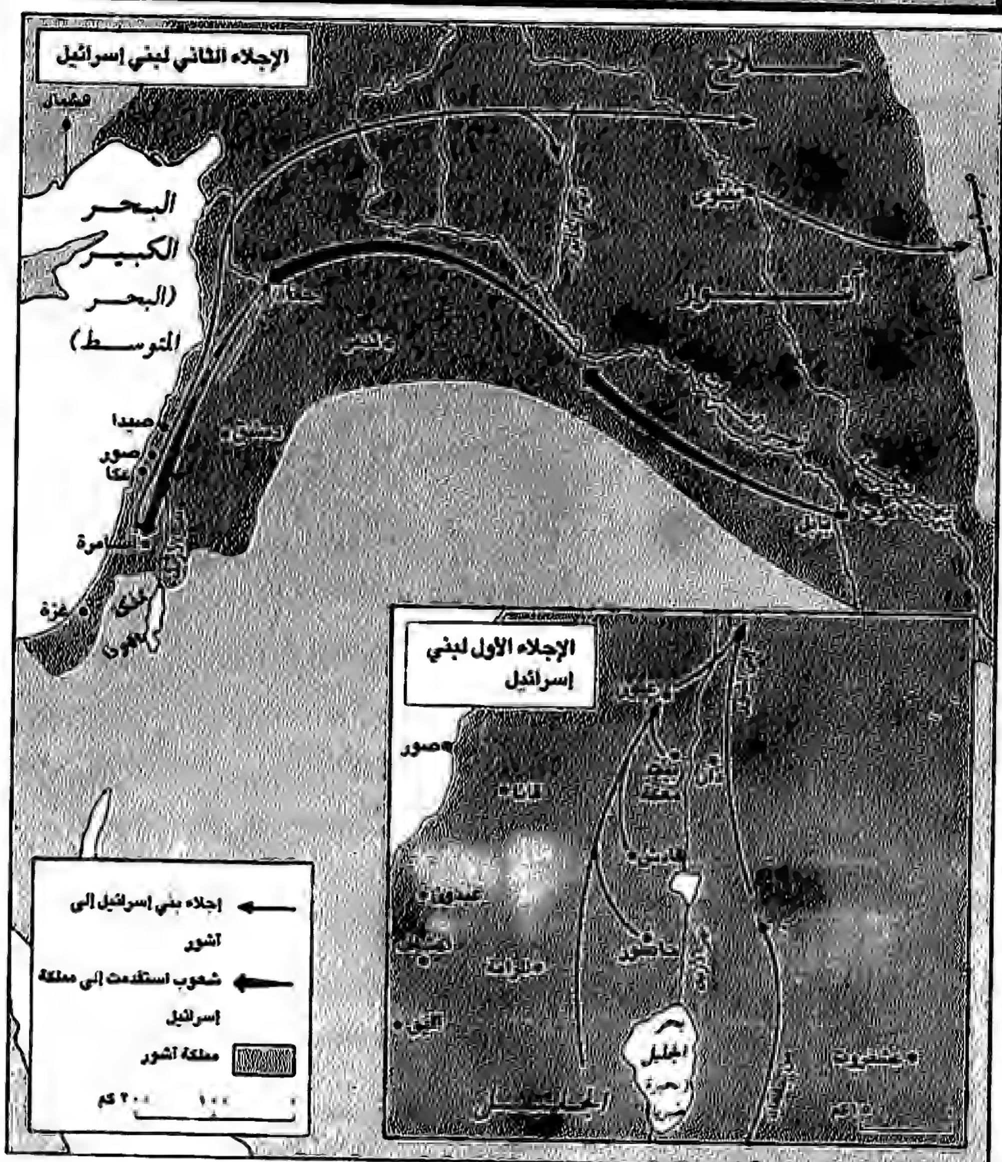
(٣١) الدبس، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٢: ٤٧٤.

(٣٢) م. ن. ص. ن.

خارطة رقم ٢١: مسار حملة سرجون الثاني



خارطة رقم ٣٢: مسار إجلاء اليهود عن مملكة إسرائيل في عهد آشور



مركبة لجانبي الملكي، وأتيت الى مكان من جلوتهم بسكان من البلاد التي كنت ملكتها وفرضت عليهم جزية كجزية الاشوريين» وقد أخذ فيغورو ذلك عن المؤرخ «لانرمان» في تاريخه القديم للمشرق[٣٣].

ورغم ان «آهاروني» يرى ان السامرة سقطت في السنة التاسعة لحكم هوشع وان شلمناصر مات بعد ذلك بوقت قصير وخلفه سرجون[٣٤]، فانه يظل من المرجح، في رأينا، ان سرجون، وليس شلمناصر، هو الذي اخضع السامرة بعد ان كان شلمناصر قد أقام عليها الحصار مدة سنتين، فخضعت لسرجون في السنة الثالثة للحصار وفي السنة الأولى لملكه، خصوصا وان العهد القديم لم يذكر اسم الملك الاشوري الذي اخضع عاصمة اسرائيل، بل اكتفى بتحديد سنة سقوطها وهي السنة التاسعة والأخيرة لملك هوشع اي السنة التي تسلم فيها سرجون ملك اشور.

بعد ان استقرت الأمور لسرجون في اسرائيل، سار، في السنة الثانية من ملكه، الى حماة، وكانت قد تمردت عليه، فأخضعها وقتل مليكها إيلوبيد، ثم تابع زحفه جنوبا حتى بلغ عقرون فأشدود التي أخضعها وقتل مليكها آزوري (عام ٧١٣ ق.م.)، يقول سرجون في ذلك: «قرر آزوري، ملك أشدود، ان لا يدفع الجزية، وبسبب خطئه هذا، قوّضت سلطانه، وحاصرت أشدود وغات (جت) وفتحتهما»، وقد جاء ذلك في أحد نقوشه التي وجدت في خورساباد[٣٥]، وتقدم منها الى غزة (عام ٧١٠ ق.م) وكان مليكها حانون قد تمرد على اشور وحالف فرعون مصر (ويدعى سبقو) ضدها، فهاجمها سرجون، وتقابل الجيشان في رفيا (رفح) جنوب غزة فأسر حانون ونجا سبقو، وسيطر سرجون، بعد هذه الموقعة، على الساحل السوري بكامله، حتى حدود مصر[٣٦]. ولم ينج عرب البادية، الذين كانوا قد غزوا السامرة، من بطش سرجون الذي طاردهم وأخضعهم ثم أسكن قوما منهم في أرض السامرة «وسلط عليهم ولاة اشوريين»[٣٧]، مما جعل باقي القبائل ومدن الساحل

---

(٣٣) م.ن.ص.ن.

(٣٤) Aharoni, Op. Cit. P. 114 --

(٣٥) Aharoni, Ibid, PP. 114 - 115 cf: Pritchard, Op. Cit. P. 106 -- والدبس، المرجع السابق، جـ٢، ٤٨٣.

(٣٦) Aharoni, Ibid P. 116 --

(٣٧) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٩.

السوري تخشى بطش الملك الاشوري وتفد اليه طائعة خاضعة محملة بالهدايا، وكذلك فعل «شيبق» ملك مصر اذ بعث الى سرجون «وفدا يقدم الهدايا، فتركه سرجون»(٣٨).

ويذكر العهد القديم ان الرب «أبعد اسرائيل من وجهه» بعد ان ساروا «على خطايا ياربعام» وانه «جُلي اسرائيل من أرضه الى اشور... واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوت وعوّا وحماة وسفروائيم، وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل، فاحتلوا السامرة وسكنوا مدنها»(٣٩). (انظر الخارطة رقم ٢٢).

وكان هذا هو الإجلاء الثاني لبني اسرائيل من مملكتهم اسرائيل الى ما بين النهرين وما جاورها، بعد الإجلاء الأول الذي فرض عليهم في عهد تجلت فلآسر الثالث، كما قدمنا.

ويقول المؤرخ اليهودي «ايلي بارنافي» في ذلك:

«أُجلي قسم من سكان اسرائيل في عهد الملك فاقح، وقسم آخر بعد سقوط السامرة، وبقي، اخيرا، قسم مكانه حيث امتزج بخليط من الأقوام أتى به الملك سرجون، فأضاع، بذلك، هويته القومية وشكل، من جراء ذلك، نواة شعب جديد هو الشعب السامرائي. وهذه النتيجة المباشرة للسياسة الاشورية التي اعتمدت تدمير الكيانات الوطنية بواسطة التهجير المكثف للشعوب واستيعاب المنفيّين (اليهود) في قلب الشعوب (المجتمعات) المحلية»(٤٠).

ترى، الم يكن الاشوريون اكثر وعيا وادراكا من مجتمعنا اليوم، حين ادركوا خطر اليهود على العالم والانسانية، اذا ما اجتمعوا في بقعة واحدة، فشتتوهم وأجبروهم على ان يشكلوا اجزاء متفرقة في مجتمعات عرقية مختلفة؟

ثم، أوَلا يعمد اليهود، اليوم، الى فعل الشيء نفسه مع الشعب الفلسطيني، اذ يسعون الى تذويب هذا الشعب في مجتمعات عرقية مختلفة بحيث يضحى من المستحيل عليه ان يستعيد تكوينه الوطني والقومي على أرض واحدة خشية ان يعود ليطالب، من جديد، وبحق، بأرضه «الموعودة» التي اغتصبها اليهود ظلما وقسرا؟

---

(٣٨) م.ن. ص.ن.

(٣٩) العهد القديم، ٢ مل١٧: ٢٢ـ ٢٤.

(٤٠) -- Barnavi. Op. Cit. P. 22.

٥ـ في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م.):

خلف سنحاريب اباه سرجون الثاني في ملك اشور وقد استمر حكمه اربعة وعشرين عاما، وما ان استقر له الحكم في نينوى وبابل وجوارهما حتى جرد حملة لاجتياح سوريا عام ٧٠١ ق.م، فغزا أشقلون (عسقلان) وكان ملكها قد رفض الخضوع له فأخضعه وتبعه أهلها، ثم غزا عقرون وكان ملكها قد حالف فرعون مصر، فقاتله سنحاريب وقاتل حلفاءه المصريين وانتصر عليهم[٤١]؛ ثم تقدم، في العام نفسه (٧٠١ ق.م.) الى أورشليم عاصمة مملكة يهوذا، وكان عليها ملك يدعى «حزقيّا»، فحاصرها (وكان ذلك بعد مرور عشرين عاما على سقوط مملكة اسرائيل) الا انه لم يتمكن من احتلالها، فاجتاح «جميع مدن يهوذا المحصنة وافتتحها» وكان ذلك «في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا»[٤٢]، عندها ارسل حزقيا الى سنحاريب، وكان في لاكيش، رسالة يقول فيها «انصرف عني، ومهما تفرض عليّ أؤده لك»[٤٣]، ففرض عليه «ثلاث مئة قنطار فضة وثلاثين قنطاراً ذهباً» دفعها حزقيا جميعها، بعد أن أفرغ خزائن بيت الرب وبيت الملك، ونزع الذهب «عن ابواب هيكل الرب وعن الدعائم التي قد لبّسها حزقيا»[٤٤].

وقد ظل حزقيا ملك يهوذا، ومن بعده ابنه منسى، يدفعان الجزية للملك الاشوري، ولكن الحكم الاشوري في سوريا بدأ يضعف بينما بدأت مملكة يهوذا تستعيد قوتها في ظل الملك «يوشيا» حفيد منسى[٤٥]، مما أنقذ العاصمة أورشليم من الخراب وأهلها من السبي، ولكن الى حين.

حزقيّا يحصّن اورشليم:

ومما يجدر ذكره ان حزقيا استطاع، في أثناء حصار سنحاريب لأورشليم، ان يؤمن

---

(٤١) بورتر، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤٢) العهد القديم، ٢ مل ١٨: ١٣ وانظر Barnavi, Op. Cit. P. 24 --

(٤٣) م.ن. ٢ مل ١٨: ١٤.

(٤٤) م.ن. ٢ مل ١٨: ١٤ ـ ١٦. وقد ورد في النسخة الفرنسية من العهد القديم: "neuf mille Kilos d'argent et neuf cents Kilos d'or"

تسعة آلاف كيلو فضة وتسعماية كيلو ذهباً. (la Bible, 2 Rois 18: 14) ويرى محققو العهد القديم (ص ٧١١ حاشية ٧) ان اسم «حزقيا» قد حل محل اسم ملك سابق «عن سهو».

(٤٥) Barnavi. Op. Cit. P. 24 --

الماء للمدينة المحاصرة بواسطة بركة جمعت فيها مياه نبع «جيحون» بعد ان جرّت الى المدينة بواسطة قناة دعيت «قناة سيلويه Siloé» نسبة الى البركة المذكورة[٤٦].

وكان حزقيا، يبغي، من وراء طمر الينابيع الواقعة خارج أورشليم، بالاضافة الى سقاية اهل المدينة، ان لا يدع الأعداء يستفيدون منها. ويذكر العهد القديم انه «اجتمع شعب كثير وسدوا جميع العيون والنهر الجاري في وسط الأرض قائلين: لِمَ يأتي ملوك اشور ويجدون مياها غزيرة»؟ ثم عمد حزقيا الى تحصين المدينة بان «اعاد بناء كل ما كان مهدوما من السور، وعلّى الابراج، وبنى سورا آخر من الخارج، وحصّن ملّو، مدينة داود، وصنع حرابا وتروسا بكثرة، وأقام قواد حرب على الشعب وجمعهم اليه في ساحة باب المدينة، وخاطب قلوبهم قائلا: «تشددوا وتشجعوا ولا ترتعدوا في وجه ملك اشور، ولا في وجه كل الجمهور الذي معه، لأن معنا أكثر مما معه، ليس معه الا ذراع بشر، ومعنا الرب إلهنا ينصرنا ويحارب حروبنا»[٤٧].

أما سنحاريب فقد ذكر، في أحد نقوشه التي عثر عليها في حفريات نينوى: «اما حزقيا اليهودي فهو لم يخضع لي، لذا فقد حاصرت ستا واربعين مدينة من مدنه القوية، واجليت ٢٠٠١٥٠ نسمة من اهلها، وثمانماية قنطار من الفضة»[٤٨]. كما ذكر في نقوش اخرى أوردها «تيلور» في «صحيفته» ما يلي: «وأما صدقيا ملك عسقلون فلم يخضع عنقه لنيري، فأخذت آلهة بيت أبيه وقبضت عليه وجلوته وامرأته وبنيه وبناته واخوته واسرة بيت ابيه الى اشور وأقمت «سرلوداري بن روكبتي» ملكهم القديم واليا على شعب عسقلون (عسقلان)، وفرضت عليه جزية بيانا لخضوعه لعظمتي، وأخلص في الطاعة لي». ويستطرد سنحاريب: «وتتبعت غزوتي فمشيت على بيت داغون (بيت دجن) ويوبا (يافا) وبني برق وحازور (ياسور)، وأما مدن صدقيا، (ملك عسقلان) الذي ابى الطاعة، فافتتحتها واخذت سكانها اسرى، واما رؤساء أمكرونا (عقرون أو عاقر) ووجهاؤها

---

(٤٦) Ibid --

وجيحون: تعني بالعبرية، النبع المتدفق، وهو اسم نبع او مجرى ماء في ضواحي اورشليم، يقال ان اليبوسيين هم الذين حفروه عام ٢٠٠٠ ق.م. وقد حفر حزقيا اقنية تحت الأرض من النبع المذكور الى داخل مدينة اورشليم حيث اتصلت هذه الاقنية ببركة «سلوام» او «سيلويه» الواقعة داخل أسوار المدينة (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٧٩).

(٤٧) العهد القديم، ٢ أخ ٣٢: ٣ـ٨.

(٤٨) Pritchard. Op. Cit. P. 107 --

وشعبها الذين كانوا قد كبلوا ملكهم «بادي» بالحديد لانه اخلص في الطاعة، والأمانة لاشور واسلموه الى حزقيا يهوداي (اي ملك يهوذا) فألقاه في السجن، اولئك... حاربتهم وظهرت عليهم... وأخذتهم أحياء، في معمعة الحرب، وضربت مدينة التاقو وتمنة وفتحتهما وغنمت ما كان فيهما... وزحفت الى مدينة أمكرونا فقبضت على الرؤساء والوجهاء الذين تسببوا في الثورة وفتكت بهم ووضعت جثثهم بعضها فوق بعض على أسوار المدينة... وأما بادي ملكهم فأخرجته من وسط أورشليم واجلسته على عرشه وفرضت عليه شيئا من الجزية بيانا لسيادتي»[٤٩].

وكان سنحاريب قد أخضع كلا من صيدون وارواد وجبيل واشدود وعمون ومؤاب وأدوم[٥٠] وعاد الى لاكيش (او لخيش) على تخوم يهوذا من جهة مصر، ليفاوض حزقيا على تسليم عاصمته اورشليم.

وجاء في سفر أشعيا ان ملك اشور (ويرجح انه سنحاريب) اجتاح السامرة من الشمال، وتابع تقدمه جنوبا، مروراً بعيَت ومجرون ومكماش وجبع ورامة وجبعة شاول ونوب، حتى وصل الى اورشليم[٥٠ مكرر]. ويبدو ان هذا الاجتياح قد حدث في وقت غير الوقت الذي حدث فيه اجتياح الساحل وصولاً الى اورشليم (انظر الخارطة رقم ٢٣).

المفاوضات بين سنحاريب وحزقيا ملك يهوذا:

يروي العهد القديم، بالتفصيل، سير المفاوضات التي جرت بين سنحاريب ملك اشور وحزقيا ملك يهوذا، وقد جاء في العهد القديم ما يلي:

أرسل سنحاريب رسلا الى حزقيا، وهم «قائد القواد ورئيس الخصيان ورئيس السقاة» وأرسل معهم جيشا عظيما، وكان هو في «لاكيش». وما ان وصل هؤلاء الرسل الى أسوار المدينة المحصنة والمحمية بالجند المتمترسين على أسوارها، حتى نادوا الملك

---

(٤٩) الدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٥٠١ـ٥٠٢. وفي النص اخبار عن نجدة ملوك مصر والحبشة لوجهاء عقرون وشعبها ومحاربة سنحاريب لهم وانتصاره عليهم عند مدينة التاقو وتمنة (تبنة) حيث قبض على «رئيس مركبات مصر وعلى بنيه وعلى رئيس مركبات ملوك ملوحي» أي بلاد الحبشة، ومركباتهم وخيولهم.

(٥٠) Aharoni, Op. Cit. P. 117 --

(٥٠ مكرر). ١ اش ١٠: ٢٨ـ٣٢.

خارطة ٢٣: حروب سنحاريب في فلسطين

الشمال

بني برق

يوبا

جازور

بيت داغون

السامرة

البحر الكبير

(البحر المتوسط)

بيت إيل

جازر

عقرون

جبع

مملكة

أشدود

تمنة

أورشليم

الفلسطينيون

قتل جيش سنحاريب في إحتلال أورشليم

بيت لحم

عسقلان

نحو بيلوزيوم

لبنة

يهوذا

لاكيش

٢٠ كم ١٠

مدن تابعة لصدقيا ملك عسقلون

حملة سنحاريب على مملكة يهوذا والفلسطينيين

حملة سنحاريب على مصر

تصدي جيش مصر لجيش سنحاريب

حدود

البحر الكبير (البحر المتوسط)

بيلوزيوم

من أرض الفلسطينيين

مصر

سنحاريب يعود إلى بلاده بعدما فتك الطاعون بجيشه

وادي مصر

سيناء

٦٠ كم ٣٠

الذي أرسل لمفاوضتهم «الياقيم بن حِلقيا، قيّم البيت، وشبنة الكاتب، ويواح بن آساف المدوِّن» وبدأ بين الفريقين الحوار التالي:

- رئيس السقاة (من وفد سنحاريب): «قولوا لحزقيا: هكذا يقول الملك الكبير، ملك اشور: ما هذا الاتكال الذي اتكلته؟... انك انما اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، أي على مصر التي من اتكأ عليها نشبت في كفه وثقبتها. هكذا قال فرعون، ملك مصر، لجميع الذين يتكلون عليه»[٥١]. ثم يعيّر رئيس السقاة رسل حزقيا باتكال مليكهم على إلهه الذي لا ينفعه، وينذرهم بانهم لن يستطيعوا ردّ «وجه قائد واحد من صغار ضباط» سيده سنحاريب[٥٢].

- الياقيم (رئيس وفد حزقيا): «كلم عبيدك باللغة الآرامية فاننا نفهمها، ولا تكلمنا باليهودية على مسامع الشعب القائم على السور».

- رئيس السقاة: «ألعلّه الى سيدك واليك ارسلني لأقول هذا الكلام؟ أليس الى الرجال القائمين على السور، المضطرين الى اكل برازهم وشرب بولهم معكم؟». ثم نادى رئيس السقاة بأعلى صوته لكي يسمعه مَن على السور من جند حزقيا، وخاطبهم، باليهودية، بصوت عالٍ:

«اسمعوا كلام الملك الكبير، ملك اشور، هكذا قال الملك: لا يخدعكم حزقيا، لأنه لا يقدر ان ينقذكم من يديّ، ولا يجعلكم حزقيا تتكلون على الرب بقوله: الرب ينقذنا ولا تسلّم هذه المدينة الى ملك اشور... اعقدوا معي صلحا واخرجوا اليّ، وكلوا كل واحد من كرمه ومن تينه، واشربوا كل واحد ماء بئره.....» ثم ذكّرهم بمصير «حماة وأرفاد» و«سفروائيم وهيناع وعوّة»، وكذلك مصير «السامرة» وأنذرهم بان مصير اورشليم لن يكون افضل[٥٣] «فسكت الشعب ولم يجبه بكلمة، لان الملك أمر قائلا: لا تجيبوه». وعاد الرسل الى الملك حزقيا «واخبروه بكلام رئيس السقاة»[٥٤]، أما رسل سنحاريب فقد عادوا الى مليكهم الذي كان «يقاتل لبنة»[٥٥] فقصوا عليه ما جرى لهم مع ملك أورشليم.

---

(٥١) العهد القديم، ٢ مل ١٨: ١٧ - ٢١.

(٥٢) م.ن. ٢ مل ١٨: ٢٢-٢٥.

(٥٣) م.ن. ٢ مل ١٨: ٢٦-٣٥.

(٥٤) م.ن. ٢ مل ١٨: ٣٦-٣٧.

(٥٥) م.ن. ٢ مل ١٩: ٨.

ثم عاد سنحاريب وارسل، من جديد، رسلا الى حزقيا، ومعهم رسالة منه يدعوه فيها الى تسليم المدينة اليه، ويقول له: «لا يخدعك الهك الذي انت متكل عليه.... فانك قد سمعت ما صنع ملوك اشور بجميع البلدان وكيف حرّموها، أفأنت تنجو؟...» ويذكره بمصير المدن التي احتلها الاشوريون وخرّبوها[٥٦].

وقرأ حزقيا الرسالة واستشار ربه، اله اسرائيل، بواسطة النبي «أشعيا بن أموص» الذي حمل رد الرب الى حزقيا، وكان رداً طويلا تغلب عليه صفة الشعر والترانيم، وخلاصته ان ملك اشور «لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي اليها سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا ينصب عليها مردوما»، وفيه تعهد من الاله نفسه انه سوف يحمي هذه المدينة «أورشليم» ويخلصها «بسببي وبسبب داود عبدي»[٥٧].

ويبدو ان سنحاريب رأى، بعد فراغه من القتال في لبنة (وكان يقاتل اهلها حين عاد اليه رئيس السقاة وأخبره بما جرى مع رسل حزقيا)، ان ينتقل لقتال المصريين، حلفاء يهوذا، وكانوا قد عسكروا بجيشهم عند مدينة «بيلوزيوم» على حدود مصر استعدادا لقتاله، فعسكر قبالتهم، ولكن اله اسرائيل عاجله بضربة فقتل من جنده «مئة الف وخمسة وثمانين الفا»[٥٨]، عندها قرر سنحاريب العودة بما تبقى من جيشه الى بلاده، حيث «قتله أدْرَملَّك وشَرْآصَر، ابناه، بالسيف، وهربا الى أرض اراراط، وملك اسرحدون، ابنه، مكانه» وكان ذلك عام ٦٨١ ق.م.[٥٩].

ان رواية من هذا النوع لا تصلح على الاطلاق، لان تكون مستندا تاريخيا مقبولا، سواء من الوجهة العلمية ام المنطقية. ويحاول هيرودوت تعليل هذا الحدث «منطقيا» فيذكر ان الفئران غزت معسكر الأعداء اثناء الليل وقرضت كناناتهم وأقواسهم، حتى سيوف تروسهم، فأصبحوا في اليوم التالي، بلا سلاح، فهربوا وهلك عدد كبير منهم[٦٠]. وورد،

---

(٥٦) م.ن. ٢ مل ١٩: ٩ـ١٢.

(٥٧) م.ن. ٢ مل ١٩: ١٤ـ٣٤.

(٥٨) م.ن. ٢ مل ١٩: ٣٧. وانظر Hérodote, L'Enquête I.II, P. 238, Note 141 --.

(٥٩) م.ن. ٢ مل١٩: ٣٦ـ٣٧. وص ٥ ٧١ حاشية ١٢ و Quillet, Op. Cit. P. 100 --

وكان اسرحدون على رأس جيش من جيوش ابيه يقاتل على حدود ارمينية عندما وصله نبأ مقتل ابيه في نينوى فعاد بجيشه سريعا الى العاصمة فهرب اخواه القاتلان الى ارمينية واستولى هو على الحكم (بورتر. المرجع السابق، ص ٦٣).

(٦٠) Hérodote, L' Enquête, L. II P. 238, N. 141 --

في مكان آخر، ان هذه الفئران حملت الطاعون الذي فتك بالجيش الاشوري فقتل هذا العدد الكبير منه(٦١).

٦ ـ في عهد الملك أسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٨ ق. م):

تسلم اسرحدون الملك في اشور عام ٦٨١ ق. م. خلفا لوالده الذي قتل على يدي ولديه أدرملك وشرآصر، كما قدمنا، وظلّ اسرحدون في الحكم ثلاثة عشر عاما فقط (حتى عام ٦٦٨ ق. م.) خاض خلالها العديد من الحروب ضد سوريا ومصر، الا انه لم يذكر من حروبه ضد مملكة يهوذا سوى أسره لملكها منسى بن حزقيا وسوقه مكبلا بالحديد الى بابل ثم العفو عنه واعادته الى اورشليم عاصمة ملكه(٦٢). ورغم ان العهد القديم لم يذكر اسرحدون بالاسم، فإن النصوص التي وجدت في نقوش اشورية تشير الى ان مملكة يهوذا خضعت، في عهد منسى، الى اسرحدون، ولكنها لم تذكر شيئا عن اسر اسرحدون للملك اليهودي(٦٣).

وما ان تسلم اسرحدون الحكم حتى واجه ثورة في مملكتي صور وصيدا (عام ٦٧٩ ق. م) الا انه استطاع اخماد هذه الثورة بسرعة كما انه تمكن من السيطرة على الساحل السوري جنوبا حتى حدود مصر ثم على هذا الساحل شمالا حتى بلغ نهر الكلب حيث نقش اسمه الى جانب باقي اسماء الغزاة والفاتحين، وذلك بعد ان أخضع صيدون وعقد معاهدة مع ملك صور (عام ٦٧٧ ق. م) وفرض الجزية على مملكة يهوذا وعلى قبرص وفلسطين(٦٤).

بعد ان استقر الأمر لأسرحدون في سوريا توجه (عام ٦٧١ ق.م.) لغزو مصر، فخاض ضد ملكها ترهاقة الحبشي، معركة حاسمة في عسقلان، ودخل مصر فأخضعها لسلطانه. وقد شاركت الممالك السورية، الى جانب مصر في هذه الحرب، وكذلك فعل

---

(٦١) -- Hérodote, Op. Cit, Notes du L. II P. 508 (Note 185)

(٦٢) العهد القديم، ٢ أخ ٣٣: ١١ـ١٣، ويذكر بورتر (م. ن. ص ٦٤) انه ربما كان اشور بنيبال، ابن اسرحدون الذي استلم الحكم بعد ابيه، هو الذي فك اسر منسى، وأعاده الى أورشليم.

(٦٣) العهد القديم، ص ٨٢٤ حاشية (١).

(٦٤) -- Aharoni, Op. Cit. P.119, & Quillet, Op. Cit. P. 102

منسى، ملك يهوذا، الذي أرسل بدوره، مثل باقي الممالك المجاورة، جيشا للقتال مع مصر التي هزمت. بينما فر ترهاقة الى كوش واحتل اسرحدون مصر ونظم شؤون الحكم فيها وعاد الى بلاده عن طريق سوريا[٦٥]، وأرسل وهو في طريق العودة، من قبض على منسى ملك يهوذا، لتمرده، واقتاده أسيرا الى بابل، الا انه، ما ان وصل اسرحدون الى بلاده، حتى أصيب، عام ٦٦٩ ق.م. بمرض عضال اضطره لان يتنازل عن الملك لابنه اشور بنيبال عام ٦٦٨ ق.م. ثم استقر في بابل الى ان توفي في العام نفسه. ويذكر أهاروني انه، ما ان تسلم اشور بنيبال الحكم، بعد موت والده، حتى استدعى اليه منسى الذي استطاع اقناع الملك الاشوري باخلاصه وولائه لاشور، فاطلق سراحه[٦٦].

(٦٥) Aharoni, Op. Cit. P. 119 & Quillet. Op. Cit. 102 وانظر: بورتر، المرجع السابق، ص ٦٣ـ ٦٤.

(٦٦) -- Aharoni, Op. Cit. P. 119

الفصل الثالث

حروب العبرانيين مع الكلدانيين

بلغت أشور أوج مجدها في عهد أشور بنيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق. م.)، الا انها بدأت بالانحدار سريعا في أواخر عهده، وبعد وفاته، بينما كانت محميتها «بابل» عاصمة المملكة الأولى للكلدانيين، تنهض بسرعة، خالعة عنها ثوب العبودية التي لبسته طويلا على يد «نينوى» عاصمة الأشوريين. وما ان أزف عام ٦١٢ ق. م. حتى كانت نينوى تترنح تحت وطأة الحصار القاسي الذي فرضه عليها جيش التحالف الميدي ـ الكلداني (البابلي) بقيادة «نابوبولاصر»، الثائر، وابن الحاكم الذي نصّبه اشور بنيبال نائبا له على بابل، والملك «سياكسار» ملك ميديا، ثم لا تلبث ان تسقط مخلية مكانتها التاريخية الرفيعة لبابل، عاصمة المملكة الكلدانية الجديدة الصاعدة التي حلت، في قيادة العالم القديم، وفي التاريخ، محل اشور[1].

بدأت المملكة الكلدانية الجديدة مسيرتها، اذن، في عهد منشئها الملك نابوبولاصر، حيث اقتسمت مملكة اشور المنهارة كل من بابل وميديا ومصر. أما سوريا، فقد كانت تتنازعها كل من المملكتين: بابل من الشمال، ومصر من الجنوب، وأما مملكة يهوذا، التي عبّرت عن فرحتها الكبيرة بسقوط نينوى وانهيار اشور على لسان بعض ابنائها، حيث كان تشفّيهم بهذين السقوط والانهيار حادا وصارخا: «ويل لمدينة الدماء، الممتلئة باسرها كذبا وخطفا... هوذا صوت السياط، وصوت اهتزاز الدواليب، والخيل العادية والمركبات الواثبة... وبريق الرمح وكثرة القتلى، وتراكم الجثث ولا نهاية للجيف،... ها انذا اليك،

---

(١) حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى، جـ١: ٦٩ ـ ٧٠. وقد ورد اسم «نابو بولاصر» عند حتي «باسم «نابوبالاسر» وانظر Quillet (encyclopédie) T. 1, PP. 149- 150, et Pritchard, Op. Cit. PP. 126-127.

يقول رب القوات، فأرفع ذيول ثوبك على وجهك، وأري الامم عورتك، والممالك هوانك، وأقذفك بالأقذار، وأفضحك وأجعلك عبرة،... قد دمرت نينوى، فمن يرثي لها»؟[٢]. أما يهوذا هذه فقد لقيت نهايتها المحزنة على يد المملكة الجديدة التي فرحت لها وطربت لانتصاراتها.

ويبدو ان نخو الثاني فرعون مصر حاول استغلال انشغال نابوبولاصر بتثبيت ملكه الجديد بعد انتصاره على نينوى، فعمد الى غزو سوريا حتى بلغ بجيوشه الفرات واحتل مدينة كركميش، مما حدا بنابوبولاصر، ملك بابل، لان يرسل جيشا بقيادة ابنه وولي عهده نبوخذ نصر الثاني، لكبح جماح المصريين وطردهم من سوريا، وجرت بين الجيشين، في كركميش، عام ٦٠٥ ق.م. معركة عنيفة انتهت بهزيمة الفرعون المصري وجيشه الذي أخذ يتقهقر جنوبا، نحو حدود مصر، بضغط من نبوخذنصر، حتى بلغ حماة[٣].

١ـ عهد الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق.م):

بعد معركة كركميش، تلقى نبوخذ نصر نبأ وفاة والده، وكان لا يزال يطارد فلول الجيش المصري، فعاد مسرعا الى بابل لكي يتسلم الملك خلفا لوالده (عام ٦٠٤ ق.م)، ثم عاد بعدها، الى سوريا لكي يستكمل استعادتها من المصريين[٤].

كان على يهوذا، في هذه الاثناء، ملك يدعى «يوياقيم بن يوشيا» وكان يخشى بطش نبوخذنصر وسطوته، خصوصا بعد ان تمكن من ان يهزم جيش مصر وفرعونها، ويستعيد سوريا من ايدي المصريين حتى وصل الى عسقلان وغزة، على حدود مصر، واحتلهما (عام ٦٠٤ـ٦٠٣ ق.م)، فخضع له يوياقيم طيلة ثلاث سنوات حيث كان يدفع له الجزية بانتظام[٥].

---

(٢) العهد القديم، نحو ٣: ١ـ٧.

(٣) م.ن. ار ٤٦: ٢، و Quillet, OP. Cit. P. 151 --
وانظر: Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 123 -- وكركميش هي جرابلس اليوم، وتقع شمال شرقي حلب، على الفرات (العهد القديم ص ١٧١٩ حاشية ١).

(٤) يرى آهاروني (Aharoni, Op. Cit. P. 123) أن نبوخذ نصّر قد تلقى نبأ وفاة والده وهو محاصر كركميش فغادرها مسرعا الى بابل ليتسلّم الملك ثم عاد بعد ذلك لكي تسقط المدينة في يديه عام ٦٠٥ ق.م. ونحن لا نرى رأيه باعتبار انه تسلم الملك خلفا لوالده عام ٦٠٤ ق.م. أي بعد سقوط كركميش وفي اثناء مطاردته لجيش مصر.

(٥) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١، و Aharoni, Op. Cit. P. 123 -

الا انه، ما ان عاد نبوخذنصر الى بلاده، حتى انقلب يوياقيم على سيده البابلي، بضغط من فرعون مصر واغراء منه، واعلن التمرد على بابل، فسلط عليه نبوخذنصر (عام ٥٩٩ ق . م) غزاة من الكلدانيين (المحليين) ومن آرام ومؤاب وبني عمون بينما كان هو مشغول بقتال العرب، ثم جاء نبوخذنصر بجيوشه (عام ٥٩٨ ق. م) فدخل عاصمته أورشليم «وأوثقه بسلسلتين من نحاس ليسوقه الى بابل»[٦]، ثم ملّك يوياكين ابنه مكانه[٧].

ولكن يوياكين اتبع سيرة ابيه، بعد ثلاثة اشهر وعشرة ايام فقط من ملكه، عندها، أرسل نبوخذ نصر، من جديد، جيشا لحصار أورشليم، فأقام الجيش الحصار على المدينة الى ان وصل نبوخذ نصر نفسه، حيث «خرج يوياكين، ملك يهوذا، الى ملك بابل، هو وأمه وضباطه وأشرافه وخصيانه»، فأخذهم نبوخذنصر جميعهم اسرى[٨]. ثم أخرج «جميع كنوز بيت الرب وكنوز بيت الملك، وحطم جميع آنية الذهب التي عملها سليمان، ملك

---

٦) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١ـ ٢ و٢أخ ٣٦: ٦ وAharoni, Op. Cit. P. 124 -

وتختلف النسخة العربية من العهد القديم، عن النسخة الفرنسية، اذ ورد في النص التوراتي، في النسخة العربية، ان نبوخذنصر أوثق يوياقيم بالسلاسل «ليسوقه الى بابل»، بينما ورد في النص نفسه، وفي النسخة الفرنسية، ان نبوخذنصر اوثق يوياقيم بالسلاسل «وساقه الى بابل». ,(Il fit enchainer solidement Johaquim et l'emmena à (2 chr. 36: 6) Babylone) ويعلق محققو العهد القديم بالعربية، على هذا النص بقولهم: «لا يُعرف هذا الاسر وهذا السلب الا من هذا النص» (العهد القديم، ص ٨٢٩ حاشية ٢) بينما يذكر المؤرخ بارنافي ان يوياقيم قتل وتسلم ابنه يوياكين الملك مكانه. . (Barnavi, Histoire universelle des Juifs, P. 24) اما المؤرخ بريتشارد، فهو، اذ يذكر اسر يوياكين فيما بعد، لا ياتي، في الوقت نفسه، على ذكر اسر والده يوياقيم (Pritchard, Atlas du monde Biblique. P. 107) ولم يرد، في العهد القديم، اي ذكر لاسر يوياقيم غير ما ورد أعلاه. أما آهاروني فيرى انه «في غضون ذلك، كان يوياقيم قد مات في ٨ كانون الاول عام ٥٩٨ ق. م، بينما كان جيش نبوخذنصر قد توجه من بابل الى أورشليم من ١٧ كانون الاول عام ٥٩٨ الى ١٥ ك٢ عام ٥٩٧ ق. م، وتسلم الملك مكانه ابنه الشاب يوياكين تحت وصاية أمه». (Aharoni, Op. Cit. P. 124) -

(٧) العهد القديم، ٢ اخ ٣٦ : ٨.

(٨) م.ن. ٢ مل ٢٤ : ٨ـ ١٢. ونجد، في النص التوراتي، خلافا بين ما ورد في (٢ مل ٢٤ : ٨) و(٢ اخ ٣٦ : ٩)، حيث ورد في النص الاول ان يوياكين كان «ابن ١٨ سنة حين ملك»، وورد في النص الثاني انه كان «ابن ثماني سنوات حين ملك». كما ان هناك تناقضا آخر في النصين المذكورين، حيث ورد في النص الأول (٢ مل ٢٤ : ١٢) ان يوياكين هو الذي خرج الى ملك بابل «هو وامه وضباطه وأشرافه وخصيانه»، وورد في النص الثاني (٢ اخ ٣٦ : ١٠) ان نبوخذ نصر «ارسل.. فجاء به (اي بيوياكين) الى بابل». ويعلق محققو النسخة الفرنسية على الخلاف الحاصل بين سفري الملوك والاخبار حول سن يوياكين بان هناك «بعض المخطوطات اليونانية القديمة، وكذلك سفر الملوك (٢ مل ٢٤ : ٨) يحددون سن يوياكين عند تسلمه الملك بـ١٨ سنة»، دون اي تعليق آخر من قبلهم (La Bible, P 1236, note (i)) اما بشأن الخلاف الآخر، فلم نجد اي تبرير او تعليق من قبل المحققين للنسختين، العربية والفرنسية، حول هذا التناقض. ويبدو ان آهاروني يميل الى تاييد الرواية الواردة في (٢ اخ ٣٦ : ١٠) حول سن يوياكين، اذ يقرر انه عندما توفي يوياقيم والده، تسلم يوياكين الملك «تحت وصاية امه»، وان نبوخذنصر «ارسل الاوامر لأخذ يوياكين وحاشيته اسرى الى بابل» (Aharoni, Op. Cit. P. 124).

اسرائيل، لهيكل الرب»[٩]، وأجلى «كل اورشليم وجميع الضباط ورجال الحرب، اي عشرة آلاف مجلو» وأجلى ايضا «جميع الحدادين والقفالين، ولم يبق الا فقراء شعب تلك الارض»، ثم أجلى كذلك، «يوياكين الملك... وأم الملك وأزواجه وخصيانه، وكل عظماء تلك الارض» الى بابل[١٠]، وكان جميع رجال الحرب «وهم سبعة آلاف»، والحدادون والقفّالون «وهم الف رجل»، كانوا جميعهم «أبطال رجال حرب»، وقد أخذهم نبوخذنصر جميعهم «مجلوين الى بابل»[١١]. ثم أقام «متنّيا» عم يوياكين، ملكا على أورشليم، وسمّاه «صدقيا»[١٢]، وكان ذلك عام ٥٩٧ ق. م. ويبدو، من خلال ما ورد في العهد القديم، ان نبوخذ نصر اختار وجهاء القوم ومحاربيهم وأشرافهم وأصحاب المهن المهمة فيهم، وأجلاهم الى بابل، كما أجلى بعض الكهنة او الذين هم من ذوي السلالة الكهنوتية[١٣]، ولم يُبقِ في أورشليم سوى الفقراء والمحتاجين والمعوزين. وكان يقصد من وراء ذلك، ولا شك، شل الحياة العامة، الاجتماعية والسياسية والمهنية، في البلاد.

أما «يوياكين» فقد أقام في الأسر، ببابل، سبعة وثلاثين عاما، عومل، خلالها، برفق، حتى اذا مات نبوخذنصر وتولى الملك ابنه «اويل مردوك» مكانه (عام ٥٦١ ق. م.)، اطلق سراحه واحسن معاملته و«جعل عرشه اعلى من عروش الملوك الذين معه في بابل، وغيّر ثياب سجنه... وكانت له معيشة دائمة تعطى من عند الملك... كل ايام حياته»[١٤].

انقسمت يهوذا، في عهد صدقيا، الى فئتين: الأولى معارضة لحكم بابل وتسعى الى التخلص منه، وذلك عن طريق التحالف مع مصر والتعاون معها (كما حاول يوياقيم ان يفعل)، وأخرى موالية لبابل تؤيد الاستمرار في طاعتها والخضوع لها وعدم مناهضتها او

(٩) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١٣.

(١٠) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٤ـ١٥.

(١١) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٦.

(١٢) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٧. و Aharoni, Op. Cit. P. 124 --

وقد وجدت، في بابل، نقوش تعود الى عهد نبوخذنصر، والى العام ٥٩٧ ق. م جاء فيها «حاصر ملك بابل مدينة يهوذا واخذها، وسمّى عليها ملكا جديدا اختاره هو، واخذ منها غنائم كثيرة حملها الى بابل». Pritchard, Op. Cit. P. 107 --

(١٣) أجلى نبوخذنصر حزقيا، من السلالة الكهنوتية في أورشليم Barnavi, Op. Cit. P. 24 -

(١٤) العهد القديم، ٢ مل ٢٥: ٢٧ـ ٣٠.

التمرد عليها، وكان «النبي إرميا» من الفئة الأخيرة، ذلك انه كان يرى ان بابل سوف تحكم الأرض سبعين عاما، هكذا اراد الرب، وعلى يهوذا ان ترضخ لارادته، ومن نبوءات إرميا:

- «هكذا قال الرب: هوذا شعب مقبل من ارض الشمال، وأمة عظيمة ناهضة من أقاصي الأرض، قابضون على القوس والحربة، قساة لا يرحمون، صوتهم كهدير البحر، وعلى الخيول راكبون، مصطفون، كرجل واحد، للمعركة، ضدك يا بنت صهيون»(١٥).

- «هكذا قال رب القوات: ... ها انذا ارسل وآخذ جميع عشائر الشمال (يقول الرب حول نبوخذنصر، ملك بابل، عبدي) وآتي بها على هذه الأرض وعلى جميع سكانها (وعلى هذه الأمم من حولها) وأحرّمهم وأجعلهم دهشا وصفيرا او خربة أبدية، وأزيل منهم صوت الطرب وصوت الفرح... وتكون هذه الأرض كلها خرابا ودهشا، وتستعبد هذه الأمم لملك بابل سبعين سنة (وعند انقضاء السبعين سنة، أفتقد ملك بابل، وتلك الامة، يقول الرب، بسبب اثمهم، وأرض الكلدانيين، وأجعلهم دمارا أبديا)»(١٦).

واذا كان «صدقيا» ميالا للخضوع لبابل ومسالمتها، فان معظم وزرائه لم يكونوا كذلك، لذا، فهو لم يكن باستطاعته الوقوف في وجه التيار المعارض لبابل في مملكته والذي زاد من ضغطه عليه مستعينا ما لمصر من تأثير في الأوساط السياسية في يهوذا منذ عهود سالفة، وهكذا نراه يسير في سياسة معادية لبابل (عام ٥٩٣ ـ ٥٩٢ ق.م). معتمدا على وعد من مصر بمساعدته عسكريا(١٧).

لقد بدأت مصر تعود تدريجا الى الساحة السورية، بعد ان كانت قد انكفأت عنها كليا عقب هزيمتها في معركة كركميش، مما أدى الى وجود استنفار مستمر في بابل بغية عدم السماح لمصر باستغلال الفراغ القائم على تلك الساحة بسبب غياب الوجود العسكري البابلي عنها.

ولهذا، فقد بدأت جيوش بابل تعود الى سوريا، بين الفينة والأخرى، اما لاظهار قوة او

---

(١٥) م.ن.ار ٦: ٢٢ـ ٢٣، والجدير بالذكر ان ارميا عاش في أيام ملوك يهوذا: يوشيا بن أمون، ويوياقين بن يوشيا، وصدقيا بن يوشيا، حتى اجلاء اورشليم الى بابل، وكان يتنبأ في أيام هؤلاء الملوك جميعا (م.ن.ص ١٦٤٢).

(١٦) م.ن.ار ٢٥: ٨ـ ١٢.

(١٧) م.ن. ٢ مل ٢٥: ١ـ٢. Barnavi, Op. Cit. P. 24 --

كبح تمرد او اخماد ثورة، فهي قد دخلت سوريا مرة أخرى عام ٥٩٦ ق. م. ثم عادت الى بلادها في العام التالي (٥٩٥ ق. م.) بسبب تمرد حصل في بابل. الا ان هذه الجيوش عادت فدخلت سوريا من جديد بعد سنتين (عام ٥٩٣ ق. م.) بسبب السياسة التي اتبعها صدقيا، وهي سياسة التقرب من مصر، وجمع باقي شعوب سوريا مثل الأدوميين والمؤابيين والعمونيين والصيدونيين والصوريين (عام ٥٩٣ ق. م.) في مؤتمر بأورشليم «يحضره بساميتيك الثاني» الذي خلف «نخو الثاني» على عرش مصر، لتشكيل حلف معاد لبابل[١٨]. وقد نهاه النبي ارميا عن هذه السياسة مرارا فلم يرتدع، فقد قال له:

- «ضعوا اعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه مع شعبه فتحيوا»[١٩]، وفي رسالة منه الى بني اسرائيل الذين أُجلوا الى بابل، قال:

- «أبنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنائن وكلوا من ثمرها، اتخذوا نساء ولدوا بنين وبنات... وتكاثروا هناك ولا تقلّوا، واطلبوا سلام المدينة التي جلوتكم اليها، وصلّوا من اجلها الى الرب، فانه بسلامها يكون لكم سلام»[٢٠]، الى ان قال في الرسالة نفسها:

- «عند انقضاء سبعين سنة في بابل، افتقدكم وأتم لكم كلمتي الصالحة بارجاعكم الى هذا المكان»[٢١].

وغير ذلك من النصائح الكثيرة التي وجهها ارميا الى ملوك يهوذا وشعبها بعدم محاربة بابل والتحالف ضدها، لانها «أمر الله» الذي لا بد من نفاذه.

ولكن صدقيا لم يستمع لنصائح النبي ارميا، بل انه استمر في سياسته المعادية لبابل، عندها، استدعى نبوخذنصر ملك يهوذا الى بابل ليستجوبه، فاستطاع هذا الأخير اقناع الملك البابلي بصدق نواياه تجاه أسياده البابليين وولائه لهم، فأعاده الى أورشليم، وظلت حكومته، في نظر بابل، موالية لها[٢٢].

---

(١٨) م.ن.ار ٢٧: ٣ وص ١٦٩١ حاشية (٢) و Aharoni, Op. Cit. P. 124 --

(١٩) م.ن.ار ٢٧: ١٢.

(٢٠) م.ن.ار ٢٩: ٥-٧.

(٢١) م.ن.ار ٢٩: ١٠.

(٢٢) Aharoni, Op. Cit. P. 124

الا انه، في عهد خفرع، فرعون مصر الذي خلف بساميتيك الثاني، خليفة نخو الثاني في حكم مصر عام ٥٨٩ ق.م، ازداد التدخل المصري في شؤون سوريا، وازداد معه التآمر على بابل، مما دفع صدقيا، ملك يهوذا، لاعلان التمرد عليها، وذلك «في السنة التاسعة لملكه» عام ٥٨٨ ق.م.[٢٣]، معتمدا، كما قدمنا، على وعد من مصر بمساعدته عسكريا اذا ما تعرض لهجوم من قبل بابل. وكان رد بابل سريعا وعنيفا، إذ جرّد نبوخذنصر حملة لحصار اورشليم (كانون الثاني عام ٥٨٨ ق.م)، وحاول جيش خفرع مهاجمة جيش بابل لرفع الحصار عن اورشليم، فتمكن، في البدء، من ذلك، الا انه عاد فمني بهزيمة نكراء أدت الى تجدد الحصار على المدينة وتشديده عليها، وجرى ذلك كله خلال عام ٥٨٧ ق.م. كما منيت المدن الأخرى في يهوذا بهجوم من قبل الجيوش البابلية أدى الى تدميرها جميعا[٢٤].

أما نبوخذنصر الذي كان قد زحف على أورشليم بجيوشه، فقد «عسكر عندها، وبنى حولها تحصينات»[٢٥] ولم تتمكن مصر من مساعدة حليفها، كما كان منتظرا، وذلك بسبب الحصار المحكم الذي فرضه نبوخذنصر على المدينة، وبسبب الهزيمة التي لحقت بجيشها عند أسوار أورشليم.

وظل نبوخذنصر محاصرا أورشليم بجيوشه طيلة عامين كاملين، من (السنة التاسعة) لملك صدقيا الى (السنة الحادية عشرة) منه، حتى «اشتد الجوع في المدينة، ولم يبق خبز لشعب تلك الأرض»[٢٦]. وتجمّع جنود أورشليم ليلا، عند «الباب الذي بين السورين»: السور الداخلي الذي كان قد بني في أوائل عهد مملكة يهوذا، والسور الخارجي الذي بني في عهد صدقيا، وكان هذا الباب يطل على «بستان الملك» الذي يمتد خارج الأسوار الى «وادي قدرون». وبينما كان جند نبوخذنصر يحيطون بالمدينة وأسوارها احاطة السوار بالمعصم، استطاع الملك صدقيا ان يخرج من المدينة سرا «في طريق العربة» بوادي الأردن، لكن جيش نبوخذنصر شعر بخروجه، فاقتفى اثره حتى ادركه في

---

(٢٣) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ٢٠ و٢٥: ١. و Barnavi, Op. Cit. P. 24. --

وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 124 -

(٢٤) Aharoni, Ibid. PP. 124-125

(٢٥) العهد القديم، ٢ مل٢٥: ١و Aharoni, Ibid, -

(٢٦) م.ن. ٢ مل ٢٥: ٢-٣.

«برية اريحا» وقد انفض عنه جنده وحاشيته، فقبض جند نبوخذنصر عليه «واصعدوه الى ملك بابل في ربلة (في ارض حماة)، وتلوا عليه الحكم، وذبحوا بني صدقيا امام عينيه (وذُبح ايضا جميع رؤساء يهوذا في ربلة)، ثم فقأ ملك بابل عيني صدقيا، وأوثقه بسلسلتين من نحاس وجاؤوا به الى بابل» اما جميع الجند رجال الحرب، فقد هربوا خلف مليكهم، اذ (خرجوا من المدينة ليلا في طريق الباب الذي بين السورين)[٢٧].

في هذا الوقت، وفي ١٩ تموز عام ٥٨٦ ق. م[٢٨]، كان جيش نبوخذنصر ينقضّ على أسوار المدينة فيفتح ثغرة فيها ويدخلها بقيادة رئيس الحرس «نبوزرادان» حيث قتل فتيان المدينة بالسيف «في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى او عذراء ولا على شيخ او أشيب، بل أسلم الجميع الى يده»[٢٩]، ثم «أحرق بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم» وكل بيوت العظماء فيها[٣٠]، كما هدم أسوار أورشليم، وأجلى «سائر الشعب الذي بقي في المدينة» وكذلك «الذين نجوا من السيف»، فقد أجلاهم الى بابل «حيث صاروا عبيداً له ولبنيه»[٣١]، ولم يترك نبو زرادان في المدينة سوى «فقراء الأرض» الكرّامين والفلاحين[٣٢]. ولم يكتف جند بابل بذلك، بل انهم حطموا «أعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب، وحملوا نحاسها الى بابل»[٣٣]، كما أخذوا «القدور والمجارف والمقاريض والقصاع وجميع أدوات النحاس التي كانوا يخدمون بها»، و«المجامر والصحاف، ما كان منها ذهبا فالذهب، وما كان منها فضة فالفضة»[٣٤]،

---

(٢٧) م. ن. ٢ مل ٢٥: ٣ـ٧، ووادي قدرون، هو وادي «ستي مريم» الحالي، وهو يبتدئ من شمال غربي أورشليم ويسير الى الجنوب الشرقي حتى يصل الى زاوية السور الشمالية الشرقية، ثم ينحدر شرق المدينة، بين سورها وجبل الزيتون وتل المعصية، ثم ينحدر، بعدها، الى مارسابا حيث يسمى «وادي الراهب»، ثم يمتد الى بحر لوط، وهناك يسمى «وادي النار» (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٧١٦).

ملاحظة: نجد ٢ مل ٢٤: ١٨ـ ٢٠ و٢ مل ٢٥: ١ـ ٢١، مكررا في إر ٥٢: ١ـ ٢٧ مع بعض الإضافات التي وردت في سفر إرميا، وقد وضعناها في المتن بين قوسين.

(٢٨) Aharoni, Op. Cit. P. 125 --

(٢٩) العهد القديم ٢ أخ ٣٦: ١٧ و٢ مل ٢٥: ٨.

(٣٠) م. ن. ٢ مل ٢٥: ٩.

(٣١) م. ن. ٢ أخ ٣٦: ٢٠. و٢مل ٢٥: ١١.

(٣٢) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٢.

(٣٣) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٣.

(٣٤) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٤ ـ ١٥، ويذكر ان سليمان كان قد صنع «جميع أدوات بيت الرب» أي: المذبح والمائدة والمنائر والازهار والسّرج والمقاصّ والطسوت والمقاريض والكؤوس والقصاع والمجامر، كلها من الذهب الخالص (١مل٧: ٤٨ـ٥٠)، وقد أخذت كلها الى بابل. (والمقاريض: المقصات).

«وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن بيت الرب، وخزائن الملك ورؤسائه، أخذها بأسرها الى بابل»[٣٥] وفيما يلي احصاء لليهود الذين اجلاهم نبوخذنصر كما ورد في سفر إرميا:

- في السنة السابعة لنبوخذنصر: ٣٠٢٣ (من بني يهوذا)
- في السنة الثامنة عشرة: ٠٨٣٢ (من أورشليم)
- في السنة الثالثة والعشرين: ٠٧٤٥ (من بني يهوذا)
- فيكون المجموع: ٤٦٠٠ نسمة(٣٦).

وتتناقض هذه الرواية تناقضا كليا مع ما مر معنا في سفر الملوك الثاني (٢٤: ١٤و١٦) حيث بلغ عدد الذين أجلوا الى بابل، من أورشليم فقط: ١٠ آلاف منهم:

- سبعة آلاف من رجال الحرب.
- والف من الحدادين والقفّالين.

واختار نبوزرادان من أهل المدينة صفوتهم ووجهاءهم وساقهم الى الملك في ربلة، فقتلهم جميعا، واما من بقي من الشعب فولى عليهم «جَدَليا بن أحيقام بن شافان» فبايعوه في «المصفاة». الا ان بعض الرجال، وعلى رأسهم «اسماعيل بن نَتَنْيَة بن أليشاماع» من السلالة الملكية، وبتحريض من «بعليس» ملك العمونيين[٣٧]، أقدموا على قتل جدليا، اذ قصدوه في المصفاة وضربوه حتى الموت، كما ضربوا من كان معه من اليهود والكلدانيين وهربوا الى مصر[٣٨]، وقد جرى ذلك في شهر ت ١ عام ٥٨٦ ق.م.[٣٩].

٢ـ سقوط بابل، وعودة اليهود المسبيين الى فلسطين على يد الملك الفارسي «قورش»:

لم يطل الأمر ببابل بعد ذلك، اذ انه، بعد وفاة نبوخذنصر عام ٥٦١ ق. م، تسلم الملك

---

(٣٥) م.ن. ٢ أخ ٣٦: ١٨.

(٣٦) م.ن. ار ٥٢: ٢٨ـ ٣٠.

Aharoni, Op. Cit. P. 125(٣٧)

(٣٨) العهد القديم، ٢ مل ٢٥: ١٨ـ ٢٦.

Aharoni, Op. Cit. P. 125 (٣٩)

بعده، ابنه «أويل مرودخ» الا انه لم يستمر فيه اكثر من عامين، اذ قتل على يد جماعة من الثوار كان على رأسهم رجل يدعى «نيرغلسر» وقد تسلم الملك مكانه، الا ان هذا لم يبق في الملك طويلا، كذلك، إذ خلفه، بعد ثلاث سنوات او اربع (في عام ٥٥٦ ق.م.) ابنه الذي لم يملك سوى بضعة أشهر حيث قتل بعدها وتسلم الملك (عام ٥٥٥ ق.م.) رجل يعدى نبونادیوس[٤٠]، وقد حكم هذا طيلة سبعة عشر عاما (حتى عام ٥٣٩ ق.م.) حين هزم على يد قورش الفارسي، وأصبحت بابل محمية للملك الفارسي وخاضعة له[٤١].

يزعم العهد القديم ان قورش، الملك الفارسي، قد تلقى، في السنة الأولى لانتصاره على بابل، أمرا من الرب لكي يعيد المسبيين اليهود الى ارض فلسطين، ويعيد بناء الهيكل في أورشليم[٤٢]، ولكننا نميل الى الاعتقاد، عن قناعة تامة، انه لا علاقة للرب بهذه الأحداث غير الثابتة علميا، واننا نميل الى اعتماد الرأي الذي اعتمده المؤرخ (اليهودي) ايلي بارنافي، حين قال: «سقطت بابل بيد الملك الفارسي قورش عام ٥٣٩ ق.م، حيث اصبح السلطان الملطق على كامل آسيا الغربية، فسعى، لتثبيت امبراطوريته، الى اتباع سياسة متحررة تجاه الشعوب المغلوبة. هكذا يجب ان نفهم اعلانه (عام ٥٣٨ ق.م.) الذي سمح للمنفيين من أورشليم بالعودة الى بلادهم (كذا) واعادة بناء معبدهم. واكثر من ذلك، فان الملك الذي اعلن انه يريد ان ينفذ ارادة اله اسرائيل (وهو الذي فتح بابل باسم إلهه مردوك) ساعد، بأمواله، أولئك الراغبين بالهجرة»[٤٣].

وقد جاء في المرسوم الذي أصدره قورش، وذكره سفر عزرا كاملا، ما يلي:

«هكذا قال قورش، ملك فارس: جميع ممالك الأرض قد اعطاني اياها الرب، اله السموات، وأوصاني بان ابني له بيتا في أورشليم التي بيهوذا، فمن كان منكم من شعبه

---

(٤٠) Hérodote, L'Enquête L'I, P. 141 No 188 et P. 488 (Note 201)

وانظر: بورتر، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٤١) انظر وصفا وافيا لكيفية احتلال قورش البابلي لمدينة بابل:

- Hérodote, Op. Cit. L I PP 141 -- 143 (No 188 191)

(٤٢) العهد القديم، ٢ أخ ٦: ٢٢ـ٢٣ وعز ١: ١ـ٥.

(٤٣) Barnavi, Op. Cit. P. 28 ويؤيد هذا الرأي محققو العهد القديم (النسخة العربية) الذين يرون ان ملوك فارس كانوا متساهلين جدا، على وجه العموم، في شأن عبادات الهياكل التي استولوا عليها، فقد رمموها ودعموها، مع مراقبتهم لها، (العهد القديم، ص ٨٣٨ حاشية ٢).

أجمع، فالهه يكون معه، فليصعد الى اورشليم التي في يهوذا ويبنِ بيت الرب، اله اسرائيل، وهو الاله الذي في اورشليم. وكل من بقي في أحد الامكنة حيث هو نزيل هناك، فليمده اهل مكانه بالفضة والذهب والمال والبهائم، فضلا عما يتبرعون به لبيت الله الذي في اورشليم»[٤٤]. انتهى المرسوم.

لا شك في ان مضمون هذا المرسوم يتلاءم تماما مع الروح اليهودية المعروفة منذ القدم، والمستمدة من مجمل أحداث العهد القديم ونصوصه ووصايا اله اسرائيل، منذ خروج بني اسرائيل من أرض مصر وحتى سبيهم الى بابل. فهو يطالب اليهود بالتوجه الى «ارض الميعاد» التي اخرجوا منها، واعادة بناء الهيكل الذي هدمه نبوخذنصر، ومن لم يستطع العودة فعلى «اهل مكانه» ان يمدوه بالمال اللازم ليرسله، بالاضافة الى التبرعات، «لبيت الله الذي في أورشليم». ويبدو، من نص المرسوم، ان بامكان هذا الذي أُجلي ان يبقى في مكانه، شرط ان يرسل المال والتبرعات. وقد جرى ذلك وفقا لما نقل الينا من تاريخ فارس، اذ إن مجموعة يهودية ظلت، في أرض السبي، في بلاد بابل، تمارس تقاليدها وشعائرها الدينية وقوانينها، وقد أقامت في مرزبانية «ما وراء النهر»[٤٥]. وكتب الملك ارتحشَشتا، ملك فارس، الى الكاهن عزرا، بشأن هذه المجموعة، رسالة يأمره فيها ان «أقم قضاة وحكاما يقضون بين كل الشعب الذي في عبر النهر، من كل من يعرف شريعة الهك، ومن لا يعرفها فعلموه اياها. وكل من لا يعمل بشريعة الهك وشريعة الملك، فليحكم عليه حكما شديدا اما بالموت او بالنفي او بغرامة مال او بالحبس»[٤٦].

ان من يقرأ المرسوم الصادر عن قورش الى شعب اسرائيل والرسالة الصادرة عن أرتحششتا الى عزرا يكاد يظن ان كلا الملكين الفارسيين قد تخليا عن ديانتهما واعتنقا الديانة اليهودية، ولكن ما ذكره محققو النسخة العربية من العهد القديم يزيل كل ظن، اذ أورد هؤلاء ما يلي: «يظهر هذا المرسوم بمظهر اعلان وجّه بالعبرية، وبلسان منادين رسميين، الى اليهود والمجلوّين، ولا شك ان تحريره قد تم عن يد الموظفين اليهود الذين كانوا في الديوان الفارسي»[٤٧]. انهم الموظفون اليهود، اذن، وراء اصدار هذا المرسوم

(٤٤) العهد القديم، عز ١: ٢-٥.

(٤٥) Aharoni, Op. Cit. P. 127 -

(٤٦) العهد القديم، عز ٧: ٢٥-٢٦.

(٤٧) العهد القديم، ص ٨٢٨ حاشية (٦).

وما لحق به من أوامر ورسائل وتعليمات صدرت عن الديوان الفارسي، ولا غرابة في ذلك، فقد عودنا اليهود ان يكونوا المجلّين في هذا المضمار، وان تكون مصلحة الفرد اليهودي، في أي وطن، فوق مصلحة الوطن نفسه، وتلك هي حال الجنس اليهودي منذ القديم الى اليوم[٤٨].

ترى، هل يتاح للشعب العربي الفلسطيني الذي يعيش اليوم الشتات والغربة القسرية والسبي الحقيقي، منذ نحو نصف قرن، رجال مثل قورش وارتحششتا، يعيدونه الى ارضه المغتصبة ويعيدون اليه حقه السليب؟ ما دامت أمة عربية، بكاملها، قد أثبتت عجزها عن اعادته؟

بعد صدور المرسوم الآنف الذكر، بدأ اليهود (يعودون) الى أرض فلسطين، وقد تم ذلك على عدة مراحل أهمها اثنتان (ذكرهما العهد القديم)، وهما:

ـ المرحلة الأولى: تمت في عهد الملك قورش عام ٥٣٨ ق. م. بقيادة ششباصر (او شناصر) ابن الملك يوياكيم، وكان فيها أحد عشر مرشدا هم: زربّابل ويشوع ونحميا وسرايا ورعليا ومردكاي وبلشان ومسفار وبجواي ورحوم وبعنه. اما عدد العائدين فكان:

ـ ٤٢٣٦٠ من اليهود.

و ـ ٧٥٣٧ من الاتباع (وهم: ٧٣٣٧ من العبيد والاماء و ٢٠٠ من المغنين والمغنيات)

و ـ ٧٣٦ من الخيل

و ـ ٢٤٥ من البغال

و ـ ٤٣٥ من الجمال

و ـ ٦٧٢٠ من الحمير[٤٩].

ـ المرحلة الثانية: تمت في عهد الملك ارتحششتا الأول عام ٤٥٧ ق. م. بقيادة عزرا، وقد ضمت:

١٧٥٤ يهوديا[٥٠].

---

(٤٨) نحاذر ان نستخدم عبارة «الشعب اليهودي» لاعتقادنا ان الصهيونية لم تستطع، حتى اليوم، ان تصنع من شتات اليهود، في مختلف اصقاع الارض، شعبا واحدا.

(٤٩) Aharoni, Op. Cit. P.127, and Map. No 167 P. 128 - والعهد القديم، عز ٢: ١ ـ ٦٦.

(٥٠) العهد القديم، عز ٨: ١ ـ ٢٠ وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 128 Map 167 -

وقد أُحصي عدد السكان اليهود في أورشليم، بعد العودة من السبي، فبلغ: ٣٠٤٤ يهوديا. وكان أول عمل قام به اليهود، بعد عودتهم الى أورشليم، اعادة بناء الهيكل الذي كان نبوخذنصر قد دمره، ولكن معارضة شديدة ظهرت في فلسطين ضد اعادة بنائه، وكانت هذه المعارضة من قبل الشعوب المجاورة من جهة، ومن قبل فريق من اليهود، من جهة اخرى. ومن الذين عارضوا اعادة بناء اورشليم وسورها وهيكلها: «سنبلّط وطوبيا (اليهوديان) والعرب والعمونيون والاشدوديون»[٥١]، فقد هدد هؤلاء بان «يحاربوا اورشليم وينزلوا بها شرا» ان اعاد اليهود بناءها[٥٢]، كما ارسل اهل السامرة رسالة للملك أرتحششتا يطلبون منه عدم السماح ببناء مدينة اورشليم وهيكلها، وقد جاء فيها: «ليكن معلوما لدى الملك ان اليهود الذين صعدوا من عندك الينا وأتوا الى اورشليم، ويبنون المدينة المتمردة الشريرة ويرممون أسوارا، بعد ان احاطوا اساسها بسور، لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة، فيلحق ضرر بدخل الملوك...» ويستطرد اهل السامرة، في الرسالة نفسها: «ليُبحث في كتاب ذكريات آبائك فتجد في كتاب الذكريات وتعلم ان هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة الى الملوك والأقاليم، وانهم قد أثاروا فيها فتنا في قديم الزمان، ولذلك ضربت هذه المدينة....»[٥٣]، فلما تليت هذه الرسالة امام الملك ارتحششتا، بادر الى وقف اعمال البناء في أورشليم «بالعنف والقوة»[٥٤]. وظلت اعمال البناء متوقفة في هيكل اورشليم الى ان أمر داريوس الأول (عام ٥٢٠ ق.م.) باعادة بنائه، فأعيد بناؤه خلال خمس سنوات (٥٢٠ ـ ٥١٥ ق.م.)[٥٥].

فهل ان ما ورد في رسالة أهل السامرة للملك ارتحششتا الأول، بصدد اليهود وهيكلهم، وهل ان معارضة الشعوب المجاورة لأورشليم، وفيهم فئة من اليهود، لاعادة بناء أورشليم وهيكلها، هو افتئات على اليهود وظلم لهم، ام انه نتيجة حتمية لسلوك اليهود تجاه الشعوب والأمم في كل حقبات التاريخ؟

---

(٥١) العهد القديم، نح ٤: ١ وانظر Aharoni, P. 127 --

(٥٢) م.ن. نح ٤: ١.

(٥٣) م.ن. عز ٤: ١٢ـ١٦.

(٥٤) م.ن. عز ٤: ٢٣.

(٥٥) م.ن. ص ٨٤٤ و Aharoni, Op. Cit. P. 127 -

حصار بيت فلْوى وأسطورة يهوديت

لا شك في ان مؤلف سفر يهوديت قد أمعن في خياله الى درجة انه استخدم بعض الرموز التاريخية في غير مكانها وزمانها، مضيفا اليها اسماء اماكن وشخصيات ابتدعها خياله، وربط كل ذلك بسلسلة من الأحداث لا تخفى اسطوريتها على أي قارئ. الا ان ما لا يمكن انكاره هو ان المؤلف قد أضفى على السرد الروائي للأحداث، من بلاغة الاسلوب وشفافية الوصف، ما جعله مؤثرا ومقبولا لدى المتدينين والمؤمنين بالعقيدة اليهودية، وهو ما شجّع التوراتيين ودفعهم الى قبول هذه الرواية الاسطورية وغير المعقولة، كسفر من أسفار العهد القديم.

فنبوخذنصر الذي تدور حوله قصة حصار بيت فلوى في اليهودية، لم يكن ملكا لاشور في نينوى، بل كان ملك بابل، كما مر معنا، وبيت فلوى، التي يروي السفر قصة حصارها على يد جيش نبوخذنصر (الاشوري) وقائده (اليفانا)، باعتبارها مدينة يهودية «تقع في السامرة، بالقرب من دوتائين، وفي سهل يزرعيل»[٥٦]، والتي نشر اليفانا جيشه حولها لحصارها، حيث انتشر «في العمق، من دوتان الى بلماء، وفي الطول من بيت فلوى الى قليمون التي قبالة يزرعيل»[٥٧]، هي غير معروفة تاريخيا، وغير موجودة في فلسطين. أما «اليفانا» فهو اسم فارسي لأحد قادة جيش أرتحشستا الثالث (٣٥٩ ـ ٣٣٨ ق. م.)[٥٨]، ولم يكن في جيش نبوخذنصر قائد بهذا الاسم.

ويحاول المؤرخ الدبس في مطالعة غنية بالحجج ـ وان كانت غير مقنعة ـ ان يثبت «حقيقة» هذه الرواية في سفر يهوديت، مستندا الى أبحاث قدمها، في هذا المجال، البحاثة والعالم الفرنسي «روبواسون» في مجلة «الارض المقدسة». ويرى الدبس ان أحداث هذا السفر جرت في عهد «أشور بنيبال» ملك اشور، وليس في عهد نبوخذنصر، وانها «أحداث تاريخية لا تخيلية كما وهم بعض الملحدين، ولا رمزية او نبوية كما زعم بعض العلماء»[٥٩]، ثم يؤيد رأيه هذا بما ورد في مجلة «الارض المقدسة» (في نشرتها الصادرة

---

(٥٦) العهد القديم، ص ٨٩٩ (مدخل الى سفر يهوديت).

(٥٧) م. ن. يه ٧: ٣.

(٥٨) م. ن. ص ٩٠٦ حاشية (٢).

(٥٩) الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٥١٩.

في ١٥ حزيران ١٨٩٤) عن اكتشافات في الآثار الاشورية توصل اليها العالم روبواسون، حيث وجد ان «بيت فَلْوى» كانت بالقرب من حطين غرب بحيرة طبرية، وان «دوتان» كانت في حطين كذلك (وليس هي تل دوتان المعروف اليوم)، وان «بلما» هي «ابل بيت معكة» وكانت في نواحي طبرية، وان «قليمون» كانت في المحل المعروف اليوم «بكفركاما»، وان جيش «اليفانا» عبر الأردن عند جسر «بنات يعقوب» حيث مواقع هذه المدن «بين صفد شمالا وبحيرة طبرية جنوبا»[٦٠]. ولكن المؤرخ الدبس يعرض وجهة نظر اخرى في مواقع هذه المدن وهي وجهة نظر البحاثة «كاران» الذي يرى ان «دوتان» هي المعروفة اليوم «بتل دوتان، في الشمال الغربي من سانور والجنوب الغربي من جنين»، وان «بلما» هي المعروفة «بخربة بلعمة، على مقربة من دوتان»، وان «قليمون» وهي المعروفة اليوم «بتل كليمون، في طرف مرج ابن عامر، على طريق عكا» وان «بيت فلوى» هي المعروفة اليوم «بسانور»، وتقع جميع هذه الاماكن في السامرة.

ويرى الدبس ان الأحداث المروية في سفر يهوديت قد جرت في السامرة قبل خرابها، لذا لا نجد ذكرا لملك فيها، كما ان بيت فلوى كانت احدى مدن السامرة[٦٢]، ولكن محققي العهد القديم لا يقرّونه على ذلك، اذ يرون ان «بيت فلوى» هذه، التي يصفها العهد القديم، في السفر نفسه، بانها كانت مبنية «على رأس جبل شديد الانحدار وفوق ينابيع تتدفق في الوادي» غير معروفة في تلك الناحية[٦٣].

ويبرر الدبس عدم وجود اسم القائد «اليفانا» في الآثار الاشورية بان صحة الرواية «لا تتوقف على الاسم، والأعلام عرضة للتغير، والنص العبراني في سفر يهوديت مفقود وبين ترجماته تباين واختلاف». وينسب الدبس رأيه الى الباحث «فيكورو» في موسوعته[٦٤].

أما مؤلف سفر يهوديت فهو مجهول، ويرجح انه كتب في القرن الثاني ق.م. بلغة

---

(٦٠) م.ن. جـ٢: ٥٢١ـ٥٢٢ حاشية(١).

(٦١) م.ن. جـ٢: ٥٢١.

(٦٢) م.ن. جـ٢: ٥٢٥.

(٦٣) العهد القديم، ص ٨٩٩ (مدخل الى سفر يهوديت).

(٦٤) الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ٥٢٨.

سامية يرجح انها عبرية، ثم نقل الى اليونانية، فاللاتينية حيث تمت ترجمته الى باقي اللغات. واما مسألة إدراجه في «المجموعة الرسمية للاسفار المقدسة» فقد تمت في عهد البابا «اينوقنتيوس» الأول عام ٤٠٥ م، ثم قبلت به مجامع فلورنسا (عام ١١٤٢م) وترانتو (عام ١٥٤٦ م) والفاتيكان الأول (عام ١٨٧٠). ورغم ان هذا السفر لم يدرج في مجموعة الأسفار المقدسة التي اعتمدها التوراتيون، في البدء، فان شيوع استعماله «عند الكتاب المسيحيين، حتى عند الذين كانوا يعارضون معارضة نظرية ان تلك الأسفار موحى بها من لدن الله»، سهّل عملية قبوله في مجموعة الاسفار المقدسة التي صادق البابا على قبولها «كلائحة للكتب القانونية». ولكن اصلاحيي القرن السادس عشر عادوا فأطلقوا على الأسفار التي لم ترد في «القانون الكتابي اليهودي» صفة الأسفار «المنحولة» ومن هذه الأسفار، سفر يهوديت[٦٥].

تقول الرواية:

قرر نبوخذنصر غزو بلاد الميديين وقهر ملكها أرفكشاد (ويبدو انه اسم خيالي لأنه لم يعرف في تاريخ الميديين ملك بهذا الاسم)، فاستنفر جيوشه وأتباعه وحلفاءه «جميع سكان بلاد فارس وجميع سكان الناحية الغربية وسكان قيليقية ودمشق ولبنان ولبنان الشرقي وجميع سكان الساحل الذين من أمم الكرمل وجلعاد والجليل الأعلى وسهل يزرعيل الواسع، وجميع الذين من السامرة ومدنها وعبر الأردن الى أورشليم وبيت عنوت وكِلّود وقادش ونهر مصر وتحفنحيس ورمسيس وأرض جاسان كلها، الى ما وراء صوعن ونوف وجميع سكان مصر الى حدود الحبشة»[٦٦]، الا ان معظم هؤلاء لم يلبوا استنفار نبوخذنصر واستهانوا بأوامره وردوا رسله «فارغي الأيدي خزايا الوجوه»[٦٧]، عندها قرر ان يغزو الميديين «بجيشه الخليط الغفير جداً من المحاربين الذين انضموا اليه»[٦٨] فقهرهم واحتل بلادهم وقتل مليكهم ارفكشاد[٦٩]. وكان قد اقسم ان ينتقم من ارفكشاد ومن الذين لم يلبوا نداءه «من جميع بلاد قيليقية والشام وسوريا»، ومن «جميع

---

(٦٥) العهد القديم، ص ٩٠١ ـ ٩٠٢ (مدخل الى سفر يهوديت).

(٦٦) م.ن. يه ١: ٧ ـ ١٠.

(٦٧) م.ن. يه ١: ١١.

(٦٨) م.ن. يه ١: ١٦.

(٦٩) م.ن. يه ١: ١٣ ـ ١٥.

الساكنين في أرض مؤاب وبني عمون وكل اليهودية، وجميع الذين في مصر الى حدود البحرين»[٧٠].

وما ان انتهى نبوخذنصر من قتال الميديين وعاد الى عاصمته نينوى (هكذا ورد في الرواية، والحقيقة ان عاصمة نبوخذنصر كانت بابل وليس نينوى، كما انه لم يكن ملك اشور بل ملك بابل، كما قدمنا)، حتى استدعى أليفانا «قائد جيشه وثاني رجل بعده» وأمره بان يخرج بنحو «ماية وعشرين الفا من المشاة» وعدد كبير من الأفراس مع «اثني عشر الفاً من الفرسان»[٧١] ويحمل على اهل بلاد الغرب «لانهم لم يطيعوا أوامر فمي»[٧٢] فيحتل «كل ارضهم» ويسلمهم «الى القتل والنهب» ويسوق اسراهم «الى اقاصي الأرض كلها»[٧٣]. وعمل اليفانا بأوامر مليكه، فجمع جيشاً من نحو «عشرين الف رجل واثني عشر الف فارس نبال» واخذ «عدداً كبيراً جداً من الجمال والحمير والبغال» لحمل الأمتعة و«عدداً لا يحصى من الخراف والبقر والماعز» لاعاشة الجند[٧٤]، وأعطى كل رجل «مؤونة كثيرة وقدرا وافرا جدا من الذهب والفضة من بيت الملك»[٧٥] وخرج بجيشه هذا «الى الغرب» لتنفيذ أوامر الملك.

خط سير اليفانا:

سار اليفانا بجيشه من نينوى الى سهل «بكتيلة»[٧٦] على نحو ثلاثة ايام من نينوى، حتى وصل الى شمال قيليقية (كيليكية) العليا، ثم سار من هناك بجانب الفرات الى ما بين النهرين، مدمرا، في طريقه، جميع المدن المحصنة، حتى وصل الى البحر، واحتل بلاد قيليقية حتى حدود يافث «الى الجنوب، حيال ديار العرب»، ثم نزل الى سهول دمشق

---

(٧٠) م. ن. يه١ : ١٢، ويقصد «بحدود البحرين» البلاد كلها.

(٧١) م. ن. يه٢ : ٤ـ ٥.

(٧٢) م. ن. يه٢ : ٦ والمقصود «ببلاد الغرب» قيليقية والشام وسوريا.

(٧٣) م. ن. يه٢ ٠ ٩ ـ ١١.

(٧٤) م. ن. يه ٢. ١٥ـ١٧.

(٧٥) م. ن. يه٢ : ١٨.

(٧٦) سهل غير معروف ولم نجد له اسما على الخارطة.

واتجه منها غربا حتى وصل الى صيدا وصور وعينكا (عكا)[٧٧]، فخشيه جميع اهل «اشدود وأشقلون» وأرسلوا اليه رسلا يستعطفونه ويقدمون اليه الخضوع والطاعة[٧٨]، حتى اذا ما وصل الى سهل يزرعيل «بالقرب من دوتائين التي قبل سلسلة جبال اليهودية الكبيرة» عسكر بجيشه «ما بين جبع وبيت شان»[٧٩] وبدأ يستعد لقتال بني اسرائيل.

وارتعد بنو اسرائيل «المقيمون في اليهودية» عندما سمعوا بما فعله جيش اليفانا القادم لمحاربتهم «وخافوا خوفا شديدا جدا»، واستنفروا جميع بلدان السامرة «كونا وبيت حورون وبلمائين وأريحا وتوبا وعزورا ووادي شليم»[٨٠]، ثم انهم «احتلوا جميع رؤوس الجبال العالية، وسوّروا القرى التي فيها، وتزودوا استعدادا للقتال»[٨١]، وكتب «يواكيم» عظيم كهنة أورشليم الى اهل مدينتي «فلوى وبيت مُستئيم» اللتين هما «حيال يزرعيل وقبالة السهل القريب من دوتائين» يأمرهم ان يمنعوا برجالهم مسالك الجبل «لان بها يتم الوصول الى اليهودية، ولانه من السهل صد المتقدمين» عندها، ذلك لأن هذه المسالك لا تسمح بالمرور لاكثر من «اثنين اثنين فقط»، بسبب ضيق ممراتها، فنفذ بنو اسرائيل اوامر رئيس الكهنة بحذافيرها، وكذلك أوامر «مجلس شيوخ شعب اسرائيل كله، الذي كان يعقد جلساته في أورشليم»[٨٢].

حصار بيت فلوى:

في هذه الأثناء، كان اليفانا يعقد مجلسا حربيا لقادة جيشه لكي يستشيرهم في الأمر، بعد ان عرف بالتدابير التي اتخذها بنو اسرائيل لمنعه من التقدم نحو مدنهم، وكان معه، من أهل البلاد، بنو عيسو(أدوم) وبنو مؤاب وبنو عمون (وهم أعداء تقليديون لبني اسرائيل) وجميع رؤساء الساحل[٨٣].

---

(٧٧) ذكر محققو العهد القديم ان خط السير هذا يحتوي على «عدد من الاماكن المجهولة او التي لا تعرف معرفة اكيدة، وهناك أماكن أخرى يطلق عليها اسماء معروفة ولكنها تستعمل على نحو غير مألوف. وعلى كل حال، فخط السير الموصوف هنا غير معقول، فلربما كان المؤلف يجهل جغرافية تلك البلاد، او لربما لم يكن يأبه لان يحدد مكان الاحداث تحديدا دقيقا» (العهد القديم، ص ٩٠٧ حاشية٥).

(٧٨) العهد القديم، يه٢: ٢٨ و٣: ١ـ٤.

(٧٩) م.ن. يه٣: ٩.

(٨٠) م.ن. يه ٤: ٤ ولم نجد بعض هذه الاسماء في المعاجم الجغرافية.

(٨١) م.ن. يه ٤: ٦ـ٨.

(٨٢) العهد القديم، يه ٤: ٥.

وبعد تدارس الوضع العسكري، تبين ان مدينة «بيت فلوى» تشكل، بموقعها، مدخلا مهماً الى سائر انحاء بلاد اسرائيل، والى اورشليم العاصمة، وان احتلالها يتيح لجيش اليفانا اجتياح البلاد كلها، ولكن هذه المدينة منيعة وحصينة لانها تقع على رأس جبل عال محاط بالمنحدرات الصعبة، بحيث يصعب الوصول اليها، الا انها تستقي من الينابيع المحيطة بالمدينة والواقعة في السفوح المحيطة بها، فكان قرار القائد اليفانا ما يلي:

- احكام الحصار على المدينة بقواته وقوات حلفائه من أهل المدينة.

- احتلال ينابيع المياه المحيطة بالمدينة ومنع المياه عن اهلها.

توزيع القوات:

وقد قرر توزيع هذه القوات على الشكل التالي:

١ـ تعسكر قوات على عين الماء «في الوهدة المجاورة لبيت فلوى» ثم:

- تنتشر في العمق «من دوتان الى بلما»

- وتنتشر في الطول «من بيت فلوى الى قليمون» قبالة يزرعيل،

٢ـ تحتل قوات اخرى (من بني ادوم وبني مؤاب وبني عمون ورؤساء الساحل)، رؤوس الجبال القريبة والمحيطة بالمدينة، بحيث تشكل حزاما محيطا بها، يمنع الخروج منها او الدخول اليها، وتشكل، في الوقت نفسه، مخافر أمامية لجيش اليفانا[٨٤].

توزيع المهمات:

وجرى توزيع المهمات على القوات كما يلي:

١ـ احتل «جيش من بني عمون» ومعهم ٥ آلاف من جيش اليفانا «عيون ماء بني اسرائيل وينابيعهم» الكائنة «في الوهدة» حيث عسكروا.

٢ـ احتل بنو عيسو وبنو عمون «الناحية الجبلية قبالة دوتائين» وأرسلوا قوات منهم الى الجنوب والشرق لكي تعسكر «قبالة اغربيل» بالقرب من «خوس، عند سيل مُخمور».

(٨٤) م.ن. يه٧: ٣و ١٢ـ١٣.

٣ـ انتشرت باقي القوات من جيش اليفانا في السهل بحيث غطت «وجه الأرض كله»[٨٥].

استمر الحصار مدة «اربعة وثلاثين يوما» شعر خلالها وبعدها، أهل المدينة، بوطأته، خصوصا عندما نفدت الماء من المدينة وجفت الآبار، وأضحى أهلها مهددين بالموت عطشا، حيث أضحى أطفالهم «خائري القوى» ونساؤهم وشبانهم «منهوكين من العطش» يسقطون «في شوارع المدينة، وفي ممرات الأبواب» بلا أية عزيمة[٨٦]. فقرر رؤساء المدينة وشيوخها ان يستسلموا، خلال خمسة ايام، ان لم يمدهم «الرب الاله» اله اسرائيل، بعون من عنده[٨٧].

دور يهوديت:

عندها، ظهرت في المدينة، امرأة ارملة حسناء، شديدة الجمال، كانت قد فقدت زوجها منذ سنوات، فانشغلت عن الحياة بالصوم والعبادة، وتدعى «يهوديت بنت مراري»، فجمعت اليها شيوخ المدينة ورؤساءها وأعلنت انها سوف تقوم بمغامرة لانقاذ مدينتها، وطلبت اليهم ان يثقوا بها، فمنحوها الثقة والبركة، فاغتسلت وتطيبت، وخلعت ثياب الترمل وارتدت ثياب الفرح وتزينت بكل زينتها، «وتجمّلت جدا لاغراء عيون الرجال الذين ينظرون اليها»[٨٨]، واصطحبت معها وصيفتها، وسارت الى معسكر الأعداء حاملة، بالاضافة الى ما بدا فيها من سحر وجمال وفتنة، ما توافر لها من مآكل، من خمر وزيت ومن «فطائر دقيق الشعير والفواكه اليابسة والأرغفة الطاهرة»[٨٩]، وما ان وصلت الى معسكر الأعداء حتى أُدخلت الى خيمة القائد اليفانا الذي بهره جمالها فاستبقاها لديه.

ولم تُعي يهوديت الحيلة والفصاحة في شرح امرها للقائد اليفانا، اذ استطاعت اقناعه بانها هربت من اهلها لانها آمنت بحتمية انتصاره عليهم، وانهم هالكون لا محالة لانهم

---

(٨٥) م.ن. يه٧: ١٧ـ١٨.

(٨٦) م.ن. يه ٧: ١٩ـ٢٢.

(٨٧) م.ن. يه ٧: ٢٣ـ ٣١.

(٨٨) م.ن. يه ١٠: ٣ـ ٤.

(٨٩) م.ن. يه ١٠: ٥.

عصوا ربهم بعد ان «قرروا استعمال كل ما نهاهم الله في شرائعه عن أكله»، فقررت عندها ان تهرب من وجههم وان تأتي اليه «لأعمل معك أعمالا تدهش لها الأرض كلها»[٩٠]. ثم التمست منه ان يسمح لها بان تأكل مما حملت معها، وان تخرج كل مساء، الى الوادي، في جوار المعسكر مع وصيفتها للصلاة، ولكي تتضرع الى ربها فيخبرها متى يرتكب اهلها الخطيئة «فأجيء وأخبرك، فتخرج بجيشك كله... وأقودك في وسط اليهودية، الى ان تصل الى أورشليم، وأجعل عرشك في وسطها، فتسوقهم كخراف لا راعي لها»[٩١]، فاذن لها القائد بذلك بعد ان اقتنع بصدق ادعاءاتها.

واستمرت يهوديت على هذه الحال ثلاثة ايام بلياليها، لا تخرج من خيمتها الا للصلاة، خارج المعسكر، ومعها وصيفتها. وفي اليوم الرابع، دعاها اليفانا لتناول الطعام والخمر على مائدته، ومع قادته، في خيمته، وكانت قد راقت في عينيه وعزم على معاشرتها، فلبت دعوته. واستمر الشرب والسمر حتى ساعة متأخرة من الليل غادر بعدها القادة السمّار خيمة قائدهم وتركوه يختلي بضيفته، وأقفل «بوغا»، خصيّه، الباب عليهما، وانصرف. وكان اليفانا قد اسرف في الشرب حتى غلبه النوم فاستلقى على سريره وغفا، فما كان من يهوديت الا ان سلّت خنجرا للقائد المخمور كان معلقا فوق السرير فاجتزت به رأس القائد اليفانا، ثم استدعت وصيفتها فوضعت الرأس في جعبتها وخرجتا معا، كعادتهما كل مساء، نحو الوادي، الى خارج المعسكر، للصلاة، كما كان الجميع يظنون، وما ان وصلت الى أسوار المدينة حتى نادت الخفراء ففتحوا لها الباب، واستدعت شيوخ المدينة ورؤساءها وألقت امامهم رأس اليفانا، فخروا أمامها خاشعين وطلبت منهم ان يرفعوا الرأس، عند الفجر، على سور المدينة، ويستنفروا رجالهم، ثم يستعدوا للهجوم على معسكر الأعداء عندما يكتشف هؤلاء مقتل قائدهم فيدب الذعر والهلع في صفوفهم، وتنتابهم الفوضى. وهكذا كان، اذ نزل رجال المدينة الى السهل وهاجموا المعسكر، عند الفجر، وطاردوا جند اليفانا وحلفائه وقتلوا منهم مقتلة عظيمة[٩٢]. وانهزم جند اليفانا وولوا هاربين «في جميع طرق السهل والناحية الجبلية»[٩٣] بينما كان جميع المحاربين من

---

(٩٠) م.ن. يه ١١: ٥-١٦.

(٩١) م.ن. يه ١١: ١٧-١٩.

(٩٢) م.ن. يه ١٢-١٥.

(٩٣) م.ن. يه ١٥: ٢.

بني اسرائيل يتوافدون «من أورشليم ومن الناحية الجبلية كلها»، ومن «بيت مستئيم وبيباي وخويا وكولا» ومن «اسرائيل كلها»[٩٤]، لمطاردتهم وابادتهم، كذلك هرع المقاتلون من «جلعاد والذين في الجليل»[٩٥] لكي يضربوا جناحهم «بضربات شديدة، الى ان اقتربوا من دمشق وارضها»[٩٦]، ونهب من بقي من سكان بيت فلوى معسكر الأعداء وغنموا منه مغانم كثيرة[٩٧].

وبعد، لن نحاول، في ختام هذه الرواية الاسطورية ان نبرر عدم قناعتنا بصحة ما ورد فيها من أحداث (رغم ما يقدمه المؤرخ الدبس من حجج غير مقنعة ولا وافية)، بل نكتفي بتقديمها للقارئ لكي يحكم على أحداثها، وفقا لقناعاته هو، ولكي يستنتج، من هذه الأحداث مغزى الحوافز الدينية اليهودية التي املتها والتي وضعت من اجلها هذه الرواية الاسطورة.

---

(٩٤) م.ن. يه ١٥: ٤.

(٩٥) م.ن. يه ١٥: ٥.

(٩٦) م.ن. يه ١٥: ٥.

(٩٧) م.ن. يه ١٥: ٦.

الفصل الرابع

ثورة المكابيين وحروبهم ضد السلوقيين وحلفائهم

(١٦٧ـ ١٣٤ ق.م.)

يذكر العهد القديم انه، ما ان أشرف الاسكندر المقدوني على الموت عام ٣٢٣ ق.م. حتى جمع اليه «أشراف ضباطه الذين تربوا معه منذ الصبا، فقسم مملكته بينهم وهو لا يزال حيا»[١] الا ان معظم المصادر تذكر غير ذلك[٢] وتروي ان هؤلاء الضباط تقاسموا مملكة الاسكندر بعد موته، فكان نصيب سلوقس «بابل»، وبطليموس «مصر»، وانتيغونس

---

(١) العهد القديم، ١ مك ١: ٦

(٢) يذكر «روجيه برفيت» ان بطليموس سأل الاسكندر، وهو على فراش الموت: «الى من ستترك الامبراطورية» فأجابه الاسكندر: «للاكثر جدارة»، ولكنه خلع خاتمه الملكي وأعطاه لبرديكاس Perdiccas، وكان أقرب رجاله اليه. وقد جرى ذلك في اليوم العاشر لمرضه، أي يوم وفاته بالضبط. (Peyerfitt, Roger, Alexandre le Grand, PP 505 - 507)

ويبدو ان زوجة الاسكندر (وتدعى روكسانا) كانت حاملا حين وفاة زوجها، فهل كان الاسكندر يقصد، من اعطاء الخاتم لبرديكاس، جعله وصيا على العرش الى ان يتبين امر حمل زوجته؟ وان كان ذلك صحيحا، فلماذا لم يعلنه الاسكندر صراحة قبل وفاته؟

وقد ولد للاسكندر، بعد وفاته، ابن سمي «الاسكندر الرابع» أعلنه الجيش المقدوني ملكا على المملكة الا انه قتل بعد ذلك، عام ٣١٠ ق. م، بامر من «كاساندر» احد قادة الجيش في زمن ابيه (Enc. Quillet, T1, P. 7). ويؤكد المؤرخ فيليب حتي ان التنازع على السلطة بين ورثة الاسكندر ادى الى تقاسم مملكته بين قادته الاربعة (حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، جـ١: ١٤٤).

ويذكر «هارفي بورتر» ان الاسكندر توفي دون ان يعيّن خليفة له ودون عقب، فاجتمع القادة واتفقوا على تعيين «برديكاس» وكيلا على المملكة، وتعيين «أرديوس» ملكا في الظاهر على ان يشاركه في الملك من سيولد للاسكندر من روكسانا، ان كان ذكرا. الا ان هؤلاء القادة عادوا فاقتسموا المملكة فيما بينهم (بورتر، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٣٩٩). كما يشير محقق «العهد القديم» الى ان فكرة تقسيم الامبراطورية لم تتغلب على فكرة ابقائها موحدة الا بعد معركة «ابسوس Ipsos» عام ٣٠١ ق. م. (العهد القديم، ص ٩٥٣ حاشية ٣).،

«آسيا الصغرى»، وأنتيباتر «مقدونية»[٣]. ولكن ذلك لم يستمر طويلا، اذ ما فتئ سلوقس الأول نيكانور (٣٠٥ ـ ٢٨١ ق.م.) مؤسس المملكة، ان استولى على سوريا، بعد معركة «ابسوس» الشهيرة عام ٣٠١ ق.م.، وعلى جزء كبير من آسيا الصغرى، وأسس مملكة قوية هي «المملكة السورية»، وجعل عاصمتها «انطاكية» وكانت هذه المملكة موضع نزاع مستمر بين حكامها السلوقيين والبطالسة حكام مصر[٤]، وكانت فلسطين قد خضعت، من ضمن سوريا، للحكم السلوقي.

أولا: ثورة مَتَّثْيا وحروبه (١٦٧ ـ ١٦٦ ق.م.)[٥]:

كان انطيوخوس الرابع ابيفانوس[٦] قد تسلم الملك في مملكة السلوقيين خلفا لأخيه سلوقس الرابع، عام ١٧٥ ق.م. (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م.). وكان النزاع، من أجل سوريا، على أشده، بين حكامها السلوقيين والبطالسة حكام مصر، مما جعل انطيوخوس الرابع ابيفانوس يفكر باحتلال مصر، فهاجمها «بجيش عظيم ومركبات وأفيال وفرسان وأسطول عظيم» فهزم ملكها بطليموس السادس فيلوميتور[٧] (١٨٠ ـ ١٤٥ ق.م.) وكان ذلك عام ١٦٩ ق.م.

وفي هذه الأثناء، وبينما كان انطيوخوس الرابع ينازع بطليموس فيلوميتور على

---

(٣) حتي، المصدر السابق، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) م.ن. ص.ن. وانظر Pritchard, J. Atlas du monde Biblique, P. 144.

(٥) هو مَتَّثْيا بن يوحنا بن سمعان، كاهن من بني يوياريب، له خمسة بنين احدهم يهوذا الملقب بالمكابي والذي سوف ياتي الحديث عنه. وقد ورد «مَتَّثْيا»، في العهد القديم انظر بالعربية (ص ٩٥٧)، وفي معظم المراجع الأجنبية (Mattathias).
(انظر: -- Barnavi, Histoire universelle des juifs, P. 44
و- Pritchard, Op. Cit. P. 146)
و - Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 142)
الا ان فلافيوس جوزف سماه «ماتيا Mattias»

(٦) الملك السابع في سلسلة ملوك السلوقيين في سوريا وبابل، وهو الأخ الأصغر لسلوقس الرابع وابن انطيوخوس الثالث (العهد القديم، ١ مك ١: ١٠ و٢مك ٤: ٧ وص ١٠١١ حاشية ٢).

(٧) العهد القديم، ١ مك ١: ١٦ـ٢٠. وقد اغفل سفر المكابيين الثاني ذكر هذه الحملة، وذكر حملة اخرى لانطيوخوس الرابع ابيفانوس على مصر (٢ مك ٥: ١ـ٤) جرت عام ١٦٨ ق.م. ولكن سفر دانيال ذكر الحملتين معا: الحملة الأولى (دا ١١: ٢٥) والحملة الثانية (دا ١١: ٢٩). وتجدر الاشارة الى ان سفر دانيال ليس سوى تنبوءات. ويرجح محققو العهد القديم رواية سفر المكابيين الاول، (م.ن. ص ١٠١٤ حاشية ١) وهو ما نراه بدورنا.

سوريا، كان الأعيان اليهود يتنازعون، بدورهم، السلطة في يهوذا. وقد انتهى هذا النزاع بانتصار «اونيا Onias» أحد كبار الكهنة في أورشليم، على خصومه من آل «طوبيا»، فلجأ هؤلاء الى انطيوخوس وحرضوه، بل «التمسوا اليه» بان يهاجم يهوذا ويحتلها، وان يكونوا له «أدلاء»(٨)، فهاجم انطيوخوس يهوذا «بجيش عظيم» واحتل اورشليم (عام١٦٩ ق.م.) «ونهب معبدها»(٩) واخذ «مذبح الذهب ومنارة النور.... ومائدة التقدمة والأباريق والكؤوس وقصاع الذهب والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل»، كما أخذ «الفضة والذهب والآنية النفيسة و... وما وجد من الكنوز المكنونة» وعاد الى أرضه بعد ان «اكثر من القتل» في شعب تلك البلاد، اذ بلغ عدد القتلى ٨٠ الف نفس في ثلاثة ايام(١٠).

وبعد سنتين(١١)، أي عام ١٦٧ ق.م. ارسل انطيوخوس رئيس الجزية في مملكته، وقائد المرتزقة، ويدعى «أبلُّونيوس» الى مدن يهوذا، وكان واليا على السامرة، فتقدم هذا، على رأس جيش عظيم، بلغ ٢٢ ألف جندي، وسار به من السامرة الى يهوذا، فدخل أورشليم «وضربها ضربة شديدة وأهلك شعبا كثيراً من اسرائيل، وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها» وسبى النساء واخذ المواشي، وأعاد بناء «مدينة داود» على الرابية الغربية لمدينة اورشليم، ثم بنى حولها «سورا عظيما متينا وبروجا حصينة»(١٢)، فأضحت «قلعة» منيعة تشكل «خطرا على الهيكل الواقع شرقا، في المنطقة التي يقال لها صهيون»(١٣) ووضع في هذه القلعة التي سماها «عقرا Acra»، الحرس السوري المقدوني واليهود الهلينيين «وجميع غنائم أورشليم» فصارت «فخا عظيما»(١٤).

---

(٨) Josèphe, Flavius, La guerre des Juifs, P. 124، وهؤلاء اليهود هم الذين سماهم العهد القديم «ابناء لا خير فيهم» (١ مك ١: ١١) او «رجال لا خير فيهم» (١مك ١: ٣٤). وهم اليهود الهلينيون «الذين وضعهم ابُلونيوس» قائد جيش انطيوخوس في القلعة التي بناها بعد احتلال اورشليم وسماها «مدينة داود». كما سنرى، ومنهم «يشوع» اخو الكاهن «اونيّا» الذي غيّر اسمه الى «ياسون» تقربا من الملك. (٢مك ٤: ٩ـ١٧).

(٩) Pritchard, Op. Cit. P. 146 -

(١٠) العهد القديم، ١ مك ١: ٢٠ـ ٢٤، و٢ مك٥: ١٤، وانظر Barnavi. Op. Cit. P. 44

(١١) هكذا وردت في العهد القديم. بحيث جاءت حملة أبلُّونيوس على اورشليم بعد حملة انطيوخوس عليها بسنتين (انظر ١مك ١: ٢٠ و٢٩).

(١٢) م.ن. ١ مك ١: ٢٩ـ ٣٣ وانظر: ٢ مك ٥: ٢٤ والدبس. تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٣: ١٨٠.

(١٣) م.ن. ص ٩٥٥ حاشية ١٢.

(١٤) م.ن. ١مك ١: ٣٤ـ٣٥ وص ٩٥٥ حاشية ١٢، وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 142, Map. 186

ورغب انطيوخوس، بعد ذلك، في توطيد امبراطوريته وجمعها على دينه الوثني، فأبطل الميثاق الذي كان سلفه انطيوخوس الثالث قد أبرمه مع اليهود، عام ١٩٨ ق.م. ومنحهم بموجبه، الحق في ان يمارسوا ديانتهم، وكتب الى جميع رعاياه ان يكونوا «شعبا واحدا» وان يتخلى كل منهم عن شرائعه و «سننه»، فأطاعه الجميع، واذعنت لكلامه «الأمم بأسرها». ثم ارسل «جيرون الأثيني» الى «أورشليم ومدن يهوذا» لكي «يكره اليهود على الارتداد» عن ديانتهم، فاستبدل بإلههم، في هيكل أورشليم، الهه «زوس الأولمبي Zeus Olympien» ثم منعهم من ممارسة عبادتهم فيه، وكرّسه لعبادة الهه، وقتل كل من كان قد انحاز الى بطليموس من اليهود، بينما فر «اونيّا» الكاهن الى مصر ولجأ الى «بطليموس»[١٥]. ويذكر العهد القديم ان جنود الملك في يهوذا كانوا «يقتلون النساء اللواتي ختنّ أولادهن ويعلقون اطفالهن في أعناقهن» وانهم أحضروا امرأتين «لانهما ختنتا ولديهما، فعلقوا طفليهما على أثْديهما، وطافوا بهما في المدينة علانية، ثم القوهما عن السور»[١٦].

لقد كان ذلك كافيا لكي يدفع «متّتيا» بن يوحنا بن سمعان، احد كهنة بني يوياريب، للخروج من أورشليم والاقامة في «مودين» بجهات اللد، (شمال غربي أورشليم)، وتبعه الى «مودين» أولاده الخمسة: يوحنا الملقب بكَدّيس، وسمعان الملقب بالطَّسي، ويهوذا الملقب بالمكابي، والعازار الملقب بأوران، ويوناثان الملقب بأفّوس[١٧]. وجاء الى «متّتيا» في «مودين» رسل من عند الملك يحثونه على الخضوع لأوامره «كما فعلت الأمم كلها، ورجال يهوذا، ومن بقي في أورشليم» ويغرونه «بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة» ان هو أطاع أوامر الملك ونفذها[١٨]، ولكن «مَتّتْيا» رفض كل هذه الاغراءات والوعود، وألّف «تشكيلة مسلحة» من اولاده الخمسة، واخوته، ومضى الى المذبح الذي في «مودين»، وكان يهودي من أتباع الملك السلوقي قد تقدم منه لكي يقدم الذبيحة عليه تنفيذا لأوامر الملك، ووقف بالقرب منه قائد الحامية «باخيدس»، وهو احد رجال الملك مكلف اخضاع الناس لتنفيذ الأوامر واجبارهم على تقديم الذبائح لآلهة انطيوخوس، فطعن «مَتّتْيا»

---

(١٦) العهد القديم، ١مك ١: ٦٠و ٦١ و٢مك٦: ١٠.

(١٧) م.ن. ١ مك ٢: ١ـ٥ و186 Aharoni. Op. Cit. P. 142 Map. -

(١٨) العهد القديم، ١مك٢: ١٥ـ١٨، ومودين، بلدة تقع في جهات اللد، انظر: Aharoni. Op. Cit. P. 142

اليهودي، ثم رجل الملك، طعنات قاتلة، وفر مع ابنائه واخوته ومن تبعه من أهل البلدة الى الجبال المسماة «جبال غفنة Gaphna» الواقعة على حدود السامرة، شمال أورشليم[١٩].

واجتمع لمتتيا «في البرية» الكثير من الأنصار والمؤيدين، فأقاموا معه هناك «هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم»، وعلم رجال الملك وجنده الذين كانوا في «مدينة داود» بأورشليم، بخروجهم انتصاراً لمتتيا، فقرروا مهاجمتهم، وكان ذلك يوم سبت، فقاتلهم جند الملك «فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر، ولا سدوا مختبآتهم»، فأهلكوهم جميعا «هم ونساؤهم وبنوهم ومواشيهم، وكانوا الف نفس»[٢٠].

وما ان علم «متتيا» بما جرى لأنصاره على يد جند انطيوخوس حتى قرر، ومن بقي معه، ان «كل رجل اتانا مقاتلا يوم السبت نقاتله»[٢١]، فكان ذلك أول قرار، يختص بيوم السبت، مخالف للشريعة الموسوية يتخذه بنو اسرائيل، ولا يزال اليهود، الى يومنا هذا، يقاتلون يوم السبت، خلافا لما أمرتهم به شريعتهم.

واجتمع، بعد هذه الحادثة، لمتتيا، جمع غفير من «الحسيديين» وهم «أهل الورع المتمسكين بالشريعة» و«ذوو البأس في اسرائيل»[٢٢]، ومن أهل البلاد، فاجتمع له منهم جيش بالغ القوة والبأس هاجم به جند انطيوخوس فانتصر عليهم وطردهم من يهوذا، وختن «بالقوة» كل من وجد من بني اسرائيل من ذكور قلف (بلا ختان)[٢٣]. ولما استقر الأمر لمتتيا في يهوذا، نودي به حاكما عليها «بموافقة مواطنيه» جميعهم[٢٤].

ولم يلبث متتيا ان توفي بعد ذلك (عام ١٦٦ ق.م.) فدفن في قبور آبائه بمودين، وخلفه، في حكم يهوذا، ابنه الثالث «يهوذا المكابي»[٢٥].

---

(١٩) العهد القديم، ١ مك٢: ١٥ـ ٢٨ وJosèphe. Op. Cit. PP. 124-125 وAharoni, Op. Cit. P. 142 اما اليهودي الذي قتله متتيا امام المذبح فيدعى العازار (Pritchard, Op. Cit. P. 146). وفي سفر المكابيين الثاني رواية اخرى تقول ان يهوذا المكابي هو الذي فر الى الجبل «مع عشرة رجال آخرين» بعد ان اقتحم ابلونيوس المدينة بالسلاح «واهلك منها خلقا كثيرا»(٢مك٥ : ٢٧).

(٢٠) العهد القديم، ١مك٢: ٢٩ـ ٣٨.

(٢١) م.ن. ١ مك٢: ٤١.

(٢٢) م.ن. ١ مك ٢: ٤٢ ـ ٤٤ وهؤلاء هم اليهود الذين ظلوا يقاومون ديانة انطيوخوس وشكلوا، فيما بعد، وحدة من المغاوير في جيش يهوذا المكابي (م.ن. ص ٩٥٩ حاشية ٦).

(٢٣) م.ن. ١مك٢: ٤٤ ـ ٤٦.

(٢٤) Josèphe, Op. Cit. P. 125

(٢٥) العهد القديم، ١ مك٢: ٧٠ و Josèphe, Ibid

ولكن «يوسفوس» يذكر ان يهوذا هو الابن الاكبر لمتّتيا (Josèphe, Ibid)، والصحيح انه ابنه الثالث (العهد القديم، ١مك ٢: ٤)

ثانيا ـ ثورة يهوذا المكابي وحروبه (١٦٦ ـ ١٦٠ ق.م.):

تسلم يهوذا المكابي قيادة ثورة اليهود ضد الحكم السلوقي بعد موت ابيه عام ١٦٦ ق.م. وانضم اليه «كل اخوته وجميع الذين انضموا الى ابيه»[٢٦] فاجتمع لديه نحو «ستة آلاف مقاتل»[٢٧]، وأخذ يستعد لمواجهة جيش ابلّونيوس.

١ـ موقعة بيت حورون (١٦٦ ق.م):

ما ان سمع «ابلّونيوس» بالجيش الذي اعده يهوذا لمواجهته، حتى ارتحل «بجيش عظيم» حشده في السامرة، وكان لا يزال واليا عليها، وانتقل به جنوبا لمواجهة يهوذا، فلاقاه يهوذا «عند طلعة لبونة»[٢٨]، وقاتله فهزمه، وقتل «ابلّونيوس» في هذه المعركة، وانهزم باقي جيشه. اما يهوذا فاستولى على الغنائم، كما اخذ سيف ابلّونيوس «وكان يقاتل به كل الايام»[٢٩]. ثم تابع يهوذا، بعد ذلك، اجتياح البلاد حيث كان «يفاجئ المدن والقرى ويحرقها» وكان يستولي على المواقع واحدا تلو الآخر، ويهزم «الأعداء الكثيرين»، وكانت معظم غاراته في الليل «فذاع خبر شجاعته في كل مكان»[٣٠].

وعلم «سارون» قائد الجيش السلوقي في سوريا، بانتصارات يهوذا، وبخبر مقتل «ابلّونيوس» وهزيمة جيشه، فقرر الخروج لمواجهته «بجيش قوي» لعله يستطيع ان ينهي الثورة وينال حظوة عند الملك[٣١].

انتقل «سارون» بجيشه من اللد الى مودين، ومنها نحو عقبة «بيت حورون»، فكان عليه ان ينزل في واد ثم يعود فيصعد باتجاه «بيت حورون». في هذه الاثناء، كان «يهوذا» قد انتقل بجيشه من جبال غفنة، وسار جنوبا باتجاه «بيت حورون» حيث كمن لخصمه عند المرتفع المشرف على الوادي. وما ان وصل جنود «سارون» متعبين الى ذلك المرتفع

---

(٢٦) العهد القديم، ١ مك٢ : ١ـ٢.

(٢٧) م.ن. ٢٠ مك ٨ : ١.

(٢٨) هذا ما يرجحه «اهاروني»، انظر Aharoni, Op. Cit. P. 124

(٢٩) العهد القديم، ١ مك ٣ : ١١ـ١٢.

(٣٠) م.ن. ٢مك٨: ٦ـ٧.

(٣١) م.ن. ١ مك ٣: ١٣ـ١٥.

بالقرب من البلدة حتى كانت كمائن جيش يهوذا تنقض عليهم من الشمال والجنوب، فتفاجئهم «فانكسر سارون وجيشه» وطارده يهوذا «في عقبة بيت حورون الى السهل»، فقتل منهم «ثمانماية رجل، وانهزم الباقون الى ارض فلسطين»[٣٢]، الى الساحل.

٢ـ موقعة عمّاوس (١٦٥ ق.م.):

كان انطيوخوس الرابع أبيفانوس يتأهب للرحيل الى بلاد فارس لجباية الجزية منها، عندما علم بما جرى لجيشه في بيت حورون على يد يهوذا، فأخذ معه نصف الجيش وترك نصفه الآخر لمن كلفه ادارة المملكة في غيابه، وهو «ليسيّاس» الذي كان من الأشراف «من الاسرة الملكية»[٣٣] وأوصاه ان يوجه جيشا لاخماد ثورة اليهود في «اليهودية واورشليم»[٣٤]، فاختار ليسيّاس لهذه المهمة ثلاثة من قادة المملكة هم: بطليموس بن دوريمانس، ونكانور بن بتركلُس، وجرجيّاس، «وهم رجال ذوو بأس، من أصحاب الملك» ووضع بأمرتهم «اربعين الف راجل وسبعة آلاف فارس» وزودهم بالأوامر أن «يأتوا ارض يهوذا ويدمروها، على حسب أمر الملك»[٣٥]. وما ان علم يهوذا بالحشود القادمة لقتاله حتى استنفر مقاتليه، فاحتشدوا جميعا في «المصفاة» قرب أورشليم، حيث نظم يهوذا جيشه بترتيب الفرق «الالف والمئة والخمسين والعشرة» وأمّر على هذه الفرق قادة هم «رؤساء الألف والمئة والخمسين والعشرة»[٣٦]، وأمر كل من «أخذ في بناء بيت او خطب

---

(٣٢) م.ن. ١مك٣: ١٦ـ٢٤. وارض فلسطين: عبارة قديمة للدلالة على المنطقة البحرية (م.ن. ص ٩٦١ حاشية ٥)، وانظر:
Aharoni, Op. Cit. P. 142; Barnavi, Op. Cit. P. 45 et Pritchard, Op. Cit. P. 146.

(٣٣) العهد القديم، ١مك٣: ٣٢.

(٣٤) م.ن. ١مك٣: ٣٤.

(٣٥) م.ن. ١مك٣: ٣٨ـ٤٠. وورد في ٢مك ان بطليموس كان قائدا لبقاع سوريا وفينيقية، وان «فيليبس» ممثل الملك هو الذي اصدر له الأوامر كي يخمد ثورة يهوذا، فاختار بطليموس «نكانور بن بتركلُس» وكان من اصدقاء الملك، وأرفقه بعشرين الف مقاتل «وضم اليه جرجياس، وهو من القواد المحنكين في شؤون الحرب» (٢مك٨: ٨ـ٩). وسنرى، فيما بعد، ان ذلك قد جرى بعد سنتين، عند موت انطيوخوس الرابع، وتولي «فيليبس»، الصديق الحميم للملك، الوصاية على العرش وعلى ابنه انطيوخوس الخامس أوباطور (١مك٦: ١ـ١٧). ويخطئ «آهاروني» عندما يذكر ان القادة الذين كلفهم ليسياس غزو يهوذا واورشليم هم اربعة: بطليموس ودوريمانس (والد بطليموس) ونكانور وجرجيّاس (Aharoni, Op. Cit. P. 143) بينما يذكر العهد القديم بسفريه (١مك٣: ٣٨ و٢ مك٨: ٨ـ٩) ان هؤلاء القادة هم ثلاثة فقط.

(٣٦) العهد القديم، ١مك٣: ٥٥. وكانت «المصفاة» على بعد ١٣ كلم من اورشليم شمالا (م.ن. ص ٩٦٢ حاشية ١٤).

امرأة او غرس كرما او كان خائفا» ان يعود الى بيته ولا يشترك في القتال «بحسب ما ورد في الشريعة»[٣٧]. أما «أمر اليوم» الذي أصدره يهوذا لجنده فهو التالي:

«تجهزوا وكونوا ذوي بأس، وتأهبوا للغد لمقاتلة هذه الأمم المجتمعة علينا لتبيدنا نحن وأقداسنا، فلأن نموت في القتال خير من ان نعاين الشر في قومنا وأقداسنا. وكما تكون مشيئته في السماء نصنع»[٣٨].

التحشد والسير للقتال:

أ ـ الجيش السلوقي: احتشد الجيش السلوقي في انطاكية، شمال سوريا (وكانت عاصمة السلوقيين يومذاك)، وكان لدى بطليموس «قائد بقاع سوريا وفينيقية» والقائد العام للجيش، اربعون الف راجل وسبعة آلاف فارس، فعين بطليموس: نكانور بن بتركلس قائدا للحملة ومعه عشرون الف مقاتل، وضم اليه جرجيّاس ومعه خمسة آلاف راجل والف فارس، وأمرهما بالسير لاخماد الثورة في يهوذا[٣٩].

وسار الجيش السلوقي من انطاكية متجها جنوبا نحو فلسطين فوصل الى «اللد»، وتابع منها، جنوبا كذلك، حتى وصل الى سهل «عِمّاوس»، الواقع شمالها، حيث عسكر بجيشه، وانضمت اليه قوات من الأدوميين ومن مقاطعتي يمنيا (يبنة) وأشدود، على الساحل الفلسطيني[٤٠].

ب ـ جيش يهوذا المكابي: حشد يهوذا، في المصفاة، ستة آلاف مقاتل[٤١]، وبعد ان حرضهم «ان لا يرتاعوا من الأعداء، ولا يخافوا من كثرة الأمم المجتمعة عليهم ظلما، وان يقاتلوا ببأس»، وبعد ان ذكّرهم بتاريخ اسلافهم الذين كانوا قلة وقاتلوا كثرة من

---

٣٧) م.ن. ١ مك٣: ٥٦، ويبدو ان الشريعة الموسوية تعفي هذه الفئات من الخدمة العسكرية، وهو ما لا يتقيد الكيان الصهيوني به اليوم. اما فيما يتعلق بالخائفين، فقد ظهر تناقض بين سفري المكابيين الاول والثاني، فبينما يقول الأول باعفائهم من واجب القتال كما مر معنا، يذكر الثاني ان الخائفين وقليلي الايمان «ببر الله» قد هربوا «وهاجروا الى اماكن اخرى» (٢مك٨: ١٣).

(٣٨) م.ن. ١مك ٣: ٥٨ـ ٥٩.

(٣٩) انظر: م.ن. ١مك ٣: ٣٨ـ ٣٩ و ١مك ٤: ١، و٢مك٨: ٨ ـ ٩.

(٤٠) Aharoni, Op. Cit. P. 143 وآزوتس Azotus وجامنيا Jamnia هما: أشدود وحمنيا او يمنيا (يبنة) على الساحل الفلسطيني.

(٤١) العهد القديم، ٢مك ٨: ١٦.

«الغلاطيين» في بابل، وفي عهد سنحاريب، بسبب «النجدة التي أتتهم من السماء»، ذلك ان أعداءهم «انما يتوكلون على سلاحهم واعمالهم الجريئة، وأما نحن فنتوكل على الله القدير الذي يستطيع، بايماءة واحدة، ان يصرع الزاحفين علينا، بل العالم بأسره»[٤٢]. وما ان «شددهم» يهوذا بكلامهم هذا «حتى اصبحوا مستعدين للموت في سبيل الشريعة والوطن»[٤٣]، وزع جيشه اربع فرق، كل فرقة من الف وخمسماية مقاتل، وسلم قيادة هذه الفرق الى كل من اخوته: سمعان ويوسف ويوناثان، وتسلم هو قيادة الفرقة الأولى (الكتيبة الأولى)[٤٤]، كما سلم مهمة الوعظ في الجيش الى «عزراء» الذي اخذ يتلو على الجند «الكتاب المقدس»، وحدد كلمة السر بعبارة «نجدة الله»[٤٥].

وسار يهوذا بجيشه هذا من المصفاة، متجها جنوبا بغرب، ومخترقا الجبال الوعرة الواقعة شمال غربي اورشليم، حتى وصل الى «عمّاوس» فعسكر جنوبها[٤٦]، قبالة الجيش السلوقي.

ـ المعركة:

ـ خرج جُرجيّاس ليلا، مع خمسة آلاف راجل والف فارس ومعه أدلاء من يهود قلعة «عقرا» بأورشليم، لكي يفاجئ معسكر يهوذا، وهو يبغي ضرب الجيش اليهودي واسر قائده[٤٧]، وعلم يهوذا، بنية خصمه فغادر معسكره ومعه ثلاثة آلاف رجل «ليضرب جيش الملك الذي في عمّاوس، وكان لا يزال متفرقا خارج المعسكر»[٤٧].

ـ وصل جرجيّاس الى معسكر يهوذا فوجده فارغا، وظن انه هرب من طريقه، فاخذ يبحث عنه في الجبال[٤٨].

---

(٤١) العهد القديم، ٢مك ٨: ١٦.

(٤٢) م.ن. ٢مك ٨: ١٨ـ ٢٠، وكم يبدو الاسلوب، في هذا السفر، مختلفا عن ما نجده في مختلف اسفار العهد القديم التي يبدو اله اسرائيل، رب الجند، من خلالها، عنيفا دمويا ظالما، كما هو في الحقيقة تماما، مما يدل على ان كاتب هذا السفر مختلف عن كتبة باقي الاسفار في الزمان والمكان.

(٤٣) م.ن. ٢مك٨: ٢١.

(٤٤) هكذا وردت تسميتها في: العهد القديم، ٢مك٨: ٢٣.

(٤٥) م.ن. ٢مك٨: ٢٢ـ٢٣.

(٤٦) Aharoni, Op. Cit. P. 143.

(٤٧) العهد القديم، ١مك٤: ١ـ٤ و Aharoni. Ibid

(٤٨) م.ن. ١مك ٤: ٥ـ٦.

ـ عند الفجر، وصل يهوذا الى معسكر نكانور فوجده قويا محصنا محاطا بالخيالة المدربين على الحرب، بينما لم يكن لدى آلافه الثلاثة من «الخوذ والدروع والسيوف» ما يمكّنهم من مجابهة خصومهم الأشداء[٤٩].

ـ ما ان ابصر جند نكانور جيش يهوذا وقد اقترب من معسكرهم حتى استنفروا وهبوا للقاء العدو خارج المعسكر، لكن يهوذا عاجلهم بالحرب بعد ان نفخ في البوق آمرا جنده مبادرتهم بالقتال، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة السلوقيين وحلفائهم، حيث سقط منهم بالسيف «جميع الذين في المؤخرة... وكان الساقطون منهم نحو ثلاثة آلاف رجل»، وقيل «تسعة آلاف»[٥٠]. اما الباقون فقد هربوا نحو «جازر وسهول ادوم واشدود ويمنيا»، وقد تعقبهم يهوذا لفترة من الزمن عاد بعدها لكي يواجه جرجياس[٥١].

ـ وكان جرجيّاس عائدا الى معسكره عندما اطل عليه فوجد الدخان يتصاعد منه، وقتلى الجند من بني قومه وحلفائهم يملأون السهل المحيط به، ورأى جيش يهوذا مستعداً للحرب مستنفرا لها، فأمر جيشه ان ينكفئ، بلا قتال، الى «ارض الفلسطينيين»، بينما عاد يهوذا الى معسكر الجيش المنهزم يجمع الغنائم، فاخذ «ذهبا كثيرا وفضة وارجوانا بنفسجيا وارجوانا بحريا، وأموالا جزيلة»[٥٢]، ثم عاد الى معسكره.

ـ اما نكانور فقد فر «كالعبد الآبق في الحقول» هاربا الى انطاكية، بعد ان انقرض جيشه[٥٣]. (انظر الخارطة رقم ٢٤)

(٤٩) م.ن. ١مك ٤: ٦ـ٧.

(٥٠) م.ن. ١مك ٤: ١٥و٢مك ٨: ٢٤.

(٥١) م.ن. ١مك ٤: ١٥ و١٦ و Aharoni, Op. Cit. P. 143, Map. 188.

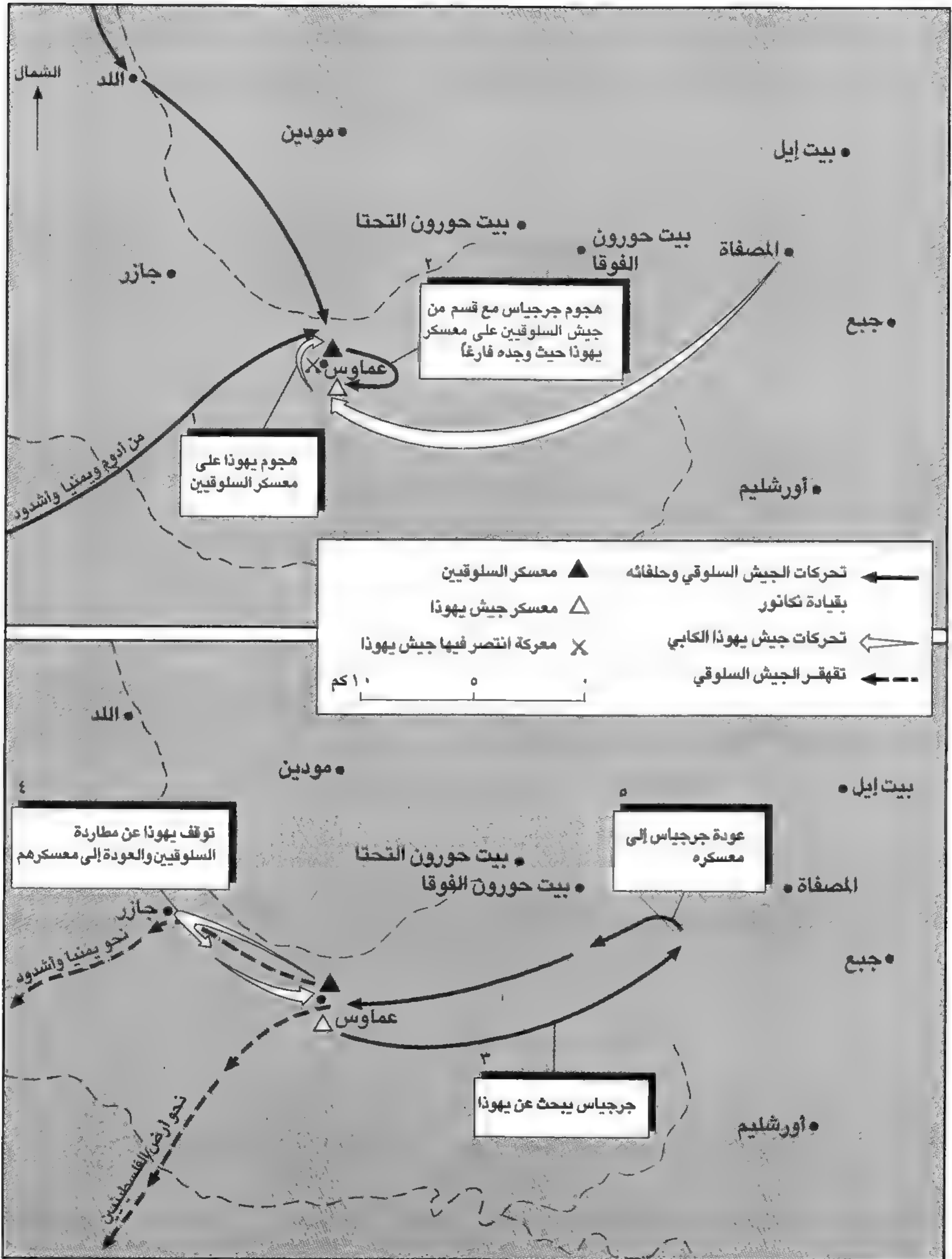
(٥٢) م.ن. ١مك ٤: ١٦ـ٢٣.

(٥٣) م.ن. ٢مك ٨: ٢٤ـ٣٥.

ويذكر سفر المكابيين الثاني ان يهوذا وجنده وزعوا، بعد موقعة عمّاوس، قسما من الغنائم «على المعذبين والارامل واليتامى... واقتسموا الباقي بينهم وبين اولادهم»(٢مك٨: ٢٨)، وانهم قاتلوا رجال «طيموتاوس وبكّيديس» (وهما عاملان لانطيوخوس على سوريا) فهزموهم وقتلوا منهم «ما يزيد على عشرين الفا.... واقتسموا كثيرا من الاسلاب جعلوها حصصا متساوية لهم وللمعذبين واليتامى والارامل والشيوخ»(٢مك٨: ٣٠).

ورغم ان رواية هذه الموقعة الاخيرة (بين يهوذا وعاملي الملك طيموتاوس وبكيديس) واقعة في غير محلها من النص، مما جعل محققي العهد القديم ينصحون بتجاوزها (انظر العهد القديم ص ١٠٢٢ حاشية ٦)، فان ما ورد فيها وفي الموقعة التي سبقتها (موقعة عمّاوس) من اسلوب في توزيع غنائم الحرب يتفق مع ما فرضه الاسلام في الغنيمة والفيء وفقا للآية الكريمة ﴿وَٱعلَمُوا انَّ ما غَنِمْتُم من شَيْءٍ فإنَّ لله خُمُسَهُ وللرَّسُول وَلِذي القُرْبَى واليَتَامَى وَالمَسَاكِين وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(الانفال ٨/ ٤١)، وللآية الكريمة ﴿مَا أفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِله وَلِلرَّسُولِ وَلِذي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾(الحشر ٥٩/ ٧). (انظر شرحا لهاتين الآيتين في كتابنا: الفن العسكري الاسلامي، ص ٥٤ـ٥٥).

خارطة رقم ٢٤: موقعة عماوس



٢ـ موقعة بيت صور (١٦٤ ق.م.):

بعد هزيمة نكانور في عمّاوس، قرر ليسيّاس منازلة يهوذا، فحشد، لأجل ذلك، جيشا من ستين الف راجل وخمسة آلاف فارس، (وقيل انه حشد نحو «ثمانين الف رجل وفرسانه كلهم» ويعدون بالالوف، ومعه ثمانون فيلا)، وسار بهم الى ارض الأدوميين، حلفائه.

وعلم يهوذا بالأمر، فاستنفر رجاله، وجمع، لقتال ليسياس، جيشا من عشرة آلاف رجل[٥٤].

السير للقتال:

أ ـ ليسياس: سار ليسياس من انطاكية جنوبا نحو ارض الأدوميين، مرورا باللد فجازر «سالكا طريق المياه» خشية ان يعرض قواته للممرات الضيقة والانحدارات والتسلقات الصعبة، حتى وصل الى مريسة (او مريشة) فتجاوزها، منعطفا نحو الشرق، حتى وصل الى بيت صور «وهي مكان حصين على نحو خمس غلوات من اورشليم»، (والغلوة رمية سهم اي ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ ذراع)، وتقع على حدود اليهودية مع ارض الأدوميين، فعسكر قبالتها، ثم حاصرها، «وضيّق عليها الخناق»[٥٥].

ب ـ يهوذا: كان يهوذا يتابع تحركات ليسياس بواسطة عيونه في الداخل، فعرف انه متوجه الى مريسة، فاتجه بجيشه من شمال اليهودية الى جنوبها، وهدفه «بيت صور»، ولكنه وجد ليسيّاس قد سبقه اليها وحاصرها.

المعركة:

تقدم يهوذا بجيشه لقتال ليسياس (الذي حاصر «بيت صور») بصفوف متراصة وقد تراءى لجنده «فارس عليه لباس ابيض يتقدمهم وهو يلوح بسلاح من ذهب» وانه «قد اتاهم

---

(٥٤) م.ن. ١مك٤: ٢٨ـ٢٩ و٢مك١١: ٢و٤.

(٥٥) م.ن. ٢مك١١: ٥ـ٦; Aharoni, Op. Cit. P. 143.

حليف من السماء برحمة الرب»[٥٦]، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة ليسياس وجيشه الذي سقط منه «خمسة آلاف رجل» (وقيل: احد عشر الف راجل والف وستماية فارس) وكان اكثر الناجين «جرحى وبلا سلاح»[٥٧]. اما ليسيّاس، فقد نجا «بفرار مخجل الى انطاكية» ليعود بجيش اكثر الى اليهودية[٥٨].

موت انطيوخوس الرابع ابيفانوس:

اما انطيوخوس الرابع ابيفانوس، فانه، بعد هزيمته في فارس وهزيمة جيوشه في فلسطين، اصيب بداء عضال أدى الى موته عام ١٦٤ ق. م. فخلفه على العرش ولده انطيوخوس الخامس أَوباطور، وكان في التاسعة من عمره، فكان، «ليسيّاس» وصيا عليه ومستشارا حميما له[٥٩].

احتلال اورشليم:

بعد انتصاره في بيت صور، تابع يهوذا تقدمه نحو اورشليم فاحتلها، ثم صعد بجيشه الى جبل صهيون، فاستولى على الهيكل حيث كان «المقدس مقفرا والمذبح منجسا والأبواب محرقة»[٦٠]، وأرسل جندا لمحاربة من كان في قلعة «عقراه من جند الملك، من يهود وسواهم، ولكنه لم يستطع اجلاءهم عنها[٦١]. ثم اعاد عبادة اله اليهود الى الهيكل، وحصّن جبل صهيون، وبنى حوله «أسواراً عالية وبروجا حصينة»، وأقام فيه جيشا يحرسه، كما حصّن بيت صور «حتى يكون للشعب معقل تجاه ادوم»[٦٢].

---

(٥٦) م.ن.، ٢مك ١١: ٨ـ١٠.

(٥٧) م.ن. ١مك ٤: ٣٤ و٢مك ١١: ١١ـ١٢.

(٥٨) م.ن. ١مك ٤: ٣٥ و٢مك ١١: ١٢. Aharoni, Ibid.

(٥٩) مرض انطيوخوس الرابع أبيفانوس مرضا عضالا توفي على اثره في ايلول او تشرين الاول، عام ١٦٤ ق.م. فاهتم بدفنه رفيق طفولته «فيليبوس». الا ان فيليبوس خاف من انطيوخوس الخامس أوباطور الذي خلف والده انطيوخوس الرابع في الملك ففر لاجئا الى بطليموس فيلوميتور ملك مصر، فكان «ليسياس» الوصي على انطيوخوس الخامس الذي فوض اليه تدبير كل شؤون المملكة، وكان «ليسياس» القائد العام لجيوش سوريا وفينيقية (٢مك ٩و١٠)، وانظر: م.ن. ص ٩٧١ حاشية (٧) وص ٩٧٢ حاشية (٩) وص ١٠٢٥ حاشية (١). وذكر «بريتشارد» ان وفاة انطيوخوس الرابع كانت في كانون الاول عام ١٦٤ ق.م.(Pritchard, Op, Cit. P. 146) ويرى محققو العهد القديم ان وفاة انطيوخوس الرابع ابيفانوس قد حصلت قبل احتلال يهوذا لاورشليم وتطهير الهيكل، تماما كما ورد في سفر المكابيين الثاني (العهد القديم، ص ٩٤٨) بعكس «جوزف» الذي يضع وفاة انطيوخوس بعد احتلال اورشليم، (Josèphe Op. Cit. P. 125)

(٦٠) م.ن. ١مك ٤: ٣٧ـ٣٨وAharoni, Op. Cit. P. 143

(٦١) م.ن. ١مك ٤: ٤١ و Aharoni. Ibid.

(٦٢) م.ن. ١مك ٤: ٥٢ ـ ٦١ وانظر Josèphe, Op. Cit, P. 125

٤ـ اجتياج الجليل وجلعاد (١٦٣ ق.م.):

أ ـ حروب انتقامية ام وقائية وتمهيدية؟

ـ **اخضاع «بني عيسو» من الأدوميين:** ذاع صيت يهوذا بعد انتصاراته هذه، فقرر ان يستغل ذلك ويحارب خصومه في كل الجهات، بدءا «ببني عيسو» من الأدوميين في بلدة «أقرَبتِّين» شمال أورشليم، بحجة انهم كانوا يضطهدون اليهود المقيمين بينهم ويحاصرونهم، فهاجم تلك البلدة وضربهم فيها «ودحرهم وسلب غنائمهم»(٦٣).

ـ **اخضاع «بني بيان»:** وانتقل بعد ذلك لمحاربة «بني بيان» وهم قبيلة من البدو كانت تقيم في بلدة تدعى «بعل معون» على الطريق بين أورشليم واريحا، فتعترض المارة من اليهود وغيرهم وتطلب منهم ضريبة مرور، فهاجم بلدتهم وحاصرهم وأحرق بروجهم(٦٤).

ـ **اخضاع بني عمون:** ثم عبر الى «بني عمون» وكان عليهم «طيموتاوس» والي اقليمهم من قبل الملك، وكانوا «عسكرا قويا وشعبا كثيرا» فشن عليهم هجوما هُزموا على أثره، واحتل بلدتهم «يعزيز» وتوابعها، ثم عاد، بعدها، الى اليهودية(٦٥).

ـ **مهاجمة حصون الأدوميين واحتلالها:** كان الأدوميون قد تحالفوا مع «جرجيّاس» الذي تسلم قيادة البلاد واخذ يعد العدة لقتال اليهود، وكانوا ـ أي الأدميون ـ يحرضون الشعب على قتالهم ولا يفتأون يضايقونهم من خلال حصونهم التي كانت قائمة في مواقع منيعة وملائمة لهذا الغرض، فقرر يهوذا ان يتخلص من خطرهم وأعد، لذلك، جيشا قاده بنفسه للهجوم على تلك الحصون واحتلالها. وقد استطاع دحر المدافعين عنها والاستيلاء عليها بعد معركة عنيفة «ذبح» رجال يهوذا خلالها «كل من وقع في ايديهم» من المدافعين عن الأسوار «وأهلكوا لا اقل من عشرين الفا»(٦٦).

---

(٦٣) م.ن. ١مك ٥ : ٣و Aharoni, Op. Cit. P. 144

(٦٤) م.ن. ١مك٥ : ٤ـ٥ و Aharoni. Ibid.

(٦٥) م.ن. ١مك٥ : ٦ـ٧ و Aharoni, Ibid.

اما «يعزيز» فربما كانت «بيت زرعة» (الدبس، تاريخ سوريا، جـ٢ : ١٨٣).

(٦٦) العهد القديم، ٢مك ١٠ : ١٤ـ١٧، ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه.

اما الناجون، وعددهم تسعة آلاف، فقد فروا وتحصنوا في «برجين حصينين جدا، مجهزين بكل أسباب الثبات للحصار»[٦٧]، عندها، ترك يهوذا، قبالة هذين البرجين، اخاه سمعان على رأس قوة من رجاله لمحاصرتهما، «وانصرف الى اماكن اخرى كانت امس حاجة»[٦٨] غير ان الأعداء المحاصرين استطاعوا اغواء بعض المسؤولين في جيش سمعان الذين سمحوا لهم بالخروج من الحصار لقاء «سبعين الف درهم»[٦٩]، ولما علم يهوذا بذلك عاد و«قتل اولئك الخونة، واستولى من فوره على البرجين» بعد ان قتل «ما يزيد على عشرين الفا» ممن كانوا يدافعون عنهما[٧٠].

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن، اثر هذه العمليات، هو: هل كانت هذه العمليات، بالفعل، انتقامية، قام بها يهوذا لكي يثأر لليهود المضطهَدين، ممن اضطهدوهم، كما ورد في العهد القديم، ام انها كانت عمليات وقائية وتمهيدية للحروب التي سوف يقوم بها، وذلك لكي يتمكن من الانصراف الى عملياته في الجليل وجلعاد دون ان يخشى اي خطر يمكن ان يتهدده في خطوطه الخلفية ومن وراء جيوشه المتجهة، شمالا، نحو جلعاد والجليل؟ يرجح ان هذا هو السبب الحقيقي والمبرر الفعلي لهذه العمليات.

ب ـ ألإعداد لحملتي الجليل وجلعاد، وتوزيع القوى والمهمات:

تكاثرت الاعتداءات على اليهود في جلعاد وارض طوب فلجأوا الى حصن «ديماتّما» وكتبوا الى يهوذا يستنجدون به[٧١]. وجاءه، في الوقت نفسه، رسل من الجليل يشكون اليه ما يتعرضون له من تهديد ومضايقات من أهالي «بَطُلْمايِس (عكا) وصور وصيدا وكل جليل الأمم» بقصد ابادتهم[٧٢]، فقرر يهوذا، عندئذ، تسيير حملتين على كل من الجليل وجلعاد:

(٦٧) م.ن. ٢مك ١٠: ١٨.

(٦٨) م.ن. ٢مك ١٠: ١٩.

(٦٩) م.ن. ٢مك ١٠: ٢٠.

(٧٠) م.ن. ٢مك ١٠: ٢١ـ٢٢، ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه كذلك (انظر ملاحظة المحققين في م.ن. ص ١٠٢٦ حاشية ٥).

(٧١) م.ن. ١مك ٥: ٩ـ١٢، وديماتّما: مكان غير معروف، في غرب بُصرة (م.ن. ص ٩٦٨ حاشية ٧).

(٧٢) م.ن. ١مك ٥: ١٤ـ١٥.

ـ أمر أخاه سمعان بقيادة حملة من ثلاثة آلاف مقاتل الى الجليل.

ـ وقاد هو، ومعه اخوه يوناثان، حملة من ثمانية آلاف مقاتل، الى ارض جلعاد.

ـ واما بقية الجيش فظلت في اليهودية بقيادة «يوسف بن زكريا وعزريا، قائد الشعب».

وكانت وصيته اليهما ان «توليا امر هذا الشعب، ولا تنشئا حربا حتى نعود»(٧٣).

ج ـ حملة سمعان على الجليل:

قاد سمعان حملة مظفرة على الجليل «فانسحقت الأمم أمام وجهه»(٧٤)، واستطاع ان يهزم كل مقاومة تصدت له، وطارد المنهزمين من «نمرين» الى أبواب عكا (بطلمايس)(٧٥)، وقتل منهم «نحو ثلاثة آلاف رجل» ونال الكثير من الغنائم ثم جمع المقيمين من اليهود في الجليل وعربات (العربة) مع نسائهم واولادهم، وعاد بهم جميعا الى اليهودية حيث أقاموا(٧٦).

د ـ حملة يهوذا على ارض جلعاد (السلط) (١٦٣ ق.م.):

بعد ان اخضع يهوذا الشعوب المجاورة له (من أدوميين وبيانيين وعمونيين)، وبعد ان صرف اخاه سمعان في حملة على الجليل، انصرف بدوره، مع اخيه يوناثان، في حملة على ارض جلعاد (السلط)، تلبية لاستغاثاتٍ اطلقها يهود تلك المنطقة، وخصوصا اولئك الذين حوصروا في حصن «دياتَما».

روايتان للحملة: نحن امام روايتين لهذه الحملة، حاولنا ان نوفّق بينهما فلم نفلح، لذا، آثرنا ان نروي كلا منهما على حدة.

(أ) ـ الرواية الأولى: وردت في سفر المكابيين الأول:

انطلق يهوذا من اورشليم، بثمانية آلاف مقاتل، فعبر الأردن، وسار ثلاثة ايام في

---

(٧٣) م.ن. ١مك ٥: ١٧ـ٢٠

(٧٤) م.ن. ١مك ٥ : ٢١. و Aharoni, Op. Cit. P. 144

(٧٥) م.ن. ١مك ٥ : ٢١. و Aharoni, Ibid

(٧٦) م.ن. ١مك ٥ : ٢٢ـ٢٣. و Aharoni, Ibid

البرية، في ارض يقطنها عرب من النبطيين، تلقوه بسلام، وسمحوا له بالمرور عبر أرضهم الى حيث حوصر اليهود في «بُصرة وباصر وعليم وكُسْفور ومكيدو وقرنائيم» وفي «سائر مدن جلعاد»[٧٧].

اجتاز يهوذا ارض النبطيين وتقدم نحو مدينة «باصر» فحاصرها ثم استولى عليها وقتل «كل ذكر» فيها، وسلبها «واحرق المدينة بالنار»[٧٨]. وكان عليه ان يسرع لنجدة اليهود المحاصرين في حصن «دياتما» شرق بحيرة الجليل (طبرية)، وعند نهر اليرموك، لذا، كان عليه ان ينتقل بجيشه من «باصر» شرقا، الى «دياتما» غربا، مجتازا بلاد الطوب[٧٩] وبرية جلعاد، فسار يهوذا بجيشه، من باصر ليلا، حتى بلغ الحصن عند الفجر، ثم أعد الهجوم على الحصن بان قسّم جيشه الى ثلاث فرق، وباغت جيش طيموتاوس، الذي يحاصر الحصن، بفرقه الثلاث من الخلف، ومن كل جانب، وقد حمل جنده السلالم والمجانيق لفتح الحصن، وكان يهوذا يقول لجنده: «قاتلوا اليوم عن اخوتكم» محرضا اياهم على الهجوم والفتك بالعدو لانقاذ المحاصرين في الحصن.

وما ان رأى جيش طيموتاوس جند يهوذا يباغتونهم من الخلف حتى هربوا في كل اتجاه، فضربهم يهوذا «ضربة شديدة» وقتل منهم «في ذلك اليوم، ثمانية آلاف رجل»[٨٠].

اما يهوذا، فانه، بعد ان انقذ اليهود المحاصرين، استكمل حملته باحتلال حيلام وكسفور ومكيد وسائر مدن ارض جلعاد[٨١].

في هذه الاثناء، كان طيموتاوس، يجمع قواته من جديد لكي يعود الى محاربة يهوذا، وقد عسكر بهذه القوات قبالة مدينة «رافون» عبر الوادي[٨٢]، وقال لقادته: «ان عبر (يهوذا) الينا، فلا نستطيع الثبات أمامه، فانه يتفوق علينا تفوقا، وان تخوّف وعسكر في عبر النهر، جزنا اليه وتغلبنا عليه»[٨٣].

---

(٧٧) م. ن. ١مك ٥: ٢٤ـ٢٧، وكان مركز النبطيين مدينة «البتراء» (م. ن. ص ٩٦٨ حاشية٦).

(٧٨) العهد القديم، ١مك٥: ٢٨.

(٧٩) بلاد الطوب: ارض لبني عمون تحكمها اسرة الطوبيين، ويقوم فيها حصن «الكرك» الذي هو مقر الوالي، (م. ن. ص ١٠٣٠ حاشية ٣).

(٨٠) العهد القديم، ١مك ٥: ٢٩ ـ ٣٤، ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه الى حد كبير، كما تعودنا ان نرى في حروب يهوذا كلها.

(٨١) م. ن. ١مك ٥: ٣٥،٣٦.

(٨٢) م. ن. ١مك ٥: ٣٧. وربما كان الوادي المقصود هو (وادي اليرموك).

(٨٣) م. ن. ١مك ٥: ٤٠ـ٤١.

علم يهوذا بأمر الحشود التي اعدها طيموتاوس للقائه، فأرسل عيونا يأتون اليه باخبارها، فعادوا اليه قائلين: «ان جميع الوثنيين الذين حولنا قد انضموا الى طيموتاوس، وهم جيش عظيم جدا، وقد استأجروا عربا يظاهرونهم، وعسكروا في عبر الوادي، وفي عزمهم ان يأتوك للقتال»[٨٤]. عندها، خرج يهوذا للقائهم، وما ان وصل الى الوادي «وادي الماء» حتى أمر جنده بعبور النهر نحو العدو لقتاله، «وعبر هو في المقدمة، وكل الشعب وراءه»[٨٥]، وأقام كتبة الجيش (أي الضباط الاداريين) في المؤخرة، على الوادي، وأمرهم ان «لا تدعوا احدا يعسكر ههنا. بل ليمضوا جميعا الى القتال»[٨٦].

ودارت رحى الحرب بين الفريقين، فانهزم جيش طيموتاوس امام يهوذا والقى معظم جنده السلاح وفرّ الى معبد «قرنائيم»، واستولى يهوذا وجيشه على مدينة رافون ثم دخلوا المعبد وأحرقوه «مع كل من كان فيه بالنار»[٨٧].

وجمع يهوذا، بعد ذلك، «كل من كان من اسرائيل وارض جلعاد، من صغيرهم الى كبيرهم، ونساؤهم واولادهم مع امتعتهم» وسار بهم الى اليهودية مرورا ببلدة «عفرون» التي منعه اهلها من دخولها بعد ان اغلقوا ابوابها في وجهه، فاجتاحها واهلك اهلها ودمرها ثم اجتاز المدينة «من فوق القتلى» وعبر الأردن «الى السهل الكبير قبالة بيت شان» حتى وصل الى اليهودية[٨٨].

(ب) ـ الرواية الثانية: وردت في سفر المكابيين الثاني:

بعد فشل حملته على «بيت صور» قرر ليسياس مهادنة العبرانيين ريثما يتمكن من اعداد العدة اللازمة لايقاع الهزيمة بهم في الوقت المناسب. لذا، أوفد من يعرض على يهوذا المصالحة على ان «يرغم الملك على مصادقتهم»، فوافق يهوذا على عرض ليسيّاس، وتمت

---

(٨٤) م.ن. ١مك ٥: ٣٨ـ٣٩.

(٨٥) م.ن. ١مك ٥: ٤٣.

(٨٦) م.ن. ١مك ٥: ٤٢.

(٨٧) م.ن. ١مك ٥: ٤٣ـ٤٤، وقرنائيم: القرنين، وهي صفة لعشتروت ذلك المكان، ويشتق منها اسم هيكل قرنيم (م.ن. ص ٩٦٩ حاشية ٩).

(٨٨) م.ن. ١مك ٥: ٤٥ـ٥٢. والعجيب انه «لم يسقط احد منهم» في هذه الحملة، (م.ن. ١مك ٥: ٥٤). اما عفرون فتقع عبر الاردن، بين تل عشيرة وباسان (الدبس، المصدر السابق، جـ٢: ١٨٤).

المصالحة على هذا الأساس ووفقا لهذه الشروط، وأقر انطيوخوس، بدوره، هذه المصالحة[٨٩].

ويبدو ان يهوذا وضع شروطا خطية للمصالحة وارسلها الى ليسياس مع موفدين من قبله هما: أخوه حنا واحد الزعماء المقربين منه ويدعى «ابشالوم»، وذلك ما يظهر من رسالة ليسيّاس الى اليهود، وقد جاء فيها: «من ليسيّاس الى شعب اليهود سلام. قد سلّم يوحنا وابشالوم، الموفدان من قبلكم، الوثيقة المنسوخة ادناه، وسألانا ان نبرم ما تتضمنه، فشرحت للملك ما ينبغي ان يُرفع اليه، ووافقت على ما هو في امكاني»(الى آخر الرسالة)[٩٠].

واما «الوثيقة المنسوخة ادناه» فيبدو انها الرسالة التي وجهها انطيوخوس الى اليهود، وقد جاء فيها: «من الملك انطيوخوس الى مشيخة اليهود سلام... قد أبحنا لليهود اطعمتهم وشرائعهم، كما كانوا عليه من قبل، وكل من هفا منهم فيما سلف فلن يضايق» (الى آخر الرسالة)[٩١]. وجاء في رسالة من الملك الى ليسياس ما يلي: «من الملك انطيوخوس الى اخيه ليسياس سلام... وبلغنا ايضا ان اليهود غير راضين بما امرهم والدنا من التحول الى سنن اليونانيين، بل انهم يفضلون مذهبهم الخاص، ويسألون ان يباح لهم العمل بسننهم.... فاننا نحكم بان يرد لهم الهيكل، وان يعيشوا بحسب عادات آبائهم....» (الى آخر الرسالة)[٩٢].

وكان من نتيجة هذه المعاهدة ان قضى يهوذا وشعبه ما تبقى من عام ١٦٤ ق.م. بهدوء وطمأنينة، وانصرفوا الى «حرث اراضيهم»[٩٣].

---

(٨٩) العهد القديم، ٢مك ١١: ١٢ـ ١٥.

ويحتار محققو العهد القديم في اي من العهدين يضعون هذا النص، أفي عهد انطيوخوس الرابع ابيفانوس ام في عهد ابنه انطيوخوس الخامس اوباطور (وكلا العهدين شغلا العام ١٦٤ ق.م)، فبينما يرون ان كاتب النص يرويه على اساس انه جرى في عهد انطيوخوس الخامس، باعتبار ان ليسياس يستطيع ان «يرغم» انطيوخوس الصغير ولا يستطيع ان يفعل ذلك مع ابيه (م.ن. ص ١٠٢٨ حاشية ٢) نراهم يرون، في مكان آخر، ان «الملك» المقصود في النص هو «انطيوخوس الرابع» لا الخامس (م.ن. ص.ن حاشية ٥).

(٩٠) م.ن. ٢مك ١١: ١٦ـ٢٠.

(٩١) م.ن. ٢مك ١١: ٢٧ـ ٣٢.

(٩٢) م.ن. ٢مك ١١: ٢٢ـ ٢٦. ويبدو، من هذه الرسالة، ان الاحداث جرت في عهد انطيوخوس الخامس.

(٩٣) م.ن. ٢مك١٢: ١.

الا ان عهد الهدوء هذا لم يطل، اذ انه، وبتواطؤ مع بعض القادة في البلاد وهم طيموتاوس، وابلّونيوس بن جنّايوس، وايرونيمس، وديمفون، بالاضافة الى «نيكانور» حاكم قبرس، ارتكب اهل يافا، بحق اليهود في مدينتهم، «جريمة فظيعة»، وذلك عندما صدر قرار من «شعب المدينة» بان يرحل جميع يهودها بحرا في قوارب اعدت لهم، وكان عددهم نحو مايتي نسمة، وما ان وصلت القوارب الى عرض البحر حتى اغرقت بمن فيها(٩٤).

وعلم يهوذا بما جرى لأبناء ملته في يافا على ايدي مواطنيهم في المدينة، فقرر الانتقام، وسار الى مرفأ يافا، ليلا، فاشعله واحرق القوارب وحاول مهاجمة المدينة الا انها كانت قد اغلقت ابوابها في وجهه. وكان قد سمع بان اهل يمنيًا (يبنة) ينوون ان يفعلوا بيهود بلدتهم ما فعله اهل يافا، فارتحل بمن معه الى يمنيًا وهاجمها ليلا فاحرق «المرفأ مع الأسطول، حتى رؤي الضوء من اورشليم، على بعد مئتين واربعين غلوة»(٩٥).

قرر يهوذا، بعد ذلك، ان يزحف بجيشه على طيموتاوس في ارض جلعاد، «فتصدى له قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف ومعهم خمسمئة فارس»(٩٦) وحاولوا منعه من اجتياز ارضهم نحو جلعاد فقاتلهم وهزمهم ثم صالحهم(٩٧). وأغار، في طريقه «على مدينة تحميها سدود من تراب وتحيط بها الأسوار ويسكنها خليط من الأمم، وأسمها كَسْفيس»(٩٨)، فنابذ اهلها يهوذا وجنده «وشتموهم وجدفوا ونطقوا بما لا يحل»(٩٩) فهاجمهم واحتل المدينة وقتل من اهلها «ما لا يحصى» حتى ان بحيرة قريبة منها «ظهرت كأنها امتلأت وطفحت بالدماء»(١٠٠).

---

(٩٤) م. ن. ٢مك ١٢: ٢ـ ٤. ولم يذكر النص كيف تم اغراق هذه القوارب، ومن اغرقها. أأغرقها ملاحوها الذين لا بد من ان يغرقوا هم ايضا، ام اغرقت بوسائل اخرى لم تحدد، وهذا ما يشير الى بُعد هذه الواقعة عن «الواقعية».

(٩٥) م. ن. ٢مك ١٢: ٥ـ٩. اولا تشير هذه الاحداث الى الكره المتأصل في نفوس مختلف الشعوب في ارض كنعان لليهود الدخلاء والمغتصبين؟ اما الغلوة فهي «رمية سهم بأبعد ما يُقدر عليه» وتقدر بـ ٣٠٠ الى ٤٠٠ ذراع (محيط المحيط).

(٩٦) م. ن. ٢مك ١٢: ١٠. وهؤلاء العرب هم الانباط الذين ورد ذكرهم في الرواية الاولى (١مك٥: ٢٥) وذكر انهم تلقوه بسلام وسمحوا له بالمرور.

(٩٧) م. ن. ٢مك ١٢: ١١ـ١٢.

(٩٨) م. ن. ٢مك ١٢: ١٣. ولم نستطع تحديد موقع هذه المدينة. كما لم يستطع «الدبس» ذلك (الدبس، المرجع السابق، جـ٢: ١٩٣).

(٩٩) م. ن. ٢مك١٢: ١٤.

(١٠٠) م. ن. ٢مك١٢: ١٦.

وسار يهوذا، بعد ذلك، نحو «سبعمئة وخمسين غلوة» حتى بلغ «الكرك» وكان يحكم تلك الارض اسرة من اليهود تعرف «بالطوبيين»، وهي ارض لبني عمون[١٠١]، فلم يجد طيموتاوس الذي كان قد غادر تلك الارض بعد ان ترك في قلعتها «الكرك» حامية من نحو عشرة آلاف رجل لحراستها، فهاجم اثنان من قادته (وهما: دوستياسو وسوسيباطير) القلعة وفتكا بمن كان فيها من جند طيموتاوس[١٠٢]. وتابع يهوذا زحفه باحثا عن طيموتاوس في ارض جلعاد.

علم طيموتاوس بزحف يهوذا نحوه بجيش لا قبل له على مواجهته. ومع انه كان مع طيموتاوس «مئة وعشرون الف راجل وخمسمئة فارس»[١٠٣] فقد آثر عدم المواجهة، ووضع النساء والاطفال والمتاع في مكان يسمى «قرنيم»، وكان «موضعا منيعا يصعب الوصول اليه لضيق جميع الممرات[١٠٤]». وعندما علم يهوذا بما صنعه خصمه قسم جيشه ثلاث فرق وعيّن لكل فرقة قائدا «وحمل على طيموتاوس». وما ان بدت طلائع الفرقة الأولى لجيش يهوذا حتى دب الرعب في قلوب جند طيموتاوس «فاسرعوا الى الفرار من كل جهة، حتى إن بعضهم كان يؤذي بعضا، وطعن بعضهم بعضاً بحد السيوف»[١٠٥]. وطاردهم يهوذا بجيشه وقتل منهم خلقا كثيرا، حتى بلغ عدد قتلاهم «ثلاثين الف رجل»[١٠٦].

اما طيموتاوس فقد وقع اسيرا «في ايدي رجال دوسيتاوس وسوسيباطير» ولكنه استطاع اقناعهم بان يخلوا سبيله «بحجة ان اباء واخوة للكثيرين منهم قد يهلكون» ان هلك هو، فاخلوا سبيله[١٠٧].

وأغار يهوذا، بعد ذلك على قرنيم واترجيتون، فقتل فيهما «خمسة وعشرين الف نفس»[١٠٨].

---

(١٠١) م.ن. ٢مك ١٢: ١٧ وم.ن. ص ١٠٣٠ حاشية (٢).
(١٠٢) م.ن. ٢مك ١٢: ١٨ـ١٩.
(١٠٣) م.ن. ٢مك١٢: ٢٠.
(١٠٤) م.ن. ٢مك ١٢: ٢١.
(١٠٥) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٢.
(١٠٦) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٣.
(١٠٧) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٤.
(١٠٨) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٥، ويلاحظ دائما المغالاة في عدد قتلى العدو.
وقرنيم: هي قرنايم او قرنائيم التي سبق ذكرها في الرواية الاولى.

خارطة رقم ٣٥: حملة يهوذا على أرض جلعاد وموقعة جازر



ثم زحف يهوذا، بعد ذلك، على عفرون، «وكان ليسياس يقيم فيها، وكان على اسوارها شبان من ذوي البأس، يقاتلون بشدة، ومعهم كثير من المجانيق والقذائف»، فهاجمها يهوذا واحتلها وقتل من حماتها «نحو خمسة وعشرين الفا»[١٠٩]، ثم تابع تقدمه نحو مدينة «بيت شان، وهي على ستمئة غلوة من اورشليم» فشهد يهودها بان اهل مدينتهم قد احسنوا معاملتهم، فشكرهم يهوذا وتابع سيره الى أورشليم[١١٠].

هذه هي الرواية الثانية لحملة يهوذا على ارض جلعاد كما وردت في سفر المكابيين الثاني، فهل هذه الرواية هي رواية اخرى للحملة الأولى، ام انها رواية لحملة اخرى غيرها؟ ونرد على ذلك بالقول: «كان يمكن لهذه الرواية ان تكون لحملة ثانية ليهوذا على ارض جلعاد لولا ان المنطلق الزمني للروايتين واحد، وهو ان احداثهما قد جرت بعد موقعة «بيت صور» مباشرة. (انظر الخارطة رقم ٢٥).

نكسة يمنيّا (يبنة):

بينما كان يهوذا (ويوناثان) في جلعاد وسمعان في الجليل يقاتلان، كان يوسف وعزريا في اليهودية يتلقيان، وهما قابعان في مواقعهما، انتصارات اولئك القادة ومقاتليهم، فخطر لهما ان يسعيا، بدورهما، لكي يحققا انتصارات مماثلة، فزحفا، بمن معهما من الجيش، على يمنيّا، (وكان فيها «جرجيّاس» حاكم أدوم) دون ان يحاولا ان يجترحا اي مبرر لهجومهما هذا، سوى قولهما: «لنُقم لنا نحن ايضا اسما، ولنمض لمحاربة الأمم التي حولنا»[١١١]. وكان على يمنياً «جرجيّاس» الذي اسرع لمواجهتهما فهزمهما وطاردهما «الى حدود اليهودية» وقتل من جيشهما الفي رجل[١١٢]، وكانت تلك «هزيمة عظيمة» لشعب اسرائيل[١١٣].

(١٠٩) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٧ـ٢٨.

(١١٠) م.ن. ٢مك ١٢: ٢٩ـ٣١.

(١١١) م.ن. ١مك ٥: ٥٥ـ٥٨.

(١١٢) م.ن. ١مك ٥: ٥٩ـ٦٠.

(١١٣) م.ن. ١مك ٥: ٦٠.

٥ـ حملة يهوذا على الأدوميين والفلسطينيين (١٦٣ ق.م.):

بعد عودته من جلعاد، خرج يهوذا واخوته على الأدوميين انتقاما لفشل يوسف وعازار في حملتهما عليهما، فهاجم بني عيسو (من الادوميين في الجنوب) و«ضرب حبرون وتوابعها، وهدم حصونها واحرق البروج التي حولها»[١١٤]، ثم جاوزها الى مريشة، (عاصمة ادوم) وكان «جرجيّاس» قائد ارض ادوم قد أعد جيشا من «ثلاثة آلاف راجل واربعمئة فارس»[١١٥]، فاقتتل الفريقان، وسقط من اليهود نفر قليل كان منهم بعض الكهنة الذين «خرجوا الى الحرب عن غير فطنة»[١١٦] وهزم «جرجيّاس» وجيشه، وفرّ الى مريشة[١١٧]، بينما تابع يهوذا طريقه الى «فلسطين» فاحتل «اشدود» وهدم مذابحها «وسلب غنائم المدينة»، ثم جمع جيشه وسار به الى «عدلاّم»[١١٨] ومنها الى اورشليم.

٦ ـ موقعة «جازر» ومقتل طيموتاوس (١٦٣ ق.م.):

بعد هزيمته في جلعاد، حشد طيموتاوس، في جازر، «جيشا عظيما» جمعه من «الغرباء» ومن «أفراس آسية»، وبدا كمن كان في نيته الاستيلاء على اليهودية بقوة السلاح[١١٩]، مما دفع بيهوذا لان يحشد، بدوره، جيشا ويتقدم لملاقاة طيموتاوس في جازر.

وصل يهوذا، بجيشه، الى مشارف «جازر» عند الفجر، حيث اصبح العدو على مقربة منه، وما ان اشرقت الشمس حتى التحم الفريقان. وتراءى للمقاتلين اليهود، عندما حمي وطيس المعركة، ان رجالا خمسة «رائعي المنظر، على خيل لها لجم من ذهب» نزلوا من السماء وتقدموهم للقتال، وقد أحاطوا بيهوذا «يحمونه باسلحتهم، ويقيانه الجراح»، ثم

---

(١١٤) م.ن. ١مك ٥: ٦٥.

(١١٥) م.ن. ١مك ٥: ٦٦ وص ٩٧٠ حاشية (١٣)، و٢مك ١٢: ٣٢-٣٣.

(١١٦) م.ن. ١مك ٥: ٦٧ و٢مك ١١: ٣٤.

(١١٧) م.ن. ٢مك١٢: ٣٥. وجاء في النص ان «دوسيتاوس» احد قادة جيش يهوذا، قبض على رداء جرجيّاس واراد ان يأسره حيا، ولكن احد فرسان جرجياس بادر الى انقاذ سيده بان ضرب دوسيتاوس بسيفه ضربة قطعت كتفه (م.ن. ٢مك ١٢: ٣٥).

(١١٨) م.ن. ١مك ٥: ٦٨ و٢مك١٢: ٣٨، وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 145

(١١٩) م.ن. ٢مك١٠: ٢٤.

اخذوا «يرمون الأعداء بالسهام والصواعق»[١٢٠] حتى أعموا ابصارهم واضطروهم الى التشتت والفرار. وقد «ذُبح» من جيش طيموتاوس، في هذه الموقعة «عشرون الفا وخمسماية» ومن الفرسان «ستمئة»[١٢١]، اما طيموتاوس فقد لجأ الى حصن جازر الذي كان بامرة اخيه «خيراوس»، فحاصر اليهود الحصن «اربعة ايام» حتى اذا كان فجر اليوم الخامس، جرت مهاجمة الحصن على الشكل التالي:

١ ـ تسلق «عشرون فتى» من جيش المكابي الأسوار، واخذوا يذبحون «كل من عرض لهم» من حراسه[١٢٢].

٢ ـ وفي الوقت نفسه، تسلق «آخرون» السور من الخلف، ودخلوا الحصن، وأشعلوا النار ببرجيه حتى قضوا حرقا بالنار على كل من كانوا بداخله[١٢٣].

٣ ـ في هذه الاثناء، كان «آخرون» يحطمون ابواب الحصن ويفتحون في أسواره ممرات لكي يدخل الجيش اليه، وهكذا دخل الجيش ثم استولى على المدينة[١٢٤].

اما طيموتاوس الذي اختفى في «جب» هو واخوه خيراوس واحد قادته ويدعى «أبلُّوفانيس» فقد اكتشفهم جند يهوذا، وذبحوهم جميعا[١٢٥].

---

(١٢٠) م.ن. ٢مك١٠: ٢٧ـ٣٠. ونجد في القرآن الكريم، آيات تتشابه، في المعنى، مع ما هو وارد في هذا النص، قال تعالى: «إذ تستغيثُونَ رَبَّكُم فاستَجابَ لَكُم أنّي مُمدُّكُم بِألْفٍ مِنَ المَلائكَةِ مُرْدَفينَ» (الانفال٨/ ٩).
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللهُ بِبَدْرٍ وَانْتُم أذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللهَ لعَلَّكُم تَشكُرُونَ ۞ إذْ تَقُولُ للمُؤْمِنِينَ ألَنْ يَكْفِيَكُم أن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَة آلافٍ مِنَ المَلائكَةِ مُنْزَلِينَ ۞ بَلَى إن تَصْبِرُوا وتَتَّقوا ويَأتوكُم مِن فَوْرِهِم هذا يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وما جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشْرَى لَكُم وَلِتَطْمَئِنَّ قُلوبُكُم بِهِ. وما النَّصْرُ إلا مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ (آل عمران ٣/ ١٢٣ـ ١٢٦). وقد جاء في تفسير الجلالين لهذه الآيات ان الملائكة قاتلت، يوم بدر، مع المسلمين «على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض ارسلوها على اكتافهم». وجاء في مكان آخر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَقَد نَصَرَكُم اللهُ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ اذْ أعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأنْزَلَ جُنُوداً لَم تَرَوْهَا...﴾ (التوبة ٩/ ٢٥ـ ٢٦). ولا نشك في ان القوة التي امد الله بها المسلمين في هاتين الموقعتين، بدر وحنين، لم تكن سوى قوة معنوية تساوي، في قدرتها، قوة الجند (الملائكة) الذين ذكرهم القرآن الكريم. ولم تكن قوة مادية في اي حال.
(انظر، للتفصيل، كتابنا، الفن العسكري الاسلامي، ص ٤٥ ـ ٤٦).

(١٢١) العهد القديم، ٢مك١٠: ٣١.

(١٢٢) م.ن. ٢مك١٠: ٣٥.

(١٢٣) م.ن. ٢مك١٠: ٣٦.

(١٢٤) م.ن. ٢مك١٠: ٣٦.

(١٢٥) م.ن. ٢مك١٠: ٣٧

٧ ـ حصار قلعة «عقرا» وحملة الملك انطيوخوس الخامس على اليهودية (١٦٣ ـ ١٦٢ ق.م.):

كانت قلعة «عقرا» القريبة من الهيكل، في اورشليم، لا تزال بأيدي رجال الملك الذين كانوا يمنعون اليهود من الوصول الى الهيكل نظرا لوقوع القلعة في مكان مشرف عليه، فقرر يهوذا احتلالها واخراج رجال الملك منها و«ابادتهم»، فحشد، لذلك، «كل الشعب» وحاصر القلعة ونصب عليها «القذافات والمجانيق»[١٢٦].

الا ان بعض المحاصرين ومعهم «نفر كافرون من اسرائيل»[١٢٧] استطاعوا اختراق الحصار والمضي الى الملك انطيوخوس الخامس أوباطور لكي يشكو اليه امر يهوذا معهم وحصاره لهم والضيق الذي هم فيه من جراء ذلك[١٢٨]، مما دفع الملك لان يعد حملة على اليهودية، بقيادته هو، ومعه ليسياس، لكي يفك الحصار عن رجاله في قلعة «عقرا».

ـ الحملة على اليهودية (١٦٣ ـ ١٦٢ ق.م.):

أعد انطيوخوس الخامس، لغزو اليهودية، جيشا من «مئة الف راجل وعشرين الف فارس و٣٢ فيلا مدربا على الحرب»، وقيل: «١١٠ آلاف راجل، و٥٣٠٠ فارس و٢٢ فيلا، و٣٠٠ مركبة ذات مناجل»[١٢٩] وكان قد جاءه جنود مرتزقة من مختلف الممالك والجزر البحرية[١٣٠]، وزحف بجيشه هذا، مجتازا ارض أدوم حتى وصل الى «بيت صور» فحاصرها وحاربها «اياما كثيرة» ونصب عليها المجانيق، الا ان اهلها خرجوا منها واحرقوها[١٣١].

(أ) ـ موقعة بيت زكريا (١٦٢ ق.م.):

كان يهوذا لا يزال يحاصر قلعة «عقرا» عندما علم بالغزو، فرفع الحصار عنها وتوجه

---

(١٢٦) م.ن. ١مك٦: ١٨ـ٢٠.

(١٢٧) م.ن. ١مك٦: ٢١.

(١٢٨) م.ن. ١مك٦: ٢٢.

(١٢٩) م.ن. ١مك٦: ٣٠و٢مك١٣: ٢.

(١٣٠) م.ن. ١مك٦: ٢٨ـ٣٠.

(١٣١) م.ن. ١مك٦: ٣١.

للقاء الملك عند «بيت زكريا» الواقعة شمال «بيت صور»، فعسكر بجيشه قبالة معسكر الملك[١٣٢].

الاستعداد للقتال: اعد انطيوخوس جيشه للقتال على الشكل التالي:

ـ قسم الرجالة آلافاً «لابسين الزرد وعلى رؤوسهم خوذ النحاس» وجعل فيلا في مقدمة كل الف[١٣٣].

ـ قسم الفرسان على الفيلة، مع كل فيل نصف الف «خمسمئة فارس منتخبين» يتواجدون «حيثما وجد الفيل» ويذهبون «حيثما ذهب.. لا يفارقونه»[١٣٤].

ـ وجعل على كل فيل برجا حصينا، وفي البرج ثلاثة مقاتلين، فضلا عن الفيال[١٣٥].

ـ وجعل بقية الفرسان على جانبي الجيش «يضايقون العدو ويسترون الكتائب»[١٣٦].
وهكذا يكون التشكيل القتالي لجيش انطيوخوس كالتالي:

١ـ الفيلة في المقدمة، وعلى كل فيل ثلاثة مقاتلين، وفيّال.

٢ـ يلي كل فيل: خمسماية فارس يحيطون به ويكتنفونه ويحمونه ويتبعونه.

٣ـ وراء الفرسان: الف راجل للقتال (خلف الفرسان الخمسماية).

٤ـ على المجنبتين: من بقي من الفرسان (لمضايقة العدو وحماية كتائب الجيش).

المعركة: عند الفجر اطلق انطيوخوس جيشه باتجاه بيت زكريا بعد ان روى الفيلة بعصير العنب كي يهيجها[١٣٧]، فسار الجيش نحو الهدف بالتشكيل الذي أعد له. وما ان اشرقت الشمس على رؤوس الجبال المحيطة بالمدينة حتى بدت خوذ المقاتلين

---

(١٣٢) م.ن. ١مك٦: ٣٢. وورد في سفر المكابيين الثاني ان يهوذا عسكر عند بلدة «مودين» وجعل كلمة السر لجيشه «نصر الله» (٢مك١٣: ١٤ـ١٥).

(١٣٣) م.ن. ١مك٦: ٣٥.

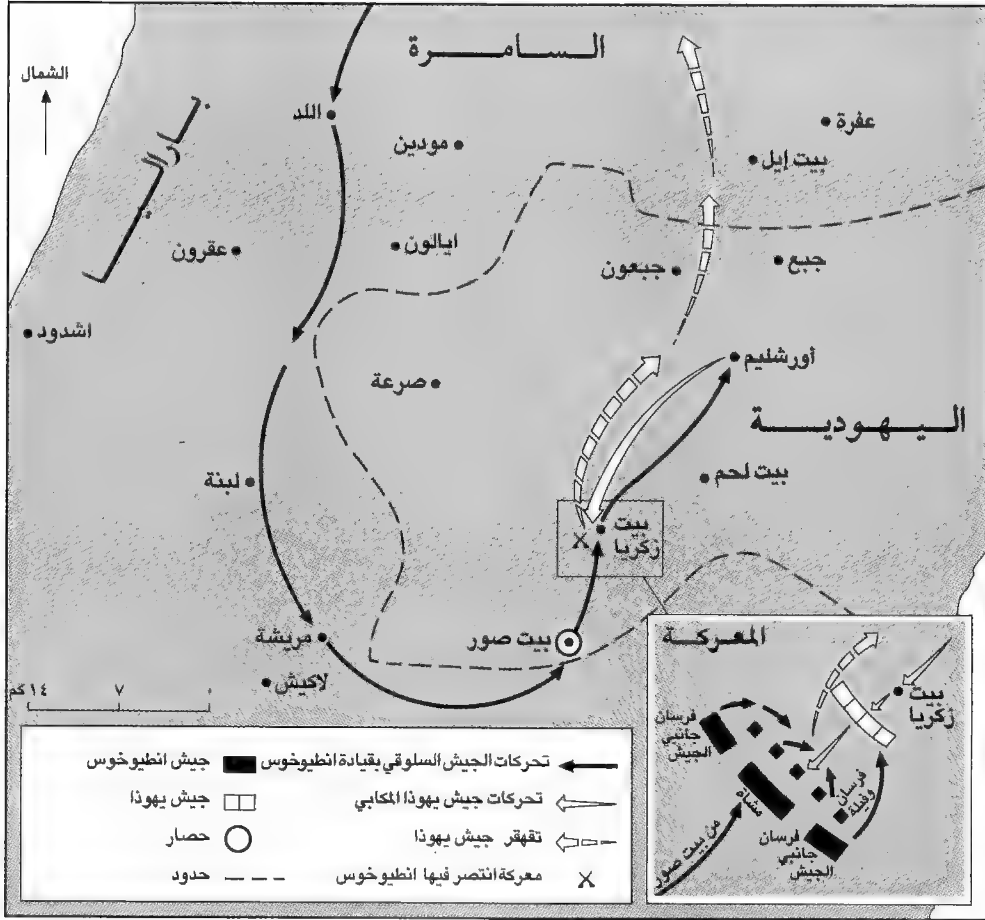
(١٣٤) م.ن. ١مك٦: ٣٦.

(١٣٥) م.ن. ١مك٦: ٣٧

(١٣٦) م.ن. ١مك٦: ٣٨.

(١٣٧) م.ن. ١مك٦: ٣٤.

خارطة رقم ٢٦: موقعة بيت زكريا



وتروسهم، وقد ملأت القمم والسفوح، وهي تلمع «كمشاعل من نار»[١٣٨]، فقد نشر الملك قسما من جيشه على القمم وانتشر القسم الآخر في السفوح، ومشوا، جميعا، «برباطة جأش وانتظام». لقد كان جيش انطيوخوس هذا «عظيما وقويا جدا»[١٣٩].

وتقدم يهوذا وجيشه للقتال، ودارت رحى معركة عنيفة سقط خلالها، من جيش

(١٣٨) م.ن. ١مك٦: ٣٩.

(١٣٩) م.ن. ١مك٦: ٤٠-٤١.

انطيوخوس «ستمئمة رجل»[١٤٠]. ورأى اليعازار، اخو يهوذا، فيلا «مدرعا بدروع ملكية» فظن انه الفيل الذي يحمل الملك، فهجم عليه آملا ان يقتله ويأسر الملك فينال، من جراء ذلك، مجدا لا يضاهى، و«دخل بين قوائم الفيل حتى صار تحته وقتله، فسقط عليه الفيل الى الارض فمات مكانه»[١٤١].

ورغم ذلك فقد هزم يهوذا وجيشه[١٤٢]، وتابع الملك تقدمه نحو اورشليم. (انظر الخارطة رقم ٢٦).

(ب) ـ سقوط بيت صور وحصار جبل صهيون (١٦٢ ق.م.):

حاصر الملك «بيت صور» فافتقد اهلها الطعام «فخرجوا منها وأحرقوها بالنار، وقاتلوا ببأس»، ثم ان الملك «عقد صلحا» معهم[١٤٣] واستولى على المدينة «وأقام فيها حراسا يقومون بحراستها»[١٤٤]، ثم تقدم، بجيشه، نحو أورشليم فحاصر الهيكل وجبل صهيون «أياما كثيرة، ونصب هناك القذافات والمجانيق وآلات لرشق النار والحجارة وادوات لرمي السهام ومقاليع»[١٤٥]. وحارب اليهود بدورهم «اياما كثيرة» ايضا، دفاعا عن الهيكل، وصفوا «مجانيق» قبالة مجانيق العدو[١٤٦]، ولكن نفاد المؤونة جعلهم يتفرقون بعد ان غلبهم الجوع، ولم يبق في الهيكل «الا نفر يسير»[١٤٧].

في هذه الاثناء، كانت اورشليم لا تزال مقسمة بين:

- جند الملك المعتصمين في قلعة «عقرا»، وهم حاميتها.

- واليهود المقيمين في جبل صهيون ويقومون بحماية الهيكل.

---

(١٤٠) م.ن. ١مك٦: ٤٢.

(١٤١) م.ن. ١مك٦: ٤٣ـ٤٦. وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 145- 146

(١٤٢) جاء في النص كما يلي: «ولما رأى اليهود سطوة الملك وبطش الجيوش ارتدوا عنهم» (١مك٦: ٤٧). ولم يقل، صراحة، بهزيمة يهوذا.

(١٤٣) م.ن. ١مك٦: ٣١و٤٩.

(١٤٤) م.ن. ١مك٦: ٥٠.

(١٤٥) م.ن. ١مك٦: ٥١.

(١٤٦) م.ن. ١مك٦: ٥٢.

(١٤٧) م.ن. ١مك٦: ٥٣ـ٥٤.

كانت الانباء قد بدأت تترى، من انطاكية، عن محاولة انقلاب ضد الملك يعدّها نائبه «فيليبس» الذي عاد من فارس بالجيوش وحاول ان يستولي على الحكم في غياب الملك(١٤٨)، ورأى الملك انه من الصعب الاستيلاء على جبل صهيون، وان حصاره سيستمر وقتا طويلا، وقد بدأت مؤونة جيشه بالنفاد، فاستمع الى مشورة «ليسياس» وقرر مصالحة اليهود على ان تترك لهم حرية معتقداتهم، وتم ذلك فعلا. الا ان الملك، ما ان دخل جبل صهيون، حتى نقض العهد وهدم السور المحيط بالجبل وعاد الى انطاكية ليخمد ثورة فيليبس الذي كان قد استولى على المدينة، ويستعيد انطاكية، عاصمة ملكه، بالقوة(١٤٩).

- رواية سفر المكابيين الثاني:

واورد سفر المكابيين الثاني رواية لهذه الحملة على الشكل التالي:

في العام ١٤٩ من التقويم السلوقي (خريف عام ١٦٣ ق.م.) اعد انطيوخوس الخامس، أوباطور جيشا من ١٠ آلاف راجل و٥٣٠٠ و٢٢ فيلا و٣٠٠ مركبة ذات مناجل، وغزا اليهودية، ومعه ليسيّاس «وصيّه، وقيم المصالح» في مملكته، فانضم اليه «منلاوس» الذي كان قد عزل من منصبه كعظيم للكهنة في اورشليم، وكان يبغي العودة الى منصبه الذي عزل منه، ولكن الملك ادرك مقاصده فحكم عليه بالموت، فسيق الى البرية والقي من برج علوه خمسون ذراعا، حيث هلك. وتابع الملك تقدمه في اليهودية باتجاه اورشليم، فاستنفر يهوذا شعبه واعدّ جيشا لمواجهة انطيوخوس، وعسكر عند «مودين» قبالة معسكر الملك، وجعل كلمة السر لجيشه «نصر الله». وفي الليل اختار نخبة من جنده وهجم بهم على خيمة الملك فقتل «نحو اربعة آلاف رجل في المعسكر»، وطعن فيلا، ونشر الذعر في المعسكر، وعاد الى معسكره «عند طلوع الفجر»(١٥٠).

ولما علم الملك بما فعل يهوذا في معسكره ادرك استحالة انتصاره عليه، واخذ يحاول احتلال المعاقل اليهودية «بالحيلة»، فزحف على «بيت صور»، وهي قلعة منيعة، فهزم

---

(١٤٨) م.ن. ١مك٦: ٥٥-٥٦.

(١٤٩) م.ن. ١مك٦: ٥٧-٦٣. ويبدو ان الملك ابقى لليهود هيكلهم (م.ن. ص ٩٧٤ حاشية ١٧).

(١٥٠) م.ن. ٢مك١٣: ١-١٧. ولا يمكن قبول هذه الرواية لاسطوريتها.

مرتين، خصوصا وان يهوذا كان يمد حاميتها بما تحتاجه، مما دفع الملك لان يفاوض تلك الحامية ويدعوها للصلح، فتم له ذلك. ثم هاجم يهوذا في مواقعه فهزم كذلك(١٥١).

وعلم الملك ان «فيليبس» الذي كان قد تركه في انطاكية لتدبير الأمور «قد تمرد عليه وطلب الملك لنفسه، فاضطر للتفاوض مع اليهود والموافقة «على جميع شروطهم» فصالحوه على ذلك. واستقبل الملك يهوذا ورحب به، ثم ترك «هيجمونيدس» واليا على البلاد «من بطلمايس (عكا) الى حدود الجرّانيين»، وانتقل الى بطلمايس التي رفض اهلها اتفاقية الصلح، فسعى «ليسيّاس» لاقناعهم، فاقنعهم، وعاد الملك الى انطاكية(١٥٢).

رواية فلافيوس جوزف (المعروف بيوسفوس):

اما فلافيوس جوزف (يوسفوس) فذكر ان انطيوخوس جمع جيشا من «خمسين الف راجل ونحو خمسة آلاف فارس وثمانين فيلا» ودخل اليهودية حتى بلغ المنطقة الجبلية، واحتل «بيت صور» فلاقاه يهوذا عند «بيت زكريا»، وما أن بدأ الاشتباك حتى لقي ألِعَازار، اخوه، مصرعه منسحقا تحت فيل ظن انه يحمل الملك، فهاجمه يريد قتله وأسر الملك، وطعن الفيل الذي هوى عليه فقتله. وكان هذا الحدث مصدر تشاؤم ليهوذا، وكان اليهود يقاومون بصلابة وبأس، ولكنهم لم يكونوا قادرين على الصمود طويلا امام جيش اكثر منهم عددا وأوفر حظا بالنصر. وكان يهوذا قد فقد عددا كبيرا من جنده، فآثر الفرار، مع من بقي من جيشه، نحو جبال غفنة، على مسافة عشرين كلم شمال اورشليم(١٥٣).

٨ ـ موقعة كفر سلامة (١٦١ ق.م):

بعد سنتين من ملك انطيوخوس الخامس أوباطور، وفي العام ١٥١ (التقويم السلوقي) اي في أواخر العام ١٦٢ ق.م. (وأوائل العام ١٦١ ق.م.) اغتصب ديمتريوس الأول عرش انطاكية من ابن اخيه انطيوخوس، وذلك بعد ان قتله هو ووصيّه

---

(١٥١) م.ن. ٢مك١٢:١٨-٢٢.

(١٥٢) م.ن. ٢مك١٣:٢٢-٢٦.

(١٥٣) Josèphe, Flavius, La guerre des Juifs, PP. 125- 126.

«ليسياس»[١٥٤]. وجاء من يشكو لديمتريوس تصرف يهوذا وتمرده، وعلى رأس هؤلاء «ألكيمُس» وهو يهودي منشق كان يطمح لان يكون «عظيم الكهنة» في اليهودية. عندها قرر الملك وضع حد لتمرد يهوذا واختار، لهذه المهمة، احد قادته ويدعى «بكّيديس»، وارسله، هو وألكيمُس، بعد ان «ثبته في الكهنوت» ومعهما «جيش جرار»، للانتقام من «بني اسرائيل»[١٥٥].

سار «بكّيديس» بالجيش الى اليهودية، وانفذ الى «يهوذا واخوته» رسلا يدعوهم الى السلام «مكرا» فلم يستجيبوا[١٥٦]، لكن بعض اليهود صدقوه، «فقبض على ستين رجلا منهم وقتلهم في يوم احد»[١٥٧]، ثم غادر وجيشه اورشليم الى «بيرزيت» حيث عسكر فترة من الزمن قتل خلالها عددا غفيرا من اليهود «الذين كانوا قد التحقوا به» ثم غادر البلاد الى انطاكية، بعد ان اوكل امرها الى ألكيمُس الكاهن «وابقى معه جيشا يؤازره»[١٥٨].

وجمع ألكيمُس اليه كل المنشقين في اليهودية واستولى «على ارض يهوذا» وضرب اسرائيل «ضربة شديدة»[١٥٩].

عندها، قرر يهوذا ان يخرج لمواجهة ألكيمُس، فحشد، لذلك، جيشا بلغ من القوة ما جعل ألكيمُس يهرع الى الملك يطلب النجدة، فانجده الملك بقائد من قادته مشهور بالقوة والبأس ويدعى «نكانور» (وكان هذا قد اشتهر في موقعة عمّاوس)، وكان «مبغضا ومعاديا لاسرائيل» وزوّد الملك نكانور باوامر واضحة وصريحة تقضي «بابادة الشعب» في اسرائيل[١٦٠].

---

(١٥٤) العهد القديم، ١مك٧: ١ـ٤، وانظر Barnavi, Op. Cit. P. 45
الا ان بريتشارد يضع هذا الحدث عام ١٦١ ق.م. Pritchard, Op. Cit. P. 146 وهذا ما يراه ايضا محققو العهد القديم (ص ٩٧٤ حاشية ١). وقد بلغت انباء هذا الحدث اليهودية في ربيع العام ١٦١ ق.م. (ص ١٠٢٤ حاشية ١)، اذ ورد في النص انه «بعد مدة ثلاث سنوات بلغ اصحاب يهوذا...» (م.ن. ٢مك ١٤: ١). لذا، لا نجد فرقا كبيرا بين الرأيين، ونظن ان الحدث قد جرى في اواخر عام ١٦٢ ق.م. واوائل العام الذي يلي (١٦١ ق.م). وعلى هذا تكون موقعة «كفرسلامة» قد جرت في العام ١٦١ ق.م. وليس في العام ١٦٢ ق.م. كما ذكر آهاروني Aharoni, Op. Cit. P. 146. وتقع «كفر سلامة» قرب اورشليم، بينها وبين بيت حورون العليا، وبالقرب من جبعون.

(١٥٥) العهد القديم، ١مك ٧: ٥ـ١٠.

(١٥٦) م.ن. ١مك٧: ١٠ـ١١.

(١٥٧) م.ن. ١مك٧: ١٦.

(١٥٨) م.ن. ١مك٧: ١٩ـ٢٠.

(١٥٩) م.ن. ١مك٧: ٢٢.

(١٦٠) م.ن. ١مك٧: ٢٥ـ٢٦. وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 146

سار نكانور الى اليهودية على رأس «جيش كثير»، وارسل الى يهوذا واخوته رسلا يدعونهم الى السلام «مكرا»، وجرى لقاء حذر بينه وبين يهوذا، واستشعر يهوذا، من خلال ذلك اللقاء، ما كان عليه نكانور من مكر فلم يعد لمقابلته. وحاول نكانور، بعدها، ان «يفتح طريق بيت حورون التي تصل اورشليم بالقواعد السلوقية في السهل الساحلي»[١٦١]، فتصدى له يهوذا في معركة عند «كفر سلامة» سقط فيها من جيش نكانور «نحو خمسة آلاف رجل» وفر نكانور ومن بقي معه الى أورشليم[١٦٢].

٩ـ موقعة «أداسة» او «دسّاو» ومقتل نكانور (١٦١ ق.م.):

يذكر سفر المكابيين الثاني ان موقعة «دسّاو» جرت بين سمعان، اخي يهوذا، وبين نكانور قائد جيش ديمتريوس الأول السلوقي، وانها لم تنته الى نتيجة حاسمة، بل أدت الى اجراء مفاوضات وعقد اتفاق سلام بين يهوذا ونكانور، وقد تزوج يهوذا، بعدها، بناء على نصيحة من نكانور، «وذاق الراحة وتنعم بالحياة»[١٦٣].

ويذكر السفر نفسه ان الصلح الذي تم بين يهوذا ونكانور أغضب الكاهن الكيمس الذي اوغر صدر الملك (ديمتريوس الأول) قائده وحرضه على إبطال ذلك الصلح، فكتب الملك الى نكانور يأمره بارسال يهوذا «مقيدا الى انطاكية»[١٦٤].

ومهما يكن من أمر صحة هذه الرواية او خطئها، فقد قرر نكانور محاربة يهوذا وغادر اورشليم لكي يحشد جيشه في بيت حورون العليا، وانضم اليه هناك جيش سوريا الذي قدم من الساحل عن طريق اللد، فقابله يهوذا بالتوجه من جبال غفنة، حيث كان يقيم مع رجاله، الى اداسة، على الطريق بين أورشليم وبيت حورون، فحشد جيشه هناك منتظرا نكانور، وكان معه ثلاثة آلاف رجل[١٦٥].

---

(١٦١) Aharoni, Ibid

(١٦٢) العهد القديم، ١مك٧: ٢٧ـ ٣٢.

(١٦٣) م.ن. ٢ مك ١٤: ١٥ـ٢٥. ويذكر محققو العهد القديم ان «دسّاو» هي «أداسة» نفسها، وهي «حداشة الحديثة»، وتقع بين اورشليم وبيت حورون (م.ن. ص ٩٧٦ حاشية ٩).

(١٦٤) م.ن. مك ١٤: ٢٦ـ٢٧.

(١٦٥) م.ن. ١مك٧: ٣٩ـ ٤٠ و Aharoni, Op. Cit. P. 146

وما ان التحم الجيشان في القتال حتى قتل نكانور، فدب الهلع والذعر في صفوف جيشه، فألقى جنده السلاح وهربوا، «فتعقبهم اليهود مسيرة يوم من اداسة الى مدخل جازر»[١٦٦]، وما ان رآهم يهوذا يهربون حتى امر ان يُنفخ في الأبواق نفخة الاستنفار، فهرع سكان القرى من اليهود من كل جانب، واخذوا يطوقون الجند الهاربين ويقتلونهم بحد السيف حتى «لم يبق منهم احد»[١٦٧] وقيل انه قتل من جيش نكانور ٣٥ الف رجل[١٦٨]. واخذ يهوذا السلب والغنائم، ثم قطع رأس نكانور ويده اليمنى (التي كان قد مدها امام الهيكل ليقسم بانه سيحرقه ان لم يأته يهوذا مستسلما)، وعلقهما قبالة أورشليم[١٦٩]. ويذكر سفر المكابيين الثاني ان يهوذا قطع رأس نكانور حتى الكتف ولسانه، و«أمر بان يقطع قطعا ويطرح على الطيور» وتُعلّق ذراعه تجاه الهيكل[١٧٠]. وقد اعتبر ذلك اليوم، الثالث عشر من آذار من كل عام (١٣ آذار عام ١٥١ في التقويم السلوقي الموافق لـ٢٨ آذار عام ١٦٠ ق.م، بحسب ما يرى محققو العهد القديم)، عيدا وطنيا عند اليهود[١٧١]. (انظر الخارطة رقم ٢٧).

وقد اختُلف في تاريخ هذه الموقعة فأرخها محققو العهد القديم في آذار عام ١٦٠ ق. م. (كما رأينا اعلاه)، وأرخها آهاروني وبارناڤي عام ١٦١ ق. م. اما بريتشارد فظل حائرا بين عام ١٦١ ق. م. و١٦٠ ق. م. فأتى النص عنده كما يلي: «ولكن نكانور ضُرب عسكريا وقتل في معركة اداسة (١٦١ ـ ١٦٠)»[١٧٢].

اما المؤرخ جوزف (يوسفوس) فانه يؤرخ موقعة اداسة في عهد انطيوخوس (الخامس) وليس في عهد ديمتريوس الأول، كما ورد في سفر المكابيين الأول والثاني. اذ

---

(١٦٦) م.ن. ١مك٧: ٤٣ـ٤٥.

(١٦٧) م.ن. ١مك٧: ٤٦.

(١٦٨) م.ن. ١مك ١٥: ٢٧.

(١٦٩) م.ن. ١مك٧: ٣٥ـ٤٧.

(١٧٠) م.ن. ٢مك١٥: ٣٠ـ٣٣.

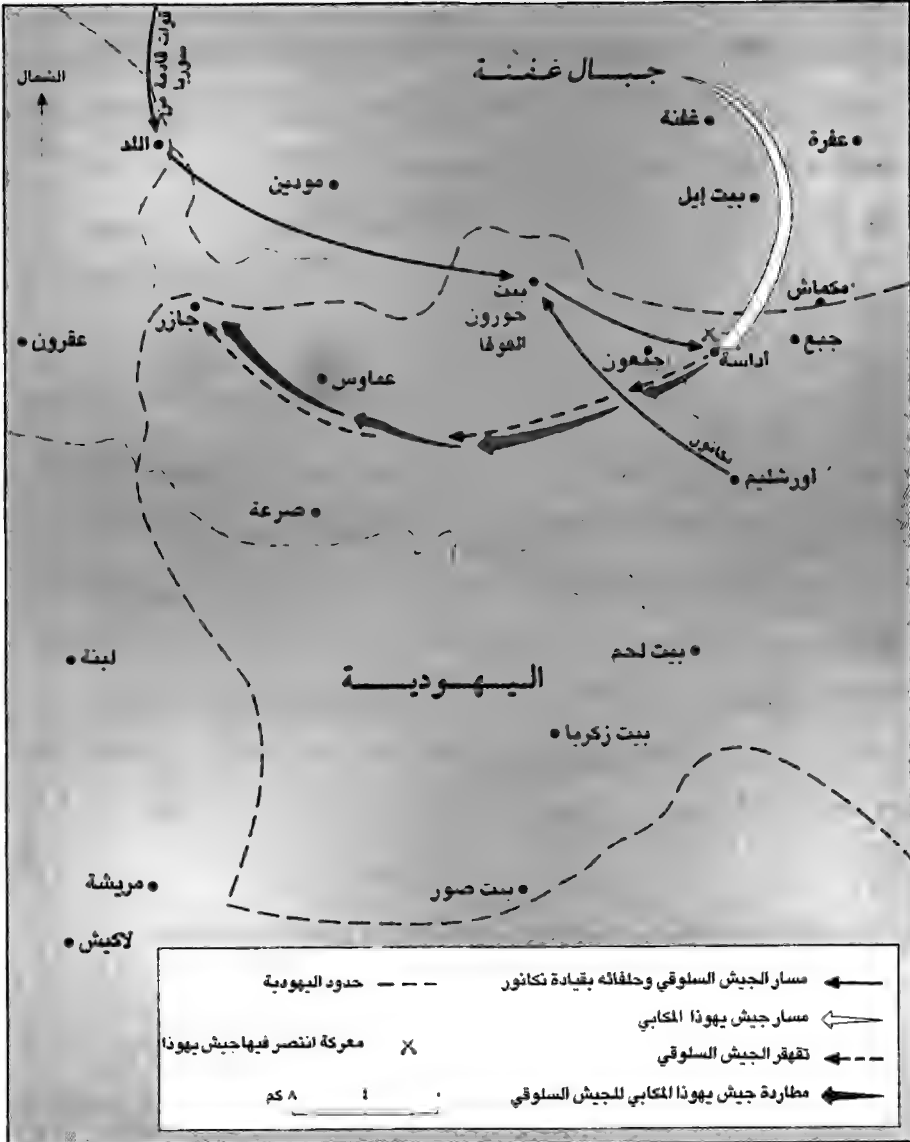
(١٧١) م.ن. ١مك٧: ٤٧و٤٩. وانظر ص ٩٧٦ حاشية (١١).

(١٧٢) انظر Aharoni, Op. Cit. P. 146 -

و Barnavi, Op. Cit. P. 45 -

و Pritchard, Op. Cit. P. 146 -

خارطة رقم ٢٧: موقعة أداسة



يذكر ان يهوذا خاض معركة في ضواحي اداسة «ضد قادة انطيوخوس»، وانه، بعد ان انتصر في هذه المعركة، وبعد ان قتل كثيرا من الاعداء «قتل هو نفسه»، كما قتل، بعد ايام «اخوه حنا» على ايدي متآمرين «من انصار انطيوخوس»[١٧٣]، دون ان يأتي، ولو باشارة، على ذكر مقتل نكانور في هذه المعركة. ويبدو ان يوسفوس قد خلط بين معركة «أداسة» التي قتل فيها نكانور، والمعركة التالية (معركة بئروت وايليسا) التي جرت بعد عام على معركة «اداسة» وقتل فيها يهوذا.

معاهدة تحالف بين يهوذا والرومانيين[١٧٤]:

كانت روما، القائمة على نهر «التيبر» والقريبة من الساحل التيراني، قد بدت قوة عظيمة ومرهوبة الجانب، وذاع صيت قوتها وعظمتها في العالم المعروف آنذاك، ووصلت شهرتها الى اسماع يهوذا، الذي لم يتردد في طلب صداقتها والتحالف معها ضد السلوقيين الذين كانوا يحكمون الساحل الآسيوي المقابل، فاختار اثنين من خاصته هما «اوبولمس بن يوحنا بن أكّوس، وياسون بن العازر» موفدين، من قبله، الى روما، لكي يقيما معها، باسمه، معاهدة «للصداقة والتحالف»، ذلك ان «مملكة اليونان (السلوقيين) قد استعبدوا اسرائيل استعبادا»[١٧٥]، وكانت روما تطمح الى ان تمد سلطانها الى الساحل الآسيوي، حيث يحكم السلوقيون.

ذهب الموفدان الى روما وتفاوضا مع مجلس الشورى والسلطات الحاكمة فيها، وعادا بمعاهدة تحالف جاء فيها: «اذا قامت حرب، في روما اولا، او عند اي كان من حلفائها في كل امتداد سيادتها، فأمة اليهود تحارب معها بكل عزمها، كما تقتضيه الحال، ولن يعطى المعتدون ولن يقدم لهم قمح ولا اسلحة ولا فضة ولا سفن. هكذا حَسُنَ لدى الرومانيين،

---

(١٧٣) - Flavius. Josèphe. Op. Cit. P. 126

(١٧٤) تجدر الاشارة الى ان جوزف (يوسفوس) يذكر ان يهوذا عقد معاهدة التحالف هذه مع روما في عهد انطيوخوس الرابع ابيفانوس، وان موقعة «بيت صور» التي جرت عام ١٦٤ ق. م. واحتلال اورشليم قد جريا بعد هذه المعاهدة. (Josèphe. Op. Cit. P. 125)

(١٧٥) العهد القديم، ١مك٨: ١٧-١٨.

ويحافظون على هذه الالتزامات من دون ان يأخذوا شيئا. وكذلك فان وقعت لليهود حرب اولا، فالرومانيون يحاربون معهم بكل عزمهم، كما تقتضيه الحال. ولن يعطى المعتدون قمحا ولا اسلحة ولا فضة ولا سفنا. هكذا حَسُنَ لدى الرومانيين، ويحافظون على التزاماتهم من دون غش. على هذا الكلام عاهد الرومانيون شعب اليهود. واذا شاء هؤلاء او اولئك ان يزيدوا على هذا الكلام او يسقطوا منه، فيفعلون برضاهم، وكل ما زادوا او اسقطوا يكون ملزما»[١٧٦].

١٠ـ موقعة بئروت (البيرة) او موقعة ايليسا (قرب رام الله)، ومقتل يهوذا (١٦٠ ق.م.)[١٧٧]:

عندما علم ديمتريوس بأنباء هزيمة نكانور ومقتله في موقعة «اداسة» على يد يهوذا وجيشه، قرر سحق الثورة اليهودية نهائيا، وجرّد، لذلك، جيشا من «عشرين الف راجل والفي فارس»[١٧٨] وعلى رأس هذا الجيش كل من «بكّيديس والكيمُس»[١٧٩].

انطلق بكّيديس على رأس هذا الجيش من دمشق «مجتازا بادية الشام ووادي الأردن صعودا في طريق الجلجال»[١٨٠] حتى وصل الى «مشاكوت» باربيل (اربد الحالية)[١٨١]، فعسكر عندها بعد ان استولى عليها وقتل الكثير من اهلها[١٨٢]، «من اليهود القاطنين في العربة»[١٨٣]. و«في الشهر الأول من السنة المئة والثانية والخمسين «بالتقويم السلوقي

---

(١٧٦) م.ن. ١مك٨: ١٩ـ٣٠.

(١٧٧) يذكر محققو العهد القديم ان «بئروت» هي «بيرزيت» عند يوسفوس وفي الترجمة السريانية القديمة. اما في اليونانية واللاتينية فهي «بئروت» (العهد القديم، ص ٩٧٨ حاشية ٢). كما يذكرون ان هذه الموقعة جرت في نيسان ـ ايار عام ١٦٠ ق.م. (م.ن. ص.ن. حاشية ٢). اما آهاروني فيذكر ان «بئروت» هي «البيرة» الحالية. وبالقرب منها «ايليسا» التي هي بالقرب من رام الله (انظر الخارطة) (Aharoni, Op. Cit. P. 147).

(١٧٨) العهد القديم، ١مك٩: ٤.

(١٧٩) م.ن. ١مك٩: ١.

(١٨٠) Aharoni, Op. Cit. P. 147.

وقد اختصر العهد القديم هذه الطريق بقوله ان القائدين «سارا في طريق الجليل» (العهد القديم. ١مك ٩: ٢).

(١٨١) العهد القديم، ١مك٩: ٢. واربيل، او اربئيل او بيت اربئيل. اربد الحالية في شرق الاردن (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٠).

(١٨٢) العهد القديم، ١مك٩: ٢.

(نيسان - ايار ١٦٠ ق.م.)[١٨٤] كان قد وصل الى اورشليم حيث عسكر فترة من الزمن انتقل بعدها شمالا باتجاه «بيرزيت» الى ان بلغ بئروت «البيرة» فعسكر عندها، مانعا، بذلك، اي مدد يمكن ان يصل من جبال غفنة، المعقل الرئيسي للثوار اليهود، الى «ايليسا» حيث يعسكر يهوذا[١٨٥].

في المقابل، كان يهوذا قد حشد لمواجهة بكّيديس جيشا من «ثلاثة آلاف رجل منتخبين» وعسكر في «الفاسه» او «ايليسا» قرب رام الله[١٨٦]. وما ان رأى جنده كثرة جيش العدو حتى «خافوا خوفا شديدا» وبدأوا «ينسلّون من المعسكر» هربا، حتى لم يبق معه منهم سوى «ثمانمئة رجل»[١٨٧].

ويبدو ان يهوذا «فشل في فهم ما يجري، ولم يحشد قواته في الوقت المناسب»[١٨٨] او انه وثق بوعود روما التي ابلغته، مع رسولها اليه، انها كتبت الى الملك ديمتريوس تحذره من التحرش باليهود، وانها سوف تهب لقتاله «بحرا وبرا» ان هو قاتلهم،[١٨٩] ولهذا نراه يفاجأ «بظهور بكّيديس في ضواحي اورشليم»[١٩٠]، وكان عليه، امام هذا الواقع، وامام واقع فرار جنده من المواجهة، وانحياز «اليهود الهلينيين» في اورشليم الى بكّيديس[١٩١]، ان يختار بين المواجهة، وهي معروفة النتائج «فلنموتن بشجاعة عن اخوتنا ولا نبقين على مجدنا وصمة» كما قال لجنده،[١٩٢] او التنحي عن القتال ولو الى حين،

---

(١٨٣) - Aharoni. Op. Cit. P. 147

والعربة: هي الاسم الجغرافي للوادي الذي يجري فيه نهر الاردن، وفيه بحيرة طبرية والبحر الميت (عبد الملك، المرجع السابق، ص ٦١٥).

(١٨٤) العهد القديم، ١مك٩: ٢ وص٩٧٨ حاشية (٢).

(١٨٥) م.ن. ١مك٩: ٣-٤ و Aharoni. Op. Cit. P. 147 ويبدو ان «بئروت» ترجمت «بيرزيت» نقلا عن يوسفوس والترجمة السريانية القديمة، اما في اليونانية واللاتينية فهي «بئروت» (العهد القديم، ص ٩٧٨ حاشية٣). ونحن نرجح ان تكون «بئروت» هي «البيرة» (انظر الخارطة، وانظر: عبد الملك، المرجع السابق، ص ١٥١).

(١٨٦) م.ن. ١مك٩: ٥.

(١٨٧) م.ن. ١مك٩: ٦.

(١٨٨) Aharoni. Op. Cit. P. 147

(١٨٩) العهد القديم، ١مك٨: ٣١.

(١٩٠) Aharoni. Op. Cit. P. 147

(١٩١) - Ibid

(١٩٢) العهد القديم، ١مك٩: ١٠.

ريثما يستكمل استعداده للمعركة، كما قال أصحابه له، «ليس في طاقتنا اليوم ان ننجو بنفوسنا، ثم نرجع مع اخوتنا ونقاتلهم، فاننا عدد قليل»[١٩٣]. واختار يهوذا المواجهة.

الاستعداد للمعركة:

بكيديس: كان بكّيديس قد حشد جيشه، في ساحة القتال التي اختارها بنفسه، بين بئروت (البيرة) وايليسا في السهل الواقع بين المدينتين، والذي يسمح لقواته الثقيلة بالمناورة[١٩٤]، ورتبه بالشكل التالي:

- في المقدمة: رماة المقاليع والقسيّ «وكلهم من ذوي البأس».
- ويليهم الجيش من الرّجالة، وعلى جناحه الايمن بكّيديس.
- وفي الجانبين: الفرسان الذين انقسموا قسمين، على ميمنة الجيش وميسرته[١٩٥].

يهوذا: اما يهوذا، فقد حشد جيشه قبالة جيش بكّيديس وفي الطرف المقابل من السهل، ورتبه ميمنة وميسرة، وكان مركزه في ميسرة الجيش قبالة بكّيديس. وكان البواقون، في الجيشين، الى جانب القائد.

المعركة: امر القائدان البواقين ان ينفخوا في الابواق ايذانا ببدء المعركة، والتحم الجيشان «من الصبح الى المساء»[١٩٦].

في المرحلة الأولى: بدأت ميمنة بكيديس بالتراجع نحو جبل حاصور (او بعل حاصور) «على بعد نحو سبعة أميال من ساحة المعركة»[١٩٧] شمالا بشرق. ولاحظ يهوذا ذلك، فوقع في الخطأ المميت، اذ اندفع، بمسيرته، خلف ميمنة العدو[١٩٨]، مخلفا، بينه وبين باقي جيشه فراغا هائلا لم يكن ممكنا سده.

---

(١٩٤) Aharoni. Op. Cit. P. 147

(١٩٥) العهد القديم، ١مك٩: ١١ـ١٢.

(١٩٦) م.ن. ١مك ٩: ١٢ـ١٣.

(١٩٧) Aharoni. Op. Cit. P. 148، وانظر: العهد القديم، ١مك٩: ١٥.

(١٩٨) العهد القديم، ١مك٩: ١٤ـ١٥ و Aharoni, Ibid

في المرحلة الثانية: في هذه الاثناء، كان الجناح الأيسر لجيش بكيديس يترصد تحركات ميسرة جيش يهوذا، فما ان رآه يتوغّل بعيدا في مطاردة ميمنة الجيش المتراجعة، حتى انقسم (اي الجناح الأيسر) الى قسمين: قسم ظل يواجه من تبقى من جيش يهوذا في ساحة المعركة، بينما التف القسم الآخر على مؤخرة ميسرة يهوذا وهاجمها من الخلف.

في المرحلة الثالثة: وجد يهوذا، نفسه، بميسرته، وقد أضحى بعيدا عن باقي جيشه الذي يقاتل قسما من ميسرة جيش بكيديس، لذا فهو لم يستطع نجدته، كما اضحى بين نارين: نار ميمنة بكيديس التي عادت فنظمت صفوفها واستدارت لمواجهته، ونار قسم من ميسرة بكيديس التي باغتت مؤخرته من الخلف[199]، فقاتل، مع جنده قتال المستميتين، واشتد القتال وحمي وطيس المعركة، الى ان انتهت بسقوط قتلى كثيرين «من الفريقين» وسقوط يهوذا قتيلا، وهرب من بقي حيا من رجاله[200]. (انظر الخارطة رقم ٢٨).

لقد اتقن بكيديس المناورة في هذه المعركة الى درجة ان يهوذا لم ينتبه للخدعة التي اعتمدها القائد السلوقي في ذلك التراجع التضليلي المنظم والمعد بدقة، والذي لم يكن اكثر من شرك وقع به، وبكل بساطة، القائد اليهودي.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن: هل ان التحذير الذي ارسلته روما الى انطاكية، بعد عقدها تحالفاً مع يهوذا، لم يصل الى ديمتريوس في الوقت المناسب ام انه لم يصل اطلاقا، ام ان ديمتريوس لم يعتدّ به؟

وهل ان روما لم تعلم بالهجوم السلوقي على اليهودية ام انها علمت متأخرة ولم يكن لديها الوقت الكافي للتدخل، ام انها استخفت به ولم تأبه لأهميته وخطورته على حليفها، ام انها لم تكن، اطلاقا، على استعداد للمغامرة بالتدخل لمصلحة يهوذا وشن حرب على الدولة السلوقية ومهاجمتها وهي بعيدة عنها، على الساحل الآسيوي المقابل للساحل الأوروبي، وبينهما البحر المتوسط بكل ابعاده؟

الجواب عن هذه التساؤلات: كم يكون الصغار حمقى وجهلة عندما يظنون ان الكبار على استعداد لحمايتهم والقتال في سبيلهم، ان لم يكن لهؤلاء الكبار مصلحة في ذلك.

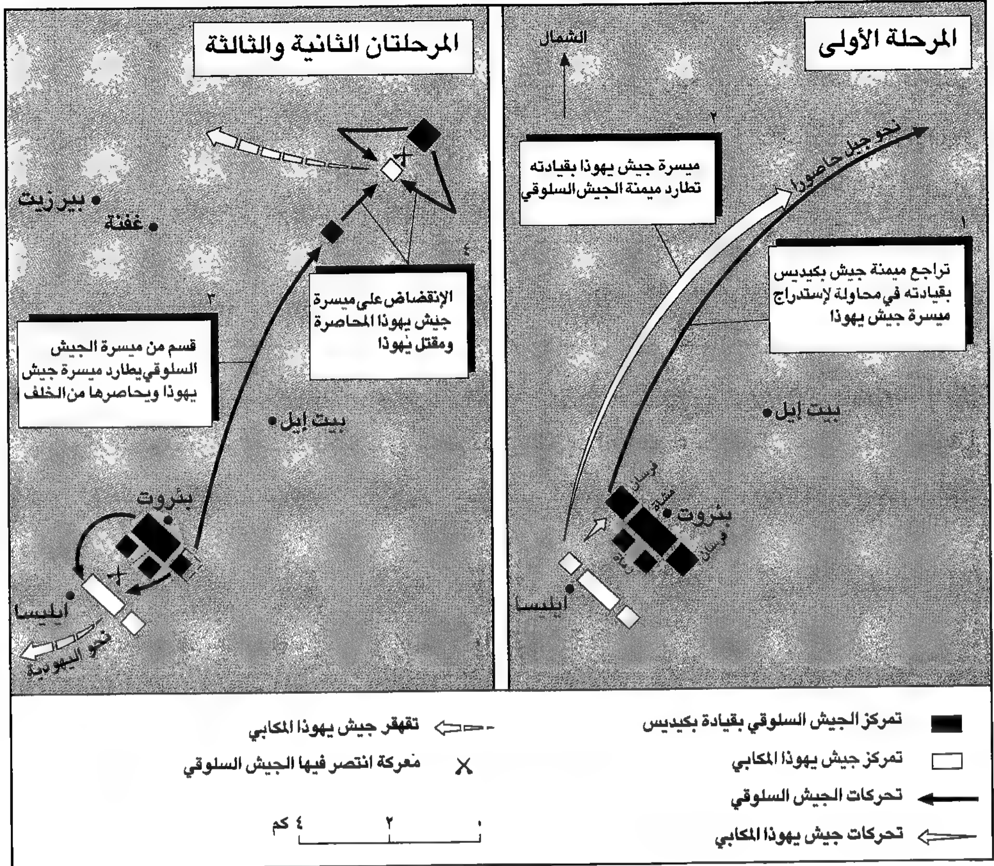
ودفن يهوذا في قبر آبائه في مودين[201]، وخلفه في زعامة اليهود اخوه «يوناتان».

(٢٠٠) العهد القديم، ١مك ٩: ١٧ـ١٨.

(٢٠١) م.ن. ١مك٩: ١٩.

(٢٠٢) م.ن. ١مك٩: ٢٨ـ٣١.

خارطة رقم ٣٨: موقعة بثروت (أو ايليسا)



ثالثا: حروب «يوناتان» (١٦٠ـ١٤٢ ق.م):

بعد موت يهوذا، لم يكن ممكنا ان يستمر اليهود بلا قائد لهم، فوقع اختيارهم على «يوناتان» اخي يهوذا الذي ما لبث ان تسلم مهام اخيه[٢٠٢]، ولما علم بكّيديس بذلك عزم على قتله، فهرب يوناتان، مع اخيه سمعان وانصارهما، الى برية «تقوع»[٢٠٣]، وهي برية تقع جنوب بيت لحم، بينها وبين حبرون (الخليل)، وتشرف على منطقة قاحلة تصل منحدراتها حتى البحر الميت، وكانت، فيما مضى، ملجأ لداود وانصاره[٢٠٤].

---

(٢٠٢) م.ن. ١مك٩: ٤٠ـ٤١.

(٢٠٣) م.ن. ١مك٩: ٣٢ـ٣٣. ويرى الدبس ان تقوع هذه تقع عبر الأردن شرقا، وهي غير تلك الواقعة بين بيت لحم والخليل (الدبس المرجع السابق، جـ٣: ٢٠٥). الا اننا لا نرى رأيه.

(٢٠٤) العهد القديم، ص ٩٧٩ حاشية (٥).

١ـ موقعة ضفاف الأردن (١٦٠) ق.م:

ويبدو ان يوناتان اتجه برجاله شرقا، ثم شمالاً، نحو اريحا، حيث تحصن بالصحراء التي تصل الى ضفاف نهر الاردن، فتبعه بكيديس الى هناك «في جيش عظيم» وكان يوم سبت، فطلب يوناتان من رجاله القتال في ذلك اليوم «فليس الأمر اليوم كما كان امس ولا قبل»[٢٠٥]، (خصوصا وانه لم يكن قد نسي، بعد، تلك الموقعة التي جرت ايام ابيه «متتيا» وقتل فيها معظم رجالهم) مع النساء والاطفال، بسبب تمسكهم بقداسة«السبت» وعدم تعرضهم للعدو الذي هاجمهم وفتك بهم جميعا، وكانوا نحو الف نفس، دون ان يدافعوا عن انفسهم[٢٠٦]. وجرت، اثر ذلك، مواجهة عنيفة بين جيش بكيديس ورجال يوناتان انتهت بسقوط الف قتيل من جند بكيديس. ولم يذكر العهد القديم عدد القتلى من رجال يوناتان الذي فر، مع رجاله، سباحة عبر الأردن، وباتجاه الشرق، اما بكيديس فقد ارتد بجيشه، عائدا الى اورشليم[٢٠٧].

ـ تحصينات بكَيديس في أورشليم واليهودية:

ما ان عاد بكيديس الى أورشليم حتى بدأ بانشاء حملة تحصينات في أورشليم واليهودية، وذلك بغية تعزيز دفاعاته في المدينة والمنطقة، وقد اقام خطين من التحصينات:

ـ الخط الخارجي: وهو الخط الذي يسير مع حدود اليهودية، من تقّوح (شيخ ابوزرد)، الى تمنة، فجازر، فعماوس، فبيت صور، فأسفار، فتقوع.

---

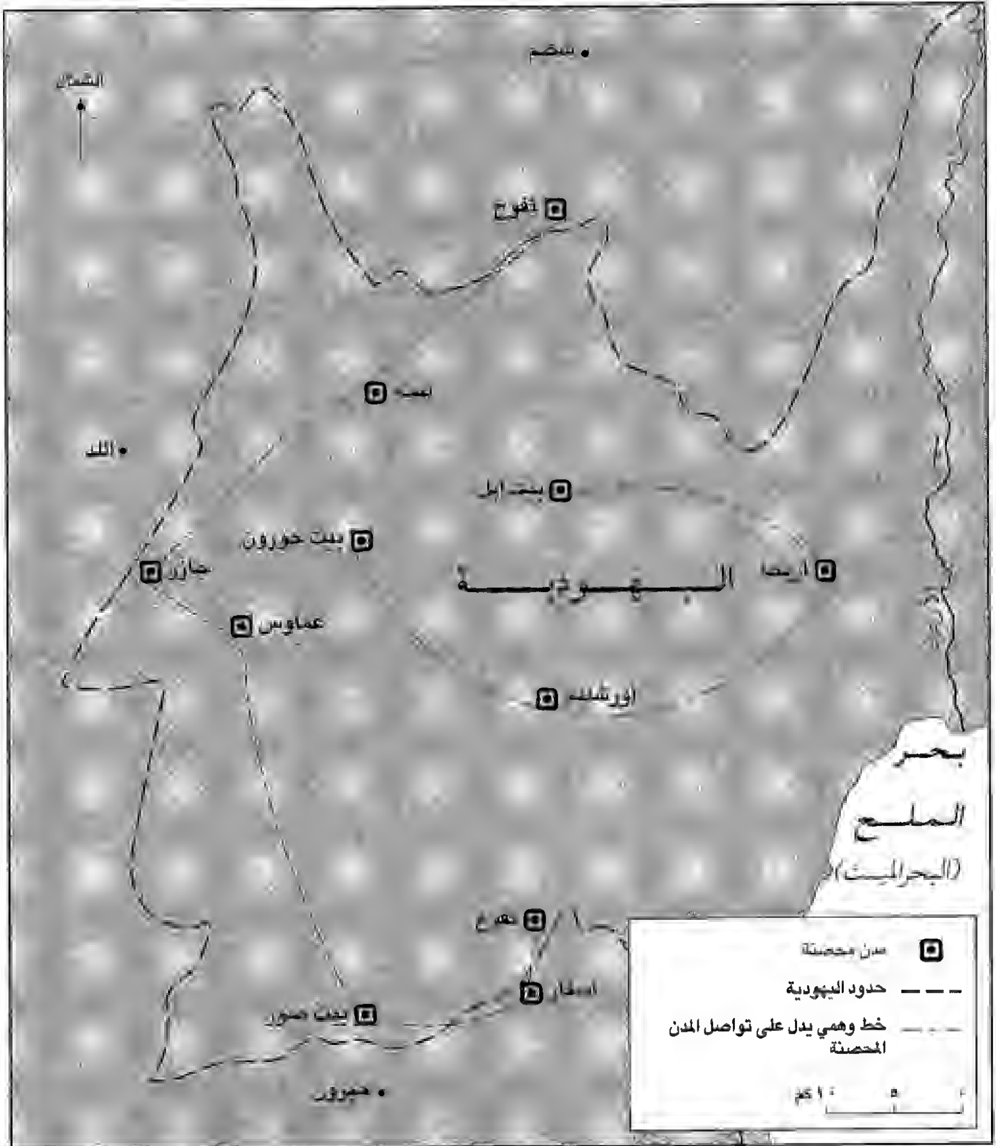
(٢١٥) م.ن. ١مك١٦: ١٤وم.ن.ص ١٠٠٢ حاشية (٤).

(٢٠٦) م.ن. ١مك٩: ٢٩ـ٣٨.

(٢٠٧) م.ن. ١مك٩: ٤٢ـ٤٩. ويقع الدبس في التناقض عندما يضطر الى متابعة نظريته بان تقوع تقع «عبر الاردن» فيذكر ان بكيديس لحق بيوناتان الى عبر الاردن حيث جرت المعركة، ثم يذكر ان يوناتان ورجاله عبروا الاردن سابحين (ولا يذكر باي اتجاه)، وان بكيديس لم يلحق بهم، بل عاد الى اورشليم (الدبس المصدر السابق، جـ٣: ٢٠٥ـ ٢٠٦)، ولكننا لا نلوم الدبس على تناقضه هذا، وذلك عندما نجد، في النص نفسه من العهد القديم، ان بكيديس زحف بجيشه الى «عبر الاردن» لقتال يوناتان (١مك٩: ٣٤)، ولكن العهد القديم نفسه يعود فيذكر ان بكيديس «جاء الى ضفاف الاردن، يوم السبت، بجيش عظيم» (١مك٩: ٤٣) دون ان يذكر ان بكيّديس هذا قد عبر النهر شرقا لقتال يوناتان. كما يذكر العهد القديم حادثة مقتل يوحنا اخي يوناتان على يد قبيلة من العرب تدعى «بني يمري» كانت تقيم عند ميدابا (او ميدبا او مادبا، عبر الاردن شرق البحر الميت)، وانه ـ أي يوناتان ـ ذهب مع أخيه سمعان ورجالهما الى هذه القبيلة، فكمنوا لبعض رجالها وهم يزفون عروسا، «فانقضوا عليهم وقتلوهم... ولما انتقموا لدم اخيهم، رجعوا الى غيضة الاردن» (١مك٩: ٣٦ـ٤١). وكان قد مر معنا ان يوحنا هذا قد قتل على ايدي متآمرين من رجال انطيوخوس، وذلك بعد ايام فقط من وقعة «أداسة» (Josephe, Op. Cit. P. 126) فهل تكون هذه الحادثة هي نفسها التي يقصدها «يوسفوس» خصوصا وان يهوذا قد قتل في موقعة «اداسة» حيث تسلم، بعدها، اخوه يوناتان قيادة الثورة المكابية؟

- **الخط الداخلي**: وهو الذي بناه في مواقع - مفاتيح في داخل اليهودية، وهي: بيت حورون، وقلعة عقرا بأورشليم، وأريحا، وبيت ايل (بيتين حاليا). (انظر المخطط رقم ٣).

مخطط رقم ٣: تحصينات بكيديس في اورشليم واليهودية



ثم انه، بعد ان حصن هذه المدن، أحاط كلا من اريحا وعماوس وبيت حورون وبيت ايل وتمنة وفرعتون وتَفون (تفوح)، «باسوار عالية وابواب ومزاليج، وجعل فيها حراسا يضايقون اسرائيل» [٢٠٨]. ثم جعل في كل من بيت صور وجازر والقلعة «جيوشا وميرة». اما الرهائن التي اخذها من «ابناء رؤساء البلاد» فوضعها في «القلعة» التي بأورشليم (قلعة عقرا)[٢٠٩].

في هذه الاثناء، توفي «ألكيمُس» الكاهن الاعظم ورفيق بكّيديس في حملته على اليهودية، وكانت وفاته عام ١٥٩ ق.م. (السنة الثالثة والخمسين في التقويم السلوقي)، فعاد بكّيديس الى انطاكية بعد وفاة ألكيمُس، «وهدأت ارض يهوذا سنتين»[٢١٠].

٢ـ حصار بيت بيصاي (١٥٦ـ١٥٥ ق.م):

حاول يوناتان ان يغتنم فرصة الهدوء هذه بتحصين وضعه الداخلي ضد خصومه وتعزيز تحالفاته[٢١١] ولكن خصومه لم يدعوه يستقر طويلا، اذ حرضوا بكّيديس عليه وزينوا له سهولة القاء القبض على يوناتان وانصاره «اجمعين في ليلة واحدة»، وكان يوناتان وانصاره يقيمون بهدوء في معقلهم الحصين «مودين»، فجمع بكّيديس جيشا وسار به الى اليهودية، وكان قد سبق ان ارسل الى حلفائه في البلاد كي يقبضوا على يوناتان ورجاله، ولكن يوناتان كان حذرا وفطنا فأدرك الشرك المنصوب له واستطاع ان يقبض على خمسين من خصومه، دفعة واحدة، ويقتلهم[٢١٢]، ثم احتل، هو واخوه سمعان ومن معهما، مدينة قديمة مهملة تقع جنوب بيت لحم وتدعى «بيت بيصاي» في البرية (في صحراء اليهودية) وأعاد ترميمها وتحصينها[٢١٣].

---

(٢٠٨) العهد القديم، ١مك٩: ٥٠ ـ ٥١، وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 148

(٢٠٩) العهد القديم، ١مك٩: ٥٢ـ٥٣.

(٢١٠) م.ن. ١مك ٩: ٥٤ ـ ٥٧.

(٢١١) يُفهم، من كلام يوسفوس، ان يوناتان هو الذي عقد تحالفاً مع روما وليس يهوذا، اذ يقول انه: «عزز سلطته بتحالف مع الرومانيين»

ولكن العهد القديم يذكر ان يوناتان قد جدد هذا التحالف الذي اقامته يهوذا مع روما (انظر: العهد القديم، ١مك١٢: ١و٣).

(٢١٢) العهد القديم، ١مك٩: ٥٨ـ٦١.

(٢١٣) م.ن. ١مك ٩: ٦٢. ويرى الدبس ان «بيت بيصاي» هي «بيت حجلة» او «عين حجلة» (او دير حجلا) الواقعة شرق اريحا (الدبس، المصدر السابق، جـ٣: ٢٠٦).

وما ان وصل بكّيديس بجيشه الى اليهودية حتى توجه لحصار «بيت بيصاي»، حاشدا كل قواته حولها ومستنجدا بحلفائه في اليهودية «وحاربها اياما كثيرة ونصب المجانيق» حولها، ولكنه لم يستطع ان يقهرها. وقد استطاع يوناتان ان يخرج من المدينة مع قسم من رجاله، مخلفا اخاه سمعان مع القسم الآخر للدفاع عنها، وبعد ان اجتاز الصحراء، راح يهاجم بعض القبائل العربية التي كانت تتعاون مع بكّيديس (مثل بني فاسرون وأدْوَرِّين واخوته) بهدف مضايقة بكّيديس، خصوصا ان بعض هذه القبائل انضم الى يوناتان في قتاله ضد بكّيديس وحلفائه. ثم خرج سمعان ومن معه من المدينة، فجأة، فانقضوا على المجانيق واحرقوها، وقاتلوا بكّيديس وهزموه. عندها قرر بكّيديس مغادرة اليهودية بجيشه، بعد فشله هذا، فبعث اليه يوناتان يعرض عليه الصلح فصالحه بكّيديس وعاد الى انطاكية بعدها (عام ١٥٥ ق. م) اما يوناتان فأقام مع رجاله واخيه سمعان في مكماش (مخماس)[٢١٤].

ـ يوناتان بين الاسكندر ابيفانوس وديمتريوس الأول:

في العام الستين بعد المائة من التقويم السلوقي (١٥١ ق. م.) ادّعى «الاسكندر ابيفانوس» (المعروف بالاسكندر بالاس) انه ابن الملك انطيوخوس الرابع أبيفانوس، وقدم الى سوريا يطالب بملك أبيه ساعيا لانتزاعه من يد ديمتريوس الأول، فاحتل بطلُمايس (عكا). وعلم ديمتريوس بما جرى في عكا، فكتب الى يوناتان يدعوه لمناصرته والتحالف معه، واذن له، مقابل ذلك «ان يجمع جيوشا، ويصنع اسلحة» ويعلن على الملأ في شعبه انه حليف الملك، وامر ان ترد اليه الرهائن التي احتجزها بكيديس في قلعة «عقرا» بأورشليم[٢١٥].

وافق يوناتان على عروض ديمتريوس واعلن في اليهودية انه حليفه، وتم اطلاق سراح الرهائن اليهود، واقام يوناتان في اورشليم وشرع في بنائها وتجديدها، واعاد بناء

---

(٢١٤) م.ن. ١مك٩: ٦٣ـ٧٣ و Aharoni. Op. Cit. P.P. 148 -149 ويرى آهاروني ان «بني أدْوَرّين» هم قبيلة «ادوميرا Odomera»، وان هذا الاسم يشبه اسم قبيلة بدوية تدعى «بني تامر Bani ta'amare». لا تزال تعيش الى يومنا هذا بجوار خربة بيت بيصاي (Aharoni. OP. Cit. P. 149)

(٢١٥) العهد القديم، ١م١٠: ١ـ٦.

اسوارها، واستعاد الحصون التي كان بكيديس قد بناها ووضع فيها بعض «الغرباء» فهرب هؤلاء منها بعد ان استولى يوناتان عليها[٢١٦].

وما ان علم الاسكندر (ابيفانوس) بذلك حتى عمد الى تقديم عروض أكثر إغراء ليوناتان فأقامه «عظيم الكهنة» وسماه «صديق الملك» واهداه «ارجوانا وتاجا من ذهب» ودعاه الى تبني قضيته وحفظ صداقته. ووافق يوناتان على عروض الاسكندر ولبس «الحلة المقدسة... وجمع الجيوش وصنع اسلحة كثيرة»[٢١٧].

وعاد ديمتريوس فقدم ليوناتان عروضا اكثر اغراء من تلك التي قدمها خصمه، إذ انه:

- اعفى اليهود من «كل جزية» ومن «رسم الملح والاكاليل»[٢١٨].

- وضم «الاقضية الثلاثة الملحقة باليهودية من بلاد السامرة» الى اليهودية ووضعها تحت سلطة «عظيم الكهنة»[٢١٩].

- واعفى من حقوقه في «ثلث غلال الارض ونصف ثمار الشجر»، كل ارض اليهود و«الاقضية الثلاثة الملحقة بها من ارض السامرة والجليل»[٢٢٠].

- وتخلى عن قلعة عقرا في اورشليم، واعطاها لعظيم الكهنة الذي «يقيم فيها من يختاره من الرجال لحراستها».

- واطلق سراح كل من سبي من اليهود في مملكته واعفاهم من الضريبة «حتى عن المواشي».

---

(٢١٦) م.ن. ١مك ١٠: ٧-١٤.

(٢١٧) م.ن. ١مك ١٠: ١٥-٢١.

(٢١٨) م.ن. ١مك ١٠ ٢٩. ورسم الملح هو الرسم المتوجب للملك، مقابل قيمة ملح البحر الميت. والاكاليل: السعف وأغصان الزيتون التي كانت تقدم للملك وهي، في الحقيقة، عبارة عن نقود، وكان مبرر هذه الضرائب ان الأرض كلها ملك للملك يؤجرها لسكان البلاد (م.ن. ص ٩٨٢ حاشية ٥).

(٢١٩) م.ن. ١مك ١٠ ٣٨. وهي الاقاليم التي كان يهوذا قد استولى عليها فاعتبرها اليهود ملكا لهم (م.ن. ص ٩٨٣ حاشية ٦).

(٢٢٠) م.ن. ١مك ١٠: ٣٠.

ـ ومنع مطالبة اليهود بالديون والرسوم «في الأعياد كلها» وفي «السبوت ورؤوس الشهور والايام المخصصة والايام الثلاثة التي قبل العيد والايام الثلاثة التي بعد العيد» وجعل تلك الايام «ايام اعفاء وعفو»[٢٢١].

ـ وسمح بأن ينخرط «في جيوش الملك» من اليهود حتى «ثلاثين الف رجل»، ويعطى لهؤلاء رواتب كسائر جنود الملك، ويوضعون في الحصون وفي «مناصب الثقة في المملكة» هم و«رؤساؤهم ومدبروهم»[٢٢٢].

ـ وضم عكا، وما يتبعها، لهيكل اورشليم «لاجل نفقة المقدس»، وزاد على ذلك «خمسة عشر الف مثقال فضة، كل سنة، من دخل الملك»، واعفى الهيكل من دفع «خمسة آلاف مثقال فضة» كانت تؤخذ سنويا من دخله[٢٢٣].

ـ واعفى «من لاذ بالمقدس، في اورشليم، في جميع حدوده» من اي مال او حق عليه للملك.

ـ وتبرع، من حسابه، بنفقة «البناء واعمال الترميم» في الهيكل، كما تبرع، ومن حسابه كذلك، بنفقة «بناء اسوار اورشليم وتحصينها... وبناء الأسوار في سائر اليهودية»[٢٢٤].

ورغم كل هذه العروض المغرية، رفض يوناتان (والشعب)، الانحياز الى صف ديمتريوس ضد الاسكندر، بل «آثروا الاسكندر» عليه، لانهم لم ينسوا «ما انزله ديمتريوس باسرائيل من الشر العظيم والضغط الشديد» ولان الاسكندر «يفوقه عطايا في نظرهم، ولانهم كانوا لا يزالون من حلفائه»[٢٢٥].

وكان بعد ذلك (عام ١٥٠ ق.م.)، بين الاسكندر وديمتريوس، قتال شديد انتهى بهزيمة ديمتريوس ومقتله[٢٢٦]. وملك الاسكندر ابيفانوس (او الاسكندر بالاس) سوريا

---

(٢٢١) م.ن. ١مك ١٠:٣٤ـ٣٥.

(٢٢٢) م.ن. ١مك ١٠:٣٦ـ٣٧.

(٢٢٣) م.ن. ١مك ١٠:٣٩ـ٤٢.

(٢٢٤) م.ن. ١مك ١٠:٤٣ـ٤٥.

(٢٢٥) م.ن. ١مك ١٠:٤٦ـ٤٧.

(٢٢٦) م.ن. ١مك ١٠:٤٨ـ٥٠ وانظر: Aharoni Op. Cit. P. 150

وصاهر بطليموس الرابع ملك مصر، وكرّم يوناتان وجعله «من اصدقائه الخواص»، واقامه «قائدا وحاكما»[٢٢٧].

٢ـ موقعة سهل يمنيًا (يبنة)، (١٤٧ ق.م.):

في العام ١٦٥ بالتقويم السلوقي (١٤٧ ق.م.) ظهر ديمتريوس الثاني (ابن ديمتريوس الاول) في كريت، وانتقل منها الى قيليقية مطالبا بعرش ابيه. وكان الملك الاسكندر أبيفانوس (او بالاس) خارج عاصمته انطاكية، فعاد اليها ما ان سمع بالخبر. وكان أبلُّونيوس (ابن ابلّونيوس الذي سبق ان كان واليا على بقاع سوريا وفينيقية في عهد انطيوخوس ابيفانوس) واليا على سوريا من قبل الاسكندر، فانحاز الى ديمتريوس الثاني الذي ثبته «واليا على بقاع سوريا»[٢٢٨]. اما يوناتان فظل على تحالفه مع الاسكندر.

الاستعداد للقتال: حشد ديمتريوس الثاني «جيشا عظيما» بقيادة أبلُّونيوس، الذي عسكر بهذا الجيش في يمنيا (يبنة)، استعدادا لمنازلة «يوناتان» حليف الاسكندر، وكان في معاقله بجبال اورشليم.

وارسل ابلونيوس الى يوناتان يتحداه بان ينزل من معاقله في الجبال الى سهل «لا صخرة فيه ولا حصاة ولا مكان تهربون اليه» وقال له: «لماذا تتسلط علينا في الجبال؟ فان كنت الآن واثقا بجيوشك، فانزل الينا في السهل فنتبارز هناك»[٢٢٩]. فنزل يوناتان بعشرة آلاف رجل، وتبعه اخوه سمعان، وعسكر الجميع «تجاه يافا»، ولكن هذه المدينة اقفلت ابوابها في وجوه اليهود، اذ كان حراسها من رجال أبلّونيوس، الا ان يوناتان لم يلبث ان دخلها بعد ان فتح له اهلها الابواب خوفا.

وما ان علم ابلونيوس باحتلال يوناتان ليافا حتى توجه، بجيشه، نحو اشدود، ثم انعطف شمالاً نحو السهل، عند يمنيًا (يبنة) استعداداً لمنازلته[٢٣٠].

---

(٢٢٧) م.ن. ١مك١٠: ٥١ـ٦٦ وكان يدعى ايضا «الاسكندر بالاس» (Alexander Balas) وانظر Pritchard, Op. Cit. P. 146 وAharoni. Op. Cit. P. 149

(٢٢٨) العهد القديم، ١مك١٠: ٦٧ـ٦٩ وص ٩٨ حاشية (١٠ـ١١) وانظر الدبس، المرجع السابق، جـ٣: ٢١٢.

(٢٢٩) م.ن. ١مك١٠: ٧٠ـ٧١.

(٢٣٠) م.ن. ١مك١٠: ٧٤ـ٧٦.

ترتيبات القتال:

أ ـ جيش ابلونيوس: توجه ابلونيوس نحو ساحة القتال «بجيش كبير» و«ثلاثة آلاف فارس»، حاشدا، لملاقاة يوناتان، جيشاً من المشاة مع الفي فارس، وتاركا الف فارس خلف جيش يوناتان، بين يمنيا واشدود، لكي ينصبوا كمينا له. وكانت خطته ان ينسحب بجيشه، امام يوناتان، نحو اشدود، لكي يتيح للكمين ان ينقض بدوره على مؤخرة جيش يوناثان.

ب ـ جيش يوناتان: تقدم يوناتان بجيشه نحو سهل يمنيا حيث استعد جيش ابلونيوس لمنازلته، وكان قد علم ان كمينا نصب لمهاجمته من الخلف عند بدء القتال، فأعد، لمواجهة هذا الكمين، قوةً بقيادة اخيه سمعان، ثم امر مؤخرته بالاستعداد لمواجهة الكمين عند انقضاضه، ومقاومته، والصمود في وجهه، حتى يحين اوان انقضاض سمعان برجاله عليه.

المعركة: بدأت المعركة بمناورة تراجعية قام بها جيش ابلونيوس امام جيش يوناتان الذي لحق به، ثم انقض الكمين على مؤخرة جيش يوناتان، وطوق فرسان الكمين ذلك الجيش «ورموا الرجال بالسهام من الصباح الى المساء»، بينما استدار ابلونيوس وجيشه للقتال، ولكن جند يوناتان صمدوا في مواقعهم «كما امر يوناتان» الى ان ارهقت خيل المهاجمين، فانقض عليهم سمعان برجاله، «فانسحق الاعداء وهربوا» في السهل نحو اشدود «ودخلوا بيت داجون ، معبد صنمهم»، وطاردهم يوناتان بجيشه واحرق «اشدود والمدن التي حولها»، ودخل بيت داجون واحرق هيكله، وقد سقط في هذه الموقعة، من جيش ابلونيوس، اضافة الى «الذين احرقوا، ثمانية آلاف رجل»[٢٣١].

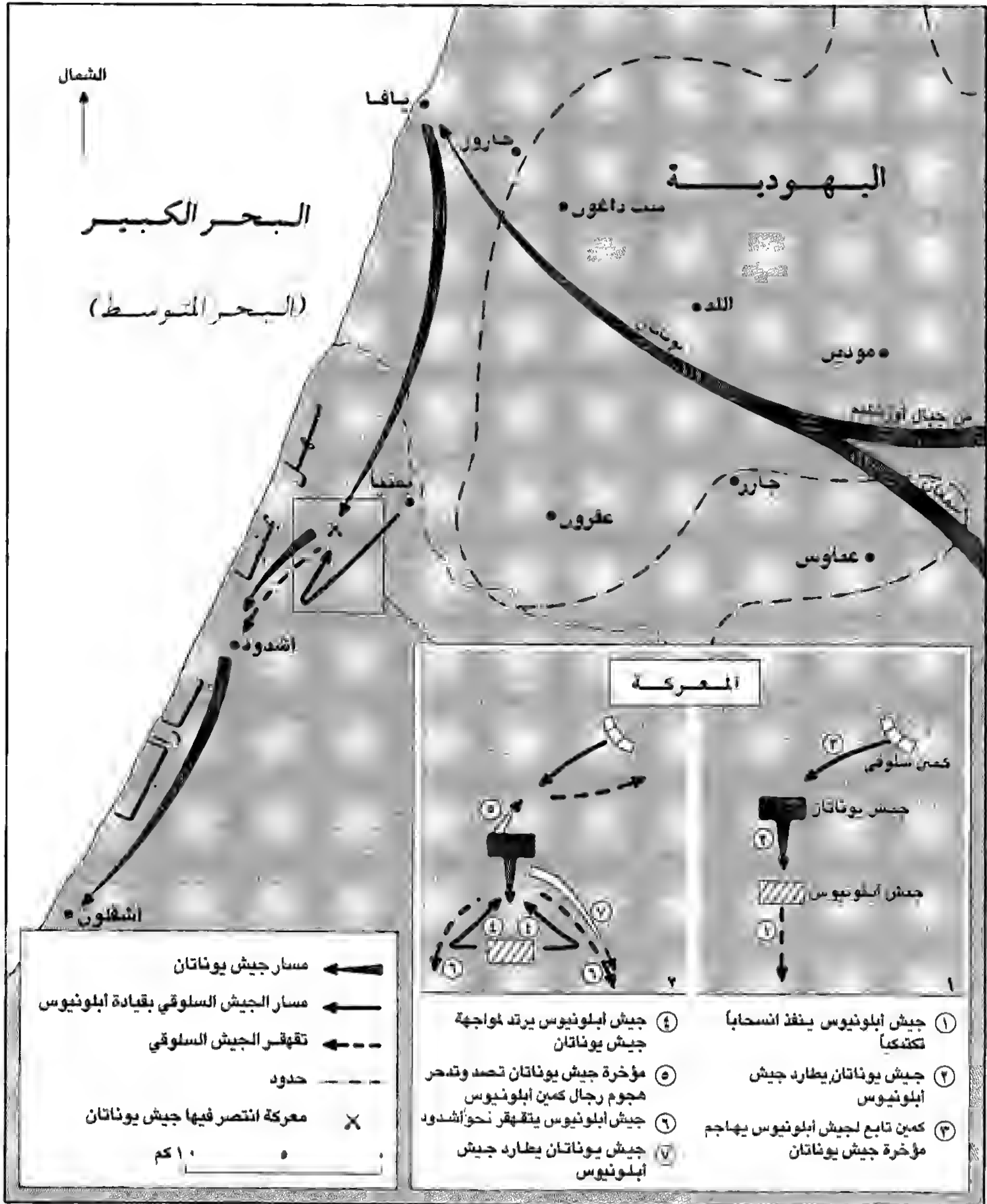
ومن اشدود، توجه يوناتان بجيشه نحو اشقلون (عسقلان) فلقيه اهلها «باجلال عظيم» ثم عاد الى اورشليم. وقد وهب الملك ليوناتان، بعد هذه الموقعة، «عقروت واراضيها»[٢٣٢]. (انظر الخارطة رقم ٢٩)

---

(٢٣١) م.ن. ١مك ١٠:٧٧ـ٨٥. وانظر Aharoni, OP. Cit. P. 150

(٢٣٢) م.ن. ١مك ١٠: ٨٦ـ٨٩.

خارطة رقم ٢٩: موقعة سهل يمنيا



بطليموس الرابع، ملك مصر، يحتل سلوقية ويعلن نفسه ملكا عليها:

انتهز بطليموس الرابع، ملك مصر، فرصة غياب صهره، الاسكندر بالاس، ملك سلوقية، عن عاصمته انطاكية، وانشغاله بقمع تمرد في قيليقية بشمال البلاد، فتوجه بجيش الى سوريا ودخل مدنها واحدة بعد الاخرى، وترك في كل مدينة حرسا من قبله، ثم دخل العاصمة انطاكية واعلن نفسه ملكا على مصر وسلوقية معا. عندها عاد الاسكندر من قيليقية ونازل بطليموس في معركة انتهت بهزيمة الاسكندر الذي قتل، فيما بعد، وفي اثناء فراره، على يد «زبديئيل العربي». اما بطليموس فقد توفي اثر ذلك، «وفي اليوم الثالث»، من جراء جروح اصابته في المعركة. وعاد ديمتريوس الثاني ملكا على سلوقية، في السنة «المئة والسابعة والستين» في التقويم السلوقي اي عام ١٤٥ ق. م.[٢٢٣].

٤ـ حصار يوناتان لقلعة «عقرا» باورشليم (١٤٥ ق. م.):

حشد يوناتان جيشا من اليهود وحاصر قلعة «عقرا» باورشليم ونصب عليها المجانيق، فشكا قوم من اهل المدينة امره الى الملك الذي استدعاه للقاء معه في بطلمايس (عكا)، طالبا اليه، في الوقت نفسه، ان يكف عن حصار القلعة وضربها. ولكن يوناتان ابى ان يفك الحصار عن القلعة رغم انه ذهب، مع نخبة من «شيوخ اسرائيل والكهنة» للقاء الملك، وقد حمل اليه يوناتان «من الفضة والذهب والحلل وسائر الهدايا شيئا كثيرا»[٢٢٤].

وكان ان تم التفاهم بين الملك ويوناتان على منح يوناتان صفة «الكهنوت الاعظم» مع امتيازات، وجعله «اول اصدقاء» الملك[٢٢٥]. ووضع الملك ميثاقا جديدا منح، بموجبه، اليهود بعض الامتيازات، ومما جاء في الميثاق:

ـ الاقرار لليهودية بالاقضية الثلاثة وهي «أفيرمة ولدّة والرامتائيم» وهي الاقضية «التي الحقت باليهودية من ارض السامرة، وجميع توابعها»[٢٢٦].

---

(٢٢٣) م. ن. ١مك ١١. ١ـ١٩ وم. ن. ص. ٩٨٧ حاشية(٤).

(٢٢٤) م. ن. ١مك ١١: ٢٤.

(٢٢٥) م. ن. ١مك ١١:٢٧.

(٢٢٦) م. ن. ١مك ١١: ٣٤، وأفيرمة: الطيبة، ولدّة: اللد. اما الرامتائيم فقد اختلف في تحديد موضعها (انظر فهرس الأعلام).

- اعفاء اليهود من الضرائب التي كانت تستوفى منهم سنويا «من محصولات الارض وثمار الاشجار».

- اعفاؤهم كذلك من «العشور والضرائب ووهاد الملح والاكاليل»[٢٣٧].

ويبدو ان هذا الميثاق مستمد، جزئيا، من ذلك الذي سبق ان عرضه ديمتريوس الأول (والد ديمتريوس الثاني) على يوناتان ورفضه[٢٣٨]. الا انه لم يتضمن كل العروض التي سبق ان عرضها ديمتريوس الاول على يوناتان، فهو لم يتضمن مثلا: رد القلعة ولا «التبرعات لاعادة بناء اورشليم او لنفقات العبادة»[٢٣٩].

٥ ـ اليهود يحرقون انطاكية ويقتلون اهلها:

عجز يوناتان عن اخضاع قلعة «عقرا» رغم محاصرته لها فترة طويلة من الزمن، فارسل الى الملك ديمتريوس يطلب اخلاءها واخلاء «سائر الحصون» في اليهودية من جنده «لانهم كانوا يحاربون اسرائيل»[٢٤٠]. وكان الملك قد اطمأن الى وضعه المستقر في الحكم وفي البلاد فصرف جنده من اهل البلاد ولم يبق بتصرفه سوى «الجنود الغرباء الذين جاء بهم من جزر الأمم»، لذا، مقته اهل البلاد وكرهوه[٢٤١]. واستغل احد قادته ويدعى «تريفون» (وكان من انصار الاسكندر سابقا) كره الجنود واهل البلاد للملك فحرّضهم عليه، وسعى لاعادة انطيوخوس (ابن الاسكندر، كان في رعاية ايملكوئيل العربي)[٢٤٢] الى العرش بدلا منه. واستنجد ديمتريوس بيوناتان طالبا منه ان يرسل اليه رجالا «يكونون في نجدتي، فقد خذلتني جيوشي كلها»[٢٤٣]، فارسل يوناتان اليه «ثلاثة آلاف محارب» توجهوا الى انطاكية حيث وجدوا اهل المدينة كلهم، «وكانوا مئة وعشرين

---

(٢٣٧) م.ن. ١مك ١١: ٣٤ـ٣٥. وقد سبق ان شرحنا ماذا تعني ضرائب «الملح والاكاليل» فارجع اليه.

(٢٣٨) م.ن. ص ٩٨٧ حاشية (٨).

(٢٣٩) م.ن. ص ٩٨٨ حاشية (١٠).

(٢٤٠) م.ن. ١مك ١١: ٤١.

(٢٤١) م.ن. ١مك ١١: ٣٨. والمقصود «بالجنود الغرباء» اولئك الذين أتوا معه من جزيرة كريت.

(٢٤٢) م.ن. ١مك ١١: ٣٩ـ٤٠ ويرى محققو العهد القديم (م.ن. ص ٩٨٨ حاشية ١١) ان ايملكوئيل هذا ربما كان ابن زبدئيل.

(٢٤٣) م.ن. ١مك ١١: ٤٣.

الف رجل» وقد ثاروا على الملك يحاولون قتله، فهرب منهم الى داره حيث حاصروه واستولوا «على شوارع المدينة، وشرعوا في القتال»[٢٤٤]، فهاجم اليهود الثائرين وقتلوا منهم «في ذلك اليوم، مئة الف رجل، واحرقوا المدينة، واخذوا غنائم كبيرة... وخلصوا الملك»[٢٤٥]. ولما رأى اهل المدينة ما حل بهم على يد اليهود لجأوا الى الملك طالبين الصفح منه و«متضرعين» اليه ان «يكف اليهود عن محاربتنا ومحاربة مدينتنا»، ثم «القوا السلاح وعقدوا الصلح»، وعاد اليهود الى اورشليم[٢٤٦]. وحكم الملك ديمتريوس، سعيدا، بفضل اولئك «الثلاثة آلاف» من اليهود، حيث جلس «على عرش ملكه، وهدأت البلاد في قيادته»، ولكن ديمتريوس ما لبث ان نقض عهده ليوناثان واخلف «في كل ما وعد» به[٢٤٧].

ملاحظة: لقد حاولنا ان نستشهد بحرفية النص الوارد في كتاب اليهود عن مآثرهم في هذه الموقعة ضد اهل انطاكية، وما ورد من مبالغة غير معقولة وغير منطقية اذ يقتل «ثلاثة آلاف» من اليهود في يوم واحد «ماية الف» من اهل انطاكية الثائرين على الملك وحاملي السلاح ضده، وتخضع انطاكية لهؤلاء «الثلاثة آلاف» خضوعا تاما، وتستجدي عطف الملك ورأفته بها من غضب هؤلاء اليهود وبطشهم، بعد ان فتكوا بأهلها وقتلوهم واحرقوا مدينتهم. فهل بعد هذه المبالغة من مبالغة؟ ولا شك في ان هذا النوع من المبالغة يتردد، في مواضع كثيرة من العهد القديم، لا بد من ان يكتشفها القارئ، سواء اشرنا اليها ام لم نشر، مكتفين بالقول ان ايرادنا مثل هذه المبالغات في سياق البحث كله لا يعني، على الاطلاق، اقتناعنا بها.

٦ ـ موقعة حاصور (١٤٤ ق.م):

في كل حال، ما ان عاد الجنود اليهود الى اورشليم، بعد فظائعهم في انطاكية، حتى أضحى الملك، في عاصمته، وحيدا، غريبا، ومنعزلا، وقد ازداد ضعفا، مما شجع «تريفون» لان يعود فيسعى، من جديد، لاعادة انطيوخوس الصغير (السادس) ديونيسيوس الى عرش ابيه (الاسكندر ابيفانوس)، فانحازت اليه «جميع الجيوش» التي كان ديمتريوس قد

---

(٢٤٤) م.ن. ١مك ١١: ٤٤ـ٤٦.
(٢٤٥) م.ن. ١مك ١١: ٤٧ـ٤٨.
(٢٤٦) م.ن. ١مك ١١: ٤٩ـ ٥١.
(٢٤٧) م.ن. ١مك ١١: ٥٢ـ٥٣.

سرَحها. وقاتل «تريفون» ديمتريوس (عام ١٤٥ ق.م) فهزمه، وفر ديمتريوس من انطاكية الى سلوقية (السويدية)، ودخل تريفون انطاكية ومعه الملك، دخول الفاتحين، وجلس «الملك الجديد» انطيوخوس السادس ديونيسيوس» على عرش ابيه في ذلك العام[٢٤٨].

وكان اول عمل قام به انطيوخوس (وتريفون وزيره والوصي على عرشه) هو انه كتب الى يوناتان يقره في منصبه «ككهنوت اعظم» ويقيمه على «الأقضية الاربعة» وهي:

أفيرأيرمة ولدّة والرامتائيم واقربتّين، ويتخذه واحدا من اصدقائه[٢٤٩]، ويقيم اخاه سمعان قائدا على المنطقة البحرية «من عقبة صور الى حدود مصر»[٢٥٠].

وكل ذلك كان كافيا لان ينحاز يوناتان، كليا، الى جانب انطيوخوس السادس، حيث طاف في مدن «عبر الاردن» شرقا، فاجتمعت اليه باسم الملك «جميع جيوش سوريا»، ثم اجتاز النهر غربا الى اشدود، فأيده اهلها وناصروه، اما اهل غزة فأغلقوا الابواب في وجهه «فحاصرها واحرق ضواحيها بالنار ونهبها» الى ان خضعوا له فدخلها واخذ ابناء الرؤساء من اهلها رهائن وارسلهم الى اورشليم، ثم تابع طوافه في مدن سوريا كلها حتى وصل الى دمشق[٢٥١].

في هذه الاثناء، كان ديمتريوس يحشد جيوشا لاسترجاع عرش انطاكية، وقد اجتمع لديه «جيش جرار» في قادش الجليل (على بعد ٣٦ كلم من صور)[٢٥٢]، فانبرى يوناتان لمواجهته (وكان يحسب انه قد اتى لعزله عن الولاية)[٢٥٣] وزحف لملاقاته بعد ان ترك اخاه سمعان عند اسوار «بيت صور» التي حاصرها وحاربها «اياما كثيرة» حتى استسلمت له[٢٥٤]. وتابع يوناتان زحفه من «جنّاسر» شمالا باتجاه «حاصور» حيث وصل اليها «قبل الفجر»، وكان قد عسكر في سهولها «جيش الغرباء» الذي دخل من «قادش الجليل» ليؤازر الملك المخلوع (ديمتريوس)[٢٥٥].

---

(٢٤٨) م.ن. ١مك ١١: ٥٤ـ٥٦. وانظر الدبس، المرجع السابق، جـ٣. ٢١٩.
(٢٤٩) م.ن. ١مك ١١: ٥٧ وم.ن.ص. ٩٨٩ حاشية (١٤).
(٢٥٠) م.ن. ١مك ١١: ٥٩. وم.ن.٩٨٩. حاشية (١٥).
(٢٥١) م.ن. ١مك ١١. ٦٠ـ٦٢.
(٢٥٢) م.ن. ١مك ١١:٦٣ وم.ن.ص ٩٨٩ـ٩٩٠ حاشية (١٧).
(٢٥٣) م.ن. ١مك ١١:٦٣.
(٢٥٤) م.ن. ١مك ١١: ٦٤ـ٦٦.
(٢٥٥) م.ن. ١مك ١١: ٦٧ـ٦٨. وجنّاسر، او ارض جنّيسارت: هي ارض تقع غرب بحر الجليل (او بحيرة طبرية وتسمى بحيرة جنّيسارت)، (عبد الملك، المرجع السابق، ص ٢٧٦)، وحاصور: قلعة كانت تقع على بعد عشرة اميال شمال جنّاسر (بحيرة طبرية)، العهد القديم، ص ٩٩٠ حاشية(١٨).

المعركة:

جيش ديمتريوس:

اصطف جيش ديمتريوس في سهل حاصور، وقد حاول استعادة المناورة التي اتبعت في موقعة يمنيا، اذ اخفى كمينا في الجبال المشرفة على السهل بغية مفاجأة جيش يوناتان والانقضاض عليه اثناء القتال.

جيش يوناتان:

ما ان وصل الى سهل حاصور، عند الفجر، وشاهد جيش ديمتريوس، حتى استعد للقتال واخذ يتقدم باتجاه العدو، ولكن الكمين فاجأه «ففر رجال يوناتان جميعا، ولم يبق احد الا متتيا بن ابشالوم ويهوذا بن حلفي، قائدا الجيش»(٢٥٦)، الا ان يوناتان وقائديه سرعان ما استعادوا روعهم الذي فقدوه من جراء المباغتة وعادوا يقاتلون جنود العدو الذين «انهزموا وهربوا» وما ان رأى جنود يوناتان الهاربون ذلك حتى استعادوا، بدورهم، روعهم، وانكفأوا يقاتلون الى جانب قادتهم ويطاردون فلول العدو الى معسكره في قادش(٢٥٧). وقد سقط من جيش ديمتريوس، في هذه الموقعة، «ثلاثة آلاف رجل». وعاد يوناتان الى اورشليم(٢٥٨).

ـ يوناتان يوطّد تحالفه مع روما واسبارطة:

ما ان استتب الأمر ليوناتان، بعد موقعة حاصور، حتى سعى لتعزيز سلطته بتجديد التحالف مع كل من روما واسبارطة(٢٥٩)، فارسل الى كل من الدولتين الرومانية والاسبارطية، رسائل لتجديد التحالف معهما، حملها كل من «نومانيوس ابن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون». ويظهر واضحا من النص الوارد في الرسالتين اللتين بعثهما

---

(٢٥٦) العهد القديم، ١مك ١١: ٦٨ـ٧٠.

(٢٥٧) م.ن. ١مك ١١: ٧٢ـ٧٣.

(٢٥٨) م.ن. ١مك ١١: ٧٤. وانظر .Aharoni, Op. Cit. P. 151

(٢٥٩) م.ن. ١مك ١٢: ١ـ٤ و٦ـ١٠ و Josèphe, Op. Cit. P. 126

يوناتان ان مهمة الموفدين هي «تجديد» التحالف الذي كان معقودا، وليس انشاء تحالف لم يسبق ان عقد، فقد ورد في رسالة يوناتان الى روما ان هذين الموفدين «مرسلون من قبل يوناتان عظيم الكهنة وامة اليهود، لنجدد ما بينكم وبينهم من الصداقة والتحالف، كما كان من قبل»[٢٦٠]. وورد في رسالته الى اسبارطة اننا «حاولنا مراسلتكم لنجدد الاخاء والصداقة... اذ قد مضى على مكاتبتكم لنا زمان طويل»[٢٦١]، واننا «قد اخترنا نومانيوس بن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون وارسلناهما الى الرومانيين لنجدد ما كان بيننا قبلا من المصادقة والتحالف، وامرناهما بان يذهبا اليكم ويبلغاكم السلام ويسلماكم الكتب من قبلنا في تجديد اخائنا»[٢٦٢]، مما يؤكد، بلا ادنى شك، ان معاهدات للصداقة كانت قد وقعت بين كل من روما واسبارطة من جهة، وبين حكام اليهودية من جهة أخرى، قبل عهد يوناتان.

٧ـ مواجهة (لم تتم) في ارض حماة (١٤٣ ق.م):

عاد انصار ديمتريوس يحتشدون لمنازلة يوناتان بعد هزيمتهم امامه في موقعة حاصور وحشدوا، لذلك، جيشا يزيد على ذلك الذي سبق ان حشدوه في تلك الموقعة[٢٦٣]. وعلم يوناتان بذلك فخرج لملاقاتهم في ارض حماة حيث عسكروا، «ولم يمهلهم ان يطأوا ارضه»[٢٦٤]، ثم أرسل، من معسكره «جواسيس الى معسكرهم» فأتوه باخبارهم، وانهم سوف «يهجمون عليهم في الليل»، فاستعد يوناتان لمواجهتهم، وذلك بان امر جنده باليقظة والحذر، ووزع الحرس حول المعسكر، وامر الجميع ان «يسهروا تحت السلاح الليل كله، استعدادا للقتال»[٢٦٥].

علم قادة جيش ديمتريوس باستعدادات يوناتان لقتالهم، فخافوا، ثم اشعلوا نيران معسكرهم وفروا هاربين دون ان يثيروا انتباه يوناتان الذي، ما ان اصبح الصباح، حتى

(٢٦٠) العهد القديم، ١مك١٢: ٣.

(٢٦١) م.ن. ١مك١٢: ١١.

(٢٦٢) م.ن. ١مك١٢: ١٦ـ١٧

(٢٦٣) م.ن. ١مك١٢: ٢٤.

(٢٦٤) م.ن. ١مك١٢: ٢٥. وهو امر يقترب من استراتيجية «الحرب في ارض العدو» او «الحرب المسبقة» التي طبقتها اسرائيل منذ إنشائها (عام ١٩٤٨) الى اليوم.

(٢٦٥) م.ن. ١مك١٢: ٢٦ـ٢٨.

وجد معسكر الاعداء خاليا، فحاول تعقبهم الا انه عجز عن اللحاق بهم، فارتد الى حيث تخيم قبيلة عربية تدعى «بني زبدي» او «الزبديين»، فضربهم، ثم اتجه نحو دمشق «وجال في البلاد كلها»[٢٦٦]. اما سمعان، اخوه، فوصل الى اشقلون (عسقلان) وحصونها، ثم عاد الى يافا «فاستولى عليها» للمرة الثانية، وأقام عليها «حرسا يحافظون على المدينة»[٢٦٧].

وعاد يوناتان، بعد ذلك، الى اورشليم، فرفع اسوارها، وبنى حائطا عاليا بين المدينة وقلعة «عقرا» التي كانت لا تزال بيد السلوقيين لكي «يفصلها عن المدينة وتبقى منعزلة» بينما بنى سمعان بلدة «حاديد» في السهل المشرف على ساحل اللد، وحصّنها، وجعلها قاعدة له[٢٦٨].

أسر يوناتان على يد تريفون ومقتله (١٤٣ـ١٤٢ ق.م):

كان تريفون قد بدأ يطمح لتسلم ملك السلوقيين بقضائه على انطيوخوس (السادس ديونيسيوس) وكان لا يزال وصيا عليه. ولكن خشيته ان يعمد يوناتان الى عرقلة مساعيه هذه جعله يسعى، قبل كل شيء، لازاحة حاكم اليهودية عن طريق طموحاته، ولم يكن ذلك ممكنا الا بالتغلب عليه، عسكريا، او بالحيلة، فقرر منازلته عسكريا، واتجه نحو اليهودية بجيش لجب حتى وصل الى بيت شان (بيسان)، فعسكر هناك[٢٦٩].

وما ان علم يوناتان بنوايا تريفون حتى توجه لملاقاته في بيت شان (بيسان) بجيش بلغ تعداده اربعين الف رجل، مما جعل تريفون يخشى منازلته، فعمد الى استخدام الخداع والحيلة للقبض عليه، وتمكن من اقناعه انه لم يأت لقتاله، بل هو يبغي مرافقته الى بطلمايس (عكا) لكي يسلمها اليه مع «سائر الحصون ومن بقي من الجيوش وجميع الموظفين»[٢٧٠]، ونصحه ان يصرف جيشه ولا يستبقي معه سوى ثلاثة آلاف رجل،

---

(٢٦٦) م.ن. ١مك٢ ١: ٢٩ـ٣٢.

(٢٦٧) م.ن. ١مك١٢: ٣٣ـ٣٤. Aharoni, Op. Cit. P. 152.

(٢٦٨) م.ن. ١مك١٢: ٣٥ـ٣٨. وتقع حاديد على بعد ٦ كلم شمال شرق اللد (م.ن.ص. ٩٩٢ حاشية ١٠)، وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 152.

(٢٦٩) العهد القديم، ١مك١٢: ٣٩ـ ٤٠ وانظر، الدبس، المرجع السابق، جـ٢ ص ٢٢٤.

(٢٧٠) م.ن. ١مك١٢: ٤١ـ٤٥.

فعمل يوناتان بنصيحة تريفون وصرف الجيش كله باستثناء ثلاثة آلاف استبقى منهم الفين في الجليل وتوجه، بصحبة تريفون، والف من رجاله، الى عكا. وكان هذا ما يبغيه تريفون[٢٧١].

وما ان دخل تريفون مع يوناتان ورجاله الى المدينة حتى اقفل ابوابها عليهم، ثم انقض، ورجاله، على رجال يوناتان فقتلوهم جميعا، واسر تريفون يوناتان[٢٧٢]، ثم ارسل جيشا الى الجليل لضرب رجال يوناتان الذين كانوا قد عسكروا هناك بناء على أوامره، وما ان رأى هؤلاء جيش تريفون قادما نحوهم حتى ادركوا غرضه، وكانوا قد سمعوا بمصير يوناثان ورجاله في عكا، فاستعدوا لقتالهم، مما جعل جيش تريفون يتراجع عن تنفيذ مهمته ويعود الى عكا، بينما اتجه رجال يوناتان نحو اليهودية[٢٧٣].

وبلغ سمعان ان تريفون قصد اليهودية بجيش كبير وهو يريد اخضاعها، فجيّش الشعب وحضه على المقاومة وحشد، للقاء تريفون، «جميع رجال القتال»، ثم حصّن اورشليم وأتمّ أسوارها، ووجه واحدا من قادته هو «يوناتان بن ابشالوم» الى يافا، فطرد منها حاميته وأقام فيها[٢٧٤].

وزحف تريفون بجيشه نحو المدينة «ومعه يوناتان تحت الحراسة»، فلاقاه سمعان، بجيش كذلك، الى «حاديد» حيث عسكر «قبالة السهل». ولما علم تريفون ان سمعان قد تسلم قيادة الجيش والبلاد بدلا من اخيه يوناتان، وانه عازم على قتاله ومستعد لذلك، تردد في مواجهته وحاول ان يسلك السبيل نفسه الذي سلكه مع اخيه، فارسل اليه يقول «اننا انما قبضنا على يوناتان اخيك لمال كان عليه للملك فيما قام به من الوظائف. فارسل الآن مئة قنطار فضة وابنين من ابنائه رهينة، لئلا يغدر بنا اذا اطلقناه، وحينئذ نطلقه»[٢٧٥].

---

(٢٧١) م.ن. ١مك١٢: ٤٦-٤٧.

(٢٧٢) م.ن. ١مك١٢: ٤٨.

(٢٧٣) م.ن. ١مك١٢: ٤٩-٥٢. ويذكر العهد القديم ان شعب اسرائيل اقام مناحة كبيرة على يوناتان، وكان اليهود يعتقدون ان «جميع الامم التي حولهم» تسعى الى تدميرهم، وان هذه الامم تقول عنهم انهم «لا رئيس لهم ولا نصير. فلنقاتلهم ولنمح ذكرهم من البشر» (ـ م.ن. ١مك١٢: ٥٢-٥٣). فهل تساءل اليهود، يوما، عن أسباب كره «جميع الامم التي حولهم» لهم؟ مما خلف لديهم شعورا مزمنا ودائما بالغربة والعزلة المشوبتين بالرغبة المتأصلة في الاعتداء على الآخرين وكرههم والحقد عليهم واستعمال مختلف وسائل العنف والارهاب ضدهم؟ ويشهد تاريخهم انهم لم يندمجوا يوما بشعب ولم ينصهروا بامة.

(٢٧٤) م.ن. ١مك١٣: ١-١١.

(٢٧٥) م.ن. ١مك١٣: ١٢-١٦.

وادرك سمعان مكر تريفون وخداعه، ولكنه استجاب لطلبه وارسل اليه المال والبنين، وذلك كي لا يقول الشعب «لانه لم يرسل اليه المال والولدين هلك»، الا ان تريفون اخلف وعده ولم يطلق سراح يوناتان[٢٧٦].

ورغبة في ان لا يكون القتال مع سمعان وجهاً لوجه، قرر تريفون القيام بالمناورة الالتفافية التي سبق ان قام بها «ليسياس» قبله[٢٧٧]، فاستدار، بجيشه، نحو أدورا (او ادورائيم) على بعد ٨ كلم من حبرون غربا[٢٧٨]، وكان رجال الملك في قلعة «عقرا» يلحّون على تريفون ان يأتيهم «من طريق البرية» (اي الصحراء) ويرسل اليهم مؤونة، ولكن سمعان ادرك مقاصد تريفون فكان يقاتله اينما ذهب، وساعد تكاثف الثلوج في طريق تريفون على عرقلة خطته هذه، فرحل الى ارض جلعاد (السلط) مرورا بوادي الاردن الدافئ. وما ان اقترب من بسكاما (وهي بيت شكما في اقصى غرب راس الكرمل في نواحي السلط)[٢٧٩] حتى قتل يوناتان ودفنه هناك، ثم قفل عائدا الى انطاكية[٢٨٠]. اما سمعان فأرسل واخذ رفات اخيه ودفنها في «مودين»[٢٨١] وتسلم حكم اليهودية مكانه، وكان ذلك عام ١٤٢ ق. م.

رابعا: حروب سمعان (١٤٢-١٣٤ ق. م):

ما ان عاد تريفون الى انطاكية حتى اغتال الملك الصغير «انطيوخوس السادس ديونيسيوس» عام ١٤٢ ق. م، واستولى على عرش سلوقية. بينما انصرف سمعان الى تحصين مدن اليهودية وتعزيز الدفاع عنها «بالبروج الشامخة والأسوار العظيمة والأبواب والمزاليج»[٢٨٢] وخزن المؤن في حصون تلك المدن استعدادا لأي هجوم محتمل. ثم

---

(٢٧٦) م. ن. ١مك١٣: ١٧-١٩.

(٢٧٧) م. ن. ١مك١٣: ٢٠ وم. ن. ص ٩٩٤ حاشية (٤) وانظر: ١مك٤: ٢٩ و ١مك٦: ٣١. وانظر. كذلك: Aharoni, OP. Cit. P. 153.

(٢٧٨) م. ن. ١مك١٣: ٢٠ وم. ن.. ص ٩٩٤ حاشية (٥). وانظر Aharoni, Ibid.

(٢٧٩) العهد القديم، ١مك ١٣. ٢١-٢٣ وم. ن. ص ٩٩٤ حاشية (٥). وانظر الدبس، المرجع السابق، جـ٣، ص ٢٢٥، وانظر كذلك: Aharoni, Ibid.

(٢٨٠) العهد القديم، ١مك١٣: ٢٣-٢٤ وم. ن. ص ٩٩٤ حاشية (٥) وانظر: Aharoni, Ibid. وانظر كذلك: Josèphe, Flavius, Op. Cit. PP. 126- 127.

(٢٨١) العهد القديم، ١مك ١٣: ٢٥.

(٢٨٢) م. ن. ١مك١٣: ٣١-٣٣.

اختار رجال ارسلهم الى «ديمتريوس» وكان هذا لا يزال يسعى لاستعادة العرش، فعرض عليه الصلح والتحالف ضد تريفون «لان كل ما فعله تريفون انما كان اختلاسا»(٢٨٣)، فاجابه ديمتريوس برسالة فيها الكثير من الود والصداقة، وقد جاء فيها: «وفي عزمنا ان نعقد معكم سلما تاما، ونكتب الى الموظفين ان يعفوكم عما عليكم. وكل ما رسمناه لكم يبقى مرسوما، والحصون التي بنيتموها تكون لكم. وكل ما فرط من هفوة وخطأ الى هذا اليوم نتجاوز عنه. والاكليل الذي لنا عليكم، وكل رسم آخر على أورشليم نعفيكم منهما. وان كان فيكم اهل للاكتتاب في جندنا فليكتتبوا، وليكن فيما بيننا سلم»(٢٨٤).

ومنذ ذلك الحين، بدأ اليهود يؤرخون عقودهم وصكوكهم بدءا من «السنة الأولى لسمعان عظيم الكهنة، قائد اليهود ورئيسهم» وكان ذلك عام ١٧٠ بالتقويم السلوقي، اي عام ١٤٢ ق. م.(٢٨٥).

ـ تجديد التحالف مع روما واسبارطة (١٤٢ ق.م):

وكتب سمعان الى حكام روما واسبارطة يطلب منهم تجديد التحالف معهم، وأوفد، لهذا الغرض، «نومانيوس بن انطيوخوس» الى روما كما أوفد الى اسبارطة «نومانيوس بن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون» (وهما الرسولان اللذان سبق ان أوفدهما اخوه يوناثان الى كل من روما واسبارطة)، فاستجابوا الى طلبه(٢٨٦).

١ـ الاستيلاء على جازر (١٤٢ ق. م):

في ذلك العام، هاجم سمعان مدينة جازر وحاصرها، ثم صنع برجا نقالا ملأه بالجنود واقترب بواسطته من الاسوار فضرب احد ابراجها واستولى عليه، ودخل جنده

---

(٢٨٣) م. ن. ١مك١٣: ٣٤.

(٢٨٤) م. ن. ١مك١٣: ٣٧ـ٤٠ والاكاليل: الجزية السنوية (م. ن. ص ٩٩٥ حاشية (٨)) والاكتتاب: التطوع في الجيش.

(٢٨٥) م. ن. ١مك ١٣: ٤٢ وم. ن. ص ٩٩٥ حاشية (٩و ١٠).

(٢٨٦) م. ن. ١مك١٤: ١٦ـ٢٤ و١مك ١٥: ١٥ـ٢٤. ويرى محققو العهد القديم (م. ن. ص ٩٩٧ حاشية ٦) ان هناك خطأ في ترتيب الاحداث، اذ وضع تجديد التحالف مع روما واسبارطة في ١مك ١٤و١٥ (أي عامي ١٤٠ و١٣٩ ق. م) وهو قد تم في الحقيقة بعد تسلم سمعان حكم اليهودية بقليل، أي عام (١٤٢ ق. م).

المدينة، فخرج نساؤها واولادها الى السور يطلبون من سمعان الامان، فأمنهم «وكف عن محاربتهم» بعد ان استولى على المدينة[٢٨٧].

٢ـ الاستيلاء على قلعة عقرا باورشليم (١٤١ ق.م):

وكان الجوع قد فتك برجال الملك المقيمين في قلعة عقرا باورشليم بعد ان حوصروا فيها ومنعوا من الخروج والبيع والشراء، وكان قد مر عليهم عامان وهم في هذه الحالة، منذ ايام يوناتان، «فاشتدت مجاعتهم ومات كثير منهم»، فعرضوا على سمعان الاستسلام على ان يؤمنهم فأمنهم واخرجهم من القلعة، واستولى سمعان على القلعة في العام ١٧١ بالتقويم السلوقي (عام ١٤١ ق.م) وكان في ذلك نهاية الحكم السلوقي لأورشليم الذي استمر ستة وعشرين عاما (مذ عام ١٦٧ ق.م)[٢٨٨].

ـ تعيين يوحنا بن سمعان قائدا للجيوش اليهودية (١٤١ ق.م):

وبعدها استولى سمعان على قلعة عقرا و«حصَّن جبل الهيكل الذي بجانب القلعة» وسكن، ومن معه، هناك، ثم عين ابنه يوحنا قائداً لجيوشه وجعل اقامته في جازر، وكان سمعان قد «حصَّنها وبنى فيها منزلا لنفسه»[٢٨٩].

ـ اسر الملك ديمتريوس الثاني في ميديا (١٤١ ـ ١٤٠ ق.م):

وكان الملك ديمتريوس قد قرر محاربة تريفون فسار، بجيشه، الى ميديا، يطلب النجدة، الا ان ارساكيس (السادس)، ملك فارس وميديا، حاربه واسره وزجه في السجن[٢٩٠]. وخلا الجو بعدها لسمعان الذي استقل باليهودية «فاتخذ يافا مرسى، وفتح مجازا لجزر البحر، ووسّع اراضي امته وقبض بيده على البلاد، وجمع اسرى كثيرين،

---

(٢٨٧) م.ن. ١مك١٣: ٤٣ـ٤٧.

(٢٨٨) م.ن. ١مك١٣: ٤٩ ـ ٥١، وم.ن. ص ٩٩٦ حاشية (١٣). ويضيف «يوسفوس» مدينة «يمنيا» الى المدن التي استولى سمعان عليها.(Josèphe, Op. Cit. P. 127)

(٢٨٩) م.ن. ١مك١٣: ٥٢ـ٥٣ و٤٨، ولكن سمعان اقام في اورشليم، كما سنرى، فيما بعد.

(٢٩٠) م.ن. ١مك١٤: ١ـ٢.

واستولى على جازر وبيت صور والقلعة... وامدّ المدن بالميرة وعززها بالتحصينات»[٢٩١].

ـ حصار انطيوخوس السابع (اخي انطيوخوس السادس) لتريفون، في دورا (١٣٩ ق.م):

كان انطيوخوس السابع لا يزال في «جزر البحر» عندما طالب بعرش اخيه الذي اغتصبه تريفون، وارسل رسالة الى سمعان يقرّه فيها على حكم اليهودية ويثبته بمنصب الكاهن الأعظم، ويعفيه من كل الرسوم والضرائب التي سبق ان اعفاه منها الملوك السابقون، ويأذن له ان يضرب نقوداً خاصة للتداول بها في بلاده، ويأذن له بالاحتفاظ بكل ما صنعه من اسلحة وما بناه من حصون[٢٩٢]. ثم خرج، في العام ١٧٤ بالتقويم السلوقي (١٣٩ ق.م) لقتال تريفون الذي تخلى عنه معظم رجاله ولم يبق معه من الجند «الا نفر يسير»[٢٩٣] بينما اجتمع لانطيوخوس نحوماية وعشرين الف راجل وثمانية آلاف فارس[٢٩٤]، فهرب تريفون الى مدينة دورا على الساحل واعتصم بها، ولحق به انطيوخوس وحاصر البلدة، بجيوشه برا، وبأسطوله بحرا، واخذ يضيّق الخناق على المدينة المحاصرة[٢٩٥]، وضربها بالمجانيق، ومنع الدخول اليها والخروج منها[٢٩٦]، وقد استطاع تريفون اخيرا ان يخرج من المدينة ويهرب بحراً الى ارطوسياس[٢٩٧].

---

(٢٩١) م.ن. ١مك١٤: ٥ـ١٠ وم.ن. ص ٩٩٦ حاشية (١و٢).

(٢٩٢) م.ن. ١مك١٥: ١ـ٨ ويبدو ان جزيرة كريت هي المقصودة بتسمية «جزر البحر».
ويذكر محققو العهد القديم انه لم يعثر، حتى اليوم، على اي نقد يمكن ان ينسب الى سمعان (م.ن. ص٩٩٩ حاشية ١).

(٢٩٣) م.ن. ١مك١٥: ١٠ـ١١، ويذكر محققو العهد القديم ان انطيوخوس ابرّ على ساحل سوريا في خريف عام ١٣٩ ق.م. تلبية لدعوة امراة اخيه كليوبترا (م.ن. ص ٩٩٩ حاشية ٢).

(٢٩٤) م.ن. ١مك١٥:١٣.

(٢٩٥) م.ن. ١مك١٥:١١و١٤ Josèphe, Op. Cit. P. 127

(٢٩٦) م.ن. ١مك١٥:٢٥.

(٢٩٧) م.ن. ١مك١٥: ٣٧. وارطوسياس: موقع هو بين طرابلس ونهر ألوطارس (م.ن. ص ١٠٠١ حاشية ١٠)، ونهر ألوطارس (أو ألوتارس): النهر الكبير الذي يفصل لبنان (الحالي) عن سوريا، وكان يشكل الحدود الشمالية لاقليم بقاع سوريا وفينيقية التي كان يوناثان فيها قائدا أعلى (م.ن. ص ٩٩١ حاشية ٥). والمعروف ان تريفون هرب الى افاميا حيث اعدم، ما لم يكن قد انتحر على حد قول استرابون (م.ن. ص ١٠٠١ حاشية ١).

ـ الخلاف بين انطيوخوس السابع وسمعان حول يافا وجازر وقلعة عقرا:

وبينما كان انطيوخوس يحاصر دورا، ارسل اليه سمعان الفي مقاتل «منتخبين» لنجدته، وارسل اليه «فضة وذهبا وعتادا كثيرا»[٢٩٨]، ولكن انطيوخوس رفض قبولها، واوفد احد قادته ويدعى (اتينوبيوس) ليفاوضه حول استرداد يافا وجازر وقلعة عقرا، ناقضا، بذلك ما كان قد سبق ان عاهد سمعان عليه. ومما نقله «اتينوبيوس» لسمعان، عن انطيوخوس قوله: «انكم مستولون على يافا وجازر والقلعة التي في اورشليم، وهي مدن مملكتي، وقد اتلفتم اراضيها، وضربتم البلاد ضربة شديدة، وتسلطتم على اماكن كثيرة في مملكتي، فأسلموا الآن المدن التي استوليتم عليها، وأدوا ضرائب الأماكن التي تسلطتم عليها في خارج حدود اليهودية، والا فادوا عنها خمس مئة قنطار فضة، وعن الإتلاف الذي اتلفتموه، وعن ضرائب المدن، خمس مئة قنطار اخرى، والا اتيناكم محاربين»[٢٩٩]، ورد سمعان على رسول الملك رافضا عرضه «فرجع اتينوبيوس الى الملك غاضبا»[٣٠٠].

٣ـ موقعة قدرون (١٣٧ ق.م):

عندما علم انطيوخوس بفرار تريفون من الحصار قرر مطاردته، وأوكل الى قائده «قندباوس» قيادة الساحل، ووضع بتصرفه جيشا من المشاة والفرسان، «وأمره ان يعسكر امام اليهودية» وان يعيد بناء «قدرون» ويحصّنها[٣٠١].

وانطلق «قندباوس» لتنفيذ المهمة الموكلة اليه، جاعلا «يمنيا» مقر قيادته، وبدأ يجتاح مدن اليهودية «ويسبي الشعب ويقتل». ثم اعاد بناء قدرون وحشد فيها المشاة والفرسان «كما أمره الملك»[٣٠٢].

وصعد يوحنا، قائد جيوش اليهودية، من جازر الى اورشليم حيث يقيم والده، وأنبأه بتحرك «قندباوس» قائد جيش انطيوخوس، وبما فعله في ارض اليهودية ومدنها وشعبها،

---

(٢٩٨) م.ن. ١مك١٥: ٢٦.

(٢٩٩) م.ن. ١مك١٥: ٢٧ـ٣١.

(٣٠٠) م.ن. ١مك١٥: ٣٢ـ٣٦.

(٣٠١) م.ن. ١مك١٥: ٣٨ـ٣٩، وقدرون: هي «قطرا» على بعد ٦ كلم جنوب شرقي يمنيا (م.ن. ص ١٠٠١ حاشية ١١).

(٣٠٢) م.ن. ١مك١٥: ٤٠ـ٤١.

فجمع سمعان ولديه «يوحنا ويهوذا»، وكان هو قد شاخ وكبر، وأمرهما ان يخرجا لقتال «قندباوس»، واختار لهما، من الجيش «عشرين الفا من رجال الحرب وفرسانا». ولا شك في انه جعل يوحنا قائداً لهذا الجيش، باعتباره القائد العام لجيوش اليهودية، وهو ما يتبين، كذلك، من النص الوارد في الكتاب[٣٠٣]. وزحف يوحنا بالجيش الى «مودين» فعسكر فيها لليلة واحدة[٣٠٤].

الاستعداد للقتال:

أ ـ جيش يوحنا: انطلق يوحنا، بالجيش، من «مودين» فجر اليوم التالي، فأشرف على سهل ينتهي بواد يقع بين مودين واشدود (وربما كان وادي قطرا او وادي سريك)[٣٠٥]. وشاهد، في مواجهته وعبر الوادي، معسكر قندباوس وهو يعج بجيش عظيم «من المشاة والفرسان» فتوقف بجيشه في السهل قبالة جيش قندباوس، استعدادا لعبور الوادي.

ب ـ جيش قندباوس: كان جيش قندباوس قد اصطف في ترتيب القتال، عبر الوادي، في السهل، وهو على اتم الاستعداد للقتال.

ترتيبات القتال:

أ ـ جيش يوحنا: قسم يوحنا مشاة جيشه الى فرقتين: ميمنة وميسرة، وجعل الخيالة في القلب، ثم عبر بنفسه الوادي، في مقدمة الجيش، باتجاه العدو، وعبر الجيش بعده[٣٠٦].

ب ـ جيش قندباوس: لم نجد في النص ما يشير الى ترتيب جيش قندباوس، الا ان

---

(٣٠٢) م.ن. ١مك١٥: ٤٠ـ٤١.

(٣٠٣) م.ن. ١مك١٦: ١ـ٤. وراجع النص نفسه (١مك١٥: ٦ـ٧).

(٣٠٤) م.ن. ١مك١٥: ٤ و Aharoni, Op. Cit. P. 154.

(٣٠٥) م.ن. ١مك١٥: ٥ وم.ن.ص ١٠٠١ حاشية (٢) و Aharoni, Ibid

(٣٠٦) م.ن. ١مك١٦: ٥ـ٧. وقد ورد في النص ان جنود يوحنا خافوا من عبور الوادي فعبره يوحنا أمامهم وتبعوه (١مك١٦: ٦). ويرى آهاروني ان يوحنا «نشر فرسانه بين المشاة» (Aharoni, Op. Cit. P. 154)

آهاروني يذكر ان السلوقيين كانوا قد انتشروا، في هذه الموقعة «وفقا للطريقة التقليدية: المشاة في الوسط، والخيالة في الجناحين» اي الميمنة والميسرة[٣٠٧]. فاذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني ان يوحنا وضع القوة الضاربة (مدرعات ذلك العصر) في وسط الجيش، ومقابل مشاة العدو، حيث تبدو كسهم يخترق قلب العدو فيشطره الى شطرين، ذلك ان المشاة يكونون عادة اضعف مقاومة من الخيالة.

المعركة: ما ان عبر يوحنا الوادي بجيشه حتى انشب القتال مع العدو مخترقا قلبه بخيالته، ورغم ان خيالة «قندباوس» كانت اكثر عددا، فهي لم تصمد امام هجمات الجناحين من مشاة يوحنا، فانهزم قندباوس وجيشه «وسقط منهم قتلى كثيرون، وفر الباقون الى الحصن»، بينما جرح يهوذا اخو يوحنا في المعركة[٣٠٨].

وقد تعقب يوحنا فلول الهاربين وفي مقدمتهم «قندباوس» الذي وصل الى قدرون (وكان قد اعاد بناءها وحصّنها) فلجأ اليها، وفر الباقون «الى البروج في ارض اشدود»، وعندها احرق يوحنا هذه البروج بالنار.

وقد سقط من جيش قندباوس، في هذه الموقعة «ألفا قتيل» ولم يذكر النص عدد قتلى جيش يوحنا الذي عاد الى اليهودية[٣٠٩]. الا ان ليوسفوس رواية اخرى لهذه الموقعة، اذ يذكر ان سمعان، رغم شيخوخته، قاد هذه الحرب «بحمية الشباب»، فهو قد ارسل ابناءه في المقدمة مع «افضل الفرق»، اما هو «فتقدم، مع قسم من الجيش، باتجاه آخر»، ثم، انه، «بفضل الكمائن التي جهزها في نقاط مختلفة من الجبل «احرز النصر» في كل الاشتباكات[٣١٠]. (انظر الخارطة رقم ٣٠)

موت سمعان (١٣٤ ق.م):

كان بطليموس بن ابوبس، قائد موقع اريحا وصهر سمعان «عظيم الكهنة» قد جمع

---

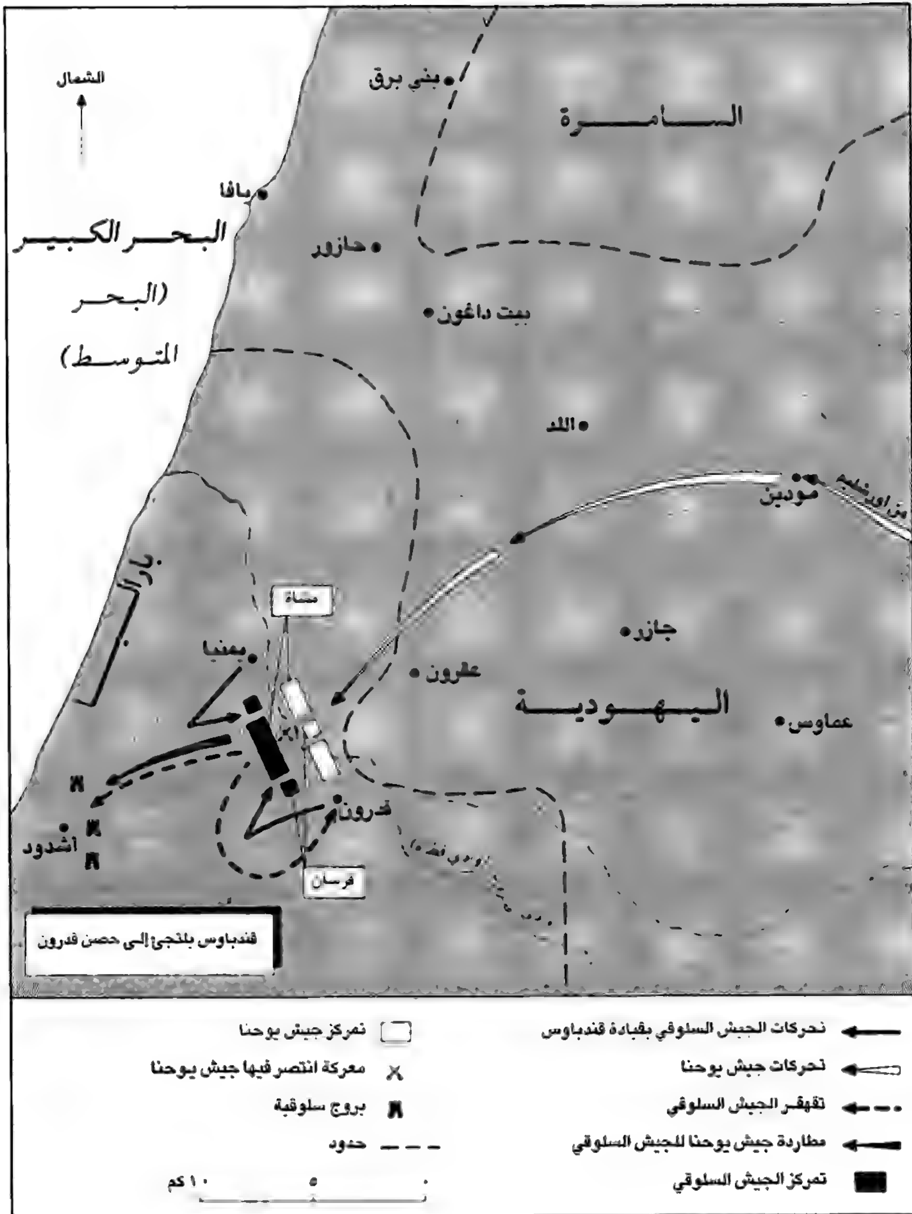
(٣٠٧) Aharoni, Ibid

(٣٠٨) العهد القديم، ١مك ١٦: ٧ـ٩. ويذكر آهاروني ان يهوذا جرح في قدرون Aharoni, Ibid.

(٣٠٩) العهد القديم، ١مك ١٦: ٩ـ١٠.

(٣١٠) Josèphe, Op. Cit. P. 127

خارطة رقم ٣٠: موقعة قدرون



مالا كثيرا، فتراءى له ان يغدر بنسيبه سمعان وابنائه ويستولي على الحكم. وبينما كان سمعان يجول في البلاد، هو وابناه «متتيا ويهوذا»، دعاهم بطليموس الى اريحا لكي يكرّمهم ويحتفي بهم، وكان قد اعد، مع اهل اريحا، مؤامرة لاغتيال سمعان وولديه.

ولبى سمعان الدعوة، فاستقبله بطليموس في حصن صغير يطل على المدينة ويدعى «دوق» (وهو حصن يقع على رأس جبل الاربعين المطل على اريحا)[٣١١]، ثم اقام له ولولديه وليمة عامرة. وما ان فعلت الخمرة فعلها في رأس سمعان وافقدته صوابه حتى انقض بطليموس ورجاله عليه وعلى ولديه فقتلوهم وقتلوا بعض من كان معهم من حاشيتهم[٣١٢]، ثم ارسل بطليموس الى الملك انطيوخوس ينبئه بمقتل سمعان وولديه ويطلب جيشا لنجدته، كما ارسل الى «رؤساء الالوف» يدعوهم لطاعته مغريا اياهم «بالذهب والفضة والهدايا»، وارسل آخرين للاستيلاء على اورشليم وجبل الهيكل[٣١٣]. ولم ينسَ بطليموس ان يرسل قوما الى جازر لكي يقتلوا يوحنا، الا ان يوحنا كان اكثر حذرا من والده واخويه، خصوصا وانه كان قد انبئ بما جرى لهم، فاستعد لاستقبال موفدي بطليموس الاستقبال اللائق بهم، وما ان وصلوا لديه حتى قتلهم جميعا[٣١٤]. وكان ذلك عام ١٧٧ بالتقويم السلوقي، اي عام ١٣٤ ق.م[٣١٥].

رواية يوسفوس:

الى هنا تنتهي رواية العهد القديم (سفر المكابيين الأول) لموت سمعان، ولا بد من ان نعمد الى البحث عن تتمتها عند «يوسفوس» أقدم المؤرخين اليهود.

يقول يوسفوس:

ذهب سمعان ضحية مؤامرة حاكها ضده صهره بطليموس الذي قبض، كذلك، على

(٣١١) العهد القديم، ١مك١٦: ١٥ وم.ن.ص ١٠٠٢ حاشية (٥).

(٣١٢) م.ن. ١مك١٦: ١٦. ولمحققي العهد القديم رأي آخر في هذه الحادثة يتفق مع رأي المؤرخ يوسفوس الذي سوف نفصله فيما بعد. (م.ن.ص ١٠٠٢ حاشية ٦).

(٣١٣) م.ن. ١مك١٦:١٨ـ٢٠.

(٣١٤) م.ن. ١مك١٦:٢١ـ٢٢.

(٣١٥) م.ن. ١مك١٦: ١٤وم.ن.ص ١٠٠٢ حاشية (٤).

زوجته وولديه (متتيا ويهوذا)، وما ان علم يوحنا (الملقب بهرقانوس) بما جرى لوالده حتى اسرع الى اورشليم، وكان يثق باهلها، لما تركه لهم من مآثر حميدة، ولما يحملونه لبطليموس من كراهية. واسرع بطليموس، بدوره، الى اورشليم، وحاول ان يدخلها من باب آخر، لكن الشعب صدّه ومنعه من دخول المدينة، بينما استُقبِل يوحنا هرقانوس بحفاوة بالغة. عندها انسحب بطليموس ولجأ الى حصن يقع فوق اريحا ويدعى «دوق»، فلحق به يوحنا هرقانوس الى الحصن بغية انقاذ امه واخويه.

الا ان هرقانوس لم يكن ليجرؤ على اقتحام الحصن خشية ان يفتك بطليموس بأمه واخويه، رغم انه كان لديه من القوة ما يكفي لاسقاط الحصن والاستيلاء عليه. اذ انه، ما ان كان بطليموس يشعر بقرب الهزيمة، حتى يرفع ام هرقانوس واخويه الى اعلى السور ويوسعهم ضربا على مرأى منه، ويهدده بانه سوف يقضي عليهم ان لم يبتعد عن اسوار الحصن. وكانت النتيجة ان عاطفة الشفقة والخوف على مصير اهله كانت تغلب، عند هرقانوس، عاطفة الحقد على بطليموس والكراهية له، فيحجم عن الاقدام على اقتحام الحصن، رغم ان امه لم تكن تنفك عن التضرع اليه ان لا يتراجع ولا ينثني امام هذا «الكافر» كما انها، هي نفسها، لم تكن لتضعف تحت ضربات سياطه وفي مواجهة تهديداته بالموت. وكان هرقانوس يتشجع، بعد ان يسمع كلام امه من اعلى السور، ويقرر الاقدام واقتحام الحصن، لكن، ما ان تظهر امه ويظهر اخواه على السور وهم يُجلدون ويُعذبون، حتى يفقد شجاعته وينضج قلبه بالعذاب والألم. وقد استمر الوضع على هذه الحال حتى حان وقت تعليق الحصار بسبب حلول السنة السابعة «سنة الراحة» التي تقع عند اليهود، بعد كل ست سنوات، (تشبهاً بيوم السبت الذي هو اليوم السابع او «يوم الراحة» من الاسبوع)، وما ان علّق الحصار حتى اقدم بطليموس على قتل ام هرقانوس واخويه وفر الى عند «زينون» الملقب بـ«كوتيلاس» وهو طاغية فيلادلفيا (عمان) [٢١٦].

تنتهي هنا، حروب اليهود المروية في العهد القديم، ويبدأ عهد «يوحنا هرقانوس» الذي خلف والده سمعان، عام ١٣٤ ق. م. كحاكم لليهودية، وككاهن اعظم.

---

(٢١٦) Josephe, Op. Cit. PP. 127-128.

مراجع الخارطات

* الخارطة رقم (١): الخروج من مصر:
المصدر: «العهد القديم»: خر ١٥: ٢١ ـ ٢٥ وعد ١٤ : ٤٥ وعد ٣٣: ١ـ ٤٩ ويش ١٣: ٢١ ـ ٢٤.

المراجع:
-- Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, Maps 48, 51
-- Pritchard, Atlas du Monde Biblique, page 57
-- Smith, Historical Atlas of the holyland P.P. 33 - 36.

ـ ابن خلدون، تاريخه، ج٢: ص ١٦٢.

* الخارطة رقم (٢): حدود ارض الميعاد والشعوب التي تقطنها.
ـ عد ٣٤: ٣ـ١٢ وخر ٤٧: ١٣.

-- Aharoni, M. 51.
-- Smith, P.P. 7- 8.

* الخارطة رقم (٣): العبور الى ارض كنعان:
ـ يش٣: ١٤ـ١٧ ويش ٤: ١ـ ١٩.

-- Aharoni, M54
-- Smith, PP. 35, 36.

* الخارطة رقم (٤): موقعة العي:
ـ يش ٨: ٣ـ٢٨

-- Aharoni, M. 56
-- Smith, PP. 35, 36.

* الخارطة رقم (٥): موقعة جبعون:
- يش ٩: ١ ويش ١٠: ٣ـ ٣٩.

-- Aharoni, M. 56.

-- Smith PP. 35- 36.

* الخارطة رقم (٦): موقعة مياه ميروم:
- يش ١١: ٣ـ ٨.

-- Smith, PP. 35,36

-- Pritchard, P. 63 carte 5

* الخارطة رقم (٧): توزيع ارض الميعاد على اسباط اسرائيل:
- يش١٣ـ ١٩

-- Smith, P. P. 35,36.

* الخارطة رقم (٨): حروب يهوذا:
- قض ١: ١ـ ٣٦

-- Aharoni, M57, 113

-- Smith, P. P. 35, 36

* الخارطة رقم (٩): حروب دبورة (موقعة نهر قيشون):
- قض ٤: ١ـ ٢٢.
- عبد الملك بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٠١.

* الخارطة رقم (١٠): حروب جدعون: (موقعة تل المورة)
قض ٧ وقض ٨: ١ـ ٢١

-- Aharoni, M. 75, 76

-- Smith, P. P. 35, 36

* الخارطة رقم (١١): حروب يفتاح الجلعادي:
يش١٠: ١٧ ويش ١١: ١ـ ١١ و٢٩ـ ٤٠ ويش ١٢: ١ـ ٦

-- Aharoni, M 78

* الخارطة رقم (١٢): الحرب بين سبط بنيامين وباقي اسباط اسرائيل:
قض ٢٠: ١٤ـ ٤٧

-- Aharoni, M. 81.

* الخارطة رقم (١٣): موقعة يابيش جلعاد:

١ صم ١١: ١ ـ ١١.

-- Aharoni, M.87

-- Pritchard, P. 74

-- Smith, P.P. 35, 36

* الخارطة رقم (١٤): موقعة مكماش (أو مخماس):

ـ ١ صم ١٣ وصم ١٤: ١ـ٢٣ و ٣١ و٤٦.

-- Aharoni, M. 88, 89

-- Smith, P. P. 35, 36

* الخارطة رقم (١٥): احتلال يبوس وموقعة وادي رفائيم

ـ ٢صم ٥: ٦ـ٩ و١٧ـ ٢٥ و ١أخ ١٤: ٨ـ١٧.

-- Aharoni, M. 100

-- Pritchard, P. 78.

* الخارطة رقم (١٦): حروب داود ضد العمونيين وحلفائهم الآراميين (موقعة ربة عمون):

ـ ٢ صم ١٠: ٦ـ١٩ و٢ صم ١١: ١ و ١أخ ١٩: ٦ـ ١٩ و ١أخ ٢٠: ١ـ٣.

-- Aharoni, M. 101, 102

-- Smith, P. P. 35 - 36

* الخارطة رقم (١٧): الحرب بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك اسرائيل:

ـ ٢أخ ١٦: ١ـ ٥ و ١مل ١٥: ١٦ـ ٢٢

-- Aharoni, M. 123, 124

-- Pritchard, P. 104

* الخارطة رقم (١٨): الحرب بين بنهدد الثاني ملك آرام وآحاب ملك اسرائيل (حصار السامرة وموقعة أفيق):

ـ ١مل ٢٠: ١ و١٢ـ ٢١ و٢٦ ـ ٣٠.

-- Aharoni, M. 125

-- Smith, P. P. 35,36

* الخارطة رقم (١٩): موقعة عين جدي أو حصون تامار:
٢أخ ٢: ١ـ ٣٠

-- Aharoni, M. 129

* الخارطة رقم (٢٠): موقعة قرقر:
ـ لا يوجد لها ذكر في العهد القديم.

-- Aharoni, M. 127

-- Pritchard, P. 108

* الخارطة رقم (٢١): مسار حملة سرجون الثاني:
ـ ٢ مل ١٧: ٥ـ ٦ و٢ مل ١٨: ٩ـ ١٠

-- Aharoni, M. 127

-- Pritchard, P. 108

* الخارطة رقم (٢٢): مسار اجلاء اليهود عن مملكة اسرائيل في عهد آشور:
ـ ٢ مل ١٥: ٢٩ و٢مل ١٧: ٥ـ ٦ و٢٣ ـ ٢٤.

-- Pritchard, P. 115

* الخارطة رقم (٢٣): حروب سنحاريب في فلسطين
ـ ٢ مل ١٨: ١٣ ـ ٣٥.

-- Aharoni, M. 154

-- Pritchard, P. 107

-- Hérodote, l'Enquête, L II, P. 238, Note 141

* الخارطة رقم (٢٤) موقعة عمّاوس
١ مك٣: ٣٨ ـ ٤١ و٤٦ و٥٧ و١ مك٤: ١ ـ ٢٢.

-- Aharoni, M. 188

* الخارطة رقم (٢٥): حملة يهوذا على ارض جلعاد وموقعة جازر:
ـ ١ مك ٥: ٢٤ ـ ٥٤ و٢ مك ١٠: ٢٤ ـ ٣٨.

-- Aharoni, M. 190

* الخارطة رقم (٢٦): موقعة بيت زكريا:
١ مك ٦: ٢٨ ـ ٤٨

-- Aharoni, M. 193

-- Pritchard, P. 146, C. 1

* الخارطة رقم (٢٧): موقعة أداسة:

١ مك ٧: ٣٩ ـ ٥٠

-- Aharoni, M. 195

* الخارطة رقم (٢٨): موقعة بئروت (أو ايليسا):

١ مك ٩: ١ـ ١٨

-- Aharoni, P. 148 , M. 197.

* الخارطة رقم (٢٩): موقعة سهل يمنيا:

ـ ١ مك ١٠: ٦٩ـ ٨٦.

-- Aharoni, M. 201

* الخارطة رقم (٣٠): موقعة وادي قدرون:

١ مك ١٥: ٤١ و ١ مك ١٦: ـ ١٠.

-- Aharoni, M. 208.

فهرس الخارطات والمخططات والرسوم والصور

فهرس الخارطات

فهرس المخططات

الرقم	الموضوع

فهرس الرسوم

الرقم	الموضوع

فهرس الصور

الرقم	الموضوع

فهرس المضمون

الجزء الأول

الباب الرابع: حروب الغزاة (العبرانيين) مع الغزاة (الآخرين)

فلسطين في العهد القديم



البحـــر الكبيـــر

(البحـــر المتوســـط)

صور
نحو اوغاريت
ابل بيت معكة
(ابيل القمح)
دان
نحو دمشق
قادش الجليل
(قدس)
بحيرة
الحولة
نحو قطنا
حاصور
(القدح)
اكزيب
(الزيب)
جبال الجليل
اكشاف
(كفرياسيف)
عكا
سهل عكا
بحر الجليل
كنارة ،
جنيسار ،
(بحيرة
طبرية)
قانا
الجليــل
افيق
(فيق)
قادش نفتالي
(خربة قديس)
نهر اليرموك
جبل الكرمل
مرج ابن عامر
جبل تابور
شونم
(سولم)
سهل يزرعيل
دور
(طنطورة)
مجدو
(تل المتسلم)
يزرعيل
(زرعين)
بيت شطة
(شطة)
جبل جلبوع
بيت شان
(بيسان)
راموت جلعاد
(تل رميث)
يابيش جلعاد
(تل المقلوب)
سهل شارون
بازق
(خربة ابزق)
نهر الاردن
جلعــاد
ترصة
(تل الفارعة)
السامرة
(سبسطية)
شكيم
(نابلس)
سكوت
(تل دير علا)
نهر يبوق (نهر الزرقاء)
افيق (راس العين)
جبـال السامرة
مصفاة جلعاد
(خربة جلعاد)
ادم
(تل دامية)
يافا
فنوئيل
(جبل يوشع)
يجبهة
(الجبيهة)
بيت داغون
(بيت دجن)
اللد
حاديد
(الحديثة)
ربة عمون،
فيلادلفيا
(عمان)
بيت ايل
(بيتين)
العي
(خربة التل)
بيت حورون التحتا
(بيت عور التحتا)
الغــور
ابل كراميم
(ناعور)
يمنية
(يبنة)
جازر (تل جزر)
بيت حورون الفوقا
(بيت عور الفوقا)
المصفاة
(تل النصبة)
اريحا
ابل شطيم
(الكفرين)
قدرون
(تل قطرة)
تمنه
(تل البطاشي)
عزيقة
(تل زكريا)
يبوس، اورشليم
(القدس)
بيت يشيموت
(عين السويمة)
حشبون
(حسبان)
اشدود
غات (جت)
سوكو
(خربة الشويكة)
بيت لحم
عيطم
(خربة الخوخ)
ميدبا
(مادبا)
عسقلان
عدلام
(الشيخ مدخور)
تقوع
طريق الملك
مريشة (مريسة)
بيت صور
لاكيش
(تل الدوير)
جبـال حبـرون
حبرون (الخليل)
بحر الملح
(البحر الميت)
ديبون
(ديبان)
غزة
زيف (تل زيف)
عين جدي
عروعير
(عراعير)
نهر ارنون (وادي الموجب)
طريق الساحل
جرار
(تل ابو هريرة)
رافيا
(رفح)
النقــب
مسادا
بئر السبع
عراد
قير حراست،
قير مؤاب
(الكرك)
زوار
(الصافي)

خطوط الارتفاع بالأمتار

	وأكثر
	٥٠٠
	١٠٠
	صفر
	-٢٠٠

——— طريق دولية قديمة

صفر ١٠ ٢٠كم